

السُّؤَالُ الْأَعْتَادِيَّةُ

المجموعة الأولى



للعالمة المحقق العارف

محمد إسماعيل بن الحسين بن محمد رضا المازندراني الخوارجوي

المؤلف سنة ١١٢٣ هـ

تأليف
السيد مصطفى الجزائري

مطبعة دار الفکر

الرسائل
الأعتادية



السُّئَالُ وَالْإِعْتِقَادُ

للعلامة المحقق محمد إسماعيل المازندراني الخواجوي

المؤسسة سنة ١١٧٣ هـ

المجموعة الأولى

تَحْقِيقُ
السَّيِّدِ مُحَمَّدِيِّ الْإِسْطَهْرَانِيِّ



مركز إحياء تراث العلامة الخواجوني

قم المشرفة - شارع صفائية / فرع ٢٥

كوجه قائمي بلاك ٣٦ . ص ب ٧٥٣ - ٣٧١٨٥

هوية الكتاب

الكتاب : الرسائل الأعتقادية / المجموعة الأولى

المؤلف : العلامة محمد اسماعيل المازندراني الخواجوني

المحقق : السيد مهدي الرجائي

الطبعة : الأولى

المطبعة : نينوا

العدد : ١٠٠٠ نسخة

التاريخ : ١٤٢٦ ق - ١٣٨٥ ش

الناشر : مؤسسة عاشوراء

شابك : ٢ - ٤٢ - ٧٢٦٣ - ٩٦٤

في هذه المجموعة

- ١- بشارات الشيعة..... ٥٣
- ٢- ذريعة النجاة من مهالك تتوجّه بعد الممات..... ٣٢١
- ٣- الفوائد في فضل تعظيم الفاطميين..... ٣٨٣
- ٤- رسالة مميزة الفرقة الناجية عن غيرهم..... ٤٥٥
- ٥- رسالة في تحقيق وتفسير الناصبي..... ٥١١
- ٦- طريق الإرشاد إلى فساد إمامة أهل الفساد..... ٥٢١
- ٧- الرسالة الأينية..... ٥٩٩
- ٨- توجيه مناظرة الشيخ المفيد..... ٦١٧

رسالة
في ترجمة حياة المؤلف

للمحقق
السيد مهدي الخبائري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على خير خلقه وأفضل بريّته محمّد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين .

قد اتّجه علماء الشيعة اتّجهاً ملحوظاً في جميع الميادين العلمية منذ أقدم عصورهم، وامتدّ نشاطهم وحرّكتهم الفكرية إلى كلّ ما كان هناك من علوم معروفة، وشمل نشاطهم إلى جانب الفقه وأصوله والكلام وعلوم القرآن واللغة والأدب، ونجد هذا النشاط بارزاً على مؤلّفاتهم الكثيرة التي تعكس اتّجاههم العلمي ونشاطهم الفكري .

والانصاف يحتم علينا أن لا ننسى لهم ما قاموا به من الأدوار الكبيرة في الحركة الثقافية في الأحقاب الإسلامية الماضية، وما ساهم به اتّجاههم هذا الممغن بحثاً، الذي جاب مناطق الإنسان والحياة في بناء الحضارة الإسلامية، وإقامة دعائمها على أسس قويمة منتجة .

إنّه لمن المدهش حقّاً أن نجد كثيراً من مفكّري الشيعة وعلمائهم قد سبقوا عصورهم بأجيال بمعلوماتهم ونظرياتهم وآثارهم، وتركوا حقائق علمية مثيرة . ومن علماء الشيعة الذي برزوا في هذه الميادين العلمية والعملية، الجامع للمنقول والمعقول، هو الشيخ الفقيه المحقّق، المتكلّم الجليل، الحكيم المتألّه العارف المولى العلامة محمّد إسماعيل المازندراني الخواجوثي الاصفهاني، أسكنه الله بحبوحات جنّاته .

اسمه ونسبه

المولّى محمد إسماعيل بن محمد حسين بن محمد رضا بن علاء الدين محمد المازندراني الاصفهاني المشهور بالخواجوي .
· المازندراني نسبة إلى منطقة في شمال ايران، لعلّ آباؤه كانوا يسكنونها، أو كانت ولادته فيها .

والاصفهاني نسبة إلى بلدة معروفة كان منشأ ترعرعه فيها إلى أن توفي فيها .
والخواجوي نسبة إلى محلّة معروفة في أصفهان متّصلة بالجسر العتيق المعروف بـ«جسر الخواجو» وقد انتقل إليها المترجم في فتنة الأفغان، وكانت في زمانه خارج بلدة أصفهان، وأخذها مسقط رأسه حتّى اشتهر بالنسبة إليها .

أولاده وأحفاده

له من الأولاد الملاً محمد جعفر، وكان من علماء وفضلاء عصره في أصفهان .
وللملاً محمد جعفر ابن فاضل عالم محقق اسمه الملاً محمد إسماعيل الثاني الخواجوي .

استنسخ عدّة من رسائل جدّه الملاً محمد إسماعيل الخواجوي، ورأيت في المكتبة الرضوية في مشهد الرضا عليه السلام مجموعة رسائل للمؤلف بعضها لعلّه بخط حفيده هذا .

وتوفّي في أصفهان في (٢٥) ربيع الأوّل سنة (١٢٨٢) هـ .

الاطراء عليه

قد ذكر المؤلف في أكثر التراجم مع التجليل والتبجيل، وأثنوا عليه كلّ الثناء والاطراء، فمنهم :

قال الشيخ عبد النبي القزويني من معاصريه في كتابه تتميم أمل الآمل ص ٦٧ :

كان من العلماء الغائسين في الأغوار، والمتعمقين في العلوم بالأسبار، واشتهر بالفضل، وعرفه كلّ ذكي وغبي، وملك التحقيق الكامل حتّى اعترف به كلّ فاضل زكي .

وكان من فرسان الكلام، ومن فحول أهل العلم، وكثرة فضله تزري بالبحور الزاخرة عند الهيجان والتلاطم، والجبال الشاهقة، والأطواد الباذخة، إذا قيست إلى علوّ فهمه كانت عنده كالنقط، والدراري الثاقبة إذا نسبت إلى نفوذ ذهنه كأنها حبط .

حكى عنه الثقات أنّه مرّ على كتاب الشفاء ثلاثين مرّة: إمّا بالقراءة، أو بالتدريس، أو بالمطالعة .

وأخبرني بعضهم أنّه كان سقط من كتاب الشفاء عنده أوراق، فكتبها من ظهر قلبه، فلمّا عورض بكتاب صحيح ما شدّ منه إلا حرفان أو حرف. وبالجملة الكتب المتداولة في الحكمة والكلام والأصول كانت عنده أسهل من نشر الجراد، حتّى يمكن للناس أن يقولوا: إنّ هذا الشيء عجاب، إنّ هذا الشيء يراد .

وكان ﷺ مع ذلك ذا بسطة كثيرة في الفقه والتفسير والحديث، مع كمال التحقيق فيها. وبالجملة كان آية عظيمة من آيات الله وحجّة بالغة من حجج الله .

وكان ذا عبادة كثيرة، وزهادة خطيرة، معتزلاً عن الناس، مبغضاً لمن كان يحصل العلم للدنيا، عاملاً بسنن النبي ﷺ، وفي نهاية الإخلاص لأئمة الهدى عليهم السلام، وذا شدة عظيمة في تسديد العقائد الحقّة وتشديدها، وذا همّة جسيمة في إجراء أمور الدين مجراها وتأييدها .

والميرزا محمّد علي الكشميري ترجم عبارة تميم الأمل بالفارسية في كتابه نجوم السماء في تراجم العلماء ص ٢٦٩ .

وقال المحقق الخوانساري في الروضات ١: ١١٤: العلم العالم الجليل مولانا إسماعيل... كان عالماً بارعاً، وحكيماً جامعاً، وناقداً بصيراً، ومحققاً نحرياً، من المتكلمين الأجلّاء، والمتتبعين الأدلاء، والفقهاء الأذكياء، والنبلاء الأصفياء، طريف الفكرة، شريف الفطرة، سليم الجنبه، عظيم الهيبه، قوي النفس، نقي القلب، زكي الروح، وفي العقل، كثير الزهد، حميد الخلق، حسن السياق، مستجاب الدعوة، مسلوب الادّعاء، معظمّاً في أعين الملوك والأعيان، مفحماً عند أولي الجلالة والسلطان .

حتّى أنّ النادر شاه - مع سطوته المعروفة ووصلته الموصوفة - كان لا يعتني من بين علماء زمانه إلّا به، ولا يقوم إلّا بأدبه، ولا يقبل إلّا قوله، ولا يمثل إلّا أمره، ولا يحقّق إلّا رجاءه، ولا يسمع إلّا دعاه .

وذلك لاستغنائه الجميل عمّا في أيدي الناس، واكتفائه بالقليل من الأكل والشرب واللباس، وقطعه النظر عمّا سوى الله، وقصده القربة فيما تولّاه .

ثمّ قال: غير أنّ هذا الشيخ الجليل لما كان في زمن فاسد عليل، وعصر لم يبق لأحد فيه إلى نصر العلم والدين سبيل - من جهة استيلاء الأفغان على ممالك إيران، واستحلالهم أعراض الشيعة ودمائهم وأموالهم في كلّ مكان، سيّما محروسة أصبهان - لم يبق له، مع كونه الفحل المحلّ العجب العجاب، كثير ذكر بين الأصحاب، ولا جدير اشتهار لما صنّف من رسالة وكتاب .

بل لم يعرف من أجل ذلك له أستاذ معروف، أو اسناد متّصل إليه أو عنه على وجه مكشوف، وكأنّ ذلك كان مفقوداً فيه معوزاً عليه، وإلّا لنقله ونقل عنه في مبادئ كتاب أربعينه لا محالة، كما هو ديدن مؤلّفي الأربعينات، ولم يكن يعتذر هناك عن تركه ذكر الإسناد منه إلى المعصوم عليه السلام بأعذار غير سديدة .

أقول: سيأتي شهرته بين الأصحاب والأعلام المتأخرين عنه، وله مشايخ وتلامذة وسلسلة اسناد يتصل إليه ومنه إلى المعصوم عليه السلام، فانتظر .

ثم قال: وكان عليه السلام مرتفعاً جداً في محبتهم - أي: في محبة السادة الفاطميين - والإخلاص لهم الوداد، كما حكاها الثقات .

وكان عليه السلام أيضاً صاحب مقامات فاخرة، وكرامات باهرة، يوجد نقل بعضها في بعض المواقف، ويؤخذ بالسائر من الأقوال، وإنما أعرضنا عن تفصيلها حذراً عن الإطناب المملّ المخلّ بوضع هذه العجالة .

وخطه عليه السلام أيضاً قد كان بقسميه المعهودين في قاصي دزجة من الجودة والحسن والبهاء، كما أطلعنا عليه من أكثر أرقامه ومصنّفاته الموجودة لدينا بخطوطه المباركة إنتهى .

والمحدّث النوري في خاتمة المستدرک ٢٠: ١٠٨ ذكر من الإطراء ما ذكره الشيخ القزويني في التتميم، والمحقّق الخوانساري في الروضات، وذكر نصّ بعض عبارتهما .

وقال السيّد العاملي في أعيان الشيعة ٣: ٤٠٢ عن بعض الكتب في حقّه: عالم عارف حكيم متألّه جامع ناقد بصير محقّق نحري عابد زاهد جليل معظّم نبيل، مكتفٍ من الدنيا بالقليل، قاطع نظره عمّا سوى الله تعالى، مستجاب الدعوة، معظّم عند الملوك والسلاطين، وكان نادر شاه مع سطوته يعظّمه ويمثّل أوامره، خطّه في نهاية الجودة .

ثمّ ذكر عن كتاب تجربة الأحرار في علماء قزوين، قال: المولى إسماعيل الخواجوي الفاضل النبيل، جامع مسائل الحكمة والفقاهة، والعالم بأخبار الرواية والدراية ... من قدماء العلماء، ومشاهير الفضلاء، ممتاز بحدّة الذهن، فضائله لا

تعدّ، وله تعاليق كثيرة، ولم يكن له نظير، وقد كان في أصفهان التي كانت تفتخر به .
 وذكر السيّد الصفائي الخوانساري في كتابه كشف الأستار ١: ١٣٢ في مقام
 الاطراء عليه ما ذكره المحقّق الخوانساري في الروضات، فراجع .

. وقال الميرزا المدرّس الخياباني في ريحانة الأدب ٢: ١٠٥ ما هذا نصّ عبارة
 الكتاب باللغة الفارسية: عالمي است جامع، وحكيمي است بارع، متكلم زاهد
 عابد، خبير بصير، از اكابر فقهاء و متكلمين اماميه عهد نادري، كه به حسن
 اخلاق، وعزّت نفس، واخلاص ائمة هدي، وعدم اعتناء به اكابر واغنيا، وعمل به
 سنن نبويّه موصوف، ومستجاب الدعوه بود، از كسانى كه علم را وسيله مقاصد
 دنيويه مى نموده اند بسيار تنفّر داشت، داراي نفسى سليم، واز خوراك وپوشاك
 به بسيار كمى قانع، ودر اثر شهامت نفس از مال ومتاع مردم مستغنى بود، به كسى
 اعتنا نمى كرد، به همين جهت در نظر سلطان واكابر وقت بسيار احترام داشت،
 حتّى نادر شاه با آن صولت و سطوتى كه داشته به جز او كسى ديگر را وقعى
 نمى گذاشت، فقط اوامر و دستورات او را لازم العمل مى دانست، و متادّب به
 آداب وى بود .

وقال الشهيد التبريزي في كتاب مرآة الكتب ١: ٤٦: كان عالماً فاضلاً محققاً،
 وكان مهاباً معظماً عند النادر شاه، وكان لا يعتنى إلا به .

وقال المحدث القمي في الكنى والألقاب ٢: ١٧٩: العالم الورع، الحكيم
 المتأله، الجليل القدر، من أكابر علماء الإمامية، قالوا في حقّه: كان آية عظمة من
 آيات الله، وحبّة بالغة من حجج الله، وكان ذا عبادة كثيرة، وزهادة خطيرة،
 معتزلاً عن الناس، مبعضاً لمن كان يحصل العلم للدنيا، عاملاً بسنن النبي ﷺ،
 وكان في نهاية الإخلاص لأنّمة الهدى ﷺ، مستجاب الدعوة، مسلوب الادّعاء،

معظماً في أعين الملوك والأعيان، مفحماً عند أولي الجلالة والسلطان .
وقال الفاضل كحالة في معجم المؤلفين ١: ٢٩١: محدث متكلم، مشارك في
بعض العلوم .

وغيرهم ممن ذكره في تراجمهم الرجالية وغيرها .

الفتنة الهائلة الأفغانية

لا بأس بالاشارة إلى ابتلاء أهل هذا الزمان الذي كان يعيش فيه المترجم في
محروسة أصفهان بجنود وافرة من الأفغان، ليكون عبرة للناظرين، وغيره
لشاكرين، وتنبهياً للغافلين، وتذكيراً للجاهلين، وتسليّة للأحزان، وتعزية لأهل
الإيمان .

وكان هذا الرجل الجليل في عين هذه النائرة العظيمة، ولذا لم يبق له كثير ذكر،
وكان هذا هو السبب لخمول ذكر أكثر علمائنا الذين كانوا يعيشون في هذه الفترة،
وضاع كثير من أساميهم وتأليفهم، فنحن نذكر نصّ عبارات أصحاب التراجم
وغيرهم :

قال المترجم نفسه في آخر كتابه الأربعين: جمعتها في زمان، وألقتها في مكان،
كانت عيون البصائر والضمائر فيه كدرة، ودماء المؤمنين المحرّم سفكها بالكتاب
والسنّة فيه هدره، وفروج المؤمنات مغصوبة فيه مملوكة بأيمان الكفرة الفجرة،
قاتلهم الله بنبيه وآله الكرام البررة .

وكانت الأموال والأولاد منهوبة فيه مسببة مأسورة، وبحار أنواع الظلم مواجة
فيه متلاطمة، وسحائب الهموم والغموم فيه متلاصقة متراكمة، زمان هرج مرج
مخرّب الآثار، مضطرب الأخبار، محتوي الأخطار، مشوّش الأفكار، مختلف
الليل، متلونّ النهار، لا يسير فيه ذهن ثاقب، ولا يطير فيه فكر صائب .

نمّقتها وهذه حالي، وذلك قالي، فإن عثرتم فيه بخلل، أو وقفتم فيه على زلل، فأصلحوه رحمكم الله، إن الله لا يضيع أجر المصلحين .

وقال صاحب الروضات في ترجمة المؤلف: وقد تواتر أضعاف ذلك النقل من معمرينا الذين أدركوا ذلك الزمان، وحسبك شاهداً عليه بقاء خراب أكثر محلات محروسة أصبهان من تلك الواقعة الكبرى والداهية العظمى إلى الآن، كما نراه بالبيان .

وممن أشار إلى نبذة من تلك الوقعات، وشرح عن جملة منها على وجوه الألواح والورقات، سيّدنا العالم الفاضل النسيب الحسيب ذي المجدين، وصاحب الفخرين، الأمير محمّد حسين بن الأمير محمّد صالح الحسيني الخواتون آبادي، سبط العلامة المجلسي رحمته الله في إجازته التي كتبها للشيخ الفاضل الكامل زين الدين بن عين علي الخوانساري، بقرية خواتون آباد من قرى أصبهان، وسماها مناقب الفضلاء. وكذا المولى الفاضل الأديب النجيب الآقا هادي بن مولانا محمّد صالح المازندراني في بعض مجاميعه، ونحن نذكرهما وإن طال الكلام بعين ما عبّر عنه . ثمّ قال فنقول: قال الأوّل منهما بعد جملة من مواعظه للمولى المستجيز، وشرحه عن بعض ما جمع الله تعالى من خير الدارين للسلف الصالحين المجتبيين : فتغيّر ذلك الزمان، وتنزّل عاماً فعاماً، إلى أن فشي الظلم والفسوق والعصيان في أكثر بلاد ايران، وظهرت الدواهي في جلّ الآفاق والنواحي، لا سيّما عراق العجم والعرب، فلم يزل ساكنوها في شدّة وتعب، ومحنة ونصب، وانطمس العلم، واندرست آثار العلماء، وانعكست أحوال الفضلاء، وانقضت أيام الأتقياء .

حتّى أدرك بعضهم الذلّ والخمول، وأدرك بعضهم الممات، فثلم في الإسلام ثلمات، وضعت أركان الدولة، ووهنت أساطين السلطنة، حتّى حوصر بلدة

أصفهان، واستولت على أطرافها جنود أفغان، فمنعوا منها الطعام، وفشى القحط الشديد بين الأنام، وغلّت الأسعار، وبلغت قيمة لم يبلغ إليها منذ خلقت الدنيا ومن عليها .

وصارت سكنة أصل البلد: إمّا مقيمين فيه جائعين، وعن المشي والقيام عاجزين، مستلقين على أقيمتهم في فراشهم، لا يقدرّون على السعي في تحصيل معاشهم، أو مشرفين على الهلاك في مجلسهم، يجودون للموت بأنفسهم، حتّى صاروا أمواتاً غير مدفونين في قبورهم، وإن اتفق دفن بعضهم - وقليل ما هم - ففي دورهم .

وإمّا هارين من داخل البلد إلى الخارج، فأرسل عليهم شواظ من نار مارج، من صواعق نصال السهام والرماح من جيوش أعدائهم، فاستحيوا مخدّرات نساتهم، وقتلوا رجالهم، وذبحوا أطفالهم، وغصبوا أموالهم، ولم يبق منهم إلا قليل، نجّاهم الأسر والاسترقاق، فهم أسراء مشدّدوا الوثاق، فأكثر سكنة تلك الأقطار: إمّا مريض، أو مجروح، أو مذبوح على التراب مطروح .

ثمّ آل الأمر إلى أن استولوا على تلك الديار، فدخلوا في أصل البلدة، وتصرّفوا في كلّ دار وعقار، وجعلوا أعزّة أهلها أذلة، فحبسوا الملك، وقتلوا أكثر الأمراء مع بعض السكنة، وباد بقية أهلها، وخرّب جبلها وسهلها، ولم يبق من أوطانها إلا مقرّ يتيم ذي مقربة، أو مسكن مسكين ذي متربة .

فيا أسفاً على الديار وأهلها، ولا سيّما الخلّان والأصدقاء، ووا حزنانه على تخريب المدارس والمعابد، وفقدان الفضلاء والعلماء والصلحاء، ووا مصيبتاه على اندراس كتب الفقهاء، وانمحاء آثارهم بين الأذكياء الطالبين للاهتداء. ولست أفشي لديك ممّا قصصت عليك شكايه الدهر الغرّار الفتون، بل إنّما أشكو بشي

وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون .

ثم إنّي وإن كنت في تلك الأحوال مبتليّ بالضرب والحبس وغصب الأموال، إلا أنّ الله تعالى بمَنِّه وطوله تفضّل عليّ بحفظ العرض والحياة والإيمان، وبقاء بعض الأهل والأولاد والاخوان، ونزر من الأقارب والخلّان .

وكنت قد حمدت الله ربّي في خلال تلك الأحيان، راجياً من الله سهولة المخرج، متمسكاً بذيل الصبر، فإنّ الصبر مفتاح الفرج، محتسباً من الله الأجر، مفوضاً إليه كلّ أمر .

لكن لما تعمّرت في أصل البلد إقامتي لكثرة الشدائد والدواهي، ترحّلت إلى بعض القرى - يعني به خواتون آباد التي هي على فرسخين من أصبهان - في جمع من إخواني في الدين، وخلّاني المتّقين، خلد الله ظلّاهم، وكثّر أمثالهم .
ولما كانت تلك القرية آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان، اطماناً فيها قلبي بعض الاطمئنان، فحمدت الله سبحانه ثانياً، وأقمت فيها متوكّلاً عليه، لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً، ومن يتوكّل على الله فهو حسبه، إنّ الله بالغ أمره قد جعل الله لكلّ شيء قدراً .

ثمّ قال: وقال الفاضل الآقا هادي في ذيل ما نقله عن بعض التواريخ المعتمدة من أنّ الأسعار غلت بمصر سنة (٤٦٥) وكثر الموت، وبلغ الغلاء إلى أن امرأة تقوّم عليها رغيف بألف دينار، وسبب ذلك أنّها باعت عروضاً لها قيمتها ألف دينار بثلاثمائة دينار، واشترت عشرين رطلاً حنطة، فنهب من ظهر الحمال، ونهبت هي أيضاً مع الناس، فأصابها ممّا خبزته رغيفاً واحداً .

وأقول: إنّ من حضر وقعة أصفهان من مخاذلة أفغان، ومحاصرة هذا العام، وهو سنة أربع وثلاثين ومائة بعد الألف، وشاهد ما جرى في ثمانية أشهر من شدّة

الغلاء، حتّى أنّ منّا من الحنطة - وهو ثمانية عشر رطلاً بالعراقي - بيع بخمسة توامين، وهو ألف درهم، ثمّ نفدت الحنطة والأرز وسائر الحبوب، وانتهى الأمر إلى اللحوم، فمن الغنم إلى البقر، ومنه إلى الفرس والبغل، ثمّ الحمير، ثمّ الكلاب والستور، ثمّ لحوم الأموات، ثمّ قتل بعضهم بعضاً ابتغاء لحمه. وما وقع في طيّ ذلك من الموت والقتل، حتّى أنّه كان يموت في كلّ يوم ألف ألف نفس، وكان يباع الضياع والفراش والأثاث بربع العشر ودونه، لا يحصل منه شيء أصلاً.

وبالجملة فوربّ البيت ما بولغ من ذلك، فما كان جزافاً، أعادنا الله من مثله. لم يتعجّب ممّا في ذلك التاريخ، بل يجزم بتأّ قطعاً أنّه ما وقعت شدّة عظيمة وبليّة مرزية من يوم خلق السماوات والأرضون، ولا يقع مثلها إلى الساعة، ومع ذلك كان في خارج البلد في غاية الرخص والوفور، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا انتهى.

ثمّ قال: فهذان أيضاً أقوى شاهدين على صحّة ما بيّناه، وبكلام نفس صاحب العنوان أيّدناه، فلولا أنّه أدرك برهة من الزمان بعد فتنة الأفغان لما بقي منه أثر، ولا بلغ من نحوه خبر.

وقال أيضاً صاحب الروضات في ترجمة الفاضل الهندي: إنّ مرقد الشريف الواقع في شرقي بقعة تخت فولاد أصفهان بجانب معبر القوافل إلى الديار الفارسية من ممالك محروسة ايران ليس على حدّ سائر مراقد علمائنا الأعيان، المتوقّفين في ذلك الزمان، بل خال عن القبة والعمارة والصحن والأيوان، وكلّ ما كان يضعه السلاطين الصفوية على مقابر العلماء الاثنا عشرية من رفيع البنيان.

وظاهر أنّه لم يكن ذلك إلّا من جهة وقوع هذه القضية الهائلة في عين اشتعال نائرة غلبة جنود الأفغان، واستئصال سلسلة الصفوية بظلم أولئك النواصب في

تلك البلدة فوق حدّ البيان، فإنّ تفصيل ذلك بناءً على ما ذكره بعض المعتمدين الحاضرين في تلك المعارك، أنّ بعد طول أزمّة محاصرتهم البلدة على النحو الذي أُشير إليه في ذيل ترجمة مولانا إسماعيل الخواجوي، وسيّدنا الأمير محمّد حسين الحسيني الخواتون آبادي رحمة الله عليهما .

وانتهاء الأمر إلى إلقاء أهل البلدة إلى التسليم والتمكين من أولئك الملاعين، وفتح باب المدينة على وجوه تلك الكفرة بدون المضايقة، بمقدار حين دخلها أميرهم المردود المسمّى بسلطان محمود، مع جميع الأتباع والجنود، وجلس على سرير السلطنة فيها بمحض وروده الغير المسعود، في حدود سنة ثلاث وثلاثين بعد المائة. وقيل: سنة ستّ وثلاثين بعد المائة .

ثمّ أمر فيها بإهلاك جماعة من عظماء تلك الدولة العلية، وكبراء الفرقة الصفوية، بعد حكمه بحبس سلطانهم الشهيد المظلوم الشاه سلطان حسين بن الشاه سليمان المبرور المرحوم، وهم كانوا أربعة من إخوانه العظام، وأربعة وعشرين من أولاده المنتجبين الفخام، وذلك في أواخر جمادي الأولى من شهور سنة السبع والثلاثين، التي هي بعينها سنة وفاة مولانا الفاضل المعظم عليه .

ثمّ أمر بعد ذلك بقتل ستّة أفاخم من أركان الدولة وذروي أسمائهم الذين كانوا من أرباب الصولة، وهم صائمون متعبّدون في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان عين تلك السنة، مصادفاً لثالث يوم وفاة مولانا الفاضل عليه الرحمة، وكان نفس السلطان الممتحن باقياً بعد ذلك في حبس أولئك إلى زمن جلوس طاغيتهم الثاني الباني للبارة المرتفعة المشهورة في البلدة، وهو الأشرف سلطان الذي كان أولاً في زي الملازمين لركاب محمودهم المردود .

إلى أن ابتلاه الله الملك القهار بعقوبة ما فعله بأولئك السادة الرفيعة المقدر

بعارضة شبه الجنون، فحبسه بمقتضى مصلحة وقته هذا الملعون، إلى أن هلك أو أهلك بعد ذلك في ظلمات السجون، فجلس مجلسه المنحوس من غير مزاحم له في ذلك الجلوس، عصيرة يوم الأحد الثامن من شعبان هذه السنة بعينها. إلى آخره فراجع.

وذكر نحوه العلامة السيّد العاملي في أعيان الشيعة في ترجمة المترجم، فراجع.

مشاركوه في الاسم ودفع وهم

قد شارك المترجم على ما في بعض المعاجم الرجالية في الاسم واللقب، وصار هذا منشأ للقول بالوحدة أو التعدّد، ونحن نورد أولاً كلمات الأعلام في القول بالاتّحاد أو التعدّد، ثمّ نبين المختار منهما.

قال الفاضل المحقّق السيّد محمد علي الروضاتي - دام عزّه - في تعاليقه على الروضات في ترجمة المؤلّف، بعد ما ذكر كلام المستدرك بتمامه، قال: ولعلّ ما نقله صاحب المستدرك عن تنميم أمل الآمل ملخصاً، ونقله عنه أبسط ممّا مرّ صاحب أعيان الشيعة لا يتعلّق بأحوال صاحب الترجمة، وأنّ الحقّ مع السيّد الصدر الكاظمي عليه السلام.

حيث قال في كتابه تكملة أمل الآمل: المولى إسماعيل المازندراني الخواجوي الحكيم المتألّه، صاحب الحواشي والتعليقات. على كتب الكلام والحكمة المتوفّي سنة (١١٧٧) وهو غير المولى إسماعيل المازندراني صاحب شرح دعاء الصباح المتوفّي في فتنة الأفاغنة - كذا - في ١١ شعبان سنة (١١٧٣) المدفون بجنب قبر الفاضل الهندي.

وقد مال سيّد الأعيان إلى الاتّحاد، ونفى الإشكال في ذلك في الموضوع

المذكور في كتابه، ولكنّه عقد ترجمة لهذا بعنوان مولانا إسماعيل المازندراني الأصفهاني توفي سنة (١١٧٧) ولصاحب الترجمة بالعنوان التالي المولى إسماعيل بن محمّد حسين بن محمّد رضا بن علاء الدين محمّد المازندراني الأصفهاني الخواجوي من علماء عصر نادر شاه، توفي ١١ شعبان سنة (١١٧٣) انتهى كلامه. والمستفاد من كلامه هو التعدّد في الاسمين واللقبين .

وقال العلامة السيّد العاملي في أعيان الشيعة بعد ما ذكر ترجمة مولانا إسماعيل المازندراني الأصفهاني عن كتاب تميم أمل الآمل للشيخ عبدالنبي القزويني، قال وعن تتمّة الآمل: المولى إسماعيل المازندراني الخواجوي الحكيم المتألّه صاحب الحواشي والتعليقات على كتب الكلام والحكمة المتوفّي سنة (١١٧٧) وهو غير المولى إسماعيل المازندراني صاحب شرح دعاء الصباح المتوفّي في فتنة الأفغان في ١١ شعبان سنة (١١٧٣) المدفون بجانب قبر الفاضل الهندي انتهى .

ثمّ قال: أقول: هذا الأخير اسمه المولى إسماعيل بن محمّد بن حسين بن محمّد رضا بن علاء الدين محمّد المازندراني الأصفهاني الخواجوي ويأتي. ويحتمل اتّحادهما .

أمّا تعدّدهما فهو وإن كان ممكناً، لكنّه لا شاهد له سوى اختلاف التاريخ بين (١١٧٣) و (١١٧٧) ومثله قد يقع كثيراً لا سيّما في الأرقام، فتشبهه الثلاثة بالسبعة، فهذا وحده لا يكفي للحكم بالتعدّد إن لم يكن هناك شاهد آخر .

على أنّ الشيخ عبدالنبي القزويني في التتميم نسب رسالة الردّ على الخوانساري في الزمان الموهوم إلى المترجم كما سمعت، وصاحب روضات الجنّات نسبها إلى إسماعيل بن محمّد حسين المتوفّي سنة (١١٧٣) كما ستعرف .

فعلى فرض التعدّد لا بدّ أن يكون نسب شيء من مؤلّفات أحدهما للآخر. ورسالة الردّ على القائل بالزمان الموهوم سيأتي عن الروضات أنّها في إبطال الزمان الموهوم، وإنكار استدلال الداماد عليه، والقزويني يقول - كما مرّ - إنّها في الردّ على الخوانساري في الزمان الموهوم، ولا منافاة، فالخوانساري قال بالزمان الموهوم، والداماد استدلّ على ذلك، والردّ عليهما انتهى كلامه ﷺ.

ويستفاد من كلامه الاتّحاد في الاسمين واللقبين، وإن ذهب أولاً إلى احتمال التعدّد، ولكن سيّده بأدلة متينة لا مناص عنها، وهو القول المختار. أقول: ويؤيد الاتّحاد في العنوانين، وإنهما رجلاً واحداً أمور:

١ - تصريح الشيخ القزويني في التتميم أنّ صاحب العنوان خواجهي، حيث قال: مولانا إسماعيل المازندراني الساكن من محلات أصبهان في خواجهو. وهذه العبارة قد سقطت في النقل عن السيّد الروضاتي والسيّد العاملي.

٢ - ما ذكره الشيخ القزويني في ترجمة المولى إسماعيل المازندراني، مع تصريحه بأنّه سكن محلّة خواجهو، ينطبق على صاحب العنوان بلا مرية وشبهة، من تبخّره في كثير من العلوم، كالحكمة والكلام والأصول والفقه والتفسير والحديث، مع كمال تحقيقه فيها، ويشهد بذلك آثاره الموجودة لديّ المتنوّعة في العلوم المذكورة، كما سيأتي الإشارة في ذكر تصانيفه.

٣ - ذكره الشيخ القزويني في التتميم عنواناً واحداً، ولم يذكر عنوانين، مع أنّه كان من معاصريه، والمعاصر أعرف بمعاصره من غيره، وحيث إنّ كتابه كما يظهر من عنوانه تتميم لما في أمل الآمل، وهو مقصور على ذكر المتأخّرين عن صاحب أمل الآمل من معاصريه، فكيف يهمل ذكر الرجل مع شهرته في زمانه في العلم والعمل والتصانيف، ويذكر رجلاً آخر ليس له هذه الشهرة، وهذا بعيد جداً.

٤ - تصريح الشيخ القزويني بنهاية إخلاصه لأئمة الهدى عليهم السلام، وذا شدة عظيمة في تسديد العقائد الحقّة وتشبيدها .

أقول: ومن راجع آثاره الممتّعة، ولا سيّما من طالع كتابه بشارات الشيعة، يعلم علم اليقين نهاية إخلاصه ومودّته لأهل البيت والظاهرة وذوبه فيهم عليهم السلام، وعنايته الخاصّة في تسديد العقائد الحقّة وتشبيدها، وكان ممتازاً من بين العلماء في عصره في ذلك، وهذا ينطبق على صاحب العنوان، كما لا يخفى .

٥ - تصريح الشيخ القزويني باهتمامه الجسيم في إجراء أمور الدين مجراها وتأبيدها، ومهابته عند سلاطين زمانه. وهذا كما يتراعى في أكثر التراجم والمعاجم الرجالية من تصريحهم بأنّ صاحب العنوان كان مهاباً عند السلطان نادر شاه، وكان يتأمر السلطان بأوامره .

قال الشيخ القزويني في التتميم: سمعت أنّ رجلاً من المتزندقين كان عند سلطان العصر، فذكر أمر المعاد، فذكر ذلك الرجل العديم الدين ما يدلّ على نفي المعاد، وضعف عقل من يذهب إليه، وكان السلطان مائلاً إليه، فذكر رجل من أهل المجلس أنّا نرسل إلى مولانا إسماعيل ليذكر ما جرى في هذا المجلس، وما يقوله هو الحقّ الذي يجب أن يعتقد، فذهب الرسول، فذكر له عليه السلام ما جرى بينهم، فقال عليه السلام: السلطان وذلك الرجل أكلا الخراء، ثمّ أكّد أمر المعاد لذلك الرجل انتهى .

ويستفاد من هذا التقرير شهامته البليغ، واهتمامه الجسيم، ومهابته عند السلطان، وهذا هو المصرّح به في ذيل عنوان المترجم .

٦ - تصريح الشيخ القزويني بأنّ له عليه السلام تأليف كثيرة وحواشٍ على كتب العلوم، والذي وصل إليه منها رسالة في الردّ على العلامة الخوانساري في الزمان الموهوم . أقول: وهذه الرسالة مسماة برسالة إبطال الزمان الموهوم في الردّ على المحقّق

الخوانساري، وعندنا منها نسخاً، وصرّح في أوّله باسمه ولقبه، وهو إسماعيل بن محمد حسين ... المازندراني الخواجوي، وقد تفتّن لهذا السيّد العاملي في كتابه كما تقدّم .

وإنّما بسطنا الكلام فيما يستفاد من كلام الشيخ القزويني في تتميم أمل الآمل؛ لأنّه هو المنشأ الأصلي في وهم التعدّد، وغاية هذا الوهم يرجع إلى تاريخ الوفاة، حيث صرّح فيه بأنّه توفي ﷺ في سنة (١١٧٧) والمولّى إسماعيل الخواجوي صاحب العنوان المشهور وفاته هو سنة (١١٧٣) .

وهذا التّقييم في وفاة المترجم، لعلّه: إمّا سهو من المؤلّف، أو من النّسّاخ، كما أشار إليه السيّد العاملي، وكما رأينا كثيراً في التراجم الرجالية يذكرون في تاريخ وفاة الرجل أقوالاً، ففي بعضها يغيّر ما في الآخر، وهذا: إمّا سهو من المؤلّف، أو من النّسّاخ؛ لعدم قدرتهم لقراءة الصحيح من خطّ المؤلّف، فيكتبون ما يستظهرون من العبارة، ولعلّ ما نحن فيه من هذه الموارد، فتدبّر .

٧- ما ذكره السيّد الروضاتي عن السيّد الصدر الكاظمي ﷺ عن كتابه تكملة أمل الآمل من القول بالتعدّد في الاسميين واللقبين، لم يقدّم دليل مقنع أصلاً للقول بالتعدّد، بل قال: هذا غير ذلك. وهذا لا يكفي في القول بالتعدّد، ولعلّ منشأ وهمه في التعدّد هو كتاب تتميم الأمل للقزويني من تاريخ وفاته، وقد رأيت بسط القول متّاف في ذلك .

ولم أعرّض على كتاب تكملة أمل الآمل للسيّد الصدر، حيث إنّ المطبوع من التكملة هو في علماء جبل عامل، والقسم الآخر بعد مخطوط، ولعلّ السيّد الروضاتي - حفظه الله - أخذ النقل عن كتاب أعيان الشيعة، وتمسّك به بالقول بالتعدّد، والله أعلم .

٨- تعدّد نقل العنوان في كتاب واحد لا يصير دليلاً على تعدّد العنوان، حيث إنّ صاحب الأعيان نقل في ثلاثة موارد، قال في ٣: ٣٢٢؛ الشيخ إسماعيل الخواجوي. ثمّ قال في ص ٤٠٠: مولانا إسماعيل المازندراني الأصفهاني. ثمّ قال في ص ٤٠٢: المولى إسماعيل بن محمّد حسين بن محمّد رضا بن علاء الدين محمّد المازندراني الأصفهاني الخواجوي من علماء عصر نادر شاه، واحتمل في هذه الترجمة كون الثلاثة واحداً.

٩- تصريح قاطبة أرباب التراجم غير ما ذكر بالعنوان الواحد للمترجم، كصاحب الروضات والريحانة والكنى والألقاب وغيرهم.

١٠- إنّ خريّط هذه الصناعة، هو المحقّق المتتبّع الخبير الشيخ الطهراني رحمته الله يستفاد من كلامه في الذريعة ومصفّى المقال أنّ الرجل واحد، حيث إنّني تصفّحت كتابه النفيس الذريعة من أوّله إلى نهايته، وصرّح في جميع الموارد في عنوان الكتب والرسائل والحواشي بعنوان واحد، وهو المولى إسماعيل بن محمّد حسين إلى آخره.

نعم في أوائل الذريعة ذكر تاريخ الوفاة لصاحب هذا العنوان كما في التتميم، ثمّ من بعد ذلك استدرك ذلك، وذكر التاريخ المعروف لوفاته تحت هذا العنوان. وهناك شواهد أخرى، لا فائدة كثيرة في إطالتها، هذا ما خطر بالبال من القول بالاتّحاد في صاحب العنوان، والله أعلم بحقائق الأمور، وأستغفر الله تعالى إنّ حصل خلل أو زلل في ذلك.

أقول: والعجب من بعض المعاصرين حيث خلط ترجمة المترجم مع المولى إسماعيل الخواتون آبادي في تعليقه على الاجازة الكبيرة للسيد عبد الله الجزائري في ص ٩٩ - ١٠٠، ولعلّ المذكور في الاجازة هو ما ذكره الشيخ

القزويني في تنميم أمل الآمل ص ٦٦، فراجع .

مشايخه في الدراية والرواية

لم يصل إلينا تفصيل مشايخه العظام الذين تلمذ لديهم أو روى عنهم، نعم ورد في بعض المعاجم نبذة قليلة من مشايخه في الرواية والدراية، وهم :

١- العالم الجليل الشيخ حسين الماحوزي .

ذكره المحدث النوري في خاتمة المستدرک ٢٠: ٦٦، راجع حول ترجمته تنميم أمل الآمل واللؤلؤة، وصرّح في اللؤلؤة بأنّه بلغ من العمر ما يقارب تسعين سنة ومع ذلك لم يتغيّر ذهنه ولا شيء من حواسه .

وقال في التتميم: كان الشيخ حسين عليه السلام في عصره مسلّم الكلّ، لا يخالف فيه أحد من أهل العقد والحلّ. إلى آخره .

٢- المولى محمّد جعفر بن محمّد طاهر الخراساني الأصفهاني صاحب كتاب الاكليل وغيره، ولد سنة ثمانين وألف .

قال في الروضات ٣: ٢٦١: وظنّي أنّ قراءة مولانا إسماعيل الخواجويّ المتقدّم ذكره أيضاً كان عليه، وخصوصاً في فنون الدراية والرجال .

وعدّ في بعض التراجم من مشايخه في العلوم النقلية والعقلية المحقّق النحرير الفاضل الهندي صاحب كشف اللثام. وأيضاً الحكيم المتألّه الملاً محمّد صادق الأردستاني. وأيضاً الحكيم المتألّه الملاً حمزة الكيلاني .

تلامذته ومن روى عنه

أيضاً لم يصل إلينا تفصيل تلامذته العظام الذين تلمذوا لديه أو روا عنه، إلا ما ورد في بعض التراجم الرجالية، وإليك نبذة ممّا وقفنا عليه في كتب التراجم، وهم :

١- العالم النحرير والمولى الخبير الملاً مهدي التراقي، صاحب كتاب اللوامع

ومشكلات العلوم وجامع السعادات، وغيرها من المؤلفات، ذكره في خاتمة المستدرک ٢٠: ١٠٨.

أقول: وكان أكثر تلمّذه في العلوم لديه، حتّى قيل: إنّه كان في مدّة ثلاثين سنة يتلمذ لديه لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً، حتّى بلغ ما بلغ من العلم والعمل، وبعد الفراغ من التحصيل رجع من أصفهان، وتوطّن في بلدة كاشان، وكان خالياً من العلماء، وبركة أنفاسه الشريفة صار مملوءاً من العلماء والفضلاء الكاملين، وصار مرجعاً ومحلاً للمشتغلين، وبرز من مجلسه جمع من العلماء الأعلام، وتوفّي سنة (١٢٠٩) هـ.

٢- العالم العارف الآقا محمّد بن المولى محمّد رفيع الجيلاني المشهور بالبيدآبادي الأصفهاني، كان من أعظم حكماء عصره، ماهراً في العقليات، توفّي سنة سبع وتسعين ومائة بعد الألف من الهجرة.

٣- المولى محراب الجيلاني الحكيم العارف، المتوفّي سنة (١٢١٧) هـ ق.

٤- الميرزا أبو القاسم المدرّس الأصفهاني الخواتون آبادي، المتوفّي سنة (١٢٠٢) هـ ق.

تأليفه القيّمة

كتب المترجم مؤلّفات ورسائل وحواشٍ كثيرة، قد تجاوزت جهود الفرد الواحد، تمثّل اضطلاعاً بجوانب المعرفة الشاملة، وقد يعجب المرء من وفرة تأليفه ذات المواضيع المختلفة في شتى العلوم والمعارف المتعدّدة، على الرغم كما عرفنا من سيرة حياته من عدم استقراره وتفرّغه للعلم، للفتنة الهائلة الأفغانية.

ولا ريب أنّ ذكاه المفرط، وذاكرته العجيبة، ووعيه الشامل، كان ذلك من الأسباب الرئيسية في تغلّبه على تلك العقبات التي تحول دون تأليفه وتصنيفه،

وقد أشار أكثر أرباب التراجم إلى وفرة تأليفه .

قال في تنميمة الأمل: وله عليه السلام تأليف كثيرة، وحواشٍ على كتب العلوم .

وقال في الروضات بعد عدّ جملة من تصانيفه: إلى غير ذلك من الرسائل والمقالات الكثيرة التي تبلغ نحواً من مائة وخمسين مؤلفاً متيناً في فنون شتى من العلوم والحكم والمعارف .

وقال في موضع آخر: أكثرها لم يتجاوز نسخة الأصل إلى زماننا هذا انتهى .

أقول: ولم يكن لأكثر تأليفه عنوان خاص، ولذا نرى رسالة واحدة لها عدّة عناوين في الفهارس والتراجم، فنفتن .

وأما ما عثرت عليه إلى الآن من تأليفه الممتّعة، فهي :

١- إبطال الزمان الموهوم .

وهو ردّ على المحقّق الخوانساري رحمته الله مع انتصاره لاستدلال السيّد الداماد رحمته الله عليه. ذكره في الذريعة ١: ٦٨ و ١١: ٦، وتنميمة الأمل ص ٦٨ والروضات ١: ١١٨، وكشف الأسرار ١: ١٣٤، وتوجد ثلاث نسخ من الرسالة في مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي رحمته الله برقم: ١٩٥٢ و ٥٠٨٤ و ٥٠٩٣ .

وطبع الرسالة في مجموعة المنتخب من آثار حكماء ايران في المجموعة الرابعة ص ٢٣٣ - ٢٩١ .

٢- إثبات الحركة .

رسالة استدلالية في هذه المسألة، توجد نسخة منها في مجموعة آثار المؤلف في المكتبة الرضوية برقم: ١١١٩٨ .

٣- الأجل المحتوم وغيره .

رسالة فارسية استدلالية في هذا الموضوع .

قال في مقدّمة الرسالة: رفيقى از ارباب سيف و قلم، و شفيقى از اصحاب لطف و كرم، در اثنای صحبت علمى بعد از اختلاط رسمى از اين فقير الى الله العنى العبد الجانى محمد بن الحسين المشتهر باسماعيل المازندراني استفسار فرمود و سؤال نمود كه آيا مقتول باجل محتوم و امدموسوم از سراى فانى به دار جاودانى ارتحال مى نمايد تا گويند مدت عمرش تا آن قتل بود، يا آن كه بعد ذلك الزمان در حليه حيات مى بود اگر نه قاتل قتل او مى نمود.

وهذه الرسالة محفوظة في مجموعة من آثار المؤلف بخطه في مكتبة الإمام الرضا عليه السلام في مشهد برقم: ١١١٩٨.

٤- الأربعون حديثاً .

قال في الروضات ١: ١١٥: جمع فيه أربعين حديثاً من المعبرات، أغلبها في العبادات، وتكلم في وجوهها ومحاملها وما يتعلّق بها حقّ التكلم، وأشار في خواتيم كتابه هذا إلى نبد من الوقائع الهائلة، وذكره أيضاً في الذريعة ١: ٤١١، وكشف الأستار ١: ١٣٢.

٥- إرث الزوجة .

وهذه الرسالة في بيان كيفية ميراث الزوجة من الزوج، في مقدّمة وأربع فصول وخاتمة، المقدّمة في العام والخاص، الفصل الأوّل: في بيان الآية الشريفة ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ الفصل الثاني: في ميراث الزوجة مع الولد. الفصل الثالث: في ميراث الزوجة من الأملاك. الفصل الرابع: في المراد من الأبناء في الأخبار، والخاتمة في الجمع بين بعض الأخبار.

توجد نسخة من الرسالة في مجموعة في المكتبة المرعشية برقم: ١١٤٢.

٦- أصول الدين .

رسالة فارسية مختصرة فيما يجب على المكلف تعليمه من أصول الدين .
 قال في مقدّمة الرسالة: سبب مقدم بر تحرير اين كلمات وباعث موجب بر
 تقرير اين مقالات آن است که صديقي از اصداق قديمي، و رفيقي از احياء
 صميمي که به زيور صلاح آراسته، و به حليه سداد و فلاح پيراسته بود، نموده که
 شبي در عالم منام بزرگي از بزرگان دين عليه السلام را در خواب ديدم که به من امر
 می فرمود که بايد به سفارت از قبل من به نزد فلان يعنى راقم اين حروف روى و
 گويي در اصول دين رساله فارسيه مختصره که قريب به افهام اکثر عوام باشد
 ترتيب داده تأليف نمايد، چون سفير به نزد فقير اداى سفارت نمود، عرضه داشت
 نمودم که کمترین مدّت قبل از اين در اصول دين رساله عربيه مبسوطه ترتيب
 داده تأليف نموده ام، إلى آخره .

وهذه الرسالة محفوظة في المكتبة الرضوية في المجموعة بخطه برقم: ١١١٩٨.
 ٧- أصول الدين .

رسالة فارسية مختصرة جداً في بيان الأصول الخمسة، توجد نسخة منها في
 المكتبة الرضوية برقم: ١١١٩٨ .
 ٨- أصول الدين .

رسالة عربية مبسوطه، أشار إليها في رسالته الفارسية، كما تقدّم .

٩- أفضلية التسييح على القراءة في الركعتين الأخيرتين .

رسالة استدلالية على أفضلية التسييح في الركعة الثالثة من المغرب والثالثة
 والرابعة من الظهرين والعشاء من القراءة فيها. توجد نسخة من الرسالة بخطّ
 المؤلف في مجموعة في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .

١٠- أقلّ المدّة بين العمرتين .

٣٠ رسالة في حياة المؤلف

رسالة استدلالية ذهب المؤلف فيها إلى القول بالتوالي بين العمرتين، وناقش الأقوال الأخر في ذلك. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة بخطه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥.

١١ - الإمامة .

قال في كشف الأستار ١: ١٣٣: وهو كتاب صغير، كتبه علي طرز كتب المتكلمين من الإمامية، ردّاً على العامّة، وقد رأيتُه في أصفهان في بعض مجالس الاجلاء. وذكره أيضاً في الذريعة ١: ٣٢١، والروضات ١: ١١٨.

١٢ - بشارات الشيعة .

قال في الذريعة ٣: ١١٢: هو أحسن ما كتب في بابه، مشحون بالتحقيقات، وبيان النكات، وأنواع التنبيهات، شرع فيه سنة (١١٥٥) وفرغ منه أواخر شوال من تلك السنة انتهى .

والرسالة في ثمان فصول: الفصل الأوّل: في الإشارة إلى معنى الشيعة لغة وعرفاً. الفصل الثاني: في اختلاف مراتب الشيعة. الفصل الثالث: الأخبار الواردة في فضل الشيعة. الفصل الرابع: في أنّ الشيعة شهيد إن مات علي فراشه. الفصل الخامس: في أنّ الطاعات إنّما تقبل من الشيعة لا غير. الفصل السادس: فوائد حبّ آل محمد عليهم السلام. الفصل السابع: في أنّ الإقرار بالشهادتين إنّما تقبل من الشيعة. الفصل الثامن: في أنّ الولاية أفضل من جميع ما بني عليه أركان الإسلام .

وله عدّة نسخ في المكتبات، وإني اعتمدت في تحقيقه على نسخة المؤلف بخطه الشريف المحفوظة في المكتبة المرعشية برقم: ١١٢١ .

١٣ - تبصرة الاخوان في بيان أكبرية القرآن .

رسالة استدلالية ردّ على بعض أفاضل عصره، والرسالة في مقدّمة وفصلين

وخاتمة، المقدمة في ذكر رسوم القرآن وتعريفاته. الفصل الأول: في الأحاديث الواردة في الباب من طرق الخاصة والعامّة. الفصل الثاني: في أجوبة الشكوك والشبهات. الخاتمة: في جملة من الأخبار. توجد نسخة من الرسالة بخطه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ٣٠٢٣.

١٤ - التداوي بالخمرة عند الضرورة .

رسالة استدلاية ألفها للسيد مير محمد طاهر، في أربع فصول: الفصل الأول في بيان الآية الشريفة «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ». الفصل الثاني: في جواز التداوي بالخمرة للضرورة. الفصل الثالث: في الجواب عن المانعين. الفصل الرابع: في تشخيص الضرورة. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة بخطه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ١١٤٢.

١٥ - تذكرة الوداد في حكم رفع اليدين حال القنوت .

رسالة استدلاية في استحباب رفع اليدين إلى السماء في حال القنوت. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة في المكتبة المرعشية برقم: ٦٠٥٣.

١٦ - ترجمة المناظرة .

ترجمة فارسية وشرح مبسوط حول مناظرة المأمون مع علماء المذاهب والأديان في الإمامة وفضائل أمير المؤمنين عليه السلام، والرواية أوردتها الصدوق عليه الرحمة في كتابه عيون أخبار الرضا عليه السلام، ذكرها في الذريعة ١٣: ٣١١. وتوجد نسخة من الرسالة في المكتبة المرعشية برقم: ٣١١٨.

١٧ - تزويج المؤمنة بالمخالف وبالعكس .

رسالة استدلاية في جواز التزويج وعدمه في ثلاث عشرة فصول، توجد نسخة من الرسالة في مجموعة من رسائله بخطه الشريف في المكتبة المرعشية

برقم: ١١٤٢.

١٨- التعويل على أذان الغير في دخول الوقت .

رسالة استدالية في حكم التعويل على دخول الوقت بأيّ أمانة حصلت، كأذان المؤذن، أو صيحة الديك، أو وقت ساعة وغيرها، وذهب إلى جواز التعويل على تلك الأمارات لو لم يحصل له العلم بدخول الوقت. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة بخطّه في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥.

١٩- تعيين ليلة القدر .

رسالة لطيفة في تعيين ليلة القدر مع اختلاف الأفق في أنحاء العالم شرقها وغربها، ثم استدلّ على أنّ ليلة القدر التي تقدّر فيها المقدرات مطابق للأفق الذي يعيش فيه الإمام عليه السلام. فرغ من الرسالة سنة (١١٦٣) هـ. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة بخطّه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥.

٢٠- تفسير آية ﴿إِنَّ الْأُبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ الآية .

رسالة فارسية جواب عن تفسير الملام ميرزا الشيرواني حول الآية الشريفة، وكيفية استفادة عصمة الأئمة عليهم السلام من الآية الشريفة. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة في المكتبة المرعشية برقم: ٥٣٥٧.

٢١- تفسير آية ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ .

رسالة لطيفة حول الرواية المروية في إكمال الدين للصدوق، حيث سئل عن القائم عليه السلام عن الآية الشريفة وعمّا كان نعلي موسى عليه السلام حيث أمر بنزعهما. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة من آثاره بخطّه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥.

٢٢- توجيه مناظرة المفيد .

رسالة مختصرة حول مناظرة الشيخ المفيد^{عليه السلام} مع القاضي عبد الجبار المعتزلي في مسألة خلافة الإمام أمير المؤمنين^{عليه السلام}. توجد نسخة من الرسالة في المكتبة المرعشية برقم: ٢٤٧٦.

٢٣- ثمرة الفؤاد في نبذ من مسائل المعاد.

طبع بهذا العنوان في مجموعة المنتخب من آثار حكماء ايران في المجموعة الرابعة ص ١٥١، وهذه الرسالة بعينها رسالة هداية الفؤاد إلى نبذ من أحوال المعاد سيأتي.

٢٤- جامع الشتات في النوادر والمتفرقات.

كتاب لطيف مشتمل على فوائد متفرقة، وأكثرها شرح للأحاديث المنتخبة في المواضيع المختلفة، وفيه عدة رسائل لعدة من الأعلام. ذكره في الذريعة ٥: ٦٠، ومعجم المؤلفين ٢: ٢٩١، والروضات ١: ١١٨.

وتوجد ثلاث نسخ من الكتاب في المكتبة المرعشية برقم: ٤٣٩٢ و ٤٩٧٢ و ٥٧٢١، ورأيت عدة نسخ في المكتبة الرضوية وغيرها.

٢٥- الجبر والاختيار.

شرح لطيف حول كلام الإمام أمير المؤمنين^{عليه السلام} في نهج البلاغة «إنا لا نملك مع الله شيئاً ولا نملك إلا ما ملكنا» تكلم في هذا الشرح حول الجبر والاختيار والقضاء والقدر، وما يستفاد من الآيات والروايات وغيرها، أحال إليه في عدة من كتبه ورسائله.

وذكره في الذريعة ٥: ٨٤ وتوجد نسختان من الرسالة في المكتبة المرعشية برقم: ٥٠٨٤ و ٥٣٥٧.

٢٦- جواز القراءة بالقراءات السبع وجواز ملك يوم الدين.

رسالة استدلالية في جواز ذلك، ذكره في الصفحة الأولى من الرسالة العدلية في قائمة آثار المؤلف الموجودة فيها .

٢٧- الحاشية على أربعين الشيخ البهائي .

ذكرها في الذريعة ٦: ١٣، وقد يعبر عنها في بعض التراجم بالتعليقة، كما في كلام المؤلف حيث أحال إليها في كتابه بشارات الشيعة .

قال في الروضات ١: ١١٨؛ وتعليقاته الأنيقة التي تنيف على سبعة آلاف بيت مشحونة بالتحقيقات اللطيفة والتدقيقات الشريفة في شرح كتاب شرح الأحاديث الأربعين لمولانا الشيخ بهاء الدين العاملي رحمته الله .

٢٨- الحاشية على أصول الكافي .

أحال إليها المؤلف في رسالة حكم الغسل قبل الاستبراء وبعدها .

٢٩- الحاشية على تهذيب الأحكام .

قال في الذريعة ٦: ٥١؛ لم تدوّن وقد رأيتها بخطه على هوامش نسخة التهذيب التي كانت في مكتبة سلطان المتكلمين، ورأيت بعضها بخطه الشريف في مكتبة مسجد گوهر شاد في مشهد الرضا عليه السلام .

٣٠- الحاشية على جوابات المسائل المهتائية .

كذا في الذريعة ٦: ٥٧ و ٧: ١١٠، وقد يعبر عنه بالتعليقة، كما في كلام المؤلف حيث أشار إليه في كتابه هذا .

وقال في الروضات ١: ١١٨؛ وتعليقات لطيفة مدوّنة على أجوبة مسائل السيّد مهتّاب بن سنان المدني من العلامة، عندنا منها نسخة بخطه الشريف، كتبها أيضاً في عين الشدة والتراكم من فتنة الأفاغنة بأصبهان. توجد نسخة ناقصة من الحاشية في مجموعة في المكتبة المرعشية برقم: ١٩٨٦، وزعم المفهرس للمكتبة أنّها

رسالة في أجوبة المسائل المتفرقة، مع تصريح المؤلف في أول الرسالة بأنها تعليقات على أجوبة المسائل المهتئية، فراجع .

٣١- الحاشية على زبدة البيان للمقدّس الأردبيلي .

كذا في الذريعة ٦: ١٠٣، وقد عبّر عنها بالتعليقات على آيات الأحكام للمقدّس الأردبيلي، كما في الروضات ١: ١١٨، ومعجم المؤلفين ٢: ٢٩١ .

٣٢- الحاشية على مدارك الأحكام للسيد محمّد العاملي .

كذا في الذريعة ٦: ٩٦، قال: فرغ منها سنة (١١٧٢) وعناوينها «قوله قوله» ثمّ قال: رأيتها في مكتبة سلطان المتكلمين. وفي بعض التراجم عبّر عنها بالشرح، قال في الروضات ١: ١١٨: وشرحه المبسوط على المدارك في مجلدين. ومعجم المؤلفين ٢: ٢٩١، والذريعة أيضاً ١٤: ٦٢ .

٣٣- الحاشية على مشرق الشمسيين .

حواشٍ مختصرة استدلالي مع عناوين «قوله قوله» على كتاب مشرق الشمسيين للشيخ البهائي عليه السلام. توجد نسخة منها في مجموعة في المكتبة المرعشية برقم: ٥٤٦٧ .

٣٤- الحاشية على مفتاح الفلاح للشيخ البهائي عليه السلام .

قال في الذريعة ٦: ٢١٥: عناوينها «قوله قوله» ويحيل فيها إلى حاشيته على أربعين الشيخ البهائي، وهي كبيرة تزيد على ضعفي أصلها، وقد دوّنها الشيخ أبو الهدى بن الميرزا أبي المعالي الكلّباسي المتوفّي (٢٧- ع ٢- ١٣٥٦) فيها معارف جليّة، ونكات أخلاقية عرفانية، وقد يذكر بعض أشعاره بالمناسبة .

أقول: النسخة المدوّنة بخطّ الشيخ أبي الهدى الكلّباسي موجودة في المكتبة المرعشية برقم: ٣٤٣١، وعندنا نسخة من الحاشية غير مدوّنة في مكتبتنا

الشخصية .

٣٥- الحبوة .

رسالة فقهية استدلالية في ستّ فصول في بيان أحكام الحبوة وما يختصّ من الميراث بالولد الأكبر. توجد نسخة منها في مجموعة بخطّه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ١١٤٢ .

٣٦- حدّ اليأس الحاصل للمرأة .

رسالة استدلالية في حدّ اليأسة للقرشية وغيرها، ذكرها في الصفحة الأولى من الرسالة العدلية في قائمة آثار المؤلف .

٣٧- حرمة تزويج بعض النساء للرجال .

رسالة فارسية في ذكر تعداد النسوة التي تحرم تزويجهنّ على الرجال. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة من آثاره بخطّه الشريف في المكتبة الرضوية برقم: ١١١٩٨ .

٣٨- حرمة النظر إلى وجه الأجنبية .

رسالة استدلالية متقنة في عدم جواز النظر إلى وجه الأجنبية إلا ما استثني حال الضرورة وغيرها. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة من آثاره في المكتبة المرعشية برقم: ٦٠٥٣ .

٣٩- حكم الاستيجار للحجّ من غير بلد الميت .

رسالة استدلالية حول الحديث المروي في التهذيب عن أبي عبدالله عليه السلام عن رجل أعطى حجة يحجّ بها عنه من الكوفة، فحجّ عنه من البصرة، قال عليه السلام: لا بأس إذا قضى جميع المناسك فقد تمّ حجّه. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة من آثاره بخطّه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .

٤٠- حكم الإسراج عند الميت إن مات ليلاً .

رسالة إستدلالية مختصرة ذهب فيها إلى عدم استحباب ذلك، وأنه لا دليل عليه. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة بخطه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .

٤١- حكم الحدث الأصغر المتخلل .

رسالة استدلالية في ثمان فصول في حكم الحدث الأصغر المتخلل أثناء الغسل، وأنه هل يبطل الغسل أم لا؟ توجد نسخة من الرسالة في مجموعة بخطه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ١١٤٢ .

٤٢- حكم شراء ما يعتبر فيه التذكية .

رسالة استدلالية حول شراء الفراء واللحوم والجلود وغيرها مما يعتبر فيها التذكية. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة بخطه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .

٤٣- حكم الغسل في الأرض الباردة ومع الماء البارد .

رسالة لطيفة استدلالية حول المسألة المذكورة. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة بخطه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .

٤٤- حكم الغسل قبل الاستبراء .

رسالة استدلالية في حكم غسل الجنابة قبل الاستبراء من المنى، توجد نسخة منها في مجموعة في المكتبة المرعشية برقم: ١٩٨٦ .

٤٥- حكم لبس الحرير للرجال في الصلاة وغيرها .

رسالة استدلالية في جواز لبس الحرير المحض مطلقاً للنساء والأطفال والخناثي، وكراهته للرجال إلا في حال الضرورة والحرب، فرغ منها في اليوم

الخامس عشر من جمادي الأولى سنة (١١٥٦) هـ. توجد نسخة من الرسالة في المكتبة المرعشية برقم: ٢٤٧٦.

٤٦ - حكم من زنا بامرأة ثم تزوج بابنتها.

رسالة استدلالية في المسألة المذكورة، ردّ فيها على المحقّق السبزواري حيث أجاز ذلك على كراهية. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة بخطّه الشريف في المكتبة الرضوية برقم: ١١١٩٨.

٤٧ - حول آية «مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ».

رسالة لطيفة مختصرة حول الخبر المذكور في تفسير القمي المروي عن الإمام الباقر عليه السلام. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة بخطّه في المكتبة الرضوية برقم: ١١١٩٨.

٤٨ - خمسية .

رسالة استدلالية في أحكام الخمس ومصارفه في زمن الغيبة، وهي في مقدّمة وأربع فصول وخاتمة: المقدّمة في تعريف الخمس. الفصل الأوّل: في إثبات وجوب الخمس في هذا الزمان. الفصل الثاني: في أنّ القول بسقوط الخمس ضعيف. الفصل الثالث: في أنّ الوصية به أو دفنه ضعيف أيضاً، الفصل الرابع: في تعيين من له الولاية. الخاتمة: في ضعف القول بتحريم تفريقه. توجد نسخة منها في مجموعة بخطّه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥.

٤٩ - ذريعة النجاة من مهالك تتوجّه بعد الممات .

في ذكر بعض فضائل الإمام أمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السلام، وأنهم أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام غير نبينا عليه السلام، والاستدلال على ذلك بالآيات

والروايات الواردة في ذلك. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة في المكتبة المرعشية برقم: ٦٠٥٣.

٥٠- الذهبية .

رسالة استدلالية في جواز لبس الذهب واللباس المذهب والصلاة فيه وعدمه، توجد نسخة من الرسالة في مجموعة من آثاره بخطه الشريف في المكتبة الرضوية برقم: ١١١٨٩ .

٥١- الردّ على الصوفية .

رسالة فارسية حول سهو النبي ﷺ في الصلاة، والجواب عن توجيه الشيخ صفي الدين الأردبيلي، وذكر فرق الصوفية المنحرفة عن جادة الحقّ. ذكرها في الذريعة ١٠: ٢٠٤، والروضات ١: ١١٨، وتوجد نسخة من الرسالة في مجموعة من آثاره بخطه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .

٥٢- الردّ على العلامة المجلسي في جرح بعض الرجال وتعديل بعض، ذكر الرسالة في الصفحة الأولى من الرسالة العدلية في قائمة آثار المؤلف .

٥٣- الرضاع .

رسالة استدلالية في جواز النكاح بين أخوان وأخوات المرتضعين، وردّ على رسالة بعض الأعلام، وهو كما أشار إليه المؤلف في الهامش بقوله «منه» هو الملاء أبو الحسن .

ولعله هو الذي ذكره المحقّق الخبير الشيخ الطهراني في الذريعة ١١: ١٨٨، قال: الرسالة الرضاعية للشريف العدل المولى أبي الحسن بن محمّد طاهر بن عبد الحميد بن موسى الفتوني النباطي المتوفّي سنة (١١٣٨) هـ، كما وجد بخطّ بعض أحفاده، كان ابن أخت الأمير محمّد صالح الخواتون آبادي، وجدّ صاحب

٤٠ رسالة في حياة المؤلف

الجواهر من طرف أم والده الشيخ باقر، ينقل عنها سبطه صاحب الجواهر، واختار فيها عموم المنزلة المختار للقدماء لظواهر الأخبار، وموافقة الاحتياط، ومخالفة العامة، ولزوم تحليل كثير من أنواع الرضاع بقول المتأخرين، فرغ منها سنة (١١٠٩ هـ). انتهى .

والمؤلف قد ناقش في جميع هذه الأدلة. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة بخط المؤلف في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .

٥٤ - الزكاة بعد إخراج المؤونة .

رسالة استدلالية في وجوب زكاة الغلات بعد إخراج المؤونة والخراج. توجد نسخة منها في مجموعة من آثاره في المكتبة المرعشية برقم: ١٩٨٦ .

٥٥ - سؤال وجواب .

وهي إحدى عشر أسئلة فارسية سئل عنها المؤلف وأجاب عنها مختصراً، توجد نسخة من الرسالة في مجموعة من آثاره بخطه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .

٥٦ - سؤال وجواب .

وهي أيضاً عدة أسئلة فارسية أخرى سئل عنها المؤلف وأجاب عنها مختصراً، توجد نسخة منها في مجموعة بخطه الشريف في المكتبة الرضوية برقم: ١١١٩٨ .

٥٧ - سقوط الوتيرة في السفر .

رسالة استدلالية في المسألة المزبورة، ذكرها في الصفحة الأولى من الرسالة العدلية في قائمة آثار المؤلف .

٥٨ - شرائط المفتي .

مناظرة مع أحد أساتذته فيما يشترط في المفتي والافتاء، وأنه لا يستحق أحد

منصب الافتاء إلا بعد استجماع شرائط الفتوى. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة في المكتبة المرعشية برقم: ٦٠٥٣.

٥٩- شرح الأربعين حديثاً .

كذا في الروضات ١: ١١٨، ومعجم المؤلفين ٢: ٢٩١، وهو نفس كتابه المعروف بالأربعين حديثاً المتقدم .

٦٠- شرح حديث أعلمكم بنفسه أعلمكم بربه .

رسالة حول الحديث المذكور المروي عن النبي ﷺ، ومعنى العلم، وكيفية معرفة النفس والرب. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة بخطه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .

٦١- شرح حديث أنهم يأنسون بكم فإذا غبتم عنهم استوحشوا .

رسالة حول الرواية المذكورة عن الإمام الصادق عليه السلام، وكيفية أنس الأموات بالأحياء ووحشتهم. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة بخطه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .

٦٢- شرح حديث توضعوا مما غيرت النار .

رسالة استدلالية حول الرواية المذكورة عن النبي ﷺ، وأنه هل يجوز التوضأ بالماء المسخن بالنار أم لا؟ توجد نسخة من الرسالة في مجموعة بخطه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .

٦٣- شرح حديث الطلاق بيد من أخذ بالساق .

رسالة استدلالية حول الرواية المذكورة عن النبي ﷺ، وأنه هل الوكيل والولي في الطلاق بمنزلة الزوج أم لا؟ توجد نسخة منها في مجموعة في المكتبة المرعشية برقم: ٦٠٥٣ .

٦٤ - شرح حديث لو علم أبو ذرّ ما في قلب سلمان لقتله .

رسالة لطيفة حول الرواية المذكورة في علم سلمان وأبي ذرّ وعلة القتل. توجد نسخة منها في مجموعة بخطّه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .

٦٥ - شرح حديث ما من أحد يدخله عمله الجنة وينجيه من النار .

أثبت في هذه الرسالة أنّ هذه الرواية المذكورة منقولة عن أبي هريرة، وأنها مخالفة للقرآن الكريم والروايات المعتبرة، فالرواية مردودة مطروحة توجد نسخة من الرسالة في مجموعة بخطّه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .

٦٦ - شرح حديث لا يموت لمؤمن ثلاثة من الأولاد فتمسّه النار إلا تحلّه

القسم .

رسالة توضيحية حول الرواية المذكورة عن النبي ﷺ في قوله «تحلّه القسم»

توجد نسخة من الرسالة في مجموعة بخطّه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .

٦٧ - شرح حديث من أحبنا أهل البيت فليعد للفقر جلباباً .

رسالة حول الرواية المذكورة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في المحبة والموالة لأهل البيت عليه السلام ومعنى الفقر. توجد نسختان من الرسالة في المكتبة المرعشية برقم: ٤٩٧٣ و ٣١١٢ .

٦٨ - شرح حديث النظر إلى وجه العالم عبادة .

رسالة لطيفة حول الحديث المروي في الفقيه، والكلام في النظر والعالم. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة بخطّه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .

٦٩ - شرح نهج البلاغة .

ذكر في بعض التراجم، ولعلّه شرح لبعض الخطب أو الفقرات المنقولة فيه .

٧٠- رسالة في الصلاة .

ذكرها في الذريعة، قال: كان في كتب حفيد اليزدي المشتراة من أصفهان .

٧١- صلاة الجمعة .

رسالة استدلالية في حرمة صلاة الجمعة وعدم وجوبها عيناً في زمن الغيبة، والردّ على الشهاب الثاقب للمحقّق الفيض الكاشاني رحمته الله مع عناوين «قال أقول» وهي في الواقع شرح على الرسالة المذكورة. ذكره في الذريعة ١٥: ٦٤ و ٢٤: ٢٦٩ وأعيان الشيعة ٣: ٤٠٣. وتوجد نسخة من الرسالة في مجموعة في المكتبة المرعشية برقم: ٣٠٣٢ .

٧٢- طريق الإرشاد إلى فساد إمامة أهل الفساد .

في الأدلة الدالة على جواز لعن الغاصبين لحقوق الأئمة عليهم السلام. والاستدلال على ذلك بالروايات المروية من الفريقين. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة في المكتبة المرعشية برقم: ٢٤٧٦ .

٧٣- الطلاق الرجعي وحقيقته وفيها بيان حقيقة الطلاق المزيل لعلاقة النكاح .

قال في الذريعة ١٥: ١٧٥: توجد ضمن مجموعة عند السيّد محمّدرضا التبريزي نزيل قم أخيراً. وتوجد نسخة من الرسالة في المكتبة المرعشية برقم: ٣١١٢ .

٧٤- رسالة عدلية .

في معنى العدالة، وما تحصل به العدالة، وما تزول به العدالة، والمناقشة في أقوال الفقهاء في ذلك، في ثلاثة أبواب، وكلّ باب يشتمل على عدّة فصول: الباب الأوّل في تعريف العدالة وما تصلح به وتزول. الباب الثاني: في الأخبار الدالة على اعتبار عدالة إمام الجمعة والجماعة. الباب الثالث: في أدلة اشتراط العدالة في

٤٤ رسالة في حياة المؤلف

الشاهد والراوي. توجد نسخة من الرسالة في المكتبة المرعشية برقم: ٤١٤٣ .
وأخرى نسخة مصورة فيها .

٧٥- العقود الفضولي .

رسالة استدلالية في العقد الفضولي، ذكرها في الصفحة الأولى من الرسالة
العدلية المتقدم في قائمة آثار المؤلف .

٧٦- غسل مس الميِّت .

رسالة تحقيقية حول المسألة المذكورة. توجد نسخة منها في مجموعة آثاره
بخطه في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .

٧٧- الغناء .

رسالة استدلالية في حرمة الغناء وعظم إثمه، وهو ردّ على المحقّق
السبزواري رحمته الله صاحب الكفاية والذخيرة، ذكرها في الذريعة ١٦: ٦٠ والروضات
١: ١١٨ .

٧٨- الفصول .

رسالة استدلالية في عدم سقوط دعوى المدّعي لو حلف المنكر على الوجه
الشرعي، خلافاً لجماعة من الفقهاء، والرسالة في أربع فصول. توجد نسخة من
الرسالة في المكتبة المرعشية برقم: ١٩٨٦ .

٧٩- الفصول .

رسالة استدلالية في مباحث الشفعة، ذكرها في الصفحة الأولى من الرسالة
العدلية في قائمة آثار المؤلف .

٨٠- الفصول الأربعة .

رسالة استدلالية في من دخل عليه الوقت وهو مسافر فحضر أو حاضر فسافر

والوقت باقي، توجد نسخة من الرسالة في مجموعة من آثاره بخطه في المكتبة
الرضوية برقم: ١١١٩٨ .

٨١- فضل ما لا يؤكل لحمه .

رسالة استدلالية في حكم فضل ما لا يؤكل لحمه. ذكرها في الصفحة الأولى من
الرسالة العدلية .

٨٢- الفوائد في فضل تعظيم الفاطميين .

رسالة مبسطة في فضل إكرام ذرية فاطمة الزهراء عليها السلام، وكون المنتسب إليها
بالأمّ منهم، ويستحقّ الخمس، ويحرم عليه الصدقة. ذكرها في الروضات ١: ١١٨.
توجد نسخة من الرسالة في المكتبة الرضوية برقم: ٢٠٢٧، ونسخة في المكتبة
المرعشية برقم: ٦٩٢٨، وقابلت الرسالة على النسختين .

٨٣- الفوائد الرجالية .

قال في الروضات ١: ١١٨: وفوائده الرجالية التي تقرّ برؤيته العين .
وقال في الذريعة ١٦: ٣٣٧: ينقل عنه في الروضات كثيراً، منها في ترجمة
أحمد بن الحسين بن عبدالله الغضائري. ثمّ قال: ورأيت قطعة من هذا الفوائد
بخط مصنّفه في آخر نسخة من تهذيب الحديث، منها فائدة في تعيين محمّد بن
إسماعيل في أوّل أسانيد الكافي، وأنّه أبو الحسن النيشابوري المعروف بـ«بندفر»
في قرب ثمانين بيتاً، وفائدة في توثيق الحسين بن الحسن بن أبان القمي، وفائدة
في تعيين السكوني. والنسخة عند الحاج شيخ محمّد سلطان المتكلمين .

وذكرها أيضاً في معجم المؤلفين ٢: ٢٩١ .

وتوجد أربع نسخ من الكتاب في المكتبة المرعشية برقم: ٤٤٦ و ٣١١٢ و

٨٤- ما لا تتم الصلاة فيه .

رسالة مختصرة في المسألة المذكورة. توجد نسخة من الرسالة في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .

٨٥- مفتاح الفلاح ومصباح النجاح في شرح دعاء الصباح .

شرح مفصل مزجي على دعاء الصباح المنسوب إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام محتوٍ على المباحث الكلامية والفلسفية، ألفه في عنفوان شبابه، ثم استخرجه إلى البياض في أواخر عمره الشريف .

ذكره في الذريعة ٢١: ٣٣٩ والروضات ١: ١١٨، والكنى والألقاب ٢: ١٧٩. وتوجد ثلاث نسخ منه في المكتبة المرعشية برقم: ١١٢٠ وهذه النسخة بخطه الشريف و ٣٣٤٥ و ٤٩٠٨ .

٨٦- معنى الناصبي .

تحقيق حول معنى الناصبي لغة واصطلاحاً، وأيّ الفرق من الفرق الإسلامية محكوم به، وأنّ الناصبي على صنفين: صنف محكوم بأحكام الإسلام، والآخر خارج عن ربة الإسلام ومحكوم بالكفر. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة بخطه في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .

٨٧- منجزات المريض .

رسالة استدلالية في منجزات المريض إذا كانت تبرّعاً ومات في ذلك المرض. توجد نسخة من الرسالة بخطه في مجموعة من آثاره في المكتبة الرضوية برقم: ١١١٩٨ .

٨٨- ميزة الفرقة الناجية عن غيرهم .

رسالة استدلالية اعتقادية في بعض أحكام المخالفين للشيعة. توجد نسخة من

الرسالة في مجموعة بخطّه الشريف في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .
٨٩- نوروزية .

رسالة فارسية في تعيين يوم النيروز، وبعض الآداب والأعمال الإسلامية في هذا اليوم، فرغ منها في سنة (١١٦٢) قال في الذريعة ٢٤: ٣٨١: شرح للرسالة النوروزية لعقاد الدين بن مسعود الذي ألفه للسلطان حمزة ميرزا. وتوجد نسخة من الرسالة بخطّ المؤلّف في مجموعة في المكتبة المرعشية برقم: ٥٥٦٥ .
٩٠- نوم الملائكة .

رسالة لطيفة حول الرواية المروية في الإكمال عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن الملائكة أينامون؟ فقال: ما من حيٍّ إلّا وهو ينام الحديث. توجد نسخة من الرسالة في مجموعة من آثاره بخطّه الشريف في المكتبة الرضوية برقم: ١١١٩٨ .
٩١- هداية الفؤاد إلى نبد من أحوال المعاد .

رسالة مبسّطة استدلالية في المسألة الخلافية بين المتكلّمين والحكماء في أنّ ما سوى الله تعالى هل يفنى على عمومه مجرداته وماديّاته حتّى لا يبقى منه شيء ولا يدوم منه موجود أم يبقى منه باقٍ بقاء الله تعالى؟ اختار المؤلّف الشقّ الثاني، واستدلّ عليه بالآيات والروايات .

وهذه الرسالة قد طبع في مجموعة المنتخب من آثار حكماء ايران بعنوان ثمرة الفؤاد في نبد من مسائل المعاد، وما أدري ما الباعث إلى تغيير العنوان مع أنّ المؤلّف صرّح في مقدّمة هذه الرسالة بعنوان هداية الفؤاد إلى نبد من أحوال المعاد. توجد نسخة من الرسالة بخطّه الشريف في جامعة إلهيات والمعارف الإسلامية في مشهد الإمام الرضا عليه السلام برقم: ٧٩٥ .

رسالة استدلالية مبسطة في كيفية ثبوت الهلال .

توجد نسخة من الرسالة في مجموعة من آثار المؤلف في المكتبة الرضوية

برقم: ١١١٩٨ .

٩٣ - وجيزة في ترجيح القول بتجوهر الأعراض وتجسّم الأعمال .

كذا في الصفحة الأولى من الرسالة العدلية عند عدّ مؤلّفات المؤلف .

٩٤ - وحدت وجود .

رسالة فارسية في المناقشة لكلام المحقّقين من العرفاء والصوفية في القول

بوحدة الوجود، وذكر عقائد الصوفية في عدّة فصول. ذكرها في الذريعة ٢٥: ٥٥.

وتوجد نسخة من الرسالة في مجموعة في المكتبة المرعشية برقم: ٥٠٨٤ .

هذا ما عثرت عليه في هذه العجالة، وهناك عدّة كتب ورسائل، عثرت على

جملة منها في هذه الأوان، كتعليقته على الاثنا عشرية للشيخ البهائي، وتعليقته

المبسطة جداً على تفسير الصافي للفيض الكاشاني وغيرهما .

وإنّي في الطريق إلى تحصيل سائر مؤلّفاته، وسيطع إن شاء الله تعالى بتوفيقه

وتأييده جميع آثاره ممّا وقفت عليها تحت عنوان سلسلة آثار المحقّق

الخواجوي، والمرجوّ من الاخوان وصاحب المكتبات الخاصّة والعامّة أن

يساعدوني في هذا المشروع الخير، ويمنّوا عليّ بإعلام نسخة خطّية موجودة

عندهم، وإرسالها بعنوان مركز إحياء تراث العلامة الخواجوي .

ولادته ووفاته

لم أعثر إلى الآن على تاريخ ولادته، ولم يتعرّض لذلك أرباب المعاجم

والتراجم .

وأما وفاته، فالصحيح أنّه توفّي في حادي عشر من شهر شعبان سنة (١١٧٣) هـ

والذي ظهر لي من عمره الشريف أنه ﷺ ناهز حوالي الثمانين سنة، وذلك أنه أدرك الفتنة الهائلة، وكان شروعها من سنة (١١٣٣) وانتقل المؤلف عند ذاك إلى محلّة خواجو مع أهله وأولاده، وألّف في حين الفتنة عدّة كتب ورسائل، منها كتابه الأربعون حديثاً المحتوية على التحقيقات والتدقيقات اللطيفة كما مرّ، وأشار في آخر الكتاب إلى بعض الوقائع الحادثة في عصره .

وكان يعدّ مع ذلك من العلماء والفحول، فمن كان في تلك الرتبة والمرتبة، فلا أقلّ أن يكون عمره الشريف في حوالي الأربعين سنة، ومن شروع الفتنة إلى وفاته أيضاً أربعون سنة، فيبلغ المجموع إلى حوالي الثمانين سنة، والله أعلم .

ومزاره في أصفهان في المزار المعروف بـ«تخت فولاد» في لسان الأرض المشحونة بالعلماء والصلحاء والأولياء، وقبره بين قبر الفاضل الهندي والشيخ العارف علي أكبر الاژهاى وهو أقرب إلى الأخير .

وأصبح قبره في هذه الأوان مشهوداً معروفاً، بني عليه بناية عظيمة، يزوره كلّ يوم عشرات من الناس ممّن يعرف قدره .

وقيل في مادّة تاريخ وفاته «خانة علم منهم گردید» وأيضاً «نور الله الجليل مقبرته» وأيضاً «رفع الله في الجنان منزلته» كلّها يطابق تاريخ وفاته سنة (١١٧٣).

وأما المكتوب على الحجر العتيق المنصوب على قبره الشريف، فهو :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الحمد لله الذي تفرّد بالعزّ والشفاعة، وقهر عباده بالموت والفناء، وصلى الله محمّد وآله سادات الورى .

وبعد فقد ثلم في الإسلام ثلّة لا يسدّها شيء، حيث انتقل من منزل العناء والشدّة ومحلّ الفناء إلى الجنّة دار المقامة والراحة، ومحلّ الأتقياء والعلماء،

الإمام الفاضل الكامل العابد العالم العامل الزاهد، زبدة العلماء الراسخين،
وخلاصة الحكماء المحققين، وتقاوة الفقهاء والمجتهدين، وارث علوم الأنبياء
والمرسلين .

أسوة ناشري أحاديث خاتم النبيين وعترته الطاهرين، الماضي على النهج
المبين، جامع معالم العاملين على الوجه المبين، فريد في العلماء في عصره
وزمانه، زين الفضلاء في دهره وأوانه، شمس قتل العلم والافضال، مركز دائرة
الفضل والكمال .

جامع المعقول والمنقول، حاوي الفروع والأصول، وفخر الواصلين، قطب
العارفين، مرشد السالكين، زبدة المدققين، وفضل المحققين، خاتم المجتهدين،
العالم الربّاني، والفقهاء النوراني، مولانا محمد إسماعيل المازندراني، أسكنه الله
بحبوحه جنة النعيم، وآواه إلى مقام مبين كريم .

وقد ارتحل عليه الرحمة والرضوان في حادي عشر شهر شعبان عام (١١٧٣)
نور الله مقبرته الجليل، ورفع الله في الجنان منزلته. وحول الحجر أشعار بالفارسية
في تجليله وتبجيله وتاريخ وفاته. رحمة الله ورضوانه عليه وعلى سائر علمائنا
الماضين، اللهم احشرنا معهم آمين رب العالمين انتهى .

في طريق التحقيق

عملت الأمور التالية في تحقيق هذه الكتب والرسائل :

١ - تهيئة النسخ الموجودة من آثار المؤلف في المكتبات العامة والخاصة،
وبالخصوص من المكتبة الرضوية في مشهد الرضا عليه السلام، والمكتبة المرعشية في قم
المقدسة. وغيرهما من المكاتب العامة والشخصية، حتى حصل لدي الآن جلّ
مؤلفاته وآثاره .

٢ - ترتيب الرسائل، فجعلت لما يتعلّق بالمسائل الاعتقادية في مجموعة خاصّة لها بعنوان «الرسائل الاعتقادية» مهما بلغت المجموعة. وجعلت لما يتعلّق بالمسائل الفقهية في مجموعة خاصّة لها بعنوان «الرسائل الفقهية» وجعلت مؤلّفاتة الفارسية في مجموعة خاصّة أُخرى بعنوان مجموع الرسائل الفارسية، وأُخرى سيطلع بعض آثاره مستقلاًّ تحت عنوان خاصّ للأثر، وذلك بفضل الله وحسن توفيقه .

٣ - تطبع الرسائل والكتب تحت عنوان سلسلة آثار المحقّق الخواجوي، وذلك مع الترقيم لكلّ منهما، وجعلت الترقيم بحسب زمان الطبع للرسالة أو الكتاب، لا لكلّ مجموعة ترقيم خاصّ لها .

٤ - حيث إنّ المترجم لم يجعل لأكثر آثاره عنواناً خاصّاً، وبما أنّ أكثر آثاره رسائل موضوعية انتخبت من موضوع البحث في الرسالة عنواناً للرسالة، وربما تخالف العنوان لما هو الموجود في بعض التراجم أحياناً .

٥ - قمت باستنساخ الرسائل والكتب عن النسخ المشار إليها في تأليفه القيّمة، وأكثرها نسخة فريدة وبعضها مغلوطة جدّاً، ففرّغت الوسع والطاقة في التصحيح والإخراج، وهناك أغلاط وسقطات أحلتها للمراجع، والمرجوّ من الاخوان أن يمتنّوا علينا بما فيها من الأغلاط والسقطات لنستدرّكهما في الطبقات القادمة إن شاء الله تعالى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

سلسلة آثار المحقق الخواجه جوي

١

بشارات الشيعة

للعلامة المحقق محمد اسماعيل مازندراني الخواجه جوي

المؤلف سنة ١١٧٣ هـ

تدقيق
السيد مهدي البرقاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بعد حمد من صيرنا من أُمَّة نبيّه وشيعة عليّه، وأحبة ذرّية وليّه، الذين جعل مودّتهم أجر الرسالة، ومحبتهم في الثواب بمثابة الشهادة^(١)، صلّى الله عليهم وعلى من انتسب بالمودّة إليهم .

يقول المفتاح إلى غفران ربّه الجليل محمّد بن الحسين بن محمّدرضا المازندراني الشهير بـ«إسماعيل» ثبتّه الله بولاية أهل الولاء محمّد وأوصيائه المرضيين خير الأوصياء :

هذه رسالة شريفة موسومة بـ«بشارات الشيعة» مبنية على فصول ثمانية، يتضمّن كلّ فصل منها نوعاً من الاشارة، وضرباً من البشارة :

الفصل الأوّل: في الاشارة إلى معنى الشيعة لغةً وعرفاً، والبشارة بأنّ هذا الاسم الشريف كما ذكره الله عزّ اسمه في كتابه العزيز، وسمّى به خليله في قوله عزّ من قائل «وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ»^(٢) .

الفصل الثاني: في الاشارة إلى اختلاف مراتب الشيعة، والبشارة بأنّ ما ورد في فضلهم يعتمهم كلّهم .

(١) لآيات وروايات تدلّ على ذلك، كما سيأتي في الفصل الرابع «منه» .

(٢) سورة الصافات: ٨٣ .

الفصل الثالث: في الاشارة إلى نبذة من الأخبار الواردة في فضل الشيعة،
والبشارة بما لهم عند الله وعند رسوله وعترته صلوات الله عليهم من الأجر والقدر.
الفصل الرابع: في البشارة والاشارة إلى أن الشيعة شهيد إن مات علي فراشه .
الفصل الخامس: في البشارة والاشارة إلى أن الطاعات والعبادات إنما تقبل
من الشيعة لا غير .

الفصل السادس: في البشارة والاشارة إلى فوائد حب آل محمد ﷺ وثمراته،
وأنه بشرائطه وفوائده لا تحصل إلا للشيعة .
الفصل السابع: في البشارة والاشارة إلى أن شهادة أن لا إله إلا الله إنما تقبل من
الشيعة، ومنه يلزم كفر مخالفيهم .

الفصل الثامن: في البشارة والاشارة إلى أن الولاية أفضل من جميع ما بني
عليه أركان الإسلام، والصلاة على محمد وآله، والسلام .

الفصل الأول

[معنى الشيعة لغةً وعرفاً]

الشيعة: بالكسر الأتباع والأعوان والأنصار، مأخوذ من الشيع، وهو الحطب
الصغار التي تشعل بالنار، وتعين الحطب الكبار على إيقاد النار، وكل قوم اجتمعوا
على أمر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة لجماعة مخصوصة .
وفي القاموس: شيعة الرجل بالكسر أتباعه وأنصاره، والفرقة على حدة، وتقع
على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، وقد غلب هذا الاسم على كل من
يتولّى علياً وأهل بيته حتى صار إسماً لهم خاصاً^(١) .

وفي نهاية ابن الأثير: أصل الشيعة الفرقة من الناس، وتقع على الواحد والاثنين والجمع، والمذكر والمؤنث بلفظ واحد، ومعنى واحد، وغلب هذا الاسم على من يزعم أنه يوالي علياً وأهل بيته، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل: فلان من الشيعة، عرف أنه منهم، من المشايعة وهي المتابعة والمطابعة^(١) انتهى كلامه .

وفي مجمع البيان في فصل اللغة: الشيعة الجماعة التابعة لرئيس لهم، وصار بالعرف عبارة عن شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام الذين كانوا معه على أعدائه، وبعده مع من قام مقامه من أبنائه عليهم السلام .

وفي موثقة أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ليهنثكم الاسم، قلت: وما هو جعلت فداك؟ قال: «وَأَنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ» وقوله عز وجل «فَاسْتَعَاثُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ» فليهنثكم الاسم .

هكذا وجد في ثلاث نسخ معتبرة من تفسير علي بن إبراهيم^(٢)، والظاهر أنه سقط هنا منه شيء .

والصحيح ما في مجمع البيان: روى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ليهنثكم الاسم، قلت: وما هو؟ قال: الشيعة، قلت: الناس يعيروننا بذلك، قال: أما تسمع قول الله سبحانه «وَأَنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ» وقوله «فَاسْتَعَاثُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى

(١) نهاية ابن الأثير ٢: ٥١٩ - ٥٢٠ .

(٢) تفسير القمي ٢: ٢٢٣. أقول: والرواية في تفسير القمي المطبوع تطابق ما في مجمع

البيان من دون سقط شيء فيها، فراجع .

الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ^(١) إنتهى ما في مجمع البيان .

أقول: ويستفاد من بعض الأخبار أنّ تسمية الشيعة بهذا الاسم باعتبار أنّ نور نبينا وروحه هو الذي تشعبت منه أنوار أوصيائه المعصومين عليهم السلام، ثمّ خلقت من شعاعها أرواح شيعتهم من الأوّلين والآخريين، فلذلك سمّوا بهذا الاسم .

وإليه يشير ما روي عن المفضل بن عمر، قال: قلت لمولانا الصادق عليه السلام: ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات والأرض؟ قال: كنّا أنواراً [حول العرش] نسبح الله ونقدّسه حتّى خلق الله الملائكة، فقال لهم الله: سبّحوا، فقالوا: أي ربّ لا علم لنا، فقال لنا: سبّحوا فسبّحنا، فسبّحت الملائكة بتسبيحنا، إلّا أنا خلقنا أنواراً^(٢)، وخلقت شيعتنا من شعاع تلك الأنوار، فلذلك سمّيت شيعة، فإذا كان يوم القيامة التحقت السفلى بالعليا، ثمّ قرّب ما بين اصبعيه^(٣) .

وفيه من بشارة الشيعة والدلالة على جلاله قدرهم ما لا يخفى .

فإن قلت: ما معنى قول أبي بصير «الناس يعيروننا بذلك»؟

قلت: هو إشارة إلى قول المخالفين أنّ أصل التشيع اليهودية .

قال الكشي في كتاب الرجال: ذكر بعض أهل العلم أنّ عبد الله بن سبأ كان يهودياً، فأسلم ووالى علياً عليه السلام، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى على نبينا وآله وعليهما السلام بالغلوّ، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام مثل ذلك .

(١) مجمع البيان ٣: ٤٤٨ - ٤٤٩ .

(٢) في البحار: خلقنا من نور الله .

(٣) بحار الأنوار ٢٥: ٢١ ح ٣٤ .

وكان أوّل من شهر بالقول بفرض إمامة علي عليه السلام، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفه وكفرهم، فمن هاهنا قال من خالف الشيعة: إنّ أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية^(١). إنتهى .

أقول: وكان في زمن نوح النبي - علي نبينا وآله وعليه السلام - طائفة من قومه قد آمنوا به يقال لهم: الشيعة، وقوم آخرون في مقابلهم قد كفروا به يقال لهم: العامة. وقد نالت الشيعة منهم شدة شديدة، واشتدّت عليهم البلوى، وعظمت فيهم الرزية، وكانوا منتظرين للفرج مدّة مديدة وأزمنة طويلة، إلى أن أهلك الله أعداءهم بالطوفان. وقريب منه ما يجري في هذه الأزمان .

وقد قال سيّدنا زين العابدين علي بن الحسين صلوات الله عليهما: والذي بعث محمّداً بالحقّ بشيراً ونذيراً إنّ الأبرار ممّا أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته، وإنّ عدوّنا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعهم^(٢) .

ومن الغريب أنّ علماء العامّة ينسبون الشيعة إلى السبّ، ويذمّونهم عليه، وهم يروون في كتبهم أنّ صهّاك كانت أمة حبشية لهشام بن عبدمناف، فوقع عليها نفيل بن هشام، ثمّ وقع عليها عبدالعزّي بن رياح، فجاءت بنفيل جدّ عمر بن الخطّاب . صرّح بذلك أبوالمنذر هشام^(٣) بن محمّد السائب الكلبي من رجال العامّة

(١) إختيار معرفة الرجال ١: ٣٢٤ .

(٢) بحار الأنوار ٢٤: ١٦٧ - ١٦٨ .

(٣) ذكره أكثر أرباب التراجم الرجالية والنسبية وغيرهما، قال النجاشي في رجاله ص ٤٣٤: الناسب العالم بالأيام، المشهور بالفضل والعلم، وكان يختصّ بمذهبننا، وله الحديث المشهور، قال: اعتلتت علّة عظيمة نسيت علمي، فجلست إلى جعفر بن

وعلماء السنة في كتاب المثالب .

وهذا كما ترى من أقبح أنواع السب؛ لأنّ ولد الزنا لا يظهر إلى سنة آباء، كما ورد في الخبر^(١)، ثمّ يهملون هذا ونظائره ويشتغلون في ذمّ الشيعة، وهذا من قلة الإنصاف، والخروج من الحقّ إلى الإعتساف .

هذا، ولنرجع إلى ما كتنا فيه، فنقول: روى الصدوق عليه السلام في كتاب كمال الدين وتمام النعمة، بإسناده إلى عبدالله بن الفضل الهاشمي، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: لما أظهر الله تبارك وتعالى نبوة نوح عليه السلام، وأيقن الشيعة بالفرج، اشتدّت البلوى، وعظمت الرزية^(٢)، إلى أن آل الأمر إلى شدة شديدة نالت الشيعة والوثوب إلى نوح^(٣) بالضرب المبرح .

حتّى مكث عليه السلام في بعض الأوقات مغشياً عليه ثلاثة أيام يجري الدم من أذنه، ثمّ أفاق، وذلك بعد ثلاثمائة سنة من مبعثه، وهو في خلال ذلك يدعوهم ليلاً ونهاراً فيهربون، ويدعوهم سرّاً فلا يجيبون، ويدعوهم علانية فيولّون .
فهم بعد ثلاثمائة سنة بالدعاء عليهم، وجلس بعد صلاة الفجر للدعاء، فهبط إليه

⇒ محمد عليه السلام، فسقاني العلم في كأس، فعاد إليّ علمي، وكان أبو عبدالله عليه السلام يقربّه ويدينه ويبسطه انتهى. وذكره العلامة في الخلاصة، وابن داود في رجاله في الباب الأوّل في الممدوحين. فإذاً كون الرجل من الإمامية ومن أعلام الطائفة المحقّقة ممّا لا ريب فيه، كما يستفاد من كلام النجاشي المذكور وغيره، وكما نصّ الذهبي والسمعاني بأنّه رافضي ونال في التشيع، فنسبته إلى العامّة ممّا لا أصل له .

(١) بحار الأنوار ٨٠: ٣٨ .

(٢) في المصدر: الفرية .

(٣) في المصدر: على نوح .

وفد من السماء السابعة، وهم ثلاثة أملاك فسلموا عليه، ثم قالوا: يا نبي الله لنا حاجة، قال: وما هي؟ قالوا: تؤخر الدعاء على قومك، فإنها أول سطوة الله عز وجل في الأرض، قال: قد أخرت الدعاء عليهم ثلاثمائة سنة أخرى.

وعاد إليهم فصنع ما كان يصنع، ويفعلون ما كانوا يفعلون، حتى انقضت ثلاثمائة سنة أخرى، ويئس من إيمانهم، جلس في وقت ضحى النهار للدعاء، فهبط عليه وفد من السماء السادسة، وهم ثلاثة أملاك، فسلموا عليه وقالوا: نحن وفد من السماء السادسة خرجنا بكرة وجئناك ضحوة.

ثم سألوه [مثل] (١) ما سأله وفد السماء السابعة، فأجابهم إلى مثل ما أجاب أولئك إليه، وعاد إليهم إلى قومه يدعوهم، فلا يزيدهم دعاؤه إلا فراراً، حتى انقضت ثلاثمائة أخرى تتمة تسعمائة سنة، فصارت الشيعة إليه وشكوا ما ينالهم من العامة والطواغيت، وسألوه الدعاء بالفرج.

فأجابهم إلى ذلك وصلّى ودعا، فهبط عليه جبرئيل عليه السلام، فقال له: إن الله تبارك وتعالى قد أجاب دعوتك، فقل للشيعة يأكلون (٢) التمر، ويغرسون (٣) النوى، ويراعونه (٤) حتى يثمر، فإذا أثمر فرّجت عنهم.

فحمد الله وأثنى عليه، وعرفهم ذلك، فاستبشروا به، فأكلوا التمر، وغرسوا النوى، وراعوه حتى أثمر، ثم صاروا إلى نوح عليه السلام بالثمرة (٥)، وسألوه أن ينجز لهم

(١) الزيادة من المصدر.

(٢) في المصدر: يأكلوا.

(٣) في المصدر: ويغرسوا.

(٤) في المصدر: ويراعوه.

(٥) في المصدر: بالتمر.

بالوعد .

فسأل الله عزّ وجلّ في ذلك، فأوحى الله إليه: قل لهم كلوا هذا التمر، واغرسوا النوى، فإذا أثمر فرّجت عنكم، فلمّا ظنّوا أنّ الخلف قد وقع عليهم ارتدّ منهم الثلث وثبت الثلثان .

فأكلوا التمر، وغرسوا النوى، حتّى إذا أثمر أتوا به نوحاً عليه السلام، فأخبروه وسألوه أن ينجز لهم الوعد، فسأل الله عزّ وجلّ في ذلك، فأوحى الله إليه: قل لهم كلوا هذا التمر واغرسوا النوى، فإذا أثمر فرّجت عنكم، فارتدّ الثلث الآخر وبقي الثلث، فأكلوا التمر، وغرسوا النوى .

فلمّا أثمر أتوا به نوحاً عليه السلام، فقالوا له: لم يبق منّا إلّا القليل، ونحن نتخوّف على أنفسنا بتأخير الفرج أن نهلك، فصلّى نوح عليه السلام، فقال: يا ربّ لم يبق من أصحابي إلّا هذه العصابة، وإني أخاف عليهم الهلاك إن تأخّر عنهم الفرج، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: قد أجبّت دعاءك، فاصنع الفلك، وكان بين إجابة الدعاء وبين الطوفان خمسون سنة (١) .

فظهر ممّا نقلناه أنّ هذا الاسم وهو الشيعة، كان شائعاً في زمن نوح النبي عليه السلام، وكان يطلق على كلّ من اتّبعه في طريق الحقّ، ولذلك قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ (٢) أي: وإنّ من شيعة نوح إبراهيم، يعني: إنّ كان على منهاجه وسنته في التوحيد والعدل واتّباع الحقّ .

هذا، وأمّا الرافضة، فقال صاحب مجمع البحرين: وفي الحديث ذكر الرافضة

(١) كمال الدين ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٢) سورة الصافات: ٨٣ .

والروافض، وهم فرقة من الشيعة رفضوا، أي: تركوا زيد بن علي حين نهاهم عن الطعن في الصحابة، فلما عرفوا مقالته، وأنه لا يبرأ من الشيخين، رفضوه، ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب، وأجاز الطعن في الصحابة، يقال: رفضه رفضاً من باب قتل تركه (١).

وقال صاحب القاموس فيه: الروافض كل جند تركوا قائدهم، والرافضة الفرقة منه (٢)، وفرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي، ثم قالوا: تنبرأ من الشيخين، فأبى وقال: كانا وزيري جدِّي، فتركوه ورفضوه، والنسبة إليه رافضي (٣). إنتهى .

وروي أن أبا بصير شكى إلى الصادق عليه السلام أن الناس يستمّون الرافضة، فقال: والله ما سمّوكم هؤلاء بهذا الاسم، ولكن الله سمّاكم، أما علمت أن سبعين رجلاً من بني إسرائيل من أحبارهم وعبادهم اعتزلوا لما استبان لهم من ضلال فرعون وجنوده، فخرجوا من عسكر فرعون، وآمنوا بموسى وهارون وذريّتهما، فحسداهم الناس وسمّوهم رافضة، فأوحى الله إلى موسى أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراة، ثم أوجز الله هذا الاسم (٤).

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله قال ذات يوم: أين أبو الهيثم بن التيهان وعمّار بن ياسر والمقداد وأبوذر؟ قالوا: هم عند علي عليه السلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله: هؤلاء رفضوا الناس إلا علي بن أبي طالب، قال: فسّمّتهم بنو أمية الرافضة (٥).

(١) مجمع البحرين ٤: ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٢) في المصدر: منهم .

(٣) القاموس المحيط ٢: ٣٣٢ .

(٤) المحاسن ص ١٥٧ ح ٩٢، وبحار الأنوار ٦٨: ٩٧ .

(٥) الصراط المستقيم للبيضاوي ٣: ٧٦ .

وروي أن عمّار الدهني شهد عند ابن أبي ليلى، فقال: قم يا عمّار قد عرفناك لا تقبل شهادتك لأنك رافضي، فبكى عمّار، فقال ابن أبي ليلى: فتبكي من الرفض فأنت من إخواننا، فقال: إنما أبكي لأنك تنسبني إلى رتبة شريفة لست من أهلها، ولو قال الله تعالى كنت رافضاً للأباطيل عاملاً بالطاعات فأكون مقصراً، ويكتب عليك لعظم كذبك في تسميتي بغير اسمي (١).

وكان في عهد إدريس النبي - على نبينا وآله وعليه السلام - جماعة من المؤمنين يقال لهم: الرافض، وكان في مقابلهم جماعة من الكافرين يقال لهم: الأزارقة، وكانوا أعداءً للرافض، يشهدون عليهم بالزور، ويجوزون قتلهم ونهبهم، وكانوا يتهمونهم بما هم بريؤون عنه.

وهذا بعينه جرى في هذه الأمة، فيكون مصداقاً لقول النبي ﷺ: كل ما كان في الأمم السالفة يكون في هذه الأمة مثله حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة (٢).

روى في كتاب كمال الدين وتمام النعمة، بإسناده إلى إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، قال: كان بدو نبوة إدريس عليه السلام أنه كان في زمانه ملك جبّار، وأنه ركب ذات يوم في بعض نزهته (٣)، فمرّ بأرض خضرة نضرة لعبد مؤمن من الرافضة فأعجبته، فسأل وزراءه لمن هذه الأرض؟ قالوا: لعبد مؤمن من عبيد الملك فلان الرافضي.

(١) راجع: بحار الأنوار ٦٨: ١٥٦، وتفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٣١٠، والصرط

المستقيم ٣: ٧٦.

(٢) رواه الصدوق في كمال الدين ص ٥٧٦.

(٣) في المصدر: نزهه.

فدعا به، فقال له: أمتعني بأرضك هذه؟ فقال له: عيالي أحوج إليها منك، قال: فسمني بها أئمن لك، قال: لا أمتعك بها ولا أسومك، دع عنك ذكرها، فغضب الملك عند ذلك وأسف وانصرف إلى أهله، وهو مغموم متفكّر في أمره، وكانت له امرأة من الأزارقة، وكان بها معجباً يشاورها في الأمر إذا نزل به .

فلما استقرّ في مجلسه بعث إليها يشاورها^(١) في أمر صاحب الأرض، فخرجت إليه، فرأت في وجهه الغضب، فقالت: أيها الملك ما الذي دهاك حتّى بدا الغضب في وجهك قبل فعلك .

فأخبرها بخبر الأرض، وما كان من قوله لصاحبها، ومن قول صاحبها له . فقالت: أيها الملك إنّما يغمّ ويهتمّ ويأسف من لا يقدر على التغيير والانتقام، فإن كنت تكره أن تقتله بغير حجة، فأنا أكفيك أمره، وأصير أرضه إليك بحجة لك فيها العذر عند أهل مملكتك .

قال: وما هي ؟ قالت: أبعث إليه أقواماً من أصحابي أزارقة^(٢) حتّى يأتوك به، فيشهدون عليه عندك أنّه قد برأ من دينك، فيجوز لك قتله وأخذ أرضه .

قال: فافعلي ذلك .

قال: وكان لها أصحاب من الأزارقة على دينها يرون قتل الرافضة^(٣) من المؤمنين، فبعثت إلى قوم من الأزارقة فأتوها، فأمرتهم أن يشهدوا على فلان

(١) في المصدر: ليشاورها .
 (٢) في المصدر: الأزارقة .
 (٣) في المصدر: الروافض .

الرافضي عند الملك أنه قد برأ من دين المك [فشهدوا عليه أنه قد برئ من دين الملك] (١) فقتله واستخلص أرضه .

فغضب الله تعالى للمؤمن عند ذلك، فأوحى الله إلى إدريس: أن ائت عبدي هذا الجبار، فقل له: أما رضيت أن قتلت عبدي المؤمن ظلماً حتى استخلصت أرضه خالصة لك، فأحوجت عياله من بعده وأجعتهم، أما وعزتي لأنتقمن له منك في الآجل، ولأسلبنك ملكك في العاجل، ولأخربن مدينتك، ولأذلن عزك، ولأطعمن الكلاب لحم امرأتك، فقد عزك يا مبتلى حلمي عنك .

فأتاه إدريس ﷺ برسالة ربه وهو في مجلسه وحوله أصحابه، فقال: أيها الجبار إني رسول الله إليك، وهو يقول لك: أما رضيت أن قتلت عبدي المؤمن حتى استخلصت أرضه خالصة لك، وأحوجت عياله من بعده وأجعتهم. أما وعزتي لأنتقمن له منك في الآجل، ولأسلبنك ملكك في العاجل، ولأخربن مدينتك، ولأذلن عزك، ولأطعمن الكلاب لحم امرأتك .

فقال الجبار: أخرج عني يا إدريس، فلن تسبقني بنفسك .

ثم أرسل إلى امرأته، فأخبرها بما جاء به إدريس، فقالت: لا يهولنك رسالة إله إدريس، أنا أكفيك أمر إدريس، أنا أرسل إليه من يقتله، فتبطل رسالة إلهه وكلما جاء (٢) به .

قال: فافعلي .

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل .

(٢) في المصدر: جاءك .

قال: وكان لإدريس أصحاب من الروافض^(١) مؤمنون، يجتمعون إليه في مجلس له، فيأمنون به ويأمن بهم، فأخبرهم بما كان من وحي الله عزّوجلّ إليه ورسالته إلى الجبّار، وما كان من تبليغه رسالة الله عزّوجلّ إلى الجبّار، فأشفقوا على إدريس أصحابه، وخافوا عليه القتل .

وبعثت امرأة الجبّار إليه^(٢) أربعين رجلاً من الأزارقة ليقتلوه، وأتوه في مجلسه الذي كان يجتمع إليه فيه أصحابه فلم يجدوه، فانصرفوا، وقد رأهم أصحاب إدريس، فحسبوا أنّهم أتوا إدريس ليقتلوه، فتفرّقوا في طلبه، فلقوه، فقالوا له: خذ حذرك يا إدريس، فإنّ الجبّار قاتلك قد بعث اليوم أربعين رجلاً من الأزارقة ليقتلوك، فاخرج من هذه القرية، فتنحّى إدريس عن القرية من يومه ذلك ومعه نفر من أصحابه^(٣). والحديث طويل في غاية الطول، أخذنا منه قدر الحاجة .

تنبيه :

أنت خير بأنّ ما ذكره صاحب القاموس وغيره، صريح في أنّ مذهب الرافض قديم، وما هو بحديث يفترى به من دون الله، كما اعترف به الجمهور، وإن يتعنع بخلافه من أتى بالزور من غاغة العامّة وجهّال أهل السنّة بكون هذا مذهباً حادثاً وكيف؟ وعلماؤهم يصرّحون بأنّ أصل الرافض مأخوذ من اليهودية، يعنون به ما فعله عبدالله بن سبأ اليهودي على ما سبق .

ومن المشهور الذي لا يدفع أنّ محمّد بن أبي بكر (رحمه الله وسلّى عليه) ممّن

(١) في المصدر: الرافضة .

(٢) في المصدر: إلى إدريس .

(٣) كمال الدين ص ١٢٧ - ١٢٩ .

بايع علياً أمير المؤمنين عليه السلام على البراءة من أبيه، وعلى البراءة من الثاني، وكان ممن حضر قتل عثمان .

وقيل: إنه شارك في دمه، كما في الاستيعاب (١) .

وقال لأمير المؤمنين - صلوات الله عليه - يوماً من الأيام: أبسط يدك أبايعك، فقال: أو ما فعلت؟ قال: بلى، فبسط يده، فقال: أشهد أنك إمام مفترض طاعتك، وأن أباي في النار (٢) .

وقد ذكر ابن قتيبة في كتابه ثمانية عشر رجلاً من الصحابة الكبار، كسلمان وأبي ذرٍّ ومقداد وعمار أنهم لم يبايعوا الأول في خلافته، ثم قال: وكانوا رافضة . وأيضاً فإنَّ في كثير من كتب رجال قدماء العامة وعلماء السنة ذكر أن فلاناً شيوعي رافضي خبيث .

قال الدارقطني في ترجمة عبدالسلام بن صالح الهروي: إنه رافضي متهم، أي: من الرافضة .

ومثل ذلك في ميزان الاعتدال المعتبر عند العامة في معرفة الرجال من كتب الذهبية أكثر من أن يحصى، كيف يتوهم والحال هذه أن مذهب الرافض حديث وليس بقديم .

وعن أبي عمر محمد بن عبدالله الحكمي الحاكم بنوقان، أنه قال: خرج علينا رجلان من الري برسالة بعض السلاطين بها إلى الأمير نصر بن أحمد ببخارا، وكان أحدهما من أهل الري والآخر من أهل قم، وكان القمي على المذهب الذي كان

(١) الاستيعاب ٣: ٣٤٩ المطبوع على هامش الإصابة .

(٢) ذكره أبو عمر والكشي في رجاله، راجع: اختيار معرفة الرجال ١: ٢٨٢ .

قديمًا بقم في النصب، وكان الرازي متشيّعاً .

فلما بلغا نيسابور قال الرازي للقمي: ألا نبدأ بزيارة الرضا عليه السلام، ثم نتوجه إلى بخارا؟ فقال القمي: قد بعثنا سلطاننا برسالة إلى الحضرة ببخارا، فلا يجوز لنا أن نشغل بغيرها حتى نفرغ منها .

فقصدا بخارا وأديا ورجعا، حتى حاذيا طوس، فقال الرازي للقمي: ألا نزور الرضا عليه السلام؟ فقال: خرجت من قم مرجئاً لا أرجع إليها رافضياً. والنقل طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

ويظهر منه ومن أمثاله مثل ما نقلناه سالفاً من حكاية المتوكل وقوله لمجنون: بلغني أنك رافضي. كمال عداوة العامة لمذهب الرضا والرافضة من الزمن الأول إلى هذه الأزمان، حتى أنهم رجّحوا مذهب الإرجاء مع استلزامه الكفر والسخر على مذهب الرضا .

ومن غريب ما نقل من حماقة العامة وشدة عداوتهم للرافضة: أن قفصاً وقع من يدي رجل وطار الطير، فقال: لعن الله القفص، فغضبت عليه امرأته، وقالت: ما أنت إلا رافضي، فاجتمعت عليه الغوغاء، وقالت: إنها صدقت؛ لأن القفص كان من نخل البرني^(١)، وكانت أم المؤمنين تحت البرني، فإذا لعن القفص لعن البرني .

ومن عجب أن هؤلاء الغاغة^(٢) مع أنهم يشاهدون من الرافضة ما هو كالشمس في وسط السماء في وضوح دلالاته على حقيّة مذهبهم وصحّته، ينكرون ذلك

(١) البرني نوع من أجود التمر، ومنه الحديث: خير تمر ركم البرني .

(٢) الغاغة: واحدة الغاغ، الكثير المختلط من الناس، والسفلة من الناس والمتسرّعين إلى

عليهم، ثم يشتمونهم به عليه .

نقل عن الحسين بن محمد الأزدي، قال: حدّثني أبي، قال: صلّيت في جامع المدينة وإلى جانبي رجلان على أحدهما ثياب السفر، فقال أحدهما لصاحبه: يا فلان أما علمت أنّ طين قبر الحسين عليه السلام شفاء من كلّ داء، وذلك أنّه كان بي وجع الجوف، فتعالجت بكلّ دواء فلم أجد فيه عافية، وخفت على نفسي وآيست منها . وكانت عندنا امرأة من أهل الكوفة عجوزة كبيرة، فدخلت عليّ وأنا في أشدّ ما بي من العلة، فقالت لي: يا سالم ما أرى علتك إلاّ كلّ يوم زائدة .

فقلت لها: نعم .

قالت: فهل لك أن أعالجك فتبرأ بإذن الله عزّ وجلّ؟

فقلت لها: ما أنا إلى شيء أحوج منّي إلى هذا، فسقتني ماءً في قدح، فسكنت عن العلة، وبرأت حتّى كأن لم تكن بي علة قطّ .

فلما كان بعد أشهر دخلت عليّ العجوز، فقلت لها: بالله عليك يا سلمة - وكان اسمها سلمة - بماذا داويتني؟

فقلت: بواحدة ممّا في هذه السبحة من سبحة كانت في يدها، فقلت: وما هذه السبحة؟ فقالت: إنّها من طين قبر الحسين عليه السلام .

فقلت لها: يا رافضية داويتني بطين قبر الحسين، فخرجت من عندي مغضبة، ورجعت عليّ والله كأشدّ ما كانت، وأنا أقاسي منها الجهد والبلاء، وقد والله خشيت على نفسي، ثمّ أذن المؤدّن، فقاما يصلّيان وغابا عني^(١). إنتهى .

وليت شعري لم صار الرفض عند هؤلاء الغاغة صفة قبيحة حتّى عبّروا بها

الرافضة، وما هو إلا حب آل محمد ﷺ وبغض من عاداهم، وما فيه من المنقصة شيء .

وما أحسن ما ذكره الثعلبي^(١) باسناده، قال: أنشدني أحمد بن إبراهيم الجرجاني، قال: أنشدني منصور الفقيه لنفسه :

إن كان حبي خمسة زكت بهم فرائضي
وبغض من عاداهم رفضاً فإنني رافضي

وأحسن منه ما نقل عن الشافعي^(٢)، حيث يقول :

يا راكباً قف بالمحصب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان إنني رافضي^(٣)(٤)

ويظهر من هذه النقول كلها أن مذهب الرفض كان قديماً شائعاً بين الأمة، وكان عامة العامة يعيرون الخاصة به في أعصار أمتنا أيضاً، بل كانوا يكفرونهم به، كما

(١) هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالثعلبي، توفي سنة (٤٢٧) هـ .

(٢) هو أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي أحد الأئمة الأربعة للعامة، وتوفي سنة (٢٠٤) .

(٣) الفصول المهمة ص ٢٢ للشيخ ابن الصباغ المتوفى سنة (٨٥٥) .

(٤) ما نقل عن منصور الفقيه وعن الشافعي من تفسير الرفض هو الصحيح الذي لا ريب فيه، والشيعة الإمامية روافض بهذا المعنى، فإنهم يحبون آل محمد، ويبغضون من عاداهم كائناً من كان، وهذا مما أمر الله به ورسوله، كما نطق به الكتاب والسنة الواردة في الطريقين، وستأتي إن شاء الله العزيز «منه» .

أوماً إليه أبو بصير فيما مرّ، وسيأتي صريحاً في رواية سماعة، حيث يقول: والله ما كذبتك يابن رسول الله نحن شرّ الناس عند الناس؛ لأنّهم يسمّونا كفّاراً ورافضة الحديث (١).

وأيضاً من المشهور الذي لا يدفع أنّ صاحب التجريد صاحب السيف والقلم وزير (٢) الحضرة السلطانية الإيلخانية هلاكوخان قد قتل في ترك الرفض من العامة المخالفين والطوائف الناصيين من قتل. فهذه صورة كتابه بلسان هلاكوخان إلى ملوك مصر وأمراء الشام:

ليعلم الملك الناصر والبدوار ويغمر وسنجر الأشقر وعلاء الدين وسائر الأمراء والأجناد أننا جند الله، خلقنا من سخطه، وسلّطنا على من حلّ عليه غضبه، فلکم بمن مضى معتبر، وبمن قتلناه مزدجر.

فاتعضوا بغيركم، وسلّموا إلينا أمرکم من قبل أن ينكشف الغطاء، ويحلّ عليكم منّا الخطاء، ونحن لا نرحم من بكى، ولا نرق لمن شكى، قد نزع الرحمة من قلوبنا، فالويل كلّ الويل لمن لم يكن من حزبنا.

فقد خرّبنا البلاد، وقتلنا العباد، وأیتمنا الأولاد، وأظهرنا في الأرض الفساد، فعليکم وعلينا الطلب، فأی أرض تحويکم؟ وأیّ أید تؤويکم؟ فما لکم من سيوفنا

(١) أمالي الشيخ الطوسي ص ٢٩٥ - ٢٩٦ برقم: ٥٨١.

(٢) ولعمر الحبيب أن نصير الملة والدين الطوسي - قدّس الله روحه القدسي - كان مصداق قوله ﷺ: إذا أراد الله بملك خيراً قيّض له وزيراً صالحاً، إن نوى خيراً أعانه، وإن أراد شراً كفه. وقوله ﷺ: ما من رجل من المسلمين أعظم أجراً من وزير صالح مع إمام يطيعه ويأمره. وكان ﷺ في زمانه كعلي بن يقطين في زمانه، بل له فضل عليه بما لا يخفى

خلاص، ومن سهامنا مناص، قلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، خيولنا سوابق،
وسيوفنا صواعق، وسهامنا خوارق، ونبالنا سواحق، والجوشن علينا مطابق .
فإن أنتم أطعتم أمرنا كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن أنتم خالفتهم وعلى
غيبتكم تماديتهم، فذلكم بما كسبتم بأيديكم .

فالحصون من أيدينا لا تمنع، والعساكر من قتالنا لا ترد ولا تدفع، ودعاؤكم
علينا لا يستجاب ولا يسمع؛ لأنكم أكلتم الحرام، وأظهروا البدع، وارتكبتهم
الآثام، فالיום تجزون بما كنتم تعملون، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون .
وقد ثبت عندكم أننا الكفرة، وثبت عندنا أنكم الفجرة، وسلطنا عليكم من يده
الأمر المدبرة، والأحكام المقدرة، فعزيزكم لدينا ذليل، وكثيركم لدينا قليل،
ونحن مالكون الأرض طولها وعرضها، فشرقها ملك آبائنا وأجدادنا من قدم
القدم، وغربها قد ملكنا بالسيف والقلم .

فميّزوا بعقولكم طريق الصواب، وأسرعوا إلينا بردّ الجواب، من قبل أن تضرم
الحرب نارها وتحطّ أوزارها، ولا تبقى لكم جاهاً ولا عزّاً، ولا تجدون منّا كهفاً
ولا خرزاً، وتدهثون منّا بأعظم داهية، ولا تبقى منكم باقية، وتصيح الأرض منكم
خالية، وقد ناصحكم من راسلكم، ونثرنا جواهر الكلام، والسلام .

الفصل الثاني

[المعنى المراد من الشيعة]

اختلفت الأخبار في المعنى المراد من الشيعة، فكثير منها يدلّ على أنّ الشيعة
هم الإمامية القائلون بولاية الأئمة في كلّ وقت إلى تمام الاثني عشر صلوات الله
عليهم، وأنّ ما ورد في فضل الشيعة يعمّهم كلّهم .

وفي بعض الأخبار ما يشعر بأنّ الشيعة هم التابعون لهم في العقائد والأعمال،

كرواية موسى بن بكر الواسطي، قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: لو ميّزت شيعتي ما وجدتهم إلّا واصفة، ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلّا مرتدّين، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد، ولو غربلتهم غربلة لم يبق منهم إلّا ما كان لي أنّهم طال ما اتّكوا على الأرائك، فقالوا: نحن شيعة علي، إنّما شيعة علي من صدّق قوله فعله (١).

ورواية أبي حمزة الشمالي الحسنة عن علي بن الحسين عليه السلام: لا حسب لقرشي ولا لعربي إلّا بتواضع، ولا كرم إلّا بتقوى، ولا عمل إلّا بنية (٢)، ولا عبادة إلّا بالتفقه، وإن (٣) أبغض الناس إلى الله من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله (٤).

ورواية جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام، حيث قال: يا جابر أيكثفي من انتحل التشييع أن يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلّا من اتّقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون إلّا بالتواضع والتخشع، وكثرة ذكر الله، والصوم، والصلاة، والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس إلّا من خير، وكانوا أمناء عشائهم في الأشياء.

فقال جابر: يا بن رسول الله لست أعرف أحداً بهذه الصفة.

فقال عليه السلام: يا جابر لا تذهبن بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول أحبّ علياً

(١) الروضة من الكافي ٨: ٢٢٨ ح ٢٩٠.

(٢) في الكافي: بالنية.

(٣) في الكافي: ألا وإنّ.

(٤) الروضة من الكافي ٨: ٢٣٤ ح ٣١٢.

وأولآه، فلو قال أحب رسول الله ﷺ [ورسول الله] (١) خير من علي، ثم لا يعمل بعمله، ولا يتبع سنته ما ينفعه (٢) حبه إياه شيئاً.

فاتقوا الله لما عنده، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته، والله ما تقرب إلى الله جل ثناؤه إلا بالطاعة، ما معنا براءة من النار، ولا على الله لأحد حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، ولا تنال ولا يتنا إلا بالورع والعمل (٣).

وفي موثقة مسعدة بن صدقة، قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن قوم من الشيعة يدخلون في أعمال السلطان، ويعملون لهم، ويجبون لهم، ويوالونهم، قال: ليس هم من الشيعة ولكنهم من أولئك، ثم قرأ عليه السلام هذه الآية ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ - إِلَى قَوْلِهِ - وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٤) (٥).

وفي صحيحة أحمد بن محمد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: كتب إلي: إنما شيعتنا من تابعنا ولم يخالفنا، وإذا خفنا خاف، وإذا أمنا أمن الحديث (٦).

وعن حماد اللحام (٧)، عن أبي عبد الله عليه السلام أن أباه قال: يا بني إن خالفتني

(١) الزيادة ساقطة من الأصل.

(٢) في الأمالي: ما نفعه.

(٣) بحار الأنوار ٧٠: ٩٧ ح ٤، أمالي الشيخ الصدوق ص ٧٢٥ برقم: ٩٩١.

(٤) سورة المائدة: ٧٨.

(٥) تفسير القمي ١: ١٧٦.

(٦) بحار الأنوار ٢٣: ١٨٣ ح ٤٥ عن تفسير العياشي.

(٧) حديث حماد اللحام مجهول السند، يمكن حمله على المخالفة لجميع الأعمال؛ لأن

في العمل لم تنزل معي غداً في المنزل، ثم قال: أباي الله عز وجل أن يتولّى قوم قوماً يخالفونهم في أعمالهم ينزلون معهم يوم القيامة، كلاً ورب الكعبة^(١).

وقيل لسيّدنا أبي عبدالله الصادق سلام الله عليه: إن قوماً من مواليك يلبّون المعاصي ويقولون نرجوا، فقال: كذبوا، أولئك ليسوا لنا بموال، أولئك قوم رجّحت بهم الأمانى، من رجي شيئاً عمل له، ومن خاف شيئاً^(٢) هرب منه^(٣).

وروى الكشي بإسناده عن المفضّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إياك والسفلة، إنّما شيعة جعفر من عفّ بطنه وفرّجه، واشتدّ جهاده، وعمل لخالفه، ورجي ثوابه، وخاف عقابه^(٤).

وفي صحيحة محمّد بن حرمان، عن الوليد بن صبيح، قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام، فاستقبلني زرارة خارجاً من عنده، فقال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا وليد أما تعجب من زرارة يسألني من أعمال هؤلاء، أيّ شيء كان يريد؟ أريد أن أقول لا؟ فيروي ذلك عنّي. ثم قال: يا وليد متى كانت الشيعة تسأل عن أعمالهم، إنّما

⇒ الجمع المضاف والمفرد المحلّى باللام يفيدان العموم. أو المراد أنّ من خالفهم في العمل لم يكن في درجتهم يوم القيامة. وفيه نظر، إذ على تقدير عدم المخالفة أيضاً لم يكن في درجتهم، والحق أنّ المخالفة في العمل دون الاعتقاد يورث حظّ المنزلة لا عدمها وعدم دخول الجنة، كيف؟ وشفاعتهم عليهم السلام لأهل الكبائر من شيعتهم، وأمّا المحسنون منهم فإنّ الله تعالى يقول: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ «منه».

(١) الروضة من الكافي ٨: ٢٥٣ - ٢٥٤ ح ٣٥٨.

(٢) في الكافي: من شيء.

(٣) أصول الكافي ٢: ٦٨ - ٦٩ ح ٦.

(٤) إختيار معرفة الرجال ٢: ٥٩٤ ح ٥٥٢، والبحار ٦٨: ١٨٧.

كانت الشيعة تقول: من أكل من طعامهم وشرب من شرابهم ويستظلّ بظلّهم، متى كانت الشيعة تسأل عن مثل هذا^(١)؟

والمراد أنّ سؤال الشيعة ينبغي أن يكون مقصوداً في هذه الأمور هل تضرّ التشييع أم لا؟ وأما السؤال عن الدخول في أعمالهم، فخارج عن البحث والغرض ولا يجوز أصلاً.

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: إنّ شيعة علي عليه السلام مثل الحسن والحسين عليهما السلام وسلمان ومحمّد بن أبي بكر ونظراؤهم رضي الله عنهم^(٢).

والظاهر أنّ ما في هذه الأخبار وغيرها ممّا يقتضي بظاهاه نفي الاسم عمّن ليس فيهم أوصاف مخصوصة زيادة على المذكور المتعارف مخصوص بنفي الكمال من التشييع، نظير ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٣).

فإنّه بظاهاه يدلّ على نفي الإيمان عمّن ليس كذلك، والمراد نفي كماله؛ لدلالة الآية وروايات أخر على أنّ أصل الإيمان يجامع نقائص تلك الصفات، وإن لم يجامعها كماله.

فصار الحاصل أنّ الشيعة هم التابعون لهم في العقائد، وأمّا الكاملون منهم فهم التابعون لهم في العقائد والأعمال.

يدلّ على ذلك صريحاً ما في كتاب علي عليه السلام، وسيأتي أنّه قال لميثم التمار:

(١) إختيار معرفة الرجال ١: ٣٦٨ ح ٢٤٧.

(٢) بحار الأنوار ٦٨: ١٥٨ عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام.

(٣) سورة الأنفال: ٢.

أحب حبيب آل محمد وإن كان فاسقاً زانياً، وأبغض مبغض آل محمد وإن كان صواماً، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (١) ثم التفت إليّ وقال: هم والله أنت وشيعتك يا علي، وميعادك وميعادهم الحوض غداً غراً محجلين متوججين (٢). وله نظائر ستأتي، فلا تغفل.

ويؤيد ذلك ما في صحيحة عمر بن حريث، قال: دخلت على أبي عبد الله ﷺ - إلى أن قال - فقلت: جعلت فداك ألا أقصّ عليك ديني؟ فقال: بلى. قلت: أدين الله بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحجّ البيت، والولاية لعلي أمير المؤمنين ﷺ بعد رسول الله ﷺ، والولاية للحسن والحسين، والولاية لعلي بن الحسين، والولاية لمحمد ابن علي، ولك من بعده، وأنكم أمّتي، عليه أحيي وعليه أموت، وأدين الله به.

فقال: يا عمر هذا والله دين الله ودين آبائي الذي أدين به في السرّ والعلانية (٣). وما رواه أبو مريم عن أبي جعفر ﷺ، قال: قال أبي يوماً وعنده أصحابه: من فيكم (٤) يطيب نفسه أن يأخذ جمرة في كفّه فيمسكها حتّى تطفئ؟ قال: فكاع (٥) الناس كلّهم ونكلوا، فقلت: يا أبة أتأمر أن أفعل؟ فقال: ليس إياك عنيت إنّما

(١) سورة البيّنة: ٧.

(٢) بحار الأنوار: ٢٧: ٢٢٠ و ٢٥: ٦٤٥ ح ١٤ عن روضة الواعظين. ورواه الشيخ في أماليه ٢: ١٩ - ٢٠.

(٣) أصول الكافي: ٢: ٢٣ ح ١٤.

(٤) في الكافي: منكم.

(٥) كعت عنه أكيع إذا هبت وجبت عنه.

أنت مّتي وأنا منك بل إيتاهم أردت، قال: وكرّرها ثلاثاً .

ثمّ قال: ما أكثر الوصف وأقلّ الفعل، إنّ أهل الفعل قليل، إنّ أهل الفعل قليل، ألا وإنا لنعرف أهل الفعل والوصف معاً، وما كان هذا منّا تعامياً عليكم، بل لنبلو أخباركم، ونكتب آثاركم .

فقال: والله لكأنما مادت بهم الأرض حياءً، حتّى إني لأنظر إلى الرجل منهم يرفض عرقاً، ما يرفع عينيه من الأرض .

فلما رأى ﷺ ذلك منهم، قال: فما أردت إلاّ خيراً، إنّ الجنّة درجات، فدرجة أهل الفعل لا يدركها أحد من أهل القول، ودرجة أهل القول لا يدركها أحد غيرهم، قال: فوالله فكأنما نشطوا من عقال (١) .

وما رواه الكشي في الصحيح، عن جعفر بن أحمد، عن صفوان، عن عيسى بن السري أبي اليسع، قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: حدّثني عن دعائم الإسلام التي بني عليها، ولا يسع أحداً من الناس تفصير عن شيء منها، الذي من قصر عن معرفة شيء منها كبت عليه دينه ولم يقبل منه عمله، ومن عرفها وعمل بها صلح دينه وقبل منه عمله، ولم يضق ما فيه بجهل شيء من الأمور جهله .

قال: فقال: شهادة أن لا إله إلاّ الله، والإيمان برسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، ثمّ قال: الزكاة، والولاية بشيء دون شيء، فضل يعرف لمن أخذ به، قال رسول الله ﷺ: من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية. وقال جلّ وعزّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٢) وكان

(١) الروضة من الكافي ٨: ٢٢٧ - ٢٢٨ ح ٢٨٩ .

(٢) سورة النساء: ٥٩ .

علي عليه السلام، وقال الآخرون: لا بل هو معاوية. وكان حسن ثمّ كان حسين عليه السلام، وقال الآخرون: هو يزيد بن معاوية لا سواه .

ثمّ قال: أزيدكم (١)؟ فقال بعض القوم: زده جعلت فداك، قال: ثمّ كان علي بن الحسين عليه السلام، ثمّ كان أبو جعفر عليه السلام، وكانت الشيعة [قبله] (٢) لا يعرفون ما يحتاجون إليه من حلال ولا حرام إلّا ما تعلّموا من الناس .

حتّى كان أبو جعفر عليه السلام، ففتح لهم وبين لهم وعلمهم، فصاروا يعلمون الناس بعد ما كانوا يتعلّمون منهم، والأمر هكذا يكون، والأرض لا تصلح إلّا بإمام، ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية .

وأحوج ما تكون إلى هذا إذا بلغت نفسك إلى هذا المكان، وأومئ بيده إلى حلقة وانقطعت من الدنيا، تقول: لقد كنت على رأي حسن (٣). الحديث .

وأما إطلاق الشيعة على القائل بإمامة أمير المؤمنين سلام الله عليه بلا فصل، سواء كان قائلاً بإمامة سائر الأئمة أم لا، حتّى يشمل الواقفية والزيدية والفضحية وأمثالهم، فاصطلاح مستحدث من أئمة الكلام، وليس منه في الروايات عين ولا أثر، كذا أفاد بعض (٤) أصحابنا المتأخّرين .

وهذا منه غريب يدلّ على قلّة تتبّعه وعدم تصفّحه، فإنّ في كثير من الأخبار دلالة على إطلاق الشيعة على الزيدية والواقفية ومن يحذو حذوهم .

(١) في المصدر: أزيدك .

(٢) الزيادة من المصدر .

(٣) إختيار معرفة الرجال ٢: ٧٢٣-٧٢٤ ح ٧٩٩ .

(٤) المراد به سيّدنا الفاضل التقى الأمير محمّد زمان الأعرجي الملقّب بـ «شاه حسين السمناني» عليه السلام في كتاب الأربعين له «منه» .

نعم لا يشملهم ما ورد في فضائل الشيعة من الروايات، بل هي مخصوصة بمن قال بإمامة الاثنا عشر - صلوات الله عليهم - على الترتيب المشهور، فهنا مقامان :
الأول: في ذكر ما يدلّ على إطلاق الشيعة على الفرق المذكورة .
والثاني: في ذكر ما يدلّ على تخصيص ما ورد في فضائل الشيعة بالإمامية الاثنا عشرية .

أمّا الأول، فنقول: روى الكشي في كتاب الرجال في ترجمة الواقفية، بإسناده إلى عمر بن يزيد، قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام، فحدّثني في فضائل الشيعة ملياً، ثمّ قال: إنّ من الشيعة بعدنا من همّ شرّ من النصاب، قلت: جعلت فداك أليس يتحلون حبّكم ويتولّونكم ويبرؤون من عدوّكم؟ قال: نعم. قلت: جعلت فداك بيّن لنا عرفهم فلعلّنا^(١) منهم، قال: كلّاً يا عمر ما أنت منهم، إنّما هم قوم يفتنون يزيد ويفتنون بموسى عليه السلام^(٢) .

وهذه الرواية كما ترى صريحة في إطلاق الشيعة على الزيدية والواقفية، ولها نظائر :

منها: ما رواه الكشي أيضاً بإسناده إلى الحكم بن عيص، قال: دخلت مع خالي سليمان بن خالد، على أبي عبدالله عليه السلام، فقال: يا سليمان من هذا الغلام؟ فقال: ابن أختي، فقال: هل يعرف هذا الأمر؟ فقال: نعم، قال: الحمد لله الذي لم يخلقه شيطاناً. ثمّ قال: يا سليمان عوّذ بالله ولدك من فتنة شيعتنا، فقلت: جعلت فداك وما

(١) في المصدر: فعلنا، وقال السيّد الداماد في التعليقة: فعلنا بإهمال العين وتشديد اللام المفتوحتين، ثمّ قال: قال في القاموس: علّ وتزاد في أولها لام كلمة طمع وإشفاق .

(٢) إختيار معرفة الرجال ٢: ٧٥٩ ح ٨٦٩ .

تلك الفتنة؟ قال: إنكارهم الأئمة، ووقوفهم على ابني موسى، قال: ينكرون موته ويزعمون أن لا إمام بعده، أولئك شرّ الخلق (١).

وبإسناده إلى الرضا عليه السلام (٢) أنه قال: الواقعة حمير الشيعة، ثم تلا: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (٣) وكانت الزيدية والواقفة والنصاب عنده عليه السلام بمنزلة واحدة (٤).

وبإسناده إلى ابن أبي يعفور، قال: كنت عند الصادق عليه السلام إذ دخل موسى عليه السلام فجلس، فقال أبو عبدالله عليه السلام: يا بن أبي يعفور هذا خير ولدي وأحبهم إليّ، غير أن الله عزّ وجلّ يضلّ به قوماً من شيعتنا، واعلم أنّهم قوم لا خلاق لهم في الآخرة، ولا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم.

قلت: جعلت فداك قد أزغت (٥) قلبي عن هؤلاء.

قال: يضلّ به قوم من شيعتنا بعد موته جزعاً عليه، فيقولون: لم يمّت، وينكرون الأئمة من بعده، ويدعون الشيعة إلى ضلالتهم، وفي ذلك إبطال حقوقنا، وهدم دين الله، يا بن أبي يعفور فالله ورسوله منهم بريء، ونحن منهم براء (٦).

وبإسناده إلى حمران بن أعين، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أمن شيعتكم أنا؟ قال: إي والله في الدنيا والآخرة، وما من أحد من شيعتنا إلّا وهو مكتوب عندنا اسمه

(١) إختيار معرفة الرجال ٢: ٧٥٨ ح ٨٦٦.

(٢) وفيه: عن محمّد بن الرضا عليه السلام.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٩.

(٤) إختيار معرفة الرجال ٢: ٧٦١ ح ٨٧٢ و ٨٧٣.

(٥) في المصدر: أرغبت.

(٦) إختيار معرفة الرجال ٢: ٧٦٢ ح ٨٨١.

واسم أبيه إلا من يتولّى عنّا منهم .

قال: قلت: جعلت فداك أو من شيعتكم من يتولّى عنكم بعد المعرفة؟ فقال: يا حمران نعم وأنت لا تدرکہم .

قال حمزة الزيّات: فتناظرنا في هذا الحديث، قال: فكتبنا به إلى الرضا عليه السلام نسأله عمّن استثنى به أبو جعفر عليه السلام، فكتب: هم الواقفة على موسى بن جعفر عليه السلام (١). إلى غير ذلك من الأخبار .

وقال شيخنا المحقّق الثاني الشيخ علي عليه السلام (٢) في حواشيه على الشرائع بعد قول المحقّق الأوّل عليه السلام «ولو وقف على الشيعة فهو للإمامية والجارودية دون غيرهم من فرق الزيدية» (٣): ولو وقف على الإمامة كان للإثنا عشرية، ولو وقف على الزيدية كان للقائلين بإمامة زيد بن علي. الشيعة على سبعة أقسام: زيدية، وكيسانية، وفضحية، وناووسية، وواقفية، وإسماعيلية، وإثنا عشرية .

الزيدية: من قال بإمامة علي عليه السلام إلى زين العابدين عليه السلام وابنه زيد .

والكيسانية: من قال بإمامة أربعة علي وحسن وحسين عليهم السلام ومحمّد ابن حنفية .

والفضحية: من قال بإمامة سبعة من علي عليه السلام إلى الصادق عليه السلام وابنه الأفتح .

والناووسية: من قال بإمامة ستة من علي عليه السلام إلى الصادق عليه السلام .

والواقفية: من قال بإمامة سبعة من علي عليه السلام إلى الكاظم عليه السلام .

(١) إختيار معرفة الرجال ٢: ٧٦٢-٧٦٣ ح ٨٨٢ .

(٢) المعروف بالمحقّق الكرکي الشيخ نور الدين علي بن الحسين بن عبدالعالي المتوفّي سنة (٩٤٠) .

(٣) شرائع الإسلام ٢: ٢١٥ .

والإسماعيلية: من قال بإمامة سبعة من علي عليه السلام إلى جعفر عليه السلام وابنه إسماعيل .
والاثنا عشرية: من قال بإمامة إثناعشر من علي عليه السلام إلى المهدي محمد بن الحسن صاحب الزمان وقاطع البرهان صلوات الله عليهم أجمعين .
أقول: الزيدية على ثلاث فرق :

الجارودية^(١): أصحاب أبي الجارود زياد بن منذر العبيدي، قال: إن النبي صلى الله عليه وآله نصّ عليّ علي بالوصف دون التسمية .

والسليمانية^(٢): أصحاب سليمان بن حريز، قالوا: إن البيعة طريق الإمامة، واعترفوا بإمامة أبي بكر وعمر بالبيعة اجتهاداً، ثمّ أنّهم يصوّبون ذلك الاجتهاد وأخرى يخطؤونه، وقالوا بكفر عثمان وعائشة وطلحة وزبير ومعاوية لقتالهم عليّ علي عليه السلام .

والصالحية^(٣): أصحاب الحسن بن صالح بن حي، وكان فقيهاً، وكان يثبت إمامة أبي بكر وعمر، ويفضّل علياً عليه السلام على سائر الصحابة، وتوقّف في عثمان لما سمع عنه من الفضائل تارةً والذائل أخرى .

وأما المقام الثاني، فيدلّ عليه - زائداً على ما مرّ - ما رواه يونس بن يعقوب، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: أعطي هؤلاء الذين يزعمون أنّ أباك حيّ من الزكاة شيئاً؟ قال: لا تعطهم فإنّهم كفّار مشركون زنادقة^(٤) .

(١) راجع: حول تفصيل مذهبهم إلى الملل والنحل للشهرستاني ١: ١٥٨ .

(٢) راجع: الملل والنحل ١: ١٥٩ .

(٣) راجع: الملل والنحل ١: ١٦١ .

(٤) إختيار معرفة الرجال ٢: ٧٥٦ ح ٨٦٢ .

وما رواه علي بن حديد المدائني، قال: سمعت من سأل أبا الحسن الأول عليه السلام، فقال: إنِّي سمعت محمّد بن بشير يقول: إنك لست موسى بن جعفر الذي إمامنا وحبّتنا فيما بيننا وبين الله تعالى. فقال: لعنه الله ثلاثاً، أذاه الله حرّ الحديد، قتله الله أخبث ما يكون من قتلة .

فقلت له: جعلت فداك أنا إذا سمعت ذلك منه وأليس حلال لي دمه مباح كما أبيع دم السابّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وللإمام عليه السلام ؟

فقال: نعم حلّ والله دمه وأباحه لك ولمن سمع ذلك منه .

قلت: وأليس هذا سبابّ لك ؟

فقال: هذا سبابّ لله وسابّ لرسول الله صلى الله عليه وآله، وسابّ لآبائي وسابّي، وأيّ سبّ

ليس يقصر عن هذا، ولا يفوقه هذا القول .

فقلت: رأيت إذا أنا لم أخف أن أغمز بذلك بريئاً ثمّ لم أفعل ولم أقتله ما عليّ من الوزر؟ فقال: يكون عليك وزره أضعافاً مضاعفة من غير أن ينتقص من وزره شيء، أما علمت أنّ أفضل الشهداء درجة يوم القيامة من نصر الله ورسوله بظهر الغيب، وردّ عن الله وعن رسوله وعن الأئمة عليهم السلام (١).

وهذا يدلّ على أنّ من أنكر إمام زمانه، فهو كافر حلال دمه لكلّ من سمع ذلك

منه، إذا لم يخف على نفسه ولا على أحد من المؤمنين .

وهذا مشكل؛ لدلالة أخبار كثيرة على أنّ مخالفتنا في الإمامة محقون دمهم محفوظ مالهم، يجري عليهم من الأحكام الدنيوية ما يجري علينا، كما ستأتي إليه الإشارة .

(١) إختيار معرفة الرجال ٢: ٧٧٨ ح ٩٠٨ .

ولعلّ هذا الحكم كان مخصوصاً بهذا الملعون؛ لأنّه كان صاحب شعبة ومخارق، وكان يقول في موسى عليه السلام بالربوبية، ويدّعي في نفسه أنّه نبي .

وعن عبدالله بن المغيرة، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إنّ لي جارين أحدهما ناصب^(١)، والآخر زيدي، لا بدّ من معاشرتهما، فمن أعاشر؟ قال: هما سيّان، من كذب بآية من كتاب الله فقد نبذ الإسلام وراء ظهره، وهو المكذب لجميع القرآن والأنبياء والمرسلين، قال: ثمّ قال: إنّ هذا نصب لك، وهذا الزيدي نصب لنا^(٢) .

وعن سليمان الجعفري، قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام بالمدينة إذ دخل عليه رجل من أهل المدينة، فسأله عن الواقعة، فقال أبو الحسن عليه السلام: ﴿مَلْعُونَيْنِ أَيْنَمَا تُقِفُوا أَخْذُوا وَقْتِلُوا تَقْتِيلًا * سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٣) والله إنّ الله لا يبذلها حتّى يقتلوا عن آخرهم^(٤) .
والأخبار في ذلك أكثر من أن يحصى .

(١) الظاهر أنّ مراد عبدالله بن المغيرة بالناصب المخالف، كما هو المصطلح في الأخبار، فإنّهم وإن لم يغيضوا أهل البيت عليهم السلام، لكنّهم يغيضون من قال بإمامتهم، وقد قال الصادق عليه السلام: ليس الناصب من نصب العداوة لشيعتنا وهو يعلم أنّه شيعتنا. بخلاف الزيدية فإنّهم كانوا يعاندون أهل البيت عليهم السلام، ويحكمون بفسقهم لعدم خروجهم بالسيف «منه» .
أقول: هذه التعليقة كلّها مأخوذة من مرآة العقول للعلامة المجلسي رحمته الله ذيل الرواية المذكورة، فراجع .

(٢) الروضة من الكافي ٨: ٢٣٥ ح ٣١٤ .

(٣) سورة الأحزاب: ٦١ - ٦٢ .

(٤) إختيار معرفة الرجال ٢: ٧٥٨ ح ٨٦٥ .

ويدلّ عليه أيضاً قول رسول الله ﷺ فيهم ﷺ: من أنكر واحداً منهم فقد أنكرني (١).

وقول الرضا ﷺ: من جحد حقّي كمن جحد حقّ آبائي (٢).

وقول الصادق ﷺ: لما سئل عن الزيدية والمخالف: هما والله سواء، ولما روجع ثانياً قال: لا فرق بين من أنكر آية من القرآن وبين من أنكر آيات منه، وبين من أنكر نبياً من الأنبياء، وبين من أنكر كلهم (٣).

إلى غير ذلك من الروايات، وكيف يكون هؤلاء من الشيعة؟ والشيعة من أهل النجاة كما ستعرفه، وهؤلاء ليسوا منهم، لقوله ﷺ: ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية، والباقون منهم هالك (٤).

الفصل الثالث

[الأخبار الواردة في فضل الشيعة]

روى الإمام العالم الورع التقي ابن طاووس (٥) الحسيني - روح روجه - في كتاب بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، بحذف السند قال: دخل رسول الله ﷺ على علي ﷺ فرحاً مسروراً مستبشراً، فسلم عليه، فردّ عليه، فقال علي ﷺ: يا

(١) بحار الأنوار ٢٣: ٩٥ ح ٤، وأمالى الشيخ الصدوق ص ٥٨٦.

(٢) عيون أخبار الرضا ١: ٣٢-٣٣.

(٣) نحوه في الروضة من الكافي ٨: ٢٣٥.

(٤) راجع: الروايات الواردة في ذلك إلى بحار الأنوار ٢٨: ٣.

(٥) كذا في نسخة الأصل تبعاً لما في مجمع الفائدة ٢: ٥١٤ للمقدّس الأردبيلي، والصحيح أنّ كتاب بشارة المصطفى هو لأبي جعفر محمّد بن أبي القاسم علي بن محمّد بن علي الطبري، من علماء الإمامية في القرن السادس الهجري.

رسول الله ما رأيت أقبلت عليّ مثل هذا اليوم. فقال: حبيبي جئتُ أبشرك، واعلم أنّ في هذه الساعة نزل عليّ جبرئيل عليه السلام، ثمّ قال: الحقّ يقرّوك السلام ويقول: بشّر علياً أنّ شيعته الطائع^(١) والعاصي من أهل الجنّة، فلمّا سمع مقالته خرّ لله ساجداً^(٢) ورفع يديه إلى السماء، ثمّ قال: أشهد الله عليّ أنّي قد وهبت لشيعتي نصف حسناتي، فقالت فاطمة عليها السلام: أشهد عليّ يا ربّ أنّي قد وهبت لشيعتي نصف حسناتي، فقال الحسن والحسين عليهما السلام كذلك، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما أنتم بأكرم منّي أشهد عليّ يا ربّ أنّي قد وهبت لشيعتي نصف حسناتي .

قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنتم بأكرم منّي، أنّي قد غفرت لشيعتي وعليّ ومحبيهم ذنوبهم جميعاً^(٣) .

المراد بشيعته عليهم السلام من شايعه في الاعتقاد، ومن عقيدته عليهم السلام أنّ أحد عشر رجلاً من ذرّيته على الترتيب المشهور أئمة من الله عزّ وجلّ بنصّ النبي صلى الله عليه وآله، فمن أنكر واحداً منهم فقد أنكره عليهم السلام كما مرّ، فكيف يكون من شيعته وهو لا يعتقد معتقده؟ ومنه يعلم أنّ إضافة الشيعة في الأخبار إليه عليه السلام لا تفيد صحّة ما اصطلاح عليه أئمة علم الكلام من إطلاق الشيعة على القائل بإمامته عليه السلام بلا فصل، أعمّ من أن يكون قائلاً بإمامة سائر الأئمة أم لا .

(١) في المجمع: الصالح .

(٢) أمّا الأوّل فظاهر، وأمّا الثاني فبحسب المال، فيدلّ عليّ عدم خلود أهل الإيمان في النار، بل يظهر من آخر الحديث عدم دخولهم فيها، ولعلّه عليه السلام لذلك خرّ لله ساجداً، ويفهم منه غاية رحمته ونهاية شفقته لشيعته عليه وعليهم السلام «منه» .

(٣) مجمع الفائدة ٢: ٥١٤ - ٥١٥، ولم أعثر على الرواية في بشارة المصطفى .

كيف؟ وهو في الحقيقة لم يشايعه^(١)، لمخالفته له في الاعتقاد، وإنما شايعه من صدّقه في جميع ما أخبر به عن رسول الله ﷺ، وأنه حق لا يعتريه شك، وهو ﷺ قد أخبر في أخبار كثيرة بأن أحد عشر نفرًا من ولده أئمة افترض الله طاعتهم على الخلق أجمعين. فهؤلاء الفرق ينكرون ذلك ولا يصدّقونه فيه، فكيف يصدق عليهم اسم الشيعة؟ فتأمل هذا .

وإذا كانت ذنوب شيعته جميعاً ومحبيهم مغفورة كما بشر الله وأكرم به، وهو أصدق الصادقين، وأكرم الأكرمين، يلزم منه أن لا يدخل النار واحد منهم، بل ولا يعذب أصلاً، وإن كان عاصياً في نفسه، وإلا يلزم أن لا يكون بين بشارته تعالى أولاً وبشارته آخراً فرق، فتأمل .

ف قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٢) مقيد بلولا العفو والغفران، بناءً على جواز تخصيص مثل هذا الخبر عموم القرآن، بل التخصيص لازم، فإن الآية مخصوصة بلا خلاف؛ لأنّ التائب مغفوّ عنه بالإجماع، وآيات العفو دالة على جواز العفو عمّا دون الشرك، فجاز أن يشترط في المعصية التي يؤاخذ بها أن لا تكون ممّا قد عفى عنه .

ومّمّا هو كالصريح في أنّ القائل بهذا الأمر - وهو الشيعة - لا يمسه النار إن شاء الله تعالى، ما رواه الشيخ في التهذيب في باب تلقين المحتضرين، بطريق صحيح، عن أبي بكر الحضرمي، قال: مرض رجل من أهل بيتي، فأتيته عائداً له، فقلت له:

(١) المراد أنّهم ليسوا من شيعته الفائزين الفاضلين الذين ورد في فضلهم ما ورد من الأخبار، كما سنأتي «منه» .
(٢) سورة الزلزلة: ٨ .

يا بن أخي إن لك عندي نصيحة أتقبلها؟ فقال: نعم، فقلت: قل أشهد أن لا إله إلا الله (١)، فشهد بذلك، فقلت: قل وأنّ محمداً رسول الله، فشهد بذلك .

فقلت: هذا لا تنتفع به إلا أن يكون منك على يقين، فذكر أنه منه على يقين، فقلت: قل أشهد أنّ علياً وصيه، وهو الخليفة من بعده، والإمام المفترض الطاعة من بعده، فشهد بذلك .

فقلت له: إنك لا تنتفع به حتى يكون منك على يقين، فذكر أنه منه على يقين، ثم سميت له الأئمة عليهم السلام رجلاً فرجلاً (٢)، فأقرّ بذلك، وذكر أنه منه على يقين .

فلم يلبث الرجل أن توفي، فجزع عليه أهله جزعاً شديداً، قال: فغبت عنهم، ثم أتيتهم بعد ذلك، فرأيت عزاءً حسناً، فقلت: كيف عزائك أيتها المرأة .

ف قالت: والله لقد أصبنا بمصيبة عظيمة بوفاة فلان عليه السلام، وكان ممّا سخي بنفسي لرؤيا رأيتها الليلة، قلت: وما تلك الرؤيا؟

قالت: رأيت فلاناً - تعني: الميت - سليماً (٣)، فقلت: فلان (٤)؟ قال: نعم. فقلت: إنك ميت (٥)، فقال لي: ولكن نجوت بكلمات لقنهنّ أبوبكر، ولولا ذلك كدت أهلك (٦).

(١) في المصدر بإضافة: وحده لا شريك له .

(٢) في المصدر: واحداً بعد واحدٍ .

(٣) في المصدر: حيّاً سليماً .

(٤) في المصدر: فلاناً .

(٥) في المصدر: أكنت ميتاً .

(٦) تهذيب الأحكام ١: ٢٨٧ ح ٥ .

هذا، وفي صحيحة أبي شبل، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من أحببكم ^(١) على ما أنتم عليه دخل الجنة، وإن لم يقل كما تقولون ^(٢). وفيه مدح عظيم وبشارة جليلة.

وأجلّ منها ما في حسنة حفص بن البختري، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إن الرجل ليحببكم وما يعرف ما أنتم عليه، فيدخله الله بحببكم الجنة، وإن الرجل ليبغضكم وما يعرف ما أنتم عليه، فيدخله تعالى يبغضكم النار ^(٣).

ولعلّ الوجه فيه أنّ محبّ المحبّ محبّ، ومبغض المحبّ مبغض، كما يصرّح به قول سيّدنا أمير المؤمنين سلام الله عليه: الأصدقاء ثلاثة: صديقك، و صديق صديقك، وعدوّ عدوّك. والأعداء ثلاثة: عدوّك، وعدوّ صديقك، و صديق عدوّك ^(٤).

وفي رواية زيد الشحام، قال: سألت أبو عبد الله عليه السلام عن رجل ونحن عنده، فقيل له: مات فترحم عليه وقال فيه خيراً، فقال رجل من القوم: لي عليه دنينيرات، فغلبنى عليها وسماها يسيراً.

(١) هذا بظاهره يفيد أنّ من أحبّ الشيعة لكونهم على المذهب الحقّ من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائهم دخل الجنة وإن لم يكن منهم، بل كان من المستضعفين، فيمكن حمله على مستضعفي الشيعة، بأن تكون كلمة «على» تعليلية، أي: من أحببكم لكونكم على المذهب الحقّ من التشيع، وهذا يستلزم القول بحقيته، فالمراد بقوله «وإن لم يقل كما تقولون» وإن لم يستدلّ على مذهبه كما تستدلّون عليه، بل إنّما يقول به بمحض التقليد، وهذا حال أكثر عوام الشيعة «منه».

(٢) تهذيب الأحكام ١: ٤٦٨ ح ١٨١.

(٣) الروضة من الكافي ٨: ٣١٥ ح ٤٩٥.

(٤) نهج البلاغة ص ٥٢٧ - ٥٢٨ ح ٢٩٥.

قال: فاستبان ذلك في وجه أبي عبدالله عليه السلام، فقال: أترى الله يأخذ ولي علي فيلقيه في النار فيعذبه من أجل ذهبك؟ فقال الرجل: هو في حلّ جعلني الله فداك، فقال أبو عبدالله عليه السلام: أفلا كان ذلك قبل الآن (١)؟

هكذا نقله الفاضل الملي مولانا أحمد الأردبيلي، المجاور بالمشهد المقدّس الغروي - على ساكنه السلام ومجاوره رحمة الله ورضوانه إلى يوم القيامة - في شرحه على إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان (٢).

ويظهر منه أنّ الله تعالى ضمن لأهل الولاء من عنده الرضاء لأهل الحقوق ببركة ولايتهم، ولعلّ المراد بهم الذين عليهم حقوق الناس مالية أو غيرها، وليس عندهم الوفاء بها، ولا يتيسّر لهم الاستحلال منها، فالله سبحانه يعطي من عنده المظلوم من الجنّة ما يرضيه به، ويغفر الظالم من فضل رحمته؛ لكونه من أهل الولاية والسعادة .

وإلا فالواجب عليهم الخروج من حقوق الناس كلّها؛ لعدم سقوط التكليف بذلك بمجرد الولاية إجماعاً، ومن لم يفعل قصّ لأهل الحقوق من حسناته إن كانت له حسنات، وإلاّ ضوعف على سيّئاته يوم الجزاء، كما دلّت عليه روايات أخر، وأوردناها في تعليقاتنا على الأربعين لشيخ الإسلام والمسلمين بهاء الملة والدين قدّس لطفه وأجزل تشريفه .

وكفى في هذا الباب قول سيّدنا علي بن الحسين - صلوات الله عليهما - في زبور آل محمد عليه السلام: اللهم صلّ على محمد وآله، واقض عتيّ كلّ ما ألزمتني

(١) تهذيب الأحكام ١: ٤٦٤ .

(٢) مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان ٢: ٥١٤ .

وفرضته عليّ لك في وجه من وجوه طاعتك، أو لخلق من خلقك، وإن ضعف عن ذلك بدني، ووهنت عنه قوّتي، ولم تنله مقدرتي، ولم يسعه مالي ولا ذات يدي، ذكرته أو نسيتَه هو يا ربّ، ممّا قد أحصيته عليّ وأغفلته أنا من نفسي، فأدّه عني من جزيل عطيتك وكثير ما عندك، فإنّك واسع كريم، حتّى لا يبقى عليّ شيء منه تريد أن تقاصني به من حسناتي، أو تضاعف به من سيّئاتي يوم ألقاك يا ربّ (١).

وفي روضة الكافي: في حديث طويل عن علي بن الحسين عليه السلام، وفيه قال: فقال له رجل من قریش: يا بن رسول الله إذا كان للرجل المؤمن عند الرجل الكافر مظلمة، أي شيء يأخذ من الكافر وهو من أهل النار؟

قال: فقال له علي بن الحسين عليه السلام: يطرح عن المسلم من سيّئاته بقدر ماله على الكافر، فيعذب الكافر بها مع عذابه بكفره عذاباً بقدر ما للمسلم قبله من مظلمة .

فقال له القرشي: فإذا كانت المظلمة لمسلم عند مسلم كيف يؤخذ مظلمة من المسلم؟ قال: يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حقّ المظلوم، فتزاد على حسنات المظلوم .

قال: فقال له القرشي: فإن لم يكن للظالم حسنات؟

قال: فإن لم يكن للظالم حسنات، فإن كان للمظلوم سيّئات يؤخذ من سيّئات المظلوم فتزاد على سيّئات الظالم (٢).

وفي أمالي شيخ الطائفة عليه السلام: بإسناده إلى الرضا، عن أبيه، عن جدّه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حبنا أهل البيت يكفر الذنوب، ويضاعف

(١) من جملة دعائه عليه السلام عند الشدّة والجهد وتعرّس الأمور، برقم: ٢٢.

(٢) الروضة من الكافي ٨: ١٠٦.

الحسنات، وإن الله ليتحمل من محبينا أهل البيت ما عليهم من مظالم العباد إلا ما كان منهم فيها على إضرار^(١) وظلم للمؤمنين، فيقول للسيئات: كوني حسنة^(٢). وفي روضة الكافي: عن سماعة، قال: كنت قاعداً مع أبي الحسن الأول عليه السلام والناس في الطواف في جوف الليل، فقال: يا سماعة إنا إياب هذا الخلق، وعلينا حسابهم، فما كان لهم من ذنب بينهم وبين الله عز وجلّ حتمنا على الله في تركه فأجابنا إلى ذلك، وما كان بينهم وبين الناس استوهبناه منهم، فأجابوا إلى ذلك، وعوضهم الله عز وجلّ^(٣).

وفي أمالي الشيخ عليه السلام: بإسناده إلى محمد بن مسلم الثقفي، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام عن قول الله عز وجلّ: «فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً»^(٤) فقال عليه السلام: يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يوقف بموقف الحساب، فيكون الله تعالى هو الذي يتولّى حسابه، لا يطلع على حسابه أحداً من الناس، فيعرفه ذنوبه، حتى إذا أقرّ بسيئاته، قال الله عز وجلّ للكتابة: بدّلوها حسنات، وأظهرها للناس، فيقول الناس حينئذ: ما كان لهذا العبد سيئة واحدة، ثم يأمر الله به إلى الجنة. فهذا تأويل الآية، وهي في المذنبين من شيعةنا خاصة^(٥).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن عبد الله بن

(١) في المصدر: إضرار.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي ص ١٦٤ برقم: ٢٧٤.

(٣) الروضة من الكافي ٨: ١٦٢ ح ١٦٧.

(٤) سورة الفرقان: ٧٠.

(٥) أمالي الشيخ الطوسي ص ٧٢-٧٣ برقم: ١٠٥.

شريك العامري، عن أبي عبد الله عليه السلام - فالسند صحيح، لأنَّ عبد الله هذا من حوارى الصادقين عليهم السلام - قال: سألت علي صلوات الله عليه رسول الله صلى الله عليه وآله عن تفسير قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (١) قال: يا علي الوفد لا يكون إلا ركبانا، أولئك رجال اتقوا الله عز وجل، فأحبهم الله واختصهم ورضي أعمالهم، فسماهم الله المتقين .

ثم قال: يا علي أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة أنهم ليخرجون من قبورهم وبياض وجوههم كبياض الثلج، عليهم ثياب كبياض (٢) اللبن، عليهم نعال الذهب، شراكها من لؤلؤ يتلألأ .

وفي حديث آخر قال: إنَّ الملائكة لتستقبلهم بنوق من نوق الجنة، عليها رحائل الذهب مكللة بالدرّ والياقوت، وجلالها الاستبرق والسندس، وحطامها جذل (٣) الأرجوان، وأزمتها من زبرجد، فتطير بهم إلى المحشر، مع كل رجل منهم ألف ملك من قدامه وعن يمينه وعن شماله، يزفونهم حتى ينتهوا بهم إلى باب الجنة الأعظم، وعلى باب الجنة شجرة، الورقة منها يستظلّ تحتها مائة ألف من الناس، وعن يمين الشجرة عين مطهرة مكوبة .

قال: فيسقون منها شربة، فيطهر الله عز وجلّ قلوبهم من الحسد، ويسقط عن أبشارهم الشعر، وذلك قوله عز وجلّ: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ من تلك العين المطهرة، ثم يرجعون إلى عين أخرى عن يسار الشجرة، فيغتسلون منها

(١) سورة مريم: ٨٥ .

(٢) في المصدر: بياضها كبياض .

(٣) في المصدر: جدل. الجذل: سعف النخل «منه» .

وهي عين الحياة، فلا يموتون .

ثم قال: يوقف بهم قدام العرش وقد سلموا من الآفات والأسقام والحرّ والبرد .
قال: فيقول الجبار جلّ ذكره للملائكة الذين معهم: احشروا أوليائي إلى الجنة،
ولا تفقوهم مع الخلاق، وقد سبق رضائي عنهم، ووجبت لهم رحمتي، فكيف أريد
أن أوقفهم مع أصحاب الحسنات والسيئات، فتسوقهم الملائكة إلى الجنة .

فإذا انتهوا إلى باب الجنة الأعظم ضربوا الملائكة الحلقة ضربة فتصرّ صريراً،
فيلغ صوت صريرها كلّ حوراء خلقها الله عزّ وجلّ وأعدّها لأوليائه، فتباشروا إذ
سمعوا^(١) صوت صرير الحلقة، ويقول بعضهم لبعض: قد جاءنا أولياء الله، فيفتح
لهم الباب، فيدخلون الجنة، وتشرف عليهم أزواجهم من الحور العين والآدميين،
فيقلن مرحباً بكم، فما كان أشدّ شوقنا إليكم، ويقول لهم أولياء الله مثل ذلك .

فقال علي صلوات الله عليه: من هؤلاء يا رسول الله ؟

فقال رسول الله ﷺ: يا علي هؤلاء شيعتك^(٢) في ولاتك وأنت إمامهم، وهو
قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ على الرحائل ﴿وَنَسُوقُ
الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِذَاً﴾^(٣) .

ومثله في روضة الكافي بسند آخر، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن
محبوب، عن محمّد بن إسحاق المدني، عن أبي جعفر عليه السلام، وزاد فيه: فقال علي عليه السلام:

(١) في المصدر: فيتباشرن إذا سمعن .

(٢) في المصدر: شيعتك وشيعتنا المخلصون .

(٣) تفسير القمي ٢: ٥٣ - ٥٤ .

يا رسول الله أخبرنا عن قول الله عزّ وجلّ ﴿غرف مبنية من فوقها غرف﴾^(١) بماذا بنيت يا رسول الله ؟

فقال : يا علي تلك غرف بناها الله عزّ وجلّ لأوليائه بالدرّ والياقوت والزبرجد سقوفها الذهب محبوكة^(٢) بالفضّة، لكلّ غرفة منها ألف باب من ذهب، على كلّ باب منها ملك موكّل به، فيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض من الحرير والديباج بألوان مختلفة، وحشوها المسك والكافور والعنبر، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾^(٣) إذا دخل المؤمن إلى منزله في الجنّة، ووضع على رأسه تاج الملك والكرامة، وألبس حلال الذهب والفضّة، والدرّ منظومة^(٤) في الإكليل تحت التاج .

قال: وألبس سبعين حلّة حريراً بألوان مختلفة وضروب مختلفة، منسوجة بالذهب والفضّة واللؤلؤ والياقوت الأحمر، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾^(٥) فإذا جلس المؤمن على سريريه اهتزّ سريريه فرحاً، فإذا استقرّ لولي الله عزّ وجلّ منزله في الجنان، استأذن عليه الملك الموكّل بجنانه ليهنّأه بكرامة الله عزّ وجلّ إيّاه، فيقول له خدام المؤمن من الوصفاء^(٦) والوصائف: مكانك، فإنّ ولي الله قد اتّكأ على أريكته، وزوجته

(١) سورة الزمر: ٢٠، الآية كذا: ﴿غُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَبْنِيَةٌ﴾ .

(٢) الحبك: الشدّ والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الشيء .

(٣) سورة الواقعة: ٣٤ .

(٤) في المصدر: المنظوم .

(٥) سورة الحجّ: ٢٢ .

(٦) الوصفاء جمع الوصيف: الخادم والخدمة .

الحوراء قد هيأت له، فاصبر لولي الله .

فتخرج عليه زوجته الحوراء من خيمة لها تمشي مقبلة وحولها وصائفها، وعليها سبعون حلّة منسوجة بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد، وهي من مسك وعنبر، وعلى رأسها تاج الكرامة، وعليها نعلان من ذهب، مكلّلاً بالدرّ والياقوت واللؤلؤ، شراكهما ياقوت أحمر، فإذا دنت من ولي الله، فهمّ أن يقوم إليها شوقاً، فيقول له: يا ولي الله ليس هذا يوم تعب ولا نصب، فلا تقم أنا لك وأنت لي، فيعتقان مقدار خمسمائة عام من أعوام الدنيا لا يملّها ولا تملّه .

قال: فإذا فتر بعض الفتور من غير ملالة نظر إلى عنقها، فإذا عليها قلائد من قصب من ياقوت أحمر، وسطها لوح صفحته درّة، مكتوب فيها: أنت يا ولي الله حبيبي وأنا الحوراء حبيبتك، إليك تناهت نفسي، وإلى تناهت نفسك .

ثمّ بيعت الله إليه ألف ملك يهتّونه بالجنّة، ويزوّجونه بالحوراء. قال: فينتهون إلى أوّل باب من جنانه، فيقولون للملك الموكّل بأبواب جنانه: استأذن لنا على ولي الله، فإنّ الله بعثنا إليه فهتّاه، فيقول لهم الملك: أحسّى أقول للحاجب فنعلمه مكانكم.

قال: فيدخل الملك على الحاجب، وبينه وبين الحاجب ثلاثة جنان، حتّى ينتهي إلى أوّل باب، فيقول للحاجب: إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربّ العالمين ليهتّوا ولي الله، وقد سألوني أن آذن لهم عليه، فيقول الحاجب: إنّه ليعظم عليّ أن أستأذن لأحد على ولي الله وهو مع زوجته الحوراء .

قال: وبين الحاجب وبين ولي الله جتّان، قال: فيدخل الحاجب على (١) القيم،

فيقول له: على باب العرصة ألف ملك أرسلهم رب العزة يهتؤون ولي الله فاستأذن لهم، فيتقدم القيم إلى الخدام، فيقول لهم: إن رسل الجبار على باب العرصة، وهم ألف ملك أرسلهم رب العالمين يهتؤون ولي الله، فأعلموه بمكانهم .

قال: فيعلمونه، فيؤذن للملائكة، فيدخلون على ولي الله في الغرفة، ولها ألف باب، وعلى كل باب من أبوابها ملك موكل به، فإذا أذن للملائكة بالدخول على ولي الله، فتح كل ملك بابَه الموكل به، قال: فيدخل القيم كل ملك من باب من أبواب الغرفة، فيبلغونه رسالة الجبار جلّ وعزّ، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب الغرفة ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ (١) الآية .

قال: وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ (٢) يعني بذلك ولي الله وما فيه من الكرامة والنعيم والملك العظيم الكبير، إن الملائكة من رسل الله عزّ ذكره يستأذنون عليه، فلا يدخلون عليه إلا بإذنه، فذلك (٣) الملك العظيم الكبير .

قال: والأنهار تجري من تحت مساكنهم، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ (٤) والثمار دانية منهم، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذَلَّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ (٥) من قربها منهم، يتناول المؤمن من النوع الذي يشتهيهِ من الثمار بعينه وهو متكىء، وأن الأنواع من الفاكهة ليقطن لولي الله: يا ولي الله

(١) سورة الرعد: ٢٣ .

(٢) سورة الإنسان: ٢٠ .

(٣) في المصدر: فلذلك .

(٤) سورة الكهف: ٣١ .

(٥) سورة الإنسان: ١٤ .

كلني قبل أن تأكل هذا قبلي .

قال: وليس من مؤمن في الجنة إلا وله جنان كثيرة، معروشات وغير معروشات، وأنهار من خمر، وأنهار من ماء، وأنهار من لبن، وأنهار من عسل، فإذا دعا ولي الله بغذائه أتى بما تشتهي نفسه عند طلبه الغذاء من غير أن يسمي شهوته. قال: ثم يتخلّى مع إخوانه، ويزور بعضهم بعضاً، ويتنعمون في جنّاتهم في ظلّ ممدود، في مثل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وأطيب من ذلك لكلّ مؤمن سبعون زوجة حوراء وأربع نسوة من الآدميين، والمؤمن ساعة مع الحوراء، وساعة مع الآدمية، وساعة يخلو بنفسه على الأرائك متكئاً ينظر بعض المؤمنين إلى بعض .

وإنّ المؤمن ليغشاه شعاع نور وهو على أريكته، فيقول لخدّامه: ما هذا الشعاع اللامع؟ لعلّ الجبار لحظني، فيقول له خدّامه: قدّوس قدّوس جلّ جلال الله، بل هذه حوراء من نسائك ممّن لم تدخل بها بعد، أشرفت عليك من خيمتها شوقاً إليك، وقد تعرّضت لك وأحبّت لك^(١)، فلما رأتك متكئاً على سريرك تبسّمت نحوك شوقاً إليك، فالشعاع الذي رأيت والنور الذي غشّاك هو من بياض ثغرها وصفائه ونقائه ورقّته .

فيقول ولي الله: إنذنوا لها فتنزل إليّ، فيبتدر إليها ألف وصيف وألف وصيفة يبشّرونها بذلك، فتنزل إليه من خيمتها وعليها سبعون حلّة منسوجة بالذهب والفضّة، مكلّلة بالدرّ والياقوت والزبرجد، صبغهنّ المسك والعنبر بألوان مختلفة، يرى مخّ ساقها من وراء سبعين حلّة، طولها سبعون ذراعاً، وعرض ما بين

(١) في المصدر: لقاءك .

منكبتها^(١) عشرة أذرع، فإذا دنت من ولي الله أقبل الخدّام بصحائف الذهب والفضّة فيها الدرّ والياقوت والزبرجد فينثرونها عليها، ثمّ يعانقها وتعانقه، فلا تملّ ولا يملّ.

قال: ثمّ قال أبو جعفر^(عليه السلام): أمّا الجنان المذكورة في الكتاب، فإنّهنّ: جنة عدن، وجنة الفردوس، وجنة نعيم، وجنة المأوى.

قال: وإنّ لله جنان محفوفة بهذه الجنان، وإنّ المؤمن ليكون له من الجنان ما أحبّ واشتهى، يتنعم فيهنّ كيف شاء، وإذا أراد المؤمن شيئاً [أو اشتهى]^(٢) إنّما دعواه أن يقول: سبحانك اللهمّ، فإذا قالها تبادرت إليه الخدّام بما اشتهى من غير أن يكون طلبه منهم أو أمر به، وذلك قول الله عزّ وجلّ: «دَعَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا» يعني: الخدّام.

قال: «وَأَخْرَجُوا دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»^(٣) يعني بذلك عندما يقضون من لذّاتهم من الجماع والطعام والشراب، يحمدون الله عزّ وجلّ عند فراغهم. وأما قوله: «أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ»^(٤) قال: يعلمه الخدّام فيأتون به أولياء الله قبل أن يسألوهم إيّاه. وأما قوله عزّ وجلّ: «فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ»^(٥) قال: فإنّهم لا يشتهون شيئاً في الجنة إلّا أكرموا به^(٦).

(١) في المصدر: منكبيها.

(٢) الزيادة من المصدر.

(٣) سورة يونس: ١١.

(٤) سورة الصافات: ٤١.

(٥) سورة الصافات: ٤٢ - ٤٣.

(٦) الروضة من الكافي ٨: ٩٥ - ١٠٠.

وفي محاسن البرقي: بسند صحيح، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدَّأَهُمْ﴾ قال: يحشرون على النجائب (١). إن قلت: ظاهر هذا الخبر وكثير من الأخبار المستفيضة المذكورة في هذه الرسالة وغيرها، صريح في أنّ المؤمن الموالي لا يدخل النار الكبرى، وهو ينافي بظاهره قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٢) فإنه صريح في أنه لا يبقى برّ ولا فاجر إلا يدخلها.

قلت: الورود غير الدخول، كما تدلّ عليه صحيحة الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبدالله عليه السلام في هذه الآية، حيث قال عليه السلام: أما تسمع الرجل يقول وردنا ماء بني فلان، فهو الورود ولم يدخله (٣).

ويشيده قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ (٤) الآية، فإنه عليه السلام ورد الماء ولم يدخله. وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل عن المعنى. فقال: إنّ الله تعالى يجعل النار كالسمن الجامد، ويجمع عليها الخلائق، ثمّ ينادي المنادي: أن خذي أصحابك وذري أصحابي، فوالذي نفسي بيده لهي أعرف بأصحابها من الوالدة بولدها (٥).

قيل: والفائدة في ذلك ما روي في بعض الأخبار أنّ الله تعالى لا يدخل أحداً الجنة حتّى يطلعه على النار وما فيها من العذاب، ليعلم تمام فضل الله عليه، وكمال

(١) المحاسن ص ١٨٠ برقم: ١٧٠.

(٢) سورة مريم: ٧١.

(٣) تفسير القمي ٢: ٥٢.

(٤) سورة القصص: ٢٣.

(٥) مجمع البيان ٣: ٥٢٦.

لطفه وإحسانه إليه، فيزداد بذلك فرحاً وسروراً بالجنة ونعيمها، ولا يدخل أحداً النار حتى يطلعه على الجنة وما فيها من أنواع النعيم والثواب، ليكون ذلك زيادة عقوبة له وحسرة على ما فاته من الجنة ونعيمها^(١).

وورد في بعض الأخبار أن هذه الآية منسوخة بقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾^(٢)(٣) وعلى هذا فلا إشكال.

وفي أمالي الصدوق^(٤): عن النبي ﷺ حديث طويل، وفيه يقول ﷺ لعلي^(٥): يا علي أنت وشيعتك على الحوض، تسقون من أحببتهم، وتمنعون من كرهتم، وأنتم الآمنون يوم الفرع الأكبر في ظلّ العرش، يفرح الناس ولا تفرعون، ويحزن الناس ولا تحزنون، فيكم نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ وفيكم نزلت: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٤)(٥).

وفي حديث طويل عن أبي جعفر^(٦): إن رسول الله وعلي وشيعته على كتبان من المسك الأذفر على منابر من نور، يحزن الناس ولا يحزنون، ويفزع الناس ولا يفزعون، ثم تلا هذه الآية: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾^(٦) فالحسنة والله ولاية علي^(٦)، ثم قال: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ

(١) بحار الأنوار ٨: ٢٥٠.

(٢) سورة الأنبياء: ١٠١.

(٣) تفسير القمي ٢: ٥٢.

(٤) سورة الأنبياء: ١٠٣.

(٥) أمالي الشيخ الصدوق ص ٦٥٧ برقم: ٨٩١.

(٦) سورة النحل: ٨٩.

وَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿ كذا في تفسير علي بن إبراهيم (١) .

وفي محاسن البرقي: عن أبان بن تغلب، قال: قال - يعني أبا عبد الله عليه السلام - : إن الله يبعث شيعتنا يوم القيامة على ما فيهم من الذنوب أو غيره، مبيضة وجوههم، مستورة عورتهم، آمنة روعتهم، قد سهلت لهم الموارد، وذهبت عنهم الشدائد، يركبون نوقاً من ياقوت، فلا يزالون يدورون خلال الجنة، عليهم شرك من نور يتلأأ توضع لهم الموائد، فلا يزالون يطعمون والناس في الحساب، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ (٢) .

وفي من لا يحضره الفقيه: بإسناده إلى أمير المؤمنين سلام الله عليه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ومن خرج من الدنيا لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (٣) من شيعتك ومحبيك يا علي .

قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقلت: يا رسول الله هذا لشيعتي ؟ قال: إي وربّي إنه لشيعتك، وإنهم ليخرجون من قبورهم يقولون (٤): لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي بن أبي طالب حجّة الله، فيؤتون بحلل خضر من الجنة

(١) تفسير القمي ٢: ٧٧ .

(٢) المحاسن ص ١٧٩ برقم ١٦٦ .

(٣) سورة النساء: ٤٨ .

(٤) في المصدر: وهم يقولون .

[وأكليل من الجنة، وتيجان من الجنة] (١) ونجائب من الجنة، فيلبس كل واحد منهم حلّة خضراء، ويوضع على رأسه تاج الملك وإكليل الكرامة، ثم يركبون النجائب، فتطير بهم إلى الجنة ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٢).

وفي روضة الكافي: عن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لأبي بصير: يا أبا محمد لقد ذكركم الله إذ حكى عن عدوكم في النار بقوله: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ (٣) والله ما عني ولا أراد بهذا غيركم، صرتم عند أهل هذا العالم شرار الناس، وأنتم في الجنة تحبرون وفي النار تطلبون الحديث (٤).

وفيه أيضاً: عن بشر بن ميسر، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقال: كيف أصحابك؟ فقلت: جعلت فداك لنحن عندهم أشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا.

قال: وكان متكئاً فاستوى جالساً، ثم قال: كيف؟ قلت: والله لنحن عندهم أشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، فقال: أما والله لا يدخل النار منكم إثنان، لا والله ولا واحد، إنكم الذين قال الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ * إِنَّ

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل .

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤: ٤١٢ .

(٣) سورة ص: ٦٢ - ٦٣ .

(٤) الروضة من الكافي ٨: ٣٦ .

ذَلِكَ لِحَقِّ تَخَاصُمِ أَهْلِ النَّارِ ۖ ثُمَّ قَالَ: طَلِبُوكُمِ وَاللَّهِ فِي النَّارِ فَمَا وَجَدُوا مِنْكُمْ أَحَدًا^(١).

وفي أمالي شيخ الطائفة عليه السلام: بإسناده، قال: دخل سماعة بن مهران على الصادق عليه السلام، فقال له: يا سماعة من شرّ الناس؟ قال: نحن يابن رسول الله، قال: فغضب حتى احمرت وجنتاه، ثم استوى جالساً وكان متكئاً، فقال: يا سماعة من شرّ الناس عند الناس؟ فقلت: والله ما كذبتك يابن رسول الله نحن شرّ الناس عند الناس؛ لأنهم يسمّونا كفّاراً ورافضة.

فنظر إليّ ثمّ قال: كيف إذا سيق بكم إلى الجنّة، وسيق بهم إلى النار، فينظرون إليكم فيقولون: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ يا سماعة بن مهران إنّه من أساء منكم إساءة مشينا إلى الله يوم القيامة بأقدامنا، فنشفع فيه فنشفع، والله لا يدخل النار منكم عشرة رجال، والله لا يدخل النار منكم خمسة رجال، والله لا يدخل النار منكم ثلاثة رجال، والله لا يدخل النار منكم رجل واحد، فتنافسوا في الدرجات، واكمدوا عدوكم بالورع^(٢).

وفي مجمع البيان: وروى العياشي بالاسناد، عن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: إنّ أهل النار يقولون: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ يعنونكم لا يرونكم في النار، لا يرون والله واحداً منكم في النار^(٣). وفي الكافي: عن أبي حمزة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لرجل من الشيعة:

(١) الروضة من الكافي ٨: ٧٨ ح ٣٢، والرواية فيها عن ميسر.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي ص ٢٩٥ - ٢٩٦ برقم: ٥٨١.

(٣) مجمع البيان ٤: ٤٨٤.

أنتم أهل الرضا عن الله جلّ ذكره برضاه عنكم، والملائكة إخوانكم في الخير، فإذا اجتهدتم^(١) ادعوا، وإذا غفلتم اجهدوا، وأنتم خير البرية، دياركم لكم الجنة^(٢)، وقبوركم لكم جنة، وللجنة خلقتم، وفي الجنة نعيمكم، وإلى الجنة تصيرون^(٣)، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

وفي مجمع البيان: في كتاب شواهد التنزيل^(٤) للحاكم أبي القاسم الحسكاني، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، بالاسناد المرفوع إلى يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب علي عليه السلام، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: قبض رسول الله ﷺ وأنا مسنده إلى صدري، فقال: يا علي ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ هم شيعتك وموعدكم الحوض إذا اجتمعت الأمم للحساب، تدعون غرّاً محجلين^(٥) .

وفي أمالي شيخ الطائفة عليه السلام: بإسناده إلى جابر بن عبد الله، قال: كنّا عند النبي ﷺ، فأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال النبي ﷺ: قد أتاكم أخي، ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده، ثم قال: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة .

ثم قال: إنّه أولكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعية، وأقسمكم بالسوية، وأعظمكم عند الله مزية، قال: فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(١) في المصدر: جهدتم .

(٢) في المصدر: جنة .

(٣) الروضة من الكافي ٨: ٣٦٦ .

(٤) شواهد التنزيل ٢: ٣٥٦ .

(٥) مجمع البيان ٥: ٥٢٤ .

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَوْلَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿١﴾ قال: فكان أصحاب محمد ﷺ إذا أقبل علي ﷺ قالوا: جاء خير البرية (١).

وبإسناده إلى يعقوب بن ميثم التمار مولى علي بن الحسين ﷺ، قال: دخلت على أبي جعفر ﷺ، فقلت: جعلت فداك يا بن رسول الله إني وجدت في كتاب أبي أن علياً ﷺ قال لأبي ميثم: أحب حبيب آل محمد وإن كان فاسقاً زانياً، وأبغض مبغض آل محمد وإن كان صواماً، فإني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَوْلَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ثم التفت إليّ وقال: هم والله أنت وشيعتك يا علي، وميعادك وميعادهم الحوض غداً غراً محجلين متوجين، فقال أبو جعفر ﷺ: هكذا هو عياناً في كتاب علي ﷺ (٢).

وفي كتاب سعد السعود لابن طاووس: من كتاب محمد بن العباس بن مروان في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْلَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ وأنها في مولانا علي ﷺ وشيعته، رواه مصنف الكتاب من نحو ستة وعشرين طريقاً أكثرها من رجال الجمهور، ونحن نذكر منها طريقاً واحداً بلفظها:

حدّثنا أحمد بن محمد المحدود، قال: حدّثنا الحسين (٣) بن عبيد بن عبد الرحمن الكندي، قال: حدّثني محمد بن سكين (٤)، قال: حدّثني خالد بن السري الأودي، قال: حدّثني النضر بن إلياس، قال: حدّثني عامر بن وائلة، قال:

(١) أمالي الشيخ الطوسي ص ٢٥١ - ٢٥٢ برقم: ٤٤٨.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي ص ٤٠٥ - ٤٠٦ برقم: ٩٠٩.

(٣) في المصدر: الحسن.

(٤) في المصدر: سليمان.

خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة وهو اجيرات^(١) مجصص، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر الله بما هو أهله، وصلى على نبيه .

ثم قال: أيها الناس سلوني، فوالله لا تسألوني عن آية من كتاب الله إلا حدثتكم عنها متى نزلت بليل أو بنهار، أو في مقام أو في سفر، أم في سهل أم في جبل، وفي من نزلت أفي مؤمن أو منافق، وما عني بها خاصة أم عامة، ولئن فقدتموني لا يحدثكم أحد حديثي .

فقام إليه ابن الكواء، فلما بصر به قال: متعت لا تسأل تعلماً هات سل، فإذا سألت فاعقل ما تسأل عنه، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ فسكت أمير المؤمنين عليه السلام، فأعادها عليه ابن الكواء، فسكت، فأعادها الثالثة، فقال علي عليه السلام ورفع صوته: ويحك يا ابن الكواء أولئك نحن وأتباعنا يوم القيامة غرّاً محجلين رواء مرويين يعرفون بسيماهم^(٢) .

وفي محاسن البرقي: عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال: هم شيعتنا أهل البيت^(٣) .

وروى الحافظ أبو نعيم بإسناده إلى ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: هم أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين

(١) كذا في نسخة الأصل، وفي المصدر مكان الكلمة بياض .

(٢) سعد السعود ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٣) المحاسن ص ١٧١ برقم: ١٤٠ .

مرضيين، ويأتي عدوك غضباناً مقمحين (١).

وفي روضة الواعظين للمفيد رحمته الله (٢): وقال الباقر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي مبتدئاً: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» هم أنت وشيعتك، وميعادكم الحوض إذا حشر الناس، جئت أنت وشيعتك شباعاً مرويين غراً محجلين (٣).

أقول: الغرة في الجبهة بياض فوق الدرهم، ومنه فرس أغر ومهرة غراء، مثل أحمر وحمراء (٤).

والتحجيل: بياض يكون في قوائم الفرس، أو ثلث منها، أو في رجله قل أو كثر، بعد أن يتجاوز الارساع ولا يتجاوز الركبتين والعرقوين، ولا يكون التحجيل باليد واليدين ما لم يكن معهما رجل أو رجلان.

وفي حديث علي عليه السلام «قائد الغر المحجلين» أي: مواضع الوضوء من الأيدي والأقدام إذا دعوا على رؤوس الأشهاد، أو إلى الجنة كانوا على هذا النهج، استعار أثر الوضوء في الوجه واليدين والرجلين للإنسان من البياض الذي يكون في وجه الفرس ويديه ورجليه.

هذا وفي تفسير العياشي: عن محمد بن سابق بن طلحة الأنصاري، قال: ممّا قال هارون لأبي الحسن موسى عليه السلام حين أدخل عليه: ما هذه الدار؟ ودار من هي؟

(١) رواه جماعة من أعلام القوم راجع: إحقاق الحق ٧: ٣٠٣-٣٠٥.

(٢) كذا في نسخة الأصل تبعاً لما في تفسير نور الثقلين، والصحيح أن كتاب روضة الواعظين هو للشيخ الشهيد ابن فتال النيسابوري.

(٣) تفسير نور الثقلين ٥: ٦٤٥ ح ١٤.

(٤) مجمع البحرين ٣: ٤٢٢.

قال: لشيعتنا فترة، ولغيرهم فتنة. قال: فما بال صاحب الدار ألا يأخذ^(١)؟ قال: أخذت منه عامرة، ولا يأخذها إلا معمورة، فقال: أين شيعتك؟ فقرأ أبو الحسن عليه السلام: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (٢) قال: فنحن كفار؟ قال: لا ولكن كما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ (٣) كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ﴾ فغضب عند ذلك وغلظ عليه^(٤).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي العباس المكبّر، قال: دخل مولى لامرأة علي بن الحسين عليّ أبي جعفر عليه السلام يقال له: أبو أيمن، فقال له: يا أبا جعفر تعرّون الناس وتقولون شفاعة محمّد شفاعة محمّد عليه السلام. فغضب أبو جعفر عليه السلام حتّى تربّد وجهه، ثمّ قال: ويحك يا أبا أيمن أغرّك إن عفّ بطنك وفرجك، أما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله، ويحك وهل يشفع إلا لمن وجبت له النار.

ثمّ قال: ما من أحد من الأوّلين والآخريّن إلا وهو محتاج إلى شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة.

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ لرسول الله صلى الله عليه وآله الشفاعة في أمّته، ولنا الشفاعة في شيعتنا، ولشيعتنا شفاعة في أهاليهم.

ثمّ قال: وإنّ المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر، وإنّ المؤمن ليشفع حتّى

(١) في المصدر: لا يأخذها.

(٢) سورة البيّنة: ١.

(٣) في تفسير علي بن إبراهيم قال الصادق عليه السلام: نحن والله نعمة الله التي أنعم بها على عباده وبنا فاز من فاز «منه».

(٤) تفسير العياشي ٢: ٢٢٩ - ٢٣٠.

لخادمه، يقول: حقّ خدمتي كان يقيني الحرّ والبرد^(١).

وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى أبي إسحاق الليثي، قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر^(ع): يا بن رسول الله إنّي لأجد من شيعتكم من يشرب الخمر، ويقطع الطريق، ويخيف السبيل^(٢)، ويزني، ويلوط، ويأكل الربا، ويرتكب الفواحش، ويتهاون بالصلاة والصيام والزكاة، ويقطع الرحم، ويأتي بالكبائر، وكيف هذا؟! ولم ذلك؟!

فقال: يا إبراهيم هل يختلج في صدرك شيء غير هذا؟

قلت: يا بن رسول الله أخرجني أعظم من ذلك!

فقال: وما هو يا أبا إسحاق؟

قال: فقلت: يا بن رسول الله وأجد من أعدائكم ومن ناصبكم^(٣) من يكثّر الصلاة والصيام، ويخرج الزكاة، ويتابع بين الحجّ والعمرة، ويحضّ^(٤) على الجهاد، ويأثر على البرّ وعلى صلة الرحم، ويقضي حقوق إخوانه، ويواسيهم من ماله، ويجتنب شرب الخمر والزنا واللواط وسائر الفواحش، ممّ ذلك؟! ولم ذلك؟! وفسّره لي يا بن رسول الله وبرهنه وبيّنه، فقد والله كثر فكري، وأسهر ليلي، وضاق ذرعي.

قال: فتبسّم صلوات الله عليه، ثمّ قال: يا إبراهيم خذ إليك بياناً شافياً فيما

(١) تفسير القمّي ٢: ٢٠٢.

(٢) في المصدر: السبل.

(٣) في المصدر: ومناصبيكم.

(٤) في المصدر: يحرص.

سألت، وعلماً مكنوناً من خزائن علم الله وسرّه، أخبرني يا إبراهيم كيف تجد اعتقادهما؟

قلت: يابن رسول الله أجد محبيكم وشيعتكم على ما هم فيه ممّا وصفته من أفعالهم لو أُعطي أحدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضّة أن يزول عن ولايتكم لما فعل^(١)، ولا عن محبتكم إلى موالاته غيركم وإلى محبتهم، ما زال ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيكم، ولو قتل فيكم ما ارتدع ولا رجع عن محبتكم وولايتكم، وأرى الناصب على ما هو عليه ممّا وصفته من أفعالهم لو أُعطي أحدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضّة أن يزول عن محبته للطواغيت وموالاتهم إلى موالاتكم ما فعل ولا زال، ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيهم، ولو قتل ما ارتدع ولا رجع، وإذا سمع أحدهم من نعتكم وفضلاً أشمأز من ذلك وتغيّر لونه، ورأى كراهية ذلك في وجهه بغضاً لكم ومحبة لغيركم.

فتبسّم الباقر^(ع)، ثمّ قال: يا إبراهيم ها هنا هلكت العامّة الناصبة، تصلى ناراً

(١) وممّا يصدق قول أبي إسحاق هذا ما في روضة الكافي [ص ٣٤٦] عن أحمد بن عمر قال: دخلت على أبي الحسن الرضا^(ع) أنا وحسين بن ثوير بن أبي فاختة، فقلت له: جعلت فداك إنا كنّا في سعة من الرزق، وغضارة من العيش، فتغيّرت الحال بعض التغيير، فادع الله عزّ وجلّ أن يرّد ذلك إلينا، فقال: أي شيء تريدون تكونون ملوكاً؟ أيسرّك أن تكون مثل طاهر وهرثمة وأنك على خلاف ما أنت عليه؟ قلت: لا والله ما يسرّني أن لي الدنيا بما فيها ذهباً وفضّة وأنّي على خلاف ما أنا عليه. قال: فقال: فمن أيسر منكم فليشكر الله الحديث وطوله. وفي الحقيقة الدنيا وما فيها في جنب نعمة التشيع ليس بشيء؛ لأنّها زائلة فانية، وتلك دائمة باقية، وشتان ما بينهما، فليعرف الشيعة قدرها، وليشكر الله عليها «منه».

حامية، تسقى من عين آنية^(١)، ومن ذلك قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾^(٢) ويحك يا إبراهيم أتدري ما السبب والقصة في ذلك؟ وما الذي قد خفي على الناس منه؟

قلت: يا بن رسول الله فيّنه لي واشرحه وبرهنه .

قال: يا إبراهيم إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً قديماً خلق الأشياء لا من شيء، ومن زعم أنّ الله عزّ وجلّ خلق الأشياء من شيء فقد كفر؛ لأنّه لو كان ذلك الشيء خلق منه الأشياء قديماً في أزلته وهويته كان ذلك الشيء أزلياً، بل خلق عزّ وجلّ الأشياء كلّها لا من شيء .

ومما خلق الله عزّ وجلّ أن خلق أرضاً طيبة، ثمّ فجر منها ماءً عذباً زلالاً، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها، فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتّى طبقتها وعمّها، ثمّ نضب ذلك الماء عنها، فأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً، فجعله طين الأئمة عليهم السلام، ثمّ أخذ ثفل ذلك الطين فخلق منه شيعةنا، ولو ترك طينتكم يا إبراهيم كما ترك طينتنا لكنتم أنتم ونحن شيئاً واحداً .

قلت: يا بن رسول الله فما فعل بطينتنا؟

قال: أخبرك يا إبراهيم خلق الله عزّ وجلّ بعد ذلك أرضاً سبخة خبيثة منتنة، ثمّ فجر منها ماءً أجاجاً مالحاً، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فلم يقبلها، فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتّى طبقتها وعمّها، ثمّ نضب ذلك الماء عنها، ثمّ أخذ من ذلك الطين فخلق منه الطغاة وأمهم، ثمّ مزجه بثفل طينتكم، ولو ترك طينتهم على

(١) اقتباس من قوله تعالى في سورة الغاشية: ٣ - ٥ .

(٢) سورة الفرقان: ٢٣ .

حاله ولم يمزج بطينتكم لم يشهدوا الشهادتين، ولا صلّوا ولا صاموا ولا زكّوا ولا حجّوا، ولا أدّوا أمانة، ولا أشبهوكم في الصور، وليس شيء أعظم على المؤمن أن يرى صورة عدوّه مثل صورته .

قلت: يابن رسول الله فما صنع بالطينتين ؟

قال: مزج بينهما بالماء الأوّل والماء الثاني، ثمّ عركهما عرك الأديم، ثمّ أخذ من ذلك قبضة، فقال: هذه إلى الجنّة ولا أبالي، وأخذ قبضة أخرى وقال: هذه إلى النار ولا أبالي، ثمّ خلط بينهما، فوقع من سنخ المؤمن وطينته على سنخ الكافر وطينته، ووقع من سنخ الكافر وطينته على سنخ المؤمن وطينته .

فما رأيته من شيعتنا من زنا أو لواط أو ترك صلاة أو صيام أو حجّ أو جهاد أو خيانة أو كبيرة من هذه الكبائر، فهو من طينته الناصب وعنصره الذي قد مزج فيه؛ لأنّ من سنخ الناصب، وطينته اكتساب المآثم والفواحش والكبائر .

وما رأيته من الناصب من مواظبته على الصلاة والصيام والزكاة والحجّ والجهاد وأبواب البرّ، فهو من طينة المؤمن وسنخه الذي قد مزج فيه؛ لأنّ من سنخ المؤمن وعنصره، وطينته اكتساب الحسنات واستعمال الخير واجتناب المآثم .

فإذا عرضت هذه الأعمال كلّها على الله عزّ وجلّ، قال: أنا الله عدل لا أجور، ومنصف لا أظلم، وحكيم لا أحييف ولا أميل ولا أشطط، ألحقوا الأعمال السيّئة التي اجترحها المؤمن بسنخ الناصب وطينته، وألحقوا الأعمال الحسنة التي اكتسبها الناصب بسنخ المؤمن وطينته، ردّوها كلّها إلى أصلها، فإنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا عالم السرّ وأخفى، وأنا المطّلع على قلوب عبادي، لا أحييف ولا أظلم، ولا ألزم إلاّ ما عرفته منه قبل أن أخلقه .

ثمّ قال الباقر عليه السلام: اقرأ هذه الآية. قلت: آية آية؟ قال: قوله تعالى: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ

تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعِنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ ﴿١﴾ هو في الظاهر ما تفقهونه (٢) هو والله في الباطن هذا بعينه، يا إبراهيم إنَّ للقرآن ظاهراً وباطناً ومحكماً ومتشابهاً وناسخاً ومنسوخاً .

وساق الكلام ﷺ إلى أن قال: أزيدك بياناً في هذا المعنى من القرآن؟ قال: قلت: بلى يا بن رسول الله. قال: أليس الله عز وجل يقول: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٣) وقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾ * لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٤﴾ قلت: سبحان الله العظيم ما أوضح ذلك لمن فهمه، وما أعمى قلوب هذا الخلق المنكوس عن معرفته .

ثم قال ﷺ بعد كلام من هذا القبيل: يا إبراهيم أزيدك بياناً في هذا المعنى من القرآن؟ قلت: بلى يا بن رسول الله. قال ﷺ: ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (٥) يبدل الله سيئات شيعتنا حسنات، وحسنات أعدائنا سيئات، يفعل الله ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٦) هذا يا إبراهيم من باطن علم الله المكنون ومن سرّه

(١) سورة يوسف: ٧٩ .

(٢) في المصدر: تفهمونه .

(٣) سورة النور: ٢٦ .

(٤) سورة الأنفال: ٣٧ .

(٥) سورة الفرقان: ٧٠ .

(٦) سورة الأنبياء: ٢٣ .

المخزون^(١).

وفي تفسير أبي محمد العسكري عليه السلام: عن الصادق عليه السلام في حديث طويل: إن المؤمن يوقف بإزائه ما بين مائة وأكثر من ذلك إلى مائة ألف ألف من النَّصَّاب، فيقال له: هؤلاء فداؤك من النار، فيدخل هؤلاء المؤمنون إلى الجنَّة، وأولئك النَّصَّاب إلى النار^(٢).

والحاصل أن النَّاصب بحسب مقتضى طبيئته الخبيثة إنما يميل إلى المعاصي بطبعه وسجيئته، وضميره معقود على فعلها دائماً إن تيسر له؛ لأنَّه من أهلها، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾^(٣) والأعمال الحسنة منه غريبة ليس صدورها من طبيئته الأصلية.

وهذا بخلاف المؤمن، فإنَّه بمقتضى طبيئته الطيبة إنما يرتكب القبيح بكره من عقله، ووجل من قلبه، وخوف من ربه؛ لأنَّ صدورَه منه غريب من سجيئته وطبعه الأصلي، إذ ليس هو من أهلها، ولهذا لا يعاقب عليه، بل يثاب بما لم يفعل من الخيرات، لميله إليها، وحرصه عليها، وعقد ضميره على فعلها دائماً إن تيسر له، فإنَّ الأعمال بالنيات.

وفي حديث المعصومين عليهم السلام: إنما يجمع الناس الرضا والسخط، فمن رضي شيئاً فكأنما أتى به وإن لم يفعله، ومن سخط شيئاً فكأنما لم يأت به وإن فعله^(٤).

(١) علل الشرائع ص ٦٠٦ - ٦١٠.

(٢) بحار الأنوار ٨: ٤٤ - ٤٥ عن تفسير الامام العسكري عليه السلام ص ٢٤١.

(٣) سورة الأنعام: ٢٨.

(٤) بحار الأنوار ٦٨: ٢٦٢.

وكما يجازي الناصب بحسناته في الدنيا، كذلك المؤمن بسنيّاته بما تصيبه من الآلام، ثمّ بتشديد الموت، ثمّ بعذاب البرزخ، حتّى يلقى الله طاهراً مطهّراً، كما ورد في الآيات والروايات .

وأما الشبهة الموردة على حديث الطينة، فذكرناها مع جوابها في رسالة لنا معمولة في نفي الجبر والتفويض، فليطلب من هناك .

هذا، وفي تفسير العياشي: عن مصقلة الطحّان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما يمنعكم أن تشهدوا على من مات منكم على هذا الأمر أنّه من أهل الجنّة، إنّ الله يقول: ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)(٢) .

وفي أصول الكافي: بإسناده إلى محمّد بن الفضيل، عن الرضا عليه السلام، قال: قلت له: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٣) قال: بولاية محمّد وآل محمّد عليهم السلام هو خير ممّا يجمع هؤلاء من دنياهم (٤) .

وفي أمالي الصدوق عليه السلام: بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل وفيه يقول صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام: والذي بعث محمّداً بالحقّ نبياً ما آمن بي من أنكرك، ولا أقرّ بي من جحدك، ولا آمن بالله من كفر بك، وإنّ فضلك لمن فضلي، وإنّ فضلي لفضل الله عزّ وجلّ، وهو قول ربّي عزّ وجلّ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥) فضل الله نبوّة نبيّكم، ورحمته ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام،

(١) سورة يونس: ١٠٣ .

(٢) تفسير العياشي ٢: ١٣٨ ح ٥١ .

(٣) سورة يونس: ٥٨ .

(٤) أصول الكافي ١: ٤٢٣ ح ٥٥ .

(٥) سورة يونس: ٥٨ .

فبذلك قال بالنبوة والولاية «فليفرحوا» يعني: الشيعة «هو خير ممّا يجمعون»
يعني: مخالفهم من الأهل والمال والولد في دار الدنيا^(١).

وفي تفسير العياشي: عن الأصعب بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ قال: فليفرح شيعتنا هو خير ممّا أعطي عدونا من الذهب والفضة^(٢).

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قال: الإقرار بنبوة محمّد عليه وآله السلام، والايتمار^(٣) بأمر المؤمنين عليهم السلام هو خير ممّا يجمع هؤلاء في دنياهم^(٤).

وعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام: يغدو الناس على ثلاثة أصناف: عالم، ومتعلّم، وغثاء، فنحن العلماء، وشيعتنا المتعلّمون، وسائر الناس غثاء^(٥).

الغثاء: بالضمّ والمدّ ما يجيء فوق السيل ممّا يحمل من الزبد والوسخ وغيره، يريد أراذل الناس وسقاطهم، شبههم بذلك لدناءة قدرهم وخفة أحلامهم.

وفي احتجاج الطبرسي: عن الحسن بن علي عليه السلام أنه قال في كلام له: فمن أخذ بما عليه أهل القبلة الذي ليس فيه اختلاف وردّ علم ما اختلفوا فيه إلى الله، سلم ونجى من النار ودخل الجنة، ومن وقّعه الله ومنّ عليه واحتجّ عليه، بأن نور قلبه بمعرفة ولاية الأمر من أئمّتهم ومعدن العلم أين هو، فهو عند الله سعيد والله ولي.

(١) أمالي الشيخ الصدوق ص ٥٨٣ برقم: ٨٠٣، وتفسير نور الثقلين ٢: ٣٠٨ ح ٨٦.

(٢) تفسير العياشي ٢: ١٢٤ ح ٢٨.

(٣) في المصدر: والايتمار.

(٤) تفسير العياشي ٢: ١٢٤ ح ٢٩.

(٥) الخصال ص ١٢٣ ح ١١٥.

ثم قال بعد كلام: إنّما الناس ثلاثة: مؤمن يعرف حقنا ويسلم لنا ويأتم بنا، فذلك ناج محبّ لله ولي، وناصب لنا العداوة يتبرأ منا ويلعننا ويستحلّ دماءنا ويجحد حقنا، ويدين الله بالبراءة منا، فهذا كافر مشرك فاسق، وإنّما كفر وأشرك من حيث لا يعلم، كما يسبّوا الله عدواً بغير علم، كذلك يشرك بالله بغير علم .
ورجل أخذ بما لا يختلف فيه وردّ علم ما أشكل فيه إلى الله تعالى مع ولايتنا، ولا يأتم بنا، ولا يعاديننا، ولا يعرف حقنا، فنحن نرجو أن يغفر الله له ويدخله الجنة، فهذا مسلم ضعيف (١).

وفي معاني الأخبار: بإسناده إلى محمد بن عمارة، قال: حضرت عند جعفر بن محمد عليه السلام، فدخل عليه رجل فسأله عن «كهيعص» فقال عليه السلام: «كاف» كاف لشيعتنا «ها» هاد لهم «يا» ولي لهم «عين» عالم بأهل طاعتنا «صاد» صادق لهم وعده (٢) حتّى يبلغ بهم المنزلة التي وعدهم إيّاهم في بطن القرآن (٣).

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما عرج بي ربّي جلّ جلاله أتاني النداء: يا محمد، قلت: لبيك ربّ العظمة لبيك، فأوحى الله إليّ: يا محمد فيم اختصم الملائة الأعلى؟ فقلت: لا علم لي إلهي، فقال: يا محمد هلاّ اتخذت من الآدميين وزيراً وأخاً ووصياً من بعدك؟ قلت: إلهي ومن أتخذ؟ تخير أنت لي يا إلهي .

فأوحى الله إليّ: يا محمد قد اخترت لك من الآدميين علي بن أبي طالب، فقلت:

(١) الاحتجاج ٢: ٦ - ٨ .

(٢) في المصدر: وعدهم .

(٣) معاني الأخبار ص ٢٨ .

إلهي ابن عمي؟ فأوحى الله إليّ: يا محمد إنّ علياً وارثك ووارث العلم من بعدك، وصاحب لواءك لواء الحمد يوم القيامة، وصاحب حوضك يسقي من ورد عليه من مؤمني أمتك.

ثم أوحى الله إليّ: يا محمد إنني أقسمت على نفسي قسماً حقاً لا يشرب من ذلك الحوض مبغض لك ولأهل بيتك وذريّتك الطيبين الطاهرين حقاً حقاً، أقول: يا محمد لأدخلنّ جميع أمتك الجنّة إلاّ من أبى من خلقي.

فقلت: إلهي هل واحد يأبى من دخول الجنّة؟

فأوحى الله إليّ: بلى.

فقلت: وكيف يأبى؟

فأوحى الله إليّ: يا محمد اخترتك من خلقي، واخترت لك وصيًّا من بعدك، وجعلته منك بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدك، وألقيت محبته في قلبك، وجعلته أباً لولدك، فحقه بعدك على أمتك كحقك عليهم في حياتك، فمن جحد حقه جحد حقك، ومن أبى أن يواليه فقد أبى أن يواليك، ومن أبى أن يواليك فقد أبى أن يدخل الجنّة.

فخررت لله عزّ وجلّ ساجداً شكراً لما أنعم، فإذا منادٍ ينادي: إرفع رأسك واسألني أعطك، فقلت: إلهي أجمع أمتي من بعدي على ولاية علي بن أبي طالب ليردوا جميعاً على حوضي يوم القيامة.

فأوحى الله إليّ: يا محمد إنني قد قضيت في عبادي قبل أن أخلقهم وقضائي ماضٍ فيهم لأهلك به من أشاء وأهدي به من أشاء، وقد آتيته علمك من بعدك، وجعلته وزيرك وخليفتك من بعدك على أهلك وأمتك، عزيمة مني لا أدخل الجنّة من أبغضه وعاداه وأنكر ولايته بعدك، فمن أبغضه أبغضك، ومن أبغضك أبغضني،

ومن عاداه فقد عاداك، ومن عاداك فقد عاداني، ومن أحبّه فقد أحبّك، ومن أحبّك فقد أحبّني .

وقد جعلت له هذه الفضيلة، وأعطيتك أن أخرج من صلبه أحد عشر مهدياً كلّهم ذرّيتك من البكر البتول، وآخر رجل منهم يصلي خلفه عيسى بن مريم، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت منهم ظلماً وجوراً، أنجي به من الهلكة، وأهدي به من الضلالة، وأبرأ به من العمى، وأشفي به المريض الحديث^(١) .

وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خلق الله خلقاً أفضل منّي، ولا أكرم عليه منّي .

قال علي عليه السلام: فقلت: يا رسول الله أفأنت أفضل أم جبرئيل؟

فقال صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من ولدك، فإنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا يا علي ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢) بولايتنا الحديث^(٣) .

وفي الخرائج والجرائح: بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ الله فضّل أولي العزم من الرسل على الأنبياء بالعلم، وفضّلنا عليهم في فضلهم، وعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ما لا يعلمون، وعلمنا علم رسول الله، فروينا لشيعتنا، فمن قبله منهم فهو

(١) كمال الدين ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٢) سورة غافر: ٧ .

(٣) علل الشرائع ص ٥ .

أفضلهم، وأينما نكون فشيعتنا معنا^(١).

وفي هذه الأخبار من البشارة للشيعة والاشارة إلى فضلهم وقدرهم عند الله وعندهم ﷺ ما لا يخفى.

ومثلها ما في أصول الكافي: بإسناده إلى أبي الصباح الكناني، عن أبي جعفر ﷺ: ما خلق الله خلقاً أكرم على الله عزّ وجلّ من مؤمن؛ لأن الملائكة خدّام المؤمنين، وإنّ جوار الله للمؤمنين، وإنّ الجنّة للمؤمنين، وإنّ الحور العين للمؤمنين الحديث^(٢).

وما في كتاب الاحتجاج للطبرسي: عن النبي ﷺ حديث طويل، وفيه: يا رسول الله أخبرنا عن عليّ ﷺ هو أفضل أم ملائكة الله المقربون؟ فقال رسول الله ﷺ: وهل شرفت الملائكة إلّا بحبّها لمحمّد وعليّ وقبولها ولايتهما، أنّه لأحد من محبّي عليّ ﷺ نظف قلبه من قدر الغشّ والدغل والغلّ ونجاسة الذنوب إلّا لكان أظھر وأفضل من الملائكة^(٣).

وفي كتاب الخصال: عن أبي عبدالله ﷺ، قال: المؤمن أعظم حرمة من الكعبة^(٤).

وفي عيون الأخبار: بإسناده إلى الرضا ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ المؤمن يعرف بالسماء كما يعرف الرجل [أهله و]^(٥) ولده، وأنّه لأكرم على الله تعالى من

(١) بحار الأنوار ٢: ٢٠٥.

(٢) أصول الكافي ٢: ٣٣ ح ٢.

(٣) الاحتجاج ١: ٥٢، بحار الأنوار ١١: ١٣٦.

(٤) الخصال ص ٢٧ ح ٩٥.

(٥) الزيادة من المصدر.

ملك مقرّب (١).

وفي تفسير العياشي: بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام، قال: من قرأ سورة الأنفال وسورة البراءة في كلّ شهر لم يدخله نفاق أبداً، وكان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام حقاً، ويأكل (٢) يوم القيامة من موائد الجنّة مع شيعته عليه السلام حتّى يفرغ الناس من الحساب (٣).

وفي روضة الكافي: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن مالك بن عطية، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام - فالسند صحيح - قال عليه السلام: إنّ إبراهيم عليه السلام خرج ذات يوم يسير ببعير، فمرّ بفلات من الأرض، فإذا هو برجل قائم يصلّي قد قطع الأرض إلى السماء طوله ولباسه شعر.

قال: فوقف عليه إبراهيم عليه السلام وعجب منه، وجلس ينتظر فراغه، فلمّا طال عليه حرّكه بيده، فقال له: إنّ لي حاجة فخفّف. قال: فخفّف الرجل وجلس إبراهيم عليه السلام، فقال له إبراهيم: لمن تصلّي؟ فقال: لآله إبراهيم. فقال له: من آله إبراهيم؟ فقال: الذي خلقتك وخلقني.

فقال له إبراهيم عليه السلام: قد أعجبنى نحوك (٤) وأنا أحبّ أن أواخيك في الله، أين منزلك إذا أردت زيارتك ولقاءك؟ فقال له الرجل: منزلي خلف هذه النطفة (٥).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٣٣ ح ٦٢.

(٢) في المصدر: وأكل.

(٣) تفسير العياشي ٢: ٤٦، ويستفاد منه أنّ شيعته عليه السلام لا حساب عليهم، كما هو صريح بعض الأخبار، ولهذه المناسبة ذكرناه هنا، فافهم «منه».

(٤) نحوك: مثلك، أو طريقتك في العبادة «منه».

(٥) النطفة بالضمّ الماء الصافي قلّ أو كثر، كذا في القاموس. وقيل: النطفة البحر وهو

وأشار بيده إلى البحر، وأما مصلاي فهذا الموضع تصيبني فيه إذا أردتني إن شاء الله .

قال: ثم قال الرجل لإبراهيم عليه السلام: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: نعم. فقال: وما هي؟ قال: تدعو الله وأؤمن على دعائك وأدعو أنا فتؤمن على دعائي. فقال الرجل: فيما ندعو الله؟ فقال إبراهيم عليه السلام: للمذنبين من المؤمنين. فقال الرجل: لا. فقال إبراهيم عليه السلام: ولم؟ فقال: لأنني قد دعوت الله عز وجل منذ ثلاث سنين بدعوة لم أر إجابتها حتى الساعة، وأنا أستحيي من الله عز وجل أن أدعوه حتى أعلم أنه قد أجابني .

فقال إبراهيم عليه السلام: فيم دعوته ؟

فقال له: إني في مصلاي هذا ذات يوم إذ مرّ بي غلام أروع^(١)، النور يطلع من جبهته، له ذؤابة من خلفه، ومعه بقر يسوقها كأنما دهنت^(٢) دهناً، وغنم يسوقها كأنما دحست^(٣) دحساً، فأعجبني ما رأيت منه، وقلت له: يا غلام لمن هذا البقر والغنم؟ فقال: لي^(٤)، فقلت: ومن أنت؟ فقال: أنا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن، فدعوت الله عز وجل وسألته أن يريني خليله .

⇒ الظاهر من الحديث «منه» .

- (١) الأروع من الرجال من يعجبك حسنه، ومنه قولهم «مرّ بي غلام أروع اللون» «منه» .
 (٢) ودهنت أي: طلاه بالدهن، وهو كناية عن سمنها، أي: ملئت دهناً. أو صفائها أي: طليت به «منه» .
 (٣) وكلّ شيء ملأته فقد دحسته، ومنه «دحست الغنم دحساً» يريد أنها سمينه مملوءة «منه» .

(٤) في المصدر: فقال لي لإبراهيم عليه السلام .

فقال له إبراهيم عليه السلام: فأنا إبراهيم خليل الرحمن، وذلك الغلام ابني .

فقال له الرجل عند ذلك: الحمد لله الذي أجاب دعوتي، قَبِلَ الرجل صفحتي إبراهيم عليه السلام وعانقه، ثم قال: أمّا الآن فقم حتّى أوّمن على دعائك، فدعا إبراهيم عليه السلام للمؤمنين والمؤمنات والمذنبين من يومه ذلك ^(١) بالمغفرة والرضا عنهم. قال: وأمّن الرجل على دعائه .

قال أبو جعفر عليه السلام: فدعوة إبراهيم عليه السلام بالغة للمؤمنين المذنبين من شيعتنا إلى يوم القيامة ^(٢) .

ويستفاد منه أنّ غير الشيعة الاثنا عشرية من سائر فرق أهل الإسلام ليسوا بمؤمنين، كما هو صريح كثير من الأخبار الصحيحة، ولذلك لم يشملهم دعاء إبراهيم عليه السلام، ولا شك أنّ دعوته عليه السلام مستجابة، وخاصّة هذه الدعوة التي أمّن عليها هذا الرجل المستجاب الدعوة، فيظهر منه أنّ ذنوب مذنبى الشيعة كلّهم مغفورة كلّها، وأنّهم في رضوان من الله ورحمة منه .

وفي الكافي: عن داود بن كثير الرقي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما معنى السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

فقال: إنّ الله تبارك وتعالى لما خلق نبيّه ووصيّه وابنته وابنيه وجميع الأئمّة، وخلق شيعتهم أخذ عليهم الميثاق، وأن يصبروا ويصابروا ويرابطوا، وأن يتّقوا الله. ووعدهم أن يسلمّ لهم الأرض المباركة والحرم الآمن، وأن ينزل لهم البيت المعمور، ويظهر لهم السقف المرفوع، ويريحهم من عدوّهم والأرض التي بيدّها

(١) في كمال الدين: من يومه ذلك إلى يوم القيامة «منه» .

(٢) الروضة من الكافي ٨: ٣٩٢ - ٣٩٤ .

الله من السلام، ويسلم ما فيها لهم لاشية فيها .

قال: لا خصومة فيها لعدوهم، وأن يكون لهم فيها ما يحبون، وأخذ رسول الله ﷺ على جميع الأئمة وشيعتهم الميثاق بذلك، وإنما السلام عليه تذكرة نفس الميثاق، وتجديد له على الله، لعله أن يجعله جلّ وعزّ، ويجعل السلام لكم بجميع ما فيه (١).

وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى ابن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كنّا عنده فذكرنا رجلاً من أصحابنا. فقلنا: فيه حدة، فقال: من علامات المؤمن أن تكون فيه حدة، قال: فقلنا له: إنّ عامّة أصحابنا فيهم حدة .

فقال: إنّ الله تبارك وتعالى في وقت ما ذرأهم أمر أصحاب اليمين وأنتم هم أن يدخلوا النار، فدخلوها فأصابتهم وهج، فالحدة من ذلك الوهج، وأمر أصحاب الشمال وهم مخالفوهم أن يدخلوا النار فلم يفعلوا، فمن ثمّ لهم سمت ولهم وقار (٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ أطفال شيعتنا من المؤمنين تربّيه فاطمة عليها السلام (٣).

يعني: إذا مات طفل من أطفال المؤمنين دفع إلى فاطمة - صلوات الله عليها - لتغذوه وتربّيه حتّى يقدم أبواه أو أحدهما أو بعض أهل بيته من المؤمنين فتدفعه إليه، كما ورد في خبر آخر .

(١) أصول الكافي ١: ٤٥١ ح ٣٩ .

(٢) علل الشرائع ص ٨٥ ح ١ .

(٣) بحار الأنوار ٦: ٢٢٩ .

وفي كتاب سعد السعود لابن طاووس رحمته الله: نقلاً عن مختصر كتاب محمد بن العباس بن مروان، بإسناده إلى جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل يذكر فيه شيعة علي عليه السلام وحالهم في الجنة .

وفيه يقول صلى الله عليه وآله بعد أن ذكر دخولهم الجنة على النجائب: تقودهم الملائكة، فينطلقون صفّاً واحداً معتدلاً لا يفوت منهم شيء شيئاً، ولا يفوت إذن ناقة ناقتها، ولا بركة ناقة بركتها، ولا يمرّون بشجرة من أشجار الجنة إلا ألحقتهم بشمارها ورحلت لهم عن طريقهم، كراهية أن تتلم (١) طريقهم، وأن تفرق بين الرجل ورفيقه .

فلما رفعوا إلى الجبار تبارك وتعالى قالوا: ربنا أنت السلام [ومنك السلام] (٢) ولك يحقّ الجلال والإكرام. قال: فقال: أنا السلام، ومنّي السلام، ولي يحقّ الجلال والإكرام، فمرحّباً بعبادي الذين حفظوا وصيتي في أهل بيت نبيي، وراعوا حقّي، وخافوني بالغيب، وكانوا منّي على كل حال مشفقين (٣) .

وفي كتاب مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف رحمته الله (٤) من أشعار الحسين عليه السلام في موقف كربلاء :

(١) في المصدر: تتلم .

(٢) الزيادة من المصدر .

(٣) سعد السعود ص ١١٠ .

(٤) هو المؤرّخ الكبير والمحدّث الإمامي لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سالم الأردني يعرف بأبي مخنف، توفي سنة (١٥٨) وكتابه هذا يعبر عنه بوقعة الطف المطبوع عدّة مرّات، وهذه الأشعار لم توجد في المطبوع من الكتاب .

أنا ابن علي الحرّ من آل هاشم
 بنا بين الله الهدى عن ضلالة
 علينا وفينا أنزل الوحي والهدى
 ونحن ولاية الحوض نسقي محبنا
 وشيعتنا في الناس أكرم شيعة
 فطوبى لعبد زارنا بعد موتنا
 كفاني بهذا مفخراً حين أفخر
 ويعمر بنا دين الإله ويظهر
 ونحن سراج الله في الأرض يزهر
 بكأس رسول الله ما ليس ينكر
 ومبغضنا يوم القيامة يخسر
 بجنة عدن صفوها لا يكدر

وفي كتاب سعد السعود لابن طاووس: نقلاً عن تفسير محمد بن العباس بن مروان، بإسناده إلى جعفر بن محمد، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل، وفيه يقول صلى الله عليه وآله مخاطباً للمقداد بعد أن ذكر شيعة علي عليه السلام وكرامتهم عند الله: فلا يزالون يا مقداد محبي ^(١) علي بن أبي طالب عليه السلام في العطايا والمواهب، حتى أن المقصر من شيعة علي عليه السلام يتميز في أمنيته مثل جميع الدنيا منذ خلقها الله إلى يوم القيامة، قال لهم ربهم تبارك وتعالى: قصرتم في أمانيتكم، ورضيتم بدون ما يحقّ لكم، فانظروا إلى مواهب ربكم .

فإذا بقباب وقصور في أعلى عليين من الياقوت الأحمر والأخضر والأبيض والأصفر يزهو نورها، فلولاً أنه مسخر إذا للمعت ^(٢) الأبصار منها، فما كان من تلك القصور من الياقوت الأحمر مفروش بالسندس ^(٣) الأخضر. وما كان منها من

(١) في المصدر: محبوا .

(٢) في المصدر: إذ التمعت .

(٣) السندس: بالضمّ ضرب من رقيق الديباج معرّب منه .

الياقوت الأبيض، فهو مفروش بالرباط^(١) الصفر مبنوثة^(٢) بالزبرجد الأخضر والفضة البيضاء والذهب الأحمر، قواعدها وأركانها من الجوهر ينور من أبوابها وأعراضها نور شعاع الشمس عنده، مثل الكوكب الدرّي^(٣) في النهار المضيء، وإذا على باب كل قصر من تلك القصور جنتان مدهامتان^(٤) فيهما عينان نضّاختان^(٥)، وفيهما من كل فاكهة زوجان^(٦).

وفي أمالي شيخ الطائفة عليه السلام بإسناده إلى ابن عباس، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾^(٧) فقال: قال لي جبرئيل عليه السلام: ذلك علي وشيعته هم السابقون إلى الجنة المقربون من الله بكرامته لهم^(٨).

وفي روضة الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمرو بن أبي المقدام - فالسند صحيح - قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال أبي لأناس من

(١) الرباط: ما يشدّ به القرية. والمراد به هنا البساط «منه».

(٢) والمبثوث: المنشور والمتفرّق «منه».

(٣) والكوكب الدرّي: بضم الدال وقد يكسر الثاقب المضيء الشديد الانارة، نسب إلى الدرّي لبياضه وإن كان أكثر منه ضوءاً «منه».

(٤) ومدهامتان أي: سوداوان من شدة الخضرة والري، يقال: ادهام الشيء ادهيماً أي: أسود «منه».

(٥) ونضّاختان أي: فوّارتان بالماء «منه».

(٦) سعد السعود ص ١١٠ - ١١١.

(٧) سورة الواقعة: ١٠ - ١٢.

(٨) أمالي الشيخ الطوسي ص ٧٢ برقم: ١٠٤.

الشيعة: أنتم شيعة الله، وأنتم أنصار الله، وأنتم السابقون الأولون، والسابقون الآخرون، والسابقون في الدنيا، والسابقون في الآخرة إلى الجنة^(١). والحديث طويل أخذنا منه قدر الحاجة .

وظاهر أن أمثال هذه الخطابات عامّة يشمل جميع من يشمله الوصف، ولا خصوصية لها بصنف منهم دون صنف، ضرورة بطلان ترجيح من دون مرجح .

وفي روضة الواعظين للمفيد^(٢): قال أبو عبدالله^(ع): قال أبي لأناس من الشيعة: أنتم شيعة الله، وأنتم أنصار الله، وأنتم السابقون الأولون، والسابقون الآخرون إلينا، والسابقون في الدنيا إلى ولايتنا، والسابقون في الآخرة إلى الجنة، قد ضمنا لكم الجنة بضمان الله وبضمان رسول الله^(ص) (٢) .

وقال أبو الحسن موسى^(ع): إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين حواري محمد ابن عبدالله رسول الله الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه، فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذرّ .

ثم ينادي مناد: أين حواري علي بن أبي طالب وصي محمد بن عبدالله رسول الله، فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي، ومحمد بن أبي بكر، وميثم بن يحيى التمار مولى بني أسد، وأويس القرني .

ثم ينادي: أين حواري الحسن بن علي بن فاطمة بنت محمد بن عبدالله رسول الله، فيقوم سفيان بن ليلى الهمداني، وحذيفة بن أسد الغفاري .

قال: ثم ينادي أين حواري الحسين بن علي، فيقوم من استشهد معه ولم

(١) الروضة من الكافي ٨: ٢١٣ .

(٢) نور الثقلين ٥: ٢٠٩ - ٢١٠، عن روضة الواعظين للمفيد، فتأمل .

يتخلف عنه .

قال: ثمّ ينادي: أين حواري علي بن الحسين، فيقوم جبير بن مطعم، ويحيى بن أمّ الطويل، وأبو خالد الكابلي، وسعيد بن المسيّب .

ثمّ ينادي: أين حواري محمّد بن علي، وحواري جعفر بن محمّد، فيقوم عبدالله ابن شريك العامري، وزرارة بن أعين، وبريد بن معاوية العجلي، ومحمّد بن مسلم، وأبوصير ليث بن البختری المرادي، وعبدالله بن أبي يعفور، وعامر بن عبدالله بن جداعة، وحجر بن زائدة، وحرمان بن أعين .

ثمّ ينادي سائر الشيعة مع سائر الأئمة عليهم السلام يوم القيامة، فهؤلاء المتحوّرة، أوّل السابقين، وأوّل المقرّبين، وأوّل المتحوّرين من التابعين (١).

وفي كتاب الخصال: عن جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: كنت ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل بوجهه على علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: ألا أبشرك يا أبا الحسن؟ قال: بلى يا رسول الله .

قال: هذا جبرئيل يخبرني عن الله تعالى أنّه قال: قد أعطيتك ومحبّيك سبع خصال: الرفق عند الموت، والأنس عند الوحشة، والنور عند الظلمة، والأمن عند الفزع، والقسط عند الميزان، والجواز على الصراط، ودخول الجنّة قبل سائر الناس، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم (٢).

وبإسناده إلى أبي خالد الكابلي، قال: قال أبو جعفر عليه السلام في قوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ

(١) إختيار معرفة الرجال ١: ٤١ - ٤٥ .

(٢) الخصال ص ٤٠٢ - ٤٠٣ ح ١١٢ .

بَيِّنَ أَيْدِيَهُمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ» (١) أئمة المؤمنين يوم القيامة يسعى بين يدي المؤمنين وبأيمانهم حتى ينزلوهم منازل أهل الجنة الحديث (٢).

وفي كتاب الخصال: في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وتعدادها، قال عليه السلام: والثلاثون فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يحشر أمتي يوم القيامة على خمس رايات، فأول راية ترد عليّ مع فرعون هذه الأمة وهو معاوية. والثانية مع سامري هذه الأمة، وهو عمرو بن العاص. والثالثة مع جاثليق هذه الأمة، وهو أبو موسى الأشعري. والرابعة مع أبي أعور السلميّ. وأما الخامسة فيجمعك يا علي تحتها المؤمنون وأنت إمامهم .

ثم يقول الله تبارك وتعالى للأربعة: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا، فضرب بينهم بسورٍ له باب باطنه فيه الرحمة، وهم شيعتي ومن والاني، وقاتل معي الفرقة (٣) الباغية، والناكبة عن الصراط، وباب الرحمة هم شيعتي .

فينادي هؤلاء: ألم نكن معكم؟ قالوا: بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغررتكم الأمانى في الدنيا حتى جاء أمر الله، وغرّكم بالله الغرور، فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا، مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير، ثم ترد أمتي وشيعتي، فيردون من حوض محمد صلى الله عليه وآله ويبيدي عصي عوسج أطردها أعادي (٤) طرد غريبة الإبل (٥).

(١) سورة الحديد: ١٢ .

(٢) تفسير نور الثقلين ٥: ٢٤٠ - ٢٤١ ح ٥٩ .

(٣) في المصدر: الفئة .

(٤) في المصدر: أعدائي .

(٥) الخصال ص ٥٧٥ .

وفي روضة الكافي: بإسناده إلى أبي حمزة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول للرجل من الشيعة: أنتم الطيبون، ونساؤكم الطيبات، كل مؤمنة حوراء عينا، وكل مؤمن صديق الحديث (١).

وفي أمالي الصدوق عليه السلام: بإسناده إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: نزلت هاتان الآيتان في أهل ولايتنا وأهل عداوتنا ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ * ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ يعني: في قبره ﴿وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ يعني: في الآخرة ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ * ﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ يعني: في القبر ﴿وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٌ﴾ (٢) يعني: في الآخرة (٣).

وفي روضة الكافي: عن عنبسة بن بجاد، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ * ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ فقال عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: هم شيعتك، فسلم ولدك منهم أن يقتلوهم (٤). منطوق هذا الخبر بعمومه يدل على أن الشيعة لا يقتل علويًا قط، ويستفاد من مفهومه أن من قتل علويًا ليس بشيعة، فتدبر.

وفي أخبار كثيرة أحسنها سنداً ما رواه في الكافي: عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٥) قال: نحن الذين يعلمون، وعدونا الذين لا يعلمون، وشيعتنا أولوا

(١) الروضة من الكافي ٨: ٣٦٥ ح ٥٥٦.

(٢) سورة الواقعة: ٨٨ - ٩٤.

(٣) أمالي الشيخ الصدوق ص ٥٦١ برقم: ٧٥٣.

(٤) الروضة من الكافي ٨: ٢٦٠ ح ٣٧٣.

(٥) سورة الزمر: ٩.

الألباب^(١).

ومثله ما في بصائر الدرجات بسنتين آخرين: أحدهما ضعيف بعلي بن أبي حمزة البطائني، عن أبي بصير، عن أبي جعفر^(٢). والآخر صحيح عن أبي عبد الله^(٣).

وفي محاسن البرقي: عن علي بن عقبة بن خالد، قال: دخلت أنا ومعلّى بن خنيس على أبي عبد الله^(٤)، فأذن لنا وليس هو في مجلسه، فخرج علينا من جانب البيت من عند نسائه وليس عليه جلباب، فلما نظر إلينا رجّب وقال: مرحباً بكما وأهلاً، ثمّ جلس وقال: أنتم أولوا الألباب في كتاب الله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ فأبشروا الحديث^(٥).

وفي روضة الكافي: عن أبي عبد الله^(٦) أنه قال لأبي بصير: يا أبا محمد والله ما استثنى الله عزّ ذكره بأحد من أوصياء الأنبياء وأتباعهم ما خلا أمير المؤمنين وشيعته، فقال في كتابه وقوله الحقّ: ﴿لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ إلاّ من رحّم الله^(٧) يعني بذلك علياً^(٨) وشيعته الحديث^(٩).

وذكر أبو عبد الله الحسين بن جبير^(١٠) في نخب المناقب، قال: روينا حديثاً مسنداً عن أبي الورد الإمامي المذهب، عن أبي جعفر^(١١)، قال: قوله عزّ وجلّ:

(١) أصول الكافي ١: ٢١٢ ح ٢.

(٢) تفسير نور الثقلين ٤: ٤٨٠ - ٤٨١ ح ٢٥ و ٢٦ عن بصائر الدرجات.

(٣) المحاسن ص ١٦٩ ح ١٣٥.

(٤) سورة الدخان: ٤٢ - ٤٣.

(٥) الروضة من الكافي ٨: ٣٥.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ (١) هو علي بن أبي طالب، والأعمى هنا عدوه، وأولوا الألباب شيعته الموصوفون بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (٢) المأخوذ عليهم في الذرّ بولايته ويوم الغدير (٣).

وقد ورد في أخبار كثيرة عنهم عليهم السلام: إن الله خلقنا من أعلى عليين، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا، وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلينا؛ لأنها خلقت ممّا خلقنا، ثم تلا هذه الآية: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (٤) (٥).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: كلّ أمة يحاسبها إمام زمانها، ويعرف الأئمة أولياءهم وأعداءهم بسيماهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ (٦) فيعطوا أولياءهم كتابهم بيمينهم، فيمروا إلى الجنة بغير حساب (٧).

وفي كتاب معاني الأخبار: بإسناده إلى أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - في حديث طويل يقول فيه: والله فائق الحبّ والنوى، لا يلج النار لنا محبّ، ولا يدخل الجنة لنا مبغض، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾

(١) سورة الرعد: ١٩.

(٢) سورة الرعد: ٢٠.

(٣) بحار الأنوار ٢٤: ٤٠١.

(٤) سورة المطففين: ١٩ - ٢١.

(٥) أصول الكافي ٢: ٤ ح ٤.

(٦) سورة الأعراف: ٤٦.

(٧) تفسير القمي ١: ٢٣١.

إلى أن قال عليه السلام: يبغضي يعرف المنافقون، وبمحبتي امتحن الله المؤمنين، هذا عهد النبي الأُمِّي إليَّ أَنَّهُ لَا يَحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَبْغُضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ، وَأَنَا صَاحِبُ لُؤَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَرَطِي، وَأَنَا فَرَطُ شِيعَتِي، وَاللَّهُ لَا عَطَشَ مَحَبِّي، وَلَا خَافَ وَلِيِّي، وَأَنَا وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهُ وَلِيِّي يَحْسَبُ (١) مَحَبِّي أَن يَحِبُّوا مَا أَحَبَّ اللَّهُ، وَيَحْسَبُ مَبْغُضِي أَن يَبْغُضُوا مَا أَحَبَّ اللَّهُ الْحَدِيثُ (٢).

وفي مهج الدعوات لابن طاووس عليه السلام: إِنَّهُ قِيلَ لِلصَّادِقِ عليه السلام: بِمِ احْتَرَسْتَ مِنَ الْمَنْصُورِ عِنْدَ دُخُولِكَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: بِاللَّهِ وَبِقِرَاءَةِ «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» ثُمَّ قُلْتُ: يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ سَبْعًا، إِنِّي أَتَشَفَّعُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ تَقْبَلَهُ لِي، فَمَنْ ابْتَلَى بِذَلِكَ فَلْيَصْنَعْ مِثْلَ صَنْعِي، وَلَوْ لَا أَنَا نَقَرْنَاهَا وَنَأْمُرُ بِقِرَاءَتِهَا شِيعَتُنَا لَتَخَطَّفَهُمُ النَّاسُ، وَلَكِنْ هِيَ وَاللَّهُ لَهُمْ كَهْفٌ (٣).

وفي تهذيب الأحكام: عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، قال: مررت مع أبي جعفر عليه السلام بالبقيع، فمررنا بقبر رجل من أهل الكوفة من الشيعة، فقلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك هذا قبر رجل من الشيعة، قال: فرق (٤) عليه، ثم قال: اللَّهُمَّ ارْحَمْ غَرِيبَتَهُ، وَصَلِّ وَحَدِّثَهُ، وَأَنْسِ وَحَشَّتَهُ، وَاسْكُنْ إِلَيْهِ مِنْ رَحْمَتِكَ رَحْمَةً يَسْتَعْنِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ، وَالْحَقُّهُ بِمَنْ كَانَ يَتَوَلَّاهُ، ثُمَّ قَرَأَ «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» سَبْعَ مَرَّاتٍ (٥).

(١) في المصدر: حسب .

(٢) معاني الأخبار ص ٥٩ - ٦٠ .

(٣) مهج الدعوات ص ١٨٦، بحار الأنوار ٩١: ٢٨١، تفسير نور الثقلين ٥: ٦١٢ ح ٥ .

(٤) في التفسير: فوقف .

(٥) تهذيب الأحكام ٦: ١٠٥، تفسير نور الثقلين ٥: ٦١٤ ح ١١ .

وفي روضة الكافي: عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ ذكره: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (١) قال: هؤلاء قوم من شيعتنا ضعفاء، وليس عندهم ما يتحمّلون به إلينا، فيسمعون حديثنا، ويقتبسون من علمنا، فيرحل قوم فوقهم، وينفقون أموالهم، ويتعبون أبدانهم، حتّى يدخلوا علينا، فيسمعوا حديثنا فينقلوا إليهم، فيتبعه (٢) هؤلاء ويضعه هؤلاء، فأولئك الذين يجعل الله عزّ ذكره لهم مخرجاً، ويرزقهم من حيث لا يحسبون (٣).

وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى عباية بن رباعي، قال: قلت لعبدالله بن عباس: لِمَ كُنْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام أبا تراب؟ قال: لأنّه صاحب الأرض، وحجّة الله على أهلها بعده، وله بقاؤها، وإليه سكونها.

ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنّه إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعدّ الله تبارك وتعالى لشيعة علي عليه السلام من الثواب والزلفى والكرامة، قال: يا ليتني كنت تراباً، أي: من شيعة علي عليه السلام، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ

(١) سورة الطلاق: ٣.

(٢) في المصدر: فيعيه.

(٣) الروضة من الكافي ٨: ١٧٨ ح ٢٠١. قيل: إنّ البدن كما يتقوى بالرزق الجسماني وتبقى حياته، فكذلك الروح تتقوى، وتحىي بالأغذية الروحانية من العلم والإيمان والهداية والحكمة، وبدونها ميت في لباس الأحياء، فمراده عليه السلام أنّ الآية كما تدلّ على أنّ التقوى سبب لتيسير الرزق الجسماني، وحصوله من غير احتساب، فكذلك تدلّ على أنّها تصير سبباً لتيسير الرزق الروحاني الذي هو العلم والحكمة من غير احتساب، وهي تشملهما معاً «منه».

تُرَابًا» (١).

أقول: كانت لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - سلام الله عليه - كنيستان: إحداهما أبو الحسن، والثانية: أبو تراب، وما كان له - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ - إسم أحبّ منها إليه، وأنّه كان ليفرح إذا دعي بها .

والسبب فيه على ما في صحيحي البخاري ومسلم: أنّ رسول الله ﷺ دخل بيت فاطمة ؑ، فلم يجد علياً ؑ في البيت، فقال: أين ابن عمك؟ فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني، فخرج ولم يقل عندي. فقال رسول الله ﷺ للإنسان: أنظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله في المسجد راقد، فجاءه رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقّه فأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: قم يا أبا تراب قم يا أبا تراب (٢).

ومع هذا كانت بنو أمّية ومن شايعهم يعيرونه ﷺ بهذه الكنية، ولذا يسمّونا في مقام الشتم والتعير بترابية :

ولو أنصفت في حكمها أمّ مالك إذا لرأت تلك المساوي محاسنا

وفي أصول الكافي: عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الماضي ؑ، قال: قلت: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (٣) قال: نحن والله المأذون لهم يوم القيامة والقائلون صواباً. قلت: ما تقولون إذا تكلمتم؟ قال: نمجّد ربّنا، ونصلّي على نبيّنا، ونشفع لشيعتنا، فلا يردنا

(١) علل الشرائع ص ١٥٦، والآية في سورة النبأ: ٤٠.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٤ - ١٨٧٥ برقم: ٢٤٠٩.

(٣) سورة النبأ: ٣٨.

ربَّنَا^(١) الحديث وطوله .

ومثله ما في مجمع البيان عن معاوية بن عمَّار، عن أبي عبد الله عليه السلام^(٢) .
وفي أصول الكافي: عن محمَّد بن الفضيل، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام، قال:
قلت: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾^(٣) قال: نحن والله وشيعتنا، ليس على ملَّة
إبراهيم غيرنا، وسائر الناس منها براء^(٤) .

وفيه: بالإسناد إلى أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل، يقول عليه السلام في آخره: إِنَّ اللَّهَ
خَلَقَ أَقْوَاماً لَّجَهَنَّمَ وَالنَّارِ، فَأَمَرْنَا أَنْ نَبَلِّغَهُمْ كَمَا بَلَّغْنَاهُمْ، وَاشْمَأَزُّوا مِنْ ذَلِكَ،
وَنَفَرَتْ قُلُوبُهُمْ، وَرَدَّوهُ عَلَيْنَا وَلَمْ يَحْتَمِلُوهُ وَكَذَّبُوا بِهِ، وَقَالُوا: سَاحِرٌ كَذَّابٌ، فَطَبَعَ
اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَنَسَاهُمْ ذَلِكَ .

ثمَّ أَطْلَقَ اللَّهُ أَلْسِنَتَهُمْ^(٥) بِيَعُضِ الْحَقِّ، فَهَمَّ يَنْطِقُونَ بِهِ وَقُلُوبُهُمْ مَنكِرَةٌ، لِيَكُونَ
ذَلِكَ دَفْعاً عَنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا عَدَّ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ، فَأَمَرْنَا بِالْكَفِّ
عَنْهُمْ وَالسِّتْرِ وَالْكَتْمَانِ، فَانكَمُوا عَمَّنْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْكَفِّ عَنْهُ، وَاسْتَرَوْا عَمَّنْ أَمَرَ اللَّهُ
بِالسِّتْرِ وَالْكَتْمَانِ عَنْهُ .

قال: ثمَّ رَفَعَ يَدَهُ وَبَكَى، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ، فَاجْعَلْ مَحِيانَنَا
مَحِيَاهُمْ، وَمَمَاتِنَا مَمَاتِهِمْ، وَلَا تَسَلِّطْ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا لَكَ فَتَفْجَعْنَا بِهِمْ، فَإِنَّكَ إِنْ فَجَعْتَنَا

(١) أصول الكافي ١: ٤٣٥ .

(٢) مجمع البيان ٥: ٤٢٧ .

(٣) سورة المرسلات: ٤١ .

(٤) أصول الكافي ١: ٤٣٥ .

(٥) في المصدر: لسانهم .

بهم لم تعبد أبداً في أرضك، وصلى الله على محمد وآله وسلم^(١).

وفيه من بشارة الشيعة، وقبول عباداتهم، وجلالة قدرهم، وعلو مكانتهم، حيث قال ﷺ: «فاجعل محيانا محياهم، ومماتنا مماتهم» وإنذار مخالفيهم، وعدم قبول عباداتهم، وسفالة قدرهم، وكونهم كافرين خلقوا ليكون عاقبة أمرهم خسراً، ما لا يحتاج إلى البيان، وصلى الله على محمد وأوصيائه أولياء الله العزيز الرحمن.

وفي إرشاد المفيد: بإسناده إلى الأصمغ بن نباتة، عن علي بن الحسين، قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ لله تعالى قصراً^(٢) من ياقوت أحمر، لا يناله إلا نحن وشيعتنا، وسائر الناس منه بريئون^(٣).

وروى العياشي بإسناده عن علي بن الحسين بن الحسين، أنه قرأ قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾^(٤).

وقال: هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل ذلك بهم على يدي رجل منا، وهو مهدي هذه الأمة، وهو الذي قال رسول الله ﷺ: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً. وروي مثله عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﷺ^(٥).

(١) أصول الكافي ١: ٤٠٢.

(٢) في المصدر: قضيباً.

(٣) الإرشاد ١: ٤٢.

(٤) سورة النور: ٥٥.

(٥) مجمع البيان ٤: ١٥٢ عن العياشي.

وفي أمالي شيخ الطائفة: بإسناده إلى الفضل بن عبد الملك، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: يا فضل لا تزهدوا في فقراء شيعتنا، فإنّ الفقير منهم ليشفع يوم القيامة في مثل ربيعة ومضر .

ثمّ قال: يا فضل إنّما سمّي المؤمن مؤمناً؛ لأنّه يؤمن على الله فيجبر أمانه (١)، ثمّ قال: أما سمعت الله تعالى يقول في أعدائكم إذا رأوا شفاعة الرجل منكم لصديقه يوم القيامة: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (٢).

وفي مجمع البيان: عن أبان بن تغلب، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ المؤمن ليشفع يوم القيامة لأهل بيته، فيشفع فيهم حتّى يبقى خادمه، فيقول ويرفع سبّابتيه: خوذي كان يقيني الحرّ والبرد، فيشفع فيه (٣).

وفي خبر آخر عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنّ المؤمن ليشفع لجاره وما له حسنة، فيقول: يا ربّ جاري كان يكفّ عني الأذى، فيشفع فيه، وإنّ أدنى المؤمن شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً (٤).

وفي روضة الكافي: عن أبي هارون، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لنفر عنده وأنا حاضر: ما لكم تستخفّون بنا؟ قال: فقام إليه رجل من خراسان، فقال: معاذ لوجه الله أن نستخفّ بك أو بشيء من أمرك. فقال: بلى إنّك أحد من استخفّ بي، فقال: معاذ لوجه أن أستخفّ بك .

(١) في المصدر: فيجيز الله أمانه .

(٢) أمالي الشيخ الطوسي ص ٤٧ برقم: ٥٧. والآية في سورة الشعراء: ١٠٠ - ١٠١ .

(٣) مجمع البيان ٤: ١٩٥ .

(٤) مجمع البيان ٤: ١٩٥ .

فقال له: ويحك ألم^(١) تسمع فلاناً ونحن بقرب الجحفة، وهو يقول لك: احملني قدر ميل فقد والله أعيبت، والله ما رفعت به رأساً، لقد استخفت به، ومن استخفَّ بمؤمن فينا استخفَّ وضيع حرمه الله عزَّ وجلَّ^(٢).

وفيه من الدلالة على قدر الشيعة وقربهم منهم ﷺ ما لا يخفى، وستعرف في أواخر الرسالة من طريق الخبر أن مرادهم ﷺ بالمؤمن كلِّما أطلقوا إنِّما هو الشيعة الاثنا عشرية؛ لأنَّ غيرهم ليس بمؤمن، وإن كان ممَّن يجري عليه أحكام الإسلام. وفي الكافي: عن أبي عبدالله ﷺ، قال: قال أبو جعفر ﷺ: دخل أبو عبدالله الجدلي على أمير المؤمنين ﷺ، فقال: يا أبا عبدالله ألا أخبرك بقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣) قال: بلى يا أمير المؤمنين جعلت فداك، فقال: الحسنة معرفة الولاية وحبنا أهل البيت، والسَّيئة إنكار الولاية وبغضنا أهل البيت^(٤).

وفيه: عن جابر، عن أبي عبدالله ﷺ في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ قال: من تولى الأوصياء من آل محمد وأتبع آثارهم، فذاك يزيد ولاية من النبيين والمؤمنين الأولين حتى تصل ولايتهم إلى آدم ﷺ، وهو قول الله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ يدخله الجنة^(٥) الحديث وطوله .

(١) في المصدر: أولم .

(٢) الروضة من الكافي ٨: ١٠٢ ح ٧٣ .

(٣) سورة النمل: ٩١ - ٩٢ .

(٤) أصول الكافي ١: ١٨٥ ح ١٤ .

(٥) الروضة من الكافي ٨: ٣٧٩ ح ٥٧٤ .

وفي أمالي شيخ الطائفة عليه السلام: بإسناده إلى عمّار بن موسى الساباطي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لا يقبل الله من العباد الأعمال الصالحة التي يعملونها إذا تولّوا الإمام الجائر الذي ليس من الله تعالى .

فقال له عبد الله بن أبي يعفور: أليس الله تعالى قال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمَنُونَ﴾ فكيف لا ينفع العمل الصالح ممّن تولّى أئمة الجور. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: وهل تدري ما الحسنه التي عناها الله تعالى في هذه الآية؟ هي معرفة الإمام وطاعته، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبِّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وإمّا أراد بالسّيئة إنكار الإمام الذي هو من الله تعالى .

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: من جاء يوم القيامة بولاية إمام جائر ليس من الله، وجاء منكراً لحقنا جاحداً لولايتنا، أكبه الله تعالى يوم القيامة في النار^(١) .

وفي كتاب الخصال: عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه، عن علي عليه السلام، قال: إنّ للجنّة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيون والصدّيقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا، فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: ربّ سلّم شيعتي ومحبيّ وأنصاري ومن تولّاني في دار الدنيا .

فإذا النداء من بطنان^(٢) العرش: قد أجبّت دعوتك، وشفّعت في شيعتك، ويشفع كلّ رجل من شيعتي ومن تولّاني ونصرني وحارب من حاربني بفعل أو قول في

(١) أمالي الشيخ الطوسي ص ٤١٧ - ٤١٨ برقم: ٩٣٩ .

(٢) بطنان العرش بالضمّ وسطه وداخله «منه» .

سبعين ألف من جيرانه وأقربائه. وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا إله إلا الله، ولم يكن في قلبه مثقال ذرة من بغضنا أهل البيت (١).

وفيه: في بيان مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وتعدادها، قال عليه السلام: وأما التاسعة والثلاثون، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كذب من زعم أنه يحبني ويبغض علياً، لا يجتمع حبي وحبّه إلا في قلب مؤمن، إن الله عزّوجلّ جعل أهل حبي وحبك يا علي في زمرة أول السابقين إلى الجنة، وجعل أهل بغضي وبغضك في أول زمرة الضالّين من أمّتي إلى النار (٢).

وفي أمالي شيخ الطائفة: بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة، وفرغ الله من حساب الخلق، دفع الخالق عزّوجلّ مفاتيح الجنة والنار إليّ، فأدفعها إليك فأقول لك: احكم. قال علي عليه السلام: والله إن للجنة إحدى وسبعين باباً، يدخل من سبعين منها شيعتي وأهل بيتي، ومن باب واحد سائر الناس (٣).

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمته الله: عن النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل يقول فيه وقد ذكر علياً وأولاده عليهم السلام: ألا إن أولياءهم الذين يدخلون الجنة آمنين، وتتلقاهم الملائكة بالتسليم أن طبتم فادخلوها خالدين (٤).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن فلاناً وفلاناً غصبونا

(١) الخصال ص ٤٠٧ - ٤٠٨ ح ٦.

(٢) الخصال ص ٥٧٦ - ٥٧٧.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي ص ٢٦٨ - ٣٦٩ برقم: ٧٨٤. ظاهره ينافي ما في كتاب الخصال وقد مرّ آنفاً، والجمع بينهما يحتاج إلى تكلف بعيد، فتأمل «منه».

(٤) الاحتجاج ١: ٦٣، بحار الأنوار ٣٧: ٢١٣، تفسير نور الثقلين ٤: ٥٠٧.

حقّنا، واشتروا به الإماء، وتزوّجوا به النساء، وإنّا قد جعلنا شيعتنا من ذلك في حلّ لتطيب مواليدهم (١).

المشهور بين أصحابنا الإمامية إباحة المناكح والمساكن والمتاجر في حال غيبة الإمام عليه السلام للشيعة الإمامية بالنصوص المتواترة عن أئمة الهدى - صلوات الله عليهم - وإن كانت المناكح والمساكن والمتاجر ممّا فيه الخمس، ولا يجب إخراج حصّة الموجودين، وهم: اليتامى، والمساكين، وأبناء السبيل، من الهاشميين وصرّفها إليهم.

وفسّرت المناكح بالجواري التي تسبى، فإنّه يجوز شراؤها وإن كان فيها الخمس، ولا يجب إخراجها، وحيثُذ يجوز وطؤها بالملك التامّ، وكذا فسّرت بسقوط الخمس عن مهور النساء، وإن كانت ممّا يجب فيه الخمس من الأرباح ما لم يبلغ حدّ السرف.

وفسّرت المساكن بما يشتري من أرض الأنفال ونحوها، مثل غنيمة من غزاه بغير إذنه عليه السلام، على القول بعدم اختصاصه بها، فإنّه لا يجب إخراج الخمس منه، وكذا فسّرت بما يشتري من المساكن من الأرباح، إذا لم يبلغ ذلك حدّ السرف بالنسبة إلى حال المشتري.

وهذا التفسير والتفسير الثاني للمساكن مندرجان في المؤن المستثنات من الأرباح.

وفسّرت المتاجر بشراء الأموال ممّن لا يخمس، فإنّه لا يجب على المشتري إخراج الخمس منها، لكن إذا تجدد لها نماء وجب في النماء الخمس، ويحلّ

الأنفال في حال الغيبة، كالموات والآجام وما بها من معدن وشجر ونبات .
وفي مجمع البيان: عن علي عليه السلام، قال: جئت النبي صلى الله عليه وآله يوماً، فوجدته في ملاء من قريش، فنظر إليّ ثم قال: يا علي إنما مثلك في هذه الأمة كمثل عيسى بن مريم عليها السلام أحبّه قوم، فأفرطوا في حبّه فهلكوا، وأبغضه قوم، فأفرطوا في بغضه فهلكوا، واقتصد فيه قوم فنجوا^(١).

والمراد بالمقصد هو الشيعة الاثنا عشرية - رضوان الله عليهم - سمّوا به لأنّهم اقتصدوا، أي: اختاروا الحدّ الوسط دون طرفي الإفراط، وهو الغلوّ والتفريط، وهو تضييع حقّهم وبغضهم عليهم السلام، كما هو شأن الخوارج والنواصب، فهم أمة مقتصدة .
ومثله ما في خبر آخر: يا علي إنّ أمتي ستفترق ثلاثة فرق: فرقة شيعتك وهم المؤمنون، وفرقة عدوك وهم الشاكّون، وفرقة غالوا فيك وهم الجاحدون، فأنت وشيعتك في الجنّة، وعدوك والغالي في النار^(٢).

وفي كتاب الاحتجاج: عن أبي حمزة الثمالي، قال: أتى الحسن البصري أبا جعفر عليه السلام، فقال: لأسألك عن أشياء من كتاب الله؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام: ألسنت فقيه أهل البصرة؟ قال: قد يقال ذلك .

فقال له أبو جعفر عليه السلام: هل بالبصرة أحد تأخذ عنه؟ قال: لا. قال: فجميع أهل البصرة يأخذون عنك؟ قال: نعم .

فقال أبو جعفر عليه السلام: سبحان الله لقد تقلّدت عظيماً من الأمر، بلغني عنك أمر، فما أدري أذلك أنت أم يكذب عليك؟ قال: ما هو؟ قال: زعموا أنّك تقول: إنّ الله

(١) بحار الأنوار ٩: ١٥١ و ٣٥: ٣١٩.

(٢) بحار الأنوار ٢٥: ٢٦٤.

خلق العباد ففوض إليهم أمورهم. قال: فسكت، فقال: أرأيت من قال له الله في كتابه: إنك آمن هل عليه خوف بعد هذا القول منه؟ فقال الحسن: لا.

فقال أبو جعفر عليه السلام: إني أعرض إليك آية وأنهاي إليك خطباً^(١)، ولا أحسبك إلا وقد فسرتة على غير وجهه، فإن كنت فعلت ذلك فقد هلكت وأهلك، فقال له: وما هو؟

فقال: أرأيت حيث يقول: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُورَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّاماً آمِنِينَ﴾^(٢) يا حسن بلغني أنك أفنت الناس فقلت: هي مكة.

فقال أبو جعفر عليه السلام: فهل يقطع على من حجّ مكة؟ وهل يخاف أهل مكة؟ وهل تذهب أموالهم؟ فمتى يكونوا آمنين؟ بل فينا ضرب الله الأمثال في القرآن، فنحن القرى التي بارك الله فيها، وذلك قول الله عز وجل، فمن أقرّ بفضلنا حيث أمرهم أن يأتونا، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُورَى ظَاهِرَةً﴾ والقرى الظاهرة الرسل، والنقلة عنّا إلى شيعتنا، وفقهاء شيعتنا إلى شيعتنا، وقوله: ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ فالسير مثل للعلم ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّاماً﴾ مثل ما يسير من العلم في الليالي والأيام عنّا إليهم في الحلال والحرام والفرائض والأحكام ﴿آمِنِينَ﴾ فيها إذا أخذوا عن معدنها الذي أمروا أن يأخذوا منه.

آمنين من الشكّ والضلال، والنقلة من الحرام إلى الحلال؛ لأنهم أخذوا العلم ممن وجب لهم بأخذهم إياه عنهم المغفرة؛ لأنهم أهل ميراث العلم من آدم إلى

(١) في المصدر: خطاباً.

(٢) سورة سبأ: ١٨.

حيث انتهوا، ذرية مصفاة بعضها من بعض، فلم ينته الاصطفاء إليكم، بل إلينا انتهى، ونحن تلك الذرية المصفاة لا أنت ولا أشباهك^(١). والحديث طويل أخذنا منه محلّ الحاجة .

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى محمد بن صالح الهمداني، قال: كتبت إلى صاحب الزمان عليه السلام أن أهل بيتي يؤذونني ويقرعوني^(٢) بالحديث الذي روي عن آبائك عليهم السلام أنهم قالوا: خدامنا وقوامنا شرار خلق الله .

فكتب عليه السلام: ويحكم ما تعرفون^(٣) ما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً﴾ نحن والله القرى التي بارك الله فيها وأنتم القرى الظاهرة. قال عبدالله بن جعفر: وحدّثنا بهذا الحديث علي بن محمد الكليني عن محمد بن صالح، عن صاحب الزمان عليه السلام^(٤) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام: في قول الله عزّ وجلّ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ - إِلَى قَوْلِهِ - وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٥) عن أبيه، عن عبدالله^(٦) بن جندب - فالسند صحيح - قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا - صلوات الله عليه - أسأله عن تفسير هذه الآية، فكتب إليّ الجواب :

(١) الاحتجاج ٢: ٦٢ - ٦٣ .

(٢) في المصدر: ويقرعوني . والتعريف: التعنيف .

(٣) في المصدر: أما تقرؤون .

(٤) كمال الدين ص ٤٨٣ ح ٢ .

(٥) سورة النور: ٣٥ .

(٦) عبدالله بن جندب من أصحاب الرضا عليه السلام بجلي كوفي عربي ثقة، وكان وكيلاً للكاظم والرضا عليهم السلام، وكان عابداً رفيع المنزلة لديهما «منه» .

أما بعد، فإنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كان أمين الله في خلقه، فلَمَّا قبض النبي ﷺ كُنَّا أهل البيت وورثته، فنحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا وأنساب العرب، ومولد الإسلام، وما من فئة تضلُّ بآية وتهدى بآية، إلَّا ونحن نعرف سائقها وقائدها وناعقها .

وإنَّا نعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق، وإنَّ شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا، ويدخلون مدخلنا، ليس في جملة الإسلام غيرنا وغيرهم إلى يوم القيامة . نحن الآخذون^(١) بحجزة نبينا، ونبينا الآخذ^(٢) بحجزة ربنا، والحجزة النور، وشيعتنا آخذون بحجرتنا، من فارقتنا هلك، ومن تبعنا نجى، والمفارق لنا والجاحد لولايتنا كافر، ومتبعا وتابع أوليائنا مؤمن، لا يحبنا كافر، ولا يبغضنا مؤمن، فمن مات وهو يحبنا كان حقا على الله أن يبعثه معنا .

نحن نور لمن تبعنا، وهدى لمن اهتدى بنا، ومن لم يكن منا فليس من الإسلام في شيء، بنا فتح الله الدين، وبنا يختمه، وبنا أطعمكم الله عشب الأرض، وبنا أنزل الله قطر السماء، وبنا آمنكم الله عز وجل من الغرق في بحركم، ومن الخسف في بركم، وبنا نفعكم الله في حياتكم، وفي قبوركم، وفي محشركم، وعند الصراط، وعند الميزان، وعند دخولكم الجنان .

مثلنا في كتاب الله عز وجل كمثل مشكاة، والمشكاة في القنديل، فنحن المشكاة فيها مصباح المصباح مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿المُصْبَاحُ فِي زُجَاةٍ﴾ من عنصرة

(١) في المصدر: آخذون .

(٢) في المصدر: أخذ .

[طاهرة] (١) ﴿الزُّجَاجَةُ كَانَتْهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا دعيّة ولا منكرة ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ القرآن ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ إمام بعد إمام ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فالنور علي - صلوات الله عليه - يهدي الله لولايتنا من أحبّ، وحقّ على الله أن يبعث ولينا مشرقاً وجهه منيراً برهانه، ظاهرة عند الله حجّته (٢) الحديث وطوله .

وفي أصول الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبان بن تغلب - فالسند صحيح - قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ المؤمن ليهول عليه في نومه، فيغفر له ذنوبه، وإنّه ليمتنه في بدنه فيغفر له ذنوبه (٣).

وفي كتاب معاني الأخبار: بإسناده إلى الحسين عليه السلام، قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: صف لنا الموت، فقال: على الخير سقطتم، هو أحد أمور ثلاثة يرد عليه: إمّا بشارة بنعيم أبداً (٤)، وإمّا بشارة بعذاب أبداً، وإمّا تخويف (٥) وتهويل وأمر مبهم لا يدري من أيّ الفريقين هو .

فأمّا ولينا المطيع لأمرنا، فهو المبشّر بنعيم الأبد. وأمّا عدوّنا المخالف علينا، فهو المبشّر بعذاب الأبد. وأمّا المبهم أمرهم الذي لا يدري ما حاله، فهو المؤمن

(١) الزيادة ساقطة من الأصل .

(٢) تفسير القمي ٢: ١٠٤ - ١٠٥ .

(٣) أصول الكافي ٢: ٤٤٤ - ٤٤٥ ح ٤ .

(٤) في المصدر: الأبد. وكذا فيما سيأتي .

(٥) في المصدر: تحزين .

المسرف على نفسه لا يدري ما يؤول إليه حاله يأتيه الخبر مبهماً محزناً، ثم لن يسويه الله عزّوجلّ بأعدائنا، لكن يخرجه الله عزّوجلّ من النار بشفاعتنا، فاعملوا وأطيعوا، ولا تتكلموا، ولا تستصغروا عقوبة الله عزّوجلّ، فإنّ من المسرفين من لا يلحق (١) شفاعتنا إلا بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة (٢).

وأنت خير بأنّ هذا الخبر ينافي كثيراً من الأخبار الدالّة على أنّ المؤمن لا تمسه النار الكبرى، ولعلّه مخصوص بعذاب البرزخ. وفيه أن لا شفاعاة قبل قيام الساعة وحشر الخلائق، فتأمل.

أقول: ولكن يؤيد هذا الخبر ما في روضة الكافي: عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إنّ الناس طبقات ثلاث: طبقة هم منا ونحن منهم، وطبقة يتزيّنون بنا، وطبقة يأكل بعضهم بعضاً بنا (٣).

فإنّه يظهر منه أنّ الشيعة الخاصّة، وهم الذين ورد في فضلهم ما ورد، ولعلّهم الذين لا تمسّهم النار الكبرى هم الطبقة الأولى.

وأما الطبقة الثانية، وهم الذين يجعلون حبّهم عليهم السلام وما وصل إليهم من علومهم عليهم السلام زينة لهم عند الناس، ووسيلة لتحصيل الجاه.

والطبقة الثالثة وهم الذين يأخذ بعضهم أموال بعض ويأكلونها بإظهار مودّتهم ومدحهم وعلومهم عليهم السلام، فليسوا خالصين في التشييع والمودّة، وليس توّسّلهم بهم عليهم السلام خالصاً لوجه الله.

(١) في المصدر: لا تلحقه.

(٢) معاني الأخبار ص ٢٨٨ ح ٢.

(٣) الروضة من الكافي ٨: ٢٢٠ ح ٢٧٥.

وهم الذين أسرفوا على أنفسهم، وجعلوا مودّتهم وسيلة لغير ما هي وسيلة له، وهو الفوز بالنجاة من النار، والدخول في الجنة من غير سابقة عذاب، ولكن هؤلاء ينالهم من الله رحمة ومنهم عليه السلام شفاععة بعد ما قدر من العذاب، نعوذ بالله منه .

وفي محاسن البرقي: عن عبّاد بن زياد، قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: ما على ملّة إبراهيم أحد غيركم، وما يقبل الله إلّا منكم، ولا يغفر الذنوب إلّا لكم (١).

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه: قال الصادق عليه السلام: شفاعتنا لأهل الكبائر من شيعتنا، فأما التائبون فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (٢).

وفي بصائر الدرجات: بإسناده إلى عبدالله بن سنان، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الحوض، فقال: حوض ما بين بصرى إلى صنعاء، تحبّ أن تراه؟ قلت له: نعم جعلت فداك .

قال: فأخذ بيدي وأخرجني إلى ظهر المدينة، ثمّ ضرب برجله، فنظرت إلى نهر يجري لا تدرك حافته (٣) إلّا الموضع الذي أنا فيه قائم، فإنّه شبيهه بالجزيرة، فكنت أنا وهو وقوفاً، فنظرت إلى نهر جانباها (٤) ماء أبيض من الثلج، ومن جانبيه لبن أبيض من الثلج، وفي وسطه خمر أحسن من الياقوت، فما رأيت شيئاً أحسن من تلك الخمر بين اللبن والماء .

فقلت: جعلت فداك من أين يخرج هذا ومجراه؟

(١) المحاسن ص ١٤٧ ح ٥٦ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٥٧٤ رقم: ٤٩٦٤ .

(٣) في المصدر: حافته .

(٤) في المصدر: جانبه .

قال: هذه العيون التي ذكرها الله في الجنة، عين من ماء، وعين من لبن، وعين من خمر تجري في هذا النهر. ورأيت حافتيه عليهما شجر فيهنّ جوار معلقات برؤوسهنّ، ما رأيت شيئاً أحسن منهنّ، وبأيديهنّ آنية ما رأيت آنية أحسن منها ليست من آنية الدنيا، فدنا من إحداهنّ فأومئ بيده لنفسه (١).

ف نظرت إليها وقد مالت لتغرف من النهر، فمال الشجر معها، فاغترفت [فمالت الشجرة معها] (٢) ثمّ ناولته ثمّ شرب ثمّ ناولها، فأومئ إليها، فمالت فاغترفت ومالت الشجرة معها، ثمّ ناولته فناولني فشربت، فما رأيت شراباً كان ألين منه ولا ألذّ منه، وكانت رائحته رائحة المسك، ونظرت في الكأس، فإذا فيه ثلاثة ألوان من الشراب.

فقلت: جعلت فداك ما رأيت كالיום قطّ، ولا كنت أرى أن الأمر هكذا. فقال لي: هذا أقلّ ما أعدّه الله لشيعتنا، إنّ المؤمن إذا توفّي طارت روحه إلى هذا النهر، فرعت (٣) في رياضه، وشربت من شرابه، وإنّ عدوّنا إذا توفّي صارت روحه إلى برهوت (٤)، فأخذت في عذابه، وأطعمت من زقومه، وأسقيت من

(١) في المصدر: لتسقيه.

(٢) الزيادة من المصدر.

(٣) في المصدر: ورغب.

(٤) عن أمير المؤمنين عليه السلام: أبغض البقاع إلى الله تعالى وادي برهوت، فيه أرواح الكفّار، وفيه بئر ماؤها أسود منتن، يأوي إليها أرواح الكفّار. وذكر رجل أنّه بات في وادي برهوت، فسمع طول الليل يا دومه، فذكر لرجل من أهل العلم، فقال: الملك الموكل بأرواح الكفّار اسمه دومه. وحكى الأصمعي عن رجل من حضرموت أنّه قال: نجد من ناحية برهوت

حميمه، فاستعيدوا بالله من ذلك والنار^(١).

هذا الحديث يؤيد ما قيل: إن المظاهر الجزئية للجنة والنار إنما تكون في هذه النشأة الحسية في مواضع مخصوصة منها بالنسبة إلى بعض الخواص يشاهدونها في ذلك الموضع، فإنه قد ثبت في محلّه أن لا مكان حقيقياً للنشأتين الآخرين لا كلاً ولا بعضاً، وإنما يكون لهما أمكنة نسبية كشفية، وهي المظاهر والأمثلة الجزئية، وذلك كما روي عن النبي ﷺ: إن ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة^(٢). وفي رواية: ومنبري على حوضي .

وروي في الكافي بإسناده عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة^(٣) من ترع الجنة، وقوائم منبري على الجنة^(٤). قال: قلت: هي روضة اليوم؟ قال: نعم لو كشف الغطاء لرأيتم^(٥).

وإنما رأى ابن سنان ما رآه من الجنة؛ لأنه كشف عنه الغطاء لكونه من خواصه عليه السلام، وليكون ذلك له آية منه ﷺ فيكون من الموقنين .

⇒ رائحة فظيعة منتنة جداً، فيأتينا بعد ذلك خبر موت عظيم من عظماء الكفار .

وعنه عليه السلام: شرّ ماء على وجه الأرض ماء برهوت، وهو وادٍ بحضرموت يرد عليه هام الكفار وصداهم «منه» .

(١) بصائر الدرجات ص ٤٠٣ - ٤٠٤. وفي آخره بدل «والنار» «والوادي» .

(٢) فروع الكافي ٤: ٥٥٣ ح ١ .

(٣) الترعة: بالضمّ الباب الصغير، وهي في الأصل: الروضة على المكان المرتفع «منه» .

(٤) في المصدر: منبري ربت في الجنة .

(٥) فروع الكافي ٤: ٥٥٤ .

وفي فروع الكافي: في صحيحة ضريس الكناسي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام أن الناس يذكرون أن فراتنا يخرج من الجنة، فكيف هو؟ وهو يقبل من المغرب وتصبّ فيه العيون والأودية .

قال: فقال أبو جعفر عليه السلام وأنا أسمع: إنَّ لله جنّة خلقها الله في المغرب، وماء فراتكم يخرج منها، وإليها تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كلِّ مساء، فتسقط على أثمارها، وتأكّل منها، وتتنعّم فيها، وتتلاقى وتتعارف، فإذا طلع الفجر هاجت من الجنّة، فكانت في الهواء فيما بين السماء والأرض، تطير ذاهبة وجائية، وتعهّد حفرها إذا طلعت الشمس، وتتلاقى في الهواء وتتعارف .

قال: وإنَّ لله ناراً في المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفّار، ويأكلون من زقّومها، ويشربون من حميمها ليلهم، فإذا طلع الفجر هاجت إلى وادٍ باليمن يقال له: برهوت، أشدّ حرّاً من نيران الدنيا، كانوا فيه يتلاقون ويتعارفون، فإذا كان المساء عادوا إلى النار، فهم كذلك إلى يوم القيامة .

قال: قلت: أصلحك الله ما حال الموحّدين المقرّين بنبوّة محمّد عليه السلام من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولا يتكلم ؟ فقال: أمّا هؤلاء فإنّهم في حفرهم لا يخرجون منها، فمن كان منهم له عمل صالح ولم يظهر منه عداوة، فإنّه يخذّله خدّاً إلى الجنّة التي خلقها الله في المغرب، فيدخل عليه منها الروح في حفرته إلى يوم القيامة، فيلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيئاته، فإنّما إلى الجنّة أو النار، فهؤلاء موقوفون لأمر الله .

قال: وكذلك يفعل الله بالمستضعفين والبله والأطفال وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم. فأما النصاب من أهل القبلة، فإنّهم يخذّ لهم خدّاً إلى النار التي خلقها الله في المشرق، فيدخل عليهم منها اللهب والشرر والدخان وفورة الحميم إلى يوم

القيامة، ثم مصيرهم إلى الحميم، ثم في النار يسجرون، ثم قيل لهم أينما كنتم تدعون من دون الله، أين إمامكم الذين اتخذتموه دون الإمام الذي جعله للناس إماماً^(١)؟

هذا الحديث بظاهره يشعر بأن الروح جسم لطيف لا يفنى بفناء البدن، كما ذهب إليه أكثر النصارى وطائفة من المسلمين، وذلك أنه ﷺ أثبت لها بعض لوازم الجسمية، كالخروج والأكل والشرب والتنعم والتلاقي، وكونها في الجو والهواء بين الأرض، ونحو ذلك .

والحق أن إثبات ذلك لها باعتبار تعلقها في عالم البرزخ بأجساد مثالية ليست في كثافة الماديات، ولا في لطافة المجردات، بل هي ذوات جهتين وواسطة بين العالمين. وإنما أسند هذه الأفعال إليها؛ لأنها الفاعل لها حقيقة، وهذه الأجساد آلات لها فيها، كما في هذه النشأة بعينه من غير فرق، ونحن قد فصلنا القول فيه في تعليقاتنا على الأربعين، فليطالع من هناك .

وفي تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن أبي أيوب، عن يزيد - فالسند صحيح - عن أبي عبد الله ﷺ، قال: الأعراف كئبان بين الجنة والنار، والرجال الأئمة ﷺ يقفون على الأعراف مع شيعتهم، وقد سبق المؤمنون إلى الجنة بلا حساب .

فيقول الأئمة لشيعتهم من أصحاب الذنوب: انظروا إلى إخوانكم في الجنة قد سبقوا إليها بلا حساب، وهو قول الله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ ثم يقال: انظروا إلى أعدائكم في النار، وهو قوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ

أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴿ في النار ﴾ ﴿قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ثم يقولون لمن في النار من أعدائهم: هؤلاء شيعتي وإخواني الذين كنتم أنتم تحلفون في الدنيا أن لا ينالهم الله برحمة، ثم يقول الأئمة لشيعتهم: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (١).

وفي جوامع الجامع: عن الصادق عليه السلام: الأعراف كثبان بين الجنة والنار، يوقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من أهل زمانه، كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده، وقد سبق المحسنون إلى الجنة .

فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه: انظروا إلى إخوانكم المحسنين قد سبقوا إلى الجنة، فيسلم عليهم المذنبون، وذلك قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أن يدخلهم الله إيّاها بشفاعة النبي والإمام، وينظر هؤلاء المذنبون إلى أهل النار، فيقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ .

وينادي أصحاب الأعراف وهم الأنبياء والخلفاء رجلاً من أهل النار ورؤساء الكفار يقولون لهم مفرعين: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ واستكباركم ﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ إشارة لهم إلى أهل الجنة الذين كان الرؤساء يستضعفونهم ويحتقرونه لفقريهم، ويستطيبلون عليهم بدنياهم، ويقسمون أن الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة، يقول أصحاب الأعراف لهؤلاء المستضعفين عن أمر من الله عز وجل لهم بذلك: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ أي: لا

خائفين ولا محزونين^(١).

وعن زاذان، عن سلمان، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي عليه السلام أكثر من عشر مرّات: يا علي إنك والأوصياء من بعدك أعراف بين الجنّة والنار، ولا يدخل الجنّة إلّا من عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النار إلّا من أنكركم وأنكرتموه^(٢).

وعن سعد بن طريف، عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ قال: يا سعد هم آل محمّد، لا يدخل الجنّة إلّا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرهم وأنكروه^(٣).

وعن الثمالي عنه عليه السلام، قال: نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبب معرفتنا، ونحن الأعراف الذين لا يدخل الجنّة إلّا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرنا وأنكرناه، وذلك أنّ الله لو شاء أن يعرف الناس نفسه لعرفهم، ولكن جعلنا سببه وسبيله وبابه الذي يؤتى منه^(٤).

وروى الشيخ الطوسي رحمه الله، عن رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام، وقد سئل عن قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَبْنِيهِمَا حِجَابٌ﴾ فقال: سور بين الجنّة والنار، قام عليه محمّد وعلي والحسن والحسين وفاطمة وخديجة عليهم السلام، فينادون: أين محيّننا؟ وأين شيعتنا؟ فيقبلون إليهم، فيعرفونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، وذلك قوله: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ فيأخذون بأيديهم، فيجوزون بهم على الصراط ويدخلونهم الجنّة^(٥).

(١) جوامع الجامع ص ١٤٦ الطبع الحجري .

(٢) بحار الأنوار ٨: ٣٣٧، تفسير نور الثقلين ٢: ٣٣ ح ١٣٢ .

(٣) بحار الأنوار ٨: ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٢٤: ٢٤٧، تفسير نور الثقلين ٢: ٣٣ - ٣٤ ح ١٣٣ .

(٤) بحار الأنوار ٨: ٣٣٨، تفسير نور الثقلين ٢: ٣٤ ح ١٣٤ .

(٥) بحار الأنوار ٢٤: ٢٥٥ .

وفي تفسير العياشي: عن كرام، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا كان يوم القيامة أقبل سبع قباب من نور يواقيت خضر وبيض، في كل قبّة إمام دهره، قد أحتف به أهل دهره برّها وفاجرها، حتّى يغيب عن باب الجنّة .

فيطلع أولها قبابة^(١) اطلاعة، فيميّز أهل ولايته من عدوّه، ثمّ يقبل على عدوّه، فيقول: أتم الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنّة لا خوف عليكم اليوم لأصحابه، فيسود وجوه الظالمين .

فيصير أصحابه إلى الجنّة وهم يقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فإذا نظر أهل القبّة الثانية إلى قلّة من يدخل الجنّة وكثرة من يدخل النار، خافوا أن لا يدخلوها، وذلك قوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾^(٢) .

هذا يدلّ على أن أهل النجاة قليل، كما يدلّ عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^(٣) وقوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾^(٤) الآية . وفي أصول الكافي: عن أبي عبد الله عليه السلام في هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾^(٥) إذا كان يوم القيامة دعي بالنبى وبأmir المؤمنين وبالائمة من ولده عليه السلام، فينصبون للناس، فإذا رأتهم شيعتهم قالوا:

(١) في المصدر: صاحب قبّة .

(٢) تفسير العياشي ٢: ١٨ - ١٩ ح ٤٧ .

(٣) سورة سبأ: ١٣ .

(٤) سورة الأعراف: ١٧٩ .

(٥) سورة الأعراف: ٤٢ - ٤٣ .

«الحمد لله الذي هدانا» الآية يعني: هدانا الله إلى ولاية أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليه السلام (١).

وفي أمالي الصدوق: في آخر المجلس الرابع، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي شيعتك هم الفائزون يوم القيامة، فمن أهان واحداً منهم فقد أهانك، ومن أهانك فقد أهانني، ومن أهانني أدخله الله نار جهنم خالداً فيها وبئس المصير .

يا علي أنت مني وأنا منك، روحك من روحي، وطينتك من طينتي، وشيعتك خلقوا من فضل طينتنا، فمن أحبهم فقد أحبنا، ومن أبغضهم فقد أبغضنا، ومن عاداهم فقد عادانا، ومن ودّهم فقد ودّنا .

يا علي إن شيعتك مغفور لهم ما كان فيهم من ذنوب وعيوب، يا علي أنا الشفيع لشيعتك غداً إذا قمت المقام المحمود، فبشرهم بذلك .

يا علي شيعتك شيعة الله، وأنصارك أنصار الله، وأولياؤك أولياء الله، وحزبك حزب الله، يا علي سعد من تولّاك، وشقي من عاداك (٢) .

وفيه من بشارة الشيعة، وجلالة قدرهم، ورفعة منزلتهم، وعلو مكائدهم، ما يعجز عن تحريره بنان البيان، وعن تقريره جارحة اللسان، فطوبى لهم ثم طوبى لهم، اللهم تبسني على مودّتهم، واحشرنني في زمرتهم، وأدخلني تحت لواء دولتهم، بك وبمحمد وعلي وفاطمة والطيبين من عترتهم عليهم السلام .

وفي أمالي الشيخ الطائفة: بإسناده، قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

(١) أصول الكافي ٢: ٤١٨ ح ٣٣ .

(٢) أمالي الشيخ الصدوق ص ٦٦ - ٦٧ برقم: ٣٢ .

سمعت النبي ﷺ يقول: إذا حشر الناس يوم القيامة نادى منادٍ: يا رسول الله إن الله جلّ اسمه قد آمنك (١) من مجازات محبيك ومحبي أهل بيتك الموالين لهم فيك، والمعادين لهم فيك، فكافهم بما شئت، فأقول: يا ربّ الجنّة، فأنادي: فولهم منها حيث شئت، فذلك المقام المحمود الذي وعدت به (٢).

وفي تفسير العياشي: عن خيثمة الجعفي، قال: كنت عند جعفر بن محمد عليه السلام أنا ومفضل بن عمر ليلة ليس عنده أحد غيرنا، فقال له مفضل: جعلت فداك حدّثنا حديثاً نسرّ به، قال: نعم إذا كان يوم القيامة حشر الله الخلائق في صعيد واحد، وساق الكلام وطوله إلى أن قال عليه السلام:

ثمّ يخرج منادٍ من عند الرحمن، فيقول: يا معشر الخلائق أليس العدل من ربكم أن يولي كلّ قوم ما كانوا يتولّون في دار الدنيا؟ فيقولون: بلى وأي شيء عدل غيره، فيقوم الشيطان الذي أضلّ فرقة من الناس حتّى زعموا أنّ عزيراً ابن الله حتّى يتبعوه إلى النار، ويقوم كلّ شيطان أضلّ فرقة فيتبعونه إلى النار حتّى تبقى هذه الأمة.

ثمّ يخرج منادٍ من عند الله، فيقول: يا معشر الخلائق أليس العدل من ربكم أن يولي كلّ فريق من كانوا يتولّون في دار الدنيا؟ فيقولون: بلى، فيقوم شيطان فيتبعه من كان يتولّاه، ثمّ يقوم شيطان فيتبعه من كان يتولّاه، ثمّ يقوم شيطان ثالث فيتبعه من كان يتولّاه.

ثمّ يقوم معاوية فيتبعه من كان يتولّاه، ويقوم علي عليه السلام فيتبعه من كان يتولّاه، ثمّ

(١) في المصدر: أمكنك.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي ص ٢٩٨ برقم: ٥٨٦.

يقوم يزيد بن معاوية فيتبعه من كان يتولّاه، ويقوم الحسن عليه السلام فيتبعه من كان يتولّاه، ويقوم الحسين عليه السلام فيتبعه من كان يتولّاه، ثمّ يقوم مروان بن الحكم وعبد الملك فيتبعهما من كان يتولّاهما .

ثمّ يقوم علي بن الحسين عليه السلام فيتبعه من كان يتولّاه، ثمّ يقوم الوليد بن عبد الملك فيتبعه من كان يتولّاه، ويقوم محمّد بن علي عليه السلام فيتبعه من كان يتولّاه .
ثمّ أقوم أنا فيتبعني من كان يتولّاني، وكأني بكما معي، ثمّ يؤتني فنجلس على عرش ربّنا، ويؤتني بالكتب فتوضع (١)، فنشهد على عدوّنا، ونشهد (٢) لمن كان من شيعتنا مرهقاً .

قال: قلت: جعلت فداك فما المرهق ؟

قال: المذنب، فأما الذين اتّقوا من شيعتنا، فقد نجّاهم الله بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون، قال: ثمّ جاءت جارية له، فقالت: إنّ فلان القرشي بالباب، فقال: اءذنوا له، ثمّ قال لنا: اسكتوا (٣) .

وفي صحيحة فضيل بن يسار، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في مرضة مرضها لم يبق منه إلاّ رأسه، فقال: يا فضيل إنني كثيراً ما أقول: ما على رجل عرّفه الله هذا الأمر لو كان في رأس جبل حتّى يأتيه الموت .

يا فضيل بن يسار إنّ الناس أخذوا يميناً وشمالاً، وأنا وشيعتنا هدينا الصراط المستقيم، يا فضيل بن يسار إنّ المؤمن لو أصبح له ما بين المشرق والمغرب كان

(١) في البحار: فترجع .

(٢) في البحار: ونشفع .

(٣) بحار الأنوار ٨: ٤٥ - ٤٧ عن تفسير العياشي .

ذلك خيراً له، ولو أصبح مقطّعاً أعضاؤه كان ذلك خيراً له، يا فضيل بن يسار إن الله لا يفعل بالمؤمن إلّا ما هو خير له الحديث (١).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢) إنه سئل عن الشجرة في هذه الآية، فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله أصلها، وأمير المؤمنين عليه السلام فرعها، والأئمة عليهم السلام من ذريتهما أغصانها، وعلم الأئمة ثمرها، وشيعتهم المؤمنون ورقها، قال: والله إن المؤمن ليولد فتورق ورقة فيها، وإن المؤمن ليموت فتسقط ورقة منها (٣).

وفي معاني الأخبار: غصن الشجرة فاطمة، وثمرها أولادها، وورقها شيعتنا (٤). وفي كمال الدين وتمام النعمة: عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: طوبى لمن تمسك بأمرنا في غيبة قائمنا، فلم يزرغ قلبه بعد الهداية، فقيل له: وما طوبى؟ قال: شجرة في الجنة أصلها في دار علي بن أبي طالب عليه السلام، وليس مؤمن إلّا وفي داره غصن من أغصانها، وذلك قول الله: ﴿طُوبَى لِمَنْ لَمْ يَحْسُنْ مَآبٍ﴾ (٥).

وفي أصول الكافي: بإسناده إلى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي أنت المظلوم بعدي، وأنت صاحب

(١) أصول الكافي ٢: ٢٤٦ ح ٥.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٣.

(٣) أصول الكافي ١: ٤٢٨ ح ٨٠.

(٤) معاني الأخبار ص ٤٠٠.

(٥) كمال الدين ص ٣٥٨ ح ٥٥، والآية في سورة الرعد: ٢٩.

شجرة في الجنة، أصلها في دارك، وأغصانها في دار شيعتك ومحبيك الحديث (١). وفي رواية أخرى: عن النبي ﷺ أنه سئل عن طوبى، قال: شجرة أصلها في داري، وفرعها على أهل الجنة، ثم سئل عنها مرة أخرى، فقال: في دار علي ﷺ، فقيل له في ذلك، فقال: إن داري ودار علي في الجنة بمكان واحد (٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رثاب، عن أبي عبيدة - فالسند صحيح - عن أبي عبدالله ﷺ، قال: طوبى شجرة في الجنة في دار أمير المؤمنين ﷺ، ليس أحد من شيعته إلا وفي داره غصن من أغصانها، أو ورقة من أوراقها، تستظل تحتها أمة من الأمم (٣).

وفي هذه الأخبار بشارات وإشارات خفية إذا تأملها العارف يعرفها.

آن كس از اهل بشارت كه اشارت داند

نکته ها هست ولی محرم اسرار کجاست

وفي الكافي والعياشي: عن الباقر ﷺ: لَمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (٤) قال المسلمون: يا رسول الله ألسنت إمام الناس كلهم أجمعين؟ فقال: أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس، فيكذبون ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم، فمن والاهم واتبعهم وصدقهم فهو مني ومعني وسيلقاني، ألا ومن

(١) عيون أخبار الرضا: ١: ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٢) مجمع البيان: ٣: ٢٩١.

(٣) تفسير القمي: ١: ٣٦٥.

(٤) سورة الإسراء: ٧١.

ظلمهم وكذبهم فليس منّي ولا معي وأنا منه بريء (١).

وفي المجالس: عن الحسين عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية، فقال: إمام عادل دعا إلى الهدى فأجابوه إليه، وإمام دعا إلى الضلالة فأجابوه إليها، هؤلاء في الجنة، وهؤلاء إلى النار، وهو قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (٢).

وفي محاسن البرقي: عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام: أنتم والله على دين الله، ثم تلا هذه الآية، ثم قال: علي إمامنا، ورسول الله إمامنا، وكم من إمام يجيء يوم القيامة يلعن أصحابه ويلعنونه (٣).

وفي مجمع البيان عنه عليه السلام: ألا تحمدون الله إذا كان يوم القيامة، فدعي كل قوم إلى من يتولّونه، وفزعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وفزعتم إلينا، فإلى أين ترون؟ نذهب بكم إلى الجنة وربّ الكعبة، إلى الجنة وربّ الكعبة، إلى الجنة وربّ الكعبة (٤).
وذلك لأنّ حساب الناس إليهم، وأبواب الجنة إليهم.

كما يدلّ عليه ما في روضة الكافي: عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال: يا جابر إذا كان يوم القيامة جمع الله عزّ وجلّ الأوّلين والآخرين لفصل الخطاب، دعي رسول الله صلى الله عليه وآله، ودعي أمير المؤمنين عليه السلام، فيكسي رسول الله صلى الله عليه وآله حلّة خضراء تضيء ما بين المشرق والمغرب، ويكسي علي عليه السلام مثلها، ويكسي رسول الله صلى الله عليه وآله حلّة وردية يضيء لها ما بين المشرق والمغرب، ويكسي علي عليه السلام مثلها.

(١) أصول الكافي ١: ٢١٥.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٣١٣، تفسير نور الثقلين ٣: ١٩٢ عن أمالي الصدوق.

(٣) المحاسن ص ١٤٣ و ١٤٥.

(٤) مجمع البيان ٣: ٤٣٠.

ثم يصعدان عندها، ثم يدعى بنا، فيدفع إلينا حساب الناس، فنحن والله ندخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يدعى بالنيبين صلوات الله عليهم، فيقامون صفين عند عرش الله عز وجل، حتى نفرغ من حساب الناس .

فإذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، بعث رب العزة علياً عليه السلام، فأنزلهم منازلهم من الجنة وزوجهم، فعلي والله الذي يزوج أهل الجنة في الجنة، وما ذاك إلى أحد غيره، كرامة من الله عز ذكره، وفضلاً فضله الله ومن به عليه، وهو والله يدخل أهل النار النار، وهو الذي يعلق على أهل الجنة إذا دخلوها أبوابها^(١)؛ لأن أبواب الجنة إليه، وأبواب النار إليه^(٢) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم: عنه عليه السلام: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣) نحن والله النحل الذي أوحى الله إليه أن اتخذني من الجبال بيوتاً، أمرنا أن نتخذ من العرب شيعة ومن الشجر يقول من العجم، ومما يعرشون يقول من الموالي، والذي يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه، أي: العلم الذي يخرج منها إليكم^(٤) .

وفي العياشي عنه عليه السلام: النحل الأئمة، والجبال العرب، والشجر الموالي عتاقه،

(١) في المصدر: إذا دخلوا فيها أبوابها .

(٢) الروضة من الكافي ٨: ١٥٩ ح ١٥٤ .

(٣) سورة النحل: ٦٨ - ٦٩ .

(٤) تفسير القمي ١: ٣٨٧ .

ومما يعرّشون الأولاد والعبيد ممن لم يعتق، وهو يتولّى الله ورسوله والأئمة، والشراب المختلفة ألوانه فنون العلم الذي قد يعلم الأئمة شيعتهم، فيه شفاء للناس، يقول في العلم شفاء للناس .

والشيعة هم الناس وغيرهم الله أعلم بهم ما هم، ولو كان كما تزعم أنه العسل الذي يأكله الناس إذا ما أكل منه ولا شرب ذو عاهة إلا شفي، لقول الله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ ولا خلف لقول الله، وإنما الشفاء في علم القرآن، لقوله: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّأَهْلِ لِسَانٍ لَّا شَكَّ فِيهِ وَلَا مَرِيَّةٌ، وَأَهْلُهُ أَئِمَّةُ الْهُدَى الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (١).

وفي الكافي: عن السجّاد عليه السلام: على الأئمة الفرض ما ليس على شيعتهم، وعلى شيعتنا ما ليس علينا، أمرهم الله أن يسألونا، قال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢) فأمرهم أن يسألونا وليس علينا الجواب، إن شئنا أجبنا، وإن شئنا أمسكنا (٣). ومثله عن الباقر عليه السلام (٤).

وفي الكافي: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن معاوية بن وهب، فالسند صحيح على ما استقرّ عليه رأينا وحقّقناه في بعض رسائلنا، وضعيف على المشهور بمحمّد بن سنان، وربّ مشهور لا أصل له . قال معاوية: خرجنا إلى مكة ومعنا شيخ متألّه متعبّد يتمّ الصلاة في الطريق

(١) تفسير العياشي ٢: ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٢) سورة النحل: ٤٥ .

(٣) أصول الكافي ١: ٢١٢ ح ٨ .

(٤) أصول الكافي ١: ٢١٠ .

ومعه ابن أخ له مسلم، فمرض الشيخ، فقلت لابن أخيه: لو عرضت هذا الأمر على عمك لعل الله أن يخلصه، فقال كلهم: دعوا الشيخ يموت على حاله فإنه حسن الهيئة. فلم يصبر ابن أخيه حتى قال: يا عم إن الناس ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرًا يسيرًا، وكان لعلي بن أبي طالب عليه السلام من الطاعة ما كان لرسول الله ﷺ، وكان بعد رسول الله ﷺ الحق والطاعة له، قال: فتنفس الشيخ وشهق وقال: أنا على هذا وخرجت نفسه .

فدخلنا على أبي عبد الله عليه السلام، فعرض علي بن السري هذا الكلام على أبي عبد الله عليه السلام، فقال: هو رجل من أهل الجنة. قال له علي بن السري: إنه لم يعرف شيئاً من هذا الأمر غير ساعته تلك؟ قال: فتريدون منه ماذا؟ قد دخل والله الجنة (١).

وفيه من بشارة الشيعة وجلالة هذا الأمر ما لا يخفى .

وفي الكافي والعياشي: عن الصادق عليه السلام أنه قال لأبي بصير: ما تقول في هذه الآية: «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدَاءُ عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ» (٢) فقال: إن المشركين يزعمون ويحلفون لرسول الله ﷺ أن الله لا يبعث الموتى .

قال: فقال: تباً لمن قال هذا، سلهم (٣) هل كان المشركون يحلفون بالله أم

(١) أصول الكافي ٢: ٤٤٠ - ٤٤١ ح ٤ .

(٢) سورة النحل: ٣٨ - ٣٩ .

(٣) في التفسير: ويلهم .

باللات والعزى؟ قال: قلت: جعلت فداك فأوجدنيه؟

قال: فقال: يا أبا بصير لو قد قام قائمنا بعث الله إليه قوماً من شيعتنا، فبايع سيوفهم على عوانتهم، فبلغ^(١) ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا، فيقولون: بعث فلان وفلان وفلان من قبورهم وهم مع القائم، فبلغ^(٢) ذلك قوماً من عدونا^(٣) فيقولون: يا معشر الشيعة ما أكذبكم هذه دولتكم وأنتم تقولون فيه الكذب^(٤)، لا والله ما عاش هؤلاء ولا يعيشون إلى يوم القيامة، قال: فحكى الله قولهم، فقال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾^(٥).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: عنه عليه السلام أنه قال: ما يقول الناس في هذه الآية؟ قيل: يقولون نزلت في الكفار. قال: إن الكفار لا يحلفون بالله، وإنما نزلت في قوم من أمة محمد صلى الله عليه وآله، قيل لهم: ترجعون بعد الموت قبل القيامة، فيحلفون أنهم لا يرجعون، فردّ الله عليهم، فقال: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ يعني: في الرجعة يردهم فيقتلهم، ويشفي صدور المؤمنين^(٦). وروى العياشي بإسناده عنه عليه السلام أنه قال: ما يقول الناس في هذه الآية؟ قيل: يقولون: لا قيامة ولا بعث ولا نشور، فقال: كذبوا والله إنما ذلك إذا قام القائم وكرّ معه المكرون، فقال أهل خلافكم: قد ظهرت دولتكم يا معشر الشيعة، وهذا من

(١) في التفسير: فيبلغ.

(٢) في التفسير: فيبلغ.

(٣) في التفسير: أعدائنا.

(٤) في التفسير: وأنتم تكذبون فيها.

(٥) تفسير العياشي ٢: ٢٥٩ ح ٢٦.

(٦) تفسير القمي ١: ٣٨٥.

كذبكم تقولون رجع فلان وفلان، لا والله لا يبعث الله من يموت، ألا ترى أنه قال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ كانت المشركون أشدّ تعظيماً باللات والعزى من أن يقسموا بغيرها، فقال الله: بلى وعداً عليه حقاً لبيّن لهم الذي يختلفون فيه الآيات الثلاث (١).

وبإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢) هم نحن وأتباعنا ممّن تبعنا من بعدنا، طوبى لنا وطوبى لهم، وطوباهم أفضل من طوبانا، قيل: ما شأن طوباهم أفضل من طوبانا؟ ألسنا نحن وهم على أمر؟ قال: لا، إنهم (٣) حملوا ما لم تحملوا، وأطاقوا ما لم تطيقوا (٤).

وذلك أنّ هؤلاء آمنوا بالغيب بمجرد الأخبار من دون مشاهدة ما يدلّ على وجود صاحبهم، فضلاً عن كونه إماماً منصوباً من الله مفترض الطاعة مع طول غيبته وشدة زمان حيرته، بخلاف أولئك، فإنهم آمنوا بعد ما شاهدوا من الحجج والبيّنات ما يدلّ على صدق إمامهم، وكونه منصوباً من قبل الله سبحانه وتعالى، فهؤلاء أكثر من أولئك شأنًا لأنفسهم، فيكون ثوابهم أكثر وطوباهم أفضل.

وفي كمال الدين: عن الصادق عليه السلام: طوبى لشيعة قائمنا المنتظرين في غيبته المطيعين له في ظهوره «أولئك أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (٥). ومن الغريب أنّ صاحب الكشّاف أنكر الرجعة، واستدلّ عليه بكرامة: ﴿أَلَمْ

(١) تفسير العياشي ٢: ٢٥٩ - ٢٦٠ ح ٢٨.

(٢) سورة يونس: ٦٢.

(٣) في المصدر: لا لأنهم.

(٤) تفسير العياشي ٢: ١٢٤ ح ٣٠.

(٥) كمال الدين ص ٣٥٧، وتفسير نور الثقلين ٢: ٣٠٩ ح ٩٤ عنه.

يَزُواكُمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١﴾ قال: وهذا مما يرد قول أهل الرجعة (٢).

ورام بهم أصحابنا الإمامية - رضوان الله عليهم - فإنّ القول بالرجعة والإيمان بها مما تفرّدوا به، ونقلوا فيه أخباراً كثيرة .

منها: أنّ الله سيعيد قوماً عند قيام المهدي عليه السلام ممّن تقدّم موتهم من أوليائه وشيعته ممّن محض الإيمان محضاً، ليفوز بثواب نصرته ومعونته، ويتبّهجوا بظهور دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه ممّن محض الكفر محضاً لينتقم منهم، وينالوا بعض ما يستحقّونه من العقاب في القتل على أيدي شيعته، أو الذلّ والخزي بما يشاهدونه من علوّ كلمته .

أقول: وفيما ذكره نظر؛ إذ غاية ما دلّت عليه الآية أنّ القرون الهالكة الخالية لا يرجعون بصورهم الأصلية إلى العباد المستهزئين للرسول مدّة حياتهم، وأمّا أنّهم لا يرجعون أبداً لا إليهم ولا إلى غيرهم، أو أنّ غير هؤلاء الهالكين لا يرجع قبل يوم القيامة إلى الدنيا بصورته التي كان عليها، فلا دلالة لها عليه لشيء من الدلالات . ثمّ آية منافاة بين رجوع علي عليه السلام إلى الدنيا، وبين نكاح نسائه وقسمة ميراثه، إذا كان ذلك سائغاً في الشرع، فما حكاه عن ابن عبّاس أنّه قيل له: إنّ قوماً يزعمون أنّ علياً مبعوث قبل يوم القيامة، فقال: بسّ القوم نحن إذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه .

فمع أنّه فرية لا مرية فيها لا يدلّ على عدم الجواز، وهو ظاهر، فإنّ كثيراً من

(١) سورة يس: ٣١ .

(٢) الكشّاف ٣: ٣٢١ .

الأبناء وغيرهم ماتوا ونكح نساؤهم وقسم ميراثهم، ثم رجعوا إلى الدنيا وعاشوا فيها ما شاء الله، ثم ماتوا بأجلهم .

ثم كيف يصير قول ابن عباس على فرض ثبوته وصحته دافعاً لقول أمير المؤمنين - سلام الله عليه - في حديث أبي الطفيل في الرجعة: هذا علم يسع الأمة جهله وردّ علمه إلى الله، قال: وقرأ علي بذلك قراءة كثيرة، وفسّر تفسيراً شافياً، حتّى صرت ما أنا بيوم القيامة أشدّ يقيناً منّي بالرجعة الحديث (١) .

وكان عامر بن واثلة الكناني أبو الطفيل هذا آخر من مات من رأى النبي ﷺ، كما في الاستيعاب، قال: وقد روى عنه ﷺ نحو أربعة أحاديث، وكان محباً في علي عليه السلام، وكان من أصحابه في مشاهدته، وكان ثقة مأموناً، يعترف بفضل الشيخين إلاّ أنّه كان يقدّم علياً عليه السلام (٢) .

ويقال (٣): إنّهُ أدرك من حياة النبي ﷺ ثمان سنين، وكان مولده في يوم أحد، ومات سنة مائة أو نحوها .

وفي مختصر الذهبي: وكان أبو الطفيل من محبّي علي، وبه ختم الصحابة في الدنيا، مات سنة عشر ومائة (٤). إنتهى .

وهذا الكتابان وهما الاستيعاب والمختصر من كتب رجال العامّة .

وفي الكشي: في ترجمة عامر بن واثلة أبي الطفيل هذا، بإسناده إلى شهاب بن

(١) بحار الأنوار ٥٣: ٦٨ .

(٢) الاستيعاب ٣: ١٥ .

(٣) والقائل هو ابن الأثير في جامع الأصول، راجع التعليقة على اختيار معرفة الرجال للسيد الداماد ١: ٣٠٩، والشيخ في رجاله ص ٤٧ .

(٤) راجع: تهذيب التهذيب للعسقلاني ٥: ٨٢ .

عبدربه، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كيف أصبحت جعلت فداك؟ قال: أصبحت أقول كما قال أبو الطفيل يقول:

وإن لأهل الحقّ لابدّ دولة على الناس إياها أرجى وأرقب

ثمّ قال: أنا والله ممّن يرجي ويرقب، وكان يقول: ما بقي من السبعين غيري ^(١). وأراد بهم الذين قتلوا مع الحسين عليه السلام. ويظهر منه أنّه كان من أصحابه عليه السلام أيضاً. ومن كلامه:

وبقيت سهماً من النكاية واحداً سترمي به أو يكسر السهم كاسرة ^(٢)

وكان يحفظ الأحاديث على ما يكون، ولا يخلي دخول الغلط فيها.

ثمّ من العجب أنّ هذا الرجل المعتزلي الأصول حنفي الفروع صاحب التفسير يفوّه بكلّ ما خطر بباله من غير مبالاة.

ولعلّه فهب عنه ما نقلوه في كتبهم: إنّه إذا خرج المهدي نزل عيسى بن مريم فصلّى خلفه، ونزوله إلى الأرض رجوعه إلى الدنيا بعد موته؛ لقوله تعالى فيه: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ ^(٣) ألا يرى إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ ^(٤) فهؤلاء ماتوا ورجعوا إلى الدنيا.

وقال تعالى في قصّة عزير أو ارميا على اختلاف القولين: ﴿فَأَمَّا تَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ

(١) إختيار معرفة الرجال ١: ٣٠٨-٣٠٩.

(٢) نفس المصدر.

(٣) سورة آل عمران: ٥٥.

(٤) سورة البقرة: ٢٥٩.

ثُمَّ بَعَثَهُ ﴿١﴾ قال هذا الرجل المنكر للرجعة في تفسيره: إنه كان كافراً بالبعث، وهو الظاهر؛ لانتظامه مع نمروذ في سلك، ثم قال: وقيل: هو عزيز أو الخضر (٢).
أقول: وعلى أي الأقوال فهذا مات مائة عام، ثم رجع إلى الدنيا وبقي منها، ثم مات بأجله .

قال هذا المنكر للرجعة بعد قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ قيل: أتى قومه راكب حماره، وقال: أنا عزيز، فكذبوه، فقال: هاتوا التوراة، فأخذ يهذيها هذاً عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب، فما خرم حرفاً، فقالوا: هو ابن الله، ولم يقرأ التوراة ظاهراً أحد قبل عزيز، فذلك كونه آية. وقيل: رجع إلى منزله، فرأى أولاده شيوخاً وهو شاب، فإذا حدثهم بحديث، قالوا: حديث مائة سنة (٣). انتهى .

وفي قصة المختارين من قوم موسى ﷺ لميقات ربه: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٤) فأحياهم، فرجعوا إلى الدنيا، فأكلوا وشربوا ونكحوا وولدهم الأولاد وبقوا فيها، ثم ماتوا بأجلهم .

وكذلك جميع الموتى الذين أحياهم الله لعيسى ﷺ رجعوا إلى الدنيا وبقوا فيها ثم ماتوا. وقصة أصحاب الكهف معروفة .

والرواية النبوية: كل ما كان في الأمم السالفة يكون في هذه الأمة مثله حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة مشهورة (٥).

(١) سورة البقرة: ٢٥٩ .

(٢) الكشاف ١: ٣٨٩ .

(٣) الكشاف ١: ٣٩٠ .

(٤) سورة البقرة: ٥٦ .

(٥) رواه أحمد في مسنده ٢: ٣٢٥ و ٣٢٧ و ٣٣٦ و ٣٦٧ و ٤٥٠ و ٥١١ و ٥٢٧ و ٣: ٨٤

وليس ينبغي أن يعجب من ذلك، فالأمور المجهولة العلة لا يعجب منها. ألا يرى إلى قول سيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - وقد سبق: هذا علم يسع الناس جهله وردّ علمه إلى الله^(١).

على أن بعض علة، كفوز الأولياء بثواب النصر والمعونة، وبهجتهم بظهور الدولة والسلطنة، وكالاتقام من الأعداء، ونيلهم بعض ما يستحقونه من العقاب والعذاب في الدنيا، إلى غير ذلك، مذكور في الأخبار، كما مرّ في الخبر الأول، وله نظائر لا يسع ذكرها المقام، والصلاة على محمد وآله خير الأنام.

هذا، ولنرجع إلى ما كتنا فيه، فنقول: في كتاب معاني الأخبار: بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمد وعلي والحسن والحسين والأئمة صلوات الله عليهم، فعرضها على السماوات والأرض والجبال، فغشيها نورهم، فقال للسماوات والأرض والجبال: هؤلاء أحبائي وأوليائي وحججي على خلقي وأئمة بريتي، ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منهم، لهم ولمن تولّاهم خلقت جنتي، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري، فمن ادّعى منزلتهم مني ومحلهم من عظمتي، عذّبه عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين، وجعلته مع المشركين في أسفل درك من ناري.

ومن أقرّ بولايتهم، ولم يدع منزلتهم مني ومكانهم من عظمتي، جعلته معهم في روضات جنّاتي، وكان لهم فيها ما يشاؤون عندي، وأبحتهم كرامتي، وأحلتهم

جوارى، وشفّعهم في المذنبين من عبادي وإمائي، فولايتهم أمانة عند خلقي، فأَيُّكم يحملها بأثقالها ويدّعِيها لنفسه [دون خيرتي] (١) فأبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها من ادّعاء منزلتها وتمني محلّها من عظمة ربّهم (٢). والحديث طويل أخذنا منه محلّ الحاجة .

وفي تفسير العياشي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٣) فقال: ليس له أن يزيلهم عن الولاية، فأما الذنوب وأشباه ذلك، فإنّه ينال منهم ما ينال من غيرهم (٤). وفي تفسير علي بن إبراهيم مثله (٥).

وفي كتاب معاني الأخبار: بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ قال: ليس له على هذه العصاة خاصّة سلطان. قال: قلت: وكيف جعلت فذاك وفيهم ما فيهم؟ قال: ليس حيث تذهب، إنّما قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أن يحبّ إليهم الكفر ويبغض إليهم الإيمان (٦).

يعني: إنّ المراد بالسلطنة هي السلطنة على دينهم، وهذا ممّا يقتضيه لفظ السلطان أيضاً؛ إذ لا سلطنة لمن لا يطاع في كلّ ما أمر ونهى أو جلّه، فالكفّار ومن يحذو حذوهم لمّا أطاعوه في ترك الإيمان الذي عليه مدار النجاة، وهو شرط

(١) الزيادة من المصدر .

(٢) معاني الأخبار ص ١٠٨ .

(٣) سورة النحل: ٩٩ .

(٤) تفسير العياشي ٢: ٢٧٠ .

(٥) تفسير القمي ١: ٣٩٠ .

(٦) معاني الأخبار ص ١٥٨ .

سائر الأعمال، فقد أطاعوه في جلّ ما أمر به بل في كلّه، فلهم عليهم سلطان أهل الإيمان وهم الشيعة، فإنّهم لما لم يطيعوه أصلاً، أو أطاعوه في حقائر الأمور بعد أن خالفوه في جلائلها، فلا سلطان له عليهم .

وفي تفسير العياشي: عن أبي بصير، قال: سمعت جعفر بن محمّد عليه السلام وهو يقول: نحن أهل بيت الرحمة، وبيت النعمة، وبيت البركة، ونحن في الأرض بيت (١)، وشيعتنا غرس (٢) الإسلام، وما كانت دعوة إبراهيم إلّا لنا وشيعتنا، ولقد استثنى الله إلى يوم القيامة على إبليس، فقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (٣) .

وعن أبي عبد الله عليه السلام: إنّهُ إذا كان يوم القيامة يؤتى بإبليس في سبعين غلاً وسبعين كبلاً (٤)، فينظر الأوّل إلى زفر في عشرين ومائة كبل وعشرين ومائة غلّ، فينظر إليه إبليس، فيقول: من هذا الذي أضعف الله له العذاب، وأنا أغويت هذا الخلق جميعاً، فيقال هذا: زفر، فيقال: بما جدّد له هذا العذاب، فيقال: ببيغيه على علي عليه السلام .

فيقول له إبليس: ويل لك وثبور لك، أما علمت أنّ الله أمرني بالسجود لآدم فعصيته، وسألته أن يجعل لي سلطاناً على محمّد وأهل بيته وشيعته، فلم يجبني إلى

(١) في المصدر: بنيان .

(٢) في المصدر: عرى .

(٣) تفسير العياشي ٢: ٢٤٣ ح ١٨، والآية في سورة الحجر: ٤٢ .

(٤) الكبل: القيد، تقول: كبلت الأسير إذا قيدته فهو مكبول، قال الشاعر:

لم يبق إلّا أسير فهو منفلت وموثّق في عقال الأسر مكبول

خفضاً موثّقاً بالمحاوراة لمنفלת، وكان من حقّه أن يكون مرفوعاً؛ لأنّ تقدير الكلام لم

يبق إلّا أسير وموثّق «منه» .

ذلك، وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ وما عرفتهم من استثنائهم^(١) ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ فمَنَّكَ به نفسك غروراً، فيوقف بين يدي الخلائق، فيقال له: ما الذي كان منك إلى علي وإلى الخلق الذي اتبعوك على الخلاف، فيقول الشيطان - وهو زفر - لا إبليس: أنت أمرتني بذلك، فيقول له إبليس: فلم عصيت ربك وأطعتني؟ فيرد زفر عليه ما قال الله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾^(٢) الآية^(٣).

فائدة نفعها عائدة

قد يعبر في الأخبار عن عمر بزفر، وعن عثمان بفعالان، وعن أبي بكر بأبي ركب، وهكذا الحال في سائر المخالفين.

قال في أول كتاب الصواب والقواصب^(٤) لمحمد بن محمد بن شهر آشوب المازندراني، ويسمى باسم آخر منهاج الهداية ومعراج الدراية: واعلم أن في سائر العلوم رموزاً واصطلاحات يستدل بها على المقاصد، ويتميز العليم بها من

(١) في المصدر: حين استثنائهم.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٢.

(٣) تفسير العياشي ٢: ٢٢٣ - ٢٢٤ ح ٩.

(٤) ذكره المحقق الطهراني في الذريعة ١٥: ٩٥، قال بعد ذكره الكتاب ونقل الخواجوي عنه في كتابه بشارات الشيعة، أقول: ويأتي مثالب النواصب لرشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب، فلعل الصواب لولده محمد بن محمد، أو أن الصواب هو المثالب، وقد يعبر عنها بمصالت القواصب، كما في أول الصراط المستقيم للياضي. ولعل المراد من الجميع واحد، وهو مثالب النواصب الذي صرح به رشيد الدين في ترجمة نفسه.

الجهول، ورموز هذا الكتاب لا يخلو من حكمة فيها: إما أن يكون مقتبساً من الكتاب والسنة، أو اسماً مشتقاً عن الفاعل، أو تشبيهاً بشيئه، أو تعبير لفظ لمعنى، أو قلب إسم، أو تبديل حرف بحرف، أو إسماً موضوعاً أو منسوباً إلى شيء، أو وزن فعل، أو حرفاً مفردة، مثال ذلك :

في الباب الأوّل: أبو الشرور، أبو الفصيل، أبو ركب، أو جغد، عبدالكعبة، عبداللات، التيمي الأعرابي، الجبت العتيق، الختار الحايد، قبيح جثر، يغوث، آكل الذبّان، وربما يجيء فرعون لإضافته إلى قرينه هامان، وربما يستدلّ عليه بهذه العلامة .

وفي الباب الثاني: أبو الدواهي، أبو حفص، المنكر الأعسر، زفر، غندر، زريق، الدلام، المردبود، الشمردل، الطاغوت، الضهّاك، الشيطان، زغلول، هامان، فلان، ابن أمّ شملة، يعوق، قنفذ، شنبويه، رمع، وربما يوجد علامة اسمه «ع» .

وفي الباب الثالث: أبو المعازف، حمّال الخطايا، البغي، العجل، اللعين، المحرق، الثالث الأموي، نعتل، نسر، قرمان، وربما يجيء في الشعر: لعمان، ثعبان. وفي الباب الرابع: أمّ الشرور، أنبث، رومان، الحميراء، سايفة، نباتة، وربما يجيء صورة اسمها مثل ما كان في الباب الثاني المتظاهر بين ابنتي الأوّل والثاني، وربما يجيء في الأشعار: صفح، وذو الاصبع، وفعلة، وابن الحصرمية، ويعبر عن اسم صاحبه بالدييرة .

وفي الباب الخامس: صاحب الشام، وفرعون، وابن هند، والحراضم، وصاحب السلسلة، وابن النابغة، والسيصان، والنايع، وأبو الملوك، وبنو مرداس،

وبنو نبيلة^(١). إنتهى منتخباً .

وقد أشار إلى بعض ذلك السيّد بن محمّد الحميري عليه السلام في آخر قصيدته الطويلة المشهورة، حيث قال :

والناس يوم الحشر راياتهم	خمس فمنها هالك أربع
فراية العجل وفرعونها	وسامري الأُمّة المشنع
وراية يقدمها جثر	للزور والبهتان قد أبدع
وراية يقدمها نعثل	لا برّد الله له مضجع
وراية يقدمها أدلم	عبد لئيم لكّع أكوع
أربعة في سقر أودعوا	ليس لهم من قعرها مطلع
وراية يقدمها حيدر	ووجهه كالشمس إذ تطلع
غداً يلاقي المصطفى حيدر	وراية الحمد له ترفع
مولى له الجنة مأمورة	والنار من إجلاله تفرع
إمام صدق وله شيعة	يردوا من الحوض ولم يمنعوا
بذاك جاء الوحي من ربنا	يا شيعة الحقّ فلا تجزعوا
الحميري مادحك لم يزل	ولو تقطّع اصبعاً اصبع ^(٢)

وهذا منه عليه السلام إشارة إلى ما في تفسير علي بن إبراهيم، بإسناده المتّصل إلى أبي ذرّ - رضي الله عنه - قال: لَمَّا نزلت كريمة ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ

(١) الصواب والقواصب - مخطوط .

(٢) راجع: حول ترجمة السيّد الحميري الشاعر الموالي لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام

وشعره هذا إلى كتاب الغدير ٢: ٢١٣ - ٢٧٥ .

وَجُوهُهُ^(١) قال رسول الله ﷺ: يرد عليّ أمتي يوم القيامة على خمس رايات، فراية مع عجل هذه الأمة، فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فحرّفنا ونبذناه وراء ظهورنا، وأمّا الأصغر فعادينا وأبغضناه وظلمناه، فأقول لهم: ردّوا إلى النار ظمناً مظمّين مسوّدّة وجوهكم .

ثمّ ترد عليّ راية مع فرعون هذه الأمة، فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فحرّفناه ومزّقناه وخالفناه، وأمّا الأصغر فعادينا وقتلناه، فأقول لهم: ردّوا إلى النار ظمناً مظمّين مسوّدّة وجوهكم .

ثمّ ترد عليّ راية مع سامري هذه الأمة، فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فعصيناه وتركناه، وأمّا الأصغر فضيّعناه وصنعنا به كلّ قبيح، فأقول لهم: ردّوا إلى النار ظمناً مظمّين مسوّدّة وجوهكم .

ثمّ ترد عليّ راية ذي الثديية^(٢) مع أوّل الخوارج وآخرهم، فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فمزّقناه وبرئنا منه، وأمّا الأصغر فقاتلناه وقتلناه، فأقول لهم: ردّوا إلى النار ظمناً مظمّين مسوّدّة وجوهكم .

ثمّ ترد عليّ راية مع إمام المتّقين وسيّد الوصيين وقائد الغرّ المحجّلين ووصي

(١) سورة آل عمران: ١٠٦ .

(٢) ذو الثديية لقب رجل من الخوارج اسمه ترملة، قتل يوم النهروان، فمن قال في الثدي أنه مذكّر يقول: إنّما أدخلوا الهاء في التصغير؛ لأنّ معناه اليد وهي مؤنّثة، وذلك أنّ يده كانت قصيرة مقدار الثدي، يدلّ على ذلك أنّهم يقولون فيه: ذو الثدي وذو اليدية. وقيل: هو تصغير التندوة بحدف النون؛ لأنّها من تركيب الثدي، وانقلاب الياء فيهما واواً لضمّ ما قبلها، ولم يضرّ ارتكاب الشاذّ لظهور الاشتقاق، والتندوة للرجل بمنزلة الثدي للمرأة، قاله الجوهري «منه» .

رسول رب العالمين، فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فاتبعناه وأطعناه، وأمّا الأصغر فأجنبناه ووالينا ووازرناه ونصرناه، حتّى أهرقت فيهم دماؤنا، فأقول لهم: ردّوا إلى الجنّة رواءً مرويين مبيضة وجوهكم .

ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١).

وهذا الحديث وإن كان بعض رواته في طريق القمي - طاب ثراه - من الضعفاء، إلّا أنّ قصيدة السيّد ونظمه مضمونه تدلّ على غاية شهرته، واستفاضته في زمانه وفي سائر الأزمنة؛ لأنّ قصيدته هذه قد عرضت على الكاظم عليه السلام فلم ينكرها، بل طلب له الرحمة والمغفرة، ولما وصل العارض في عرضه إلى قوله «ووجهه كالشمس إذ تطلع» بكى عليه وأهل بيته (٢).

ورؤية الرضا عليه السلام جدّه ﷺ في المنام، وأمره له بأن يسلم على السيّد الشاعر، ثمّ أمره له بحفظ هذه القصيدة وتعليمها للشيعة، وأمرهم بحفظها والمداومة عليها، وضمانه - صلوات الله عليه - لهم بذلك الجنّة والمغفرة، مشهورة وفي كتب الأصحاب مسطورة .

فيحصل بذلك العلم، ولا أقلّ من حصول الظنّ القوي المتآخم له، بصدور الخبر عن سيّد البشر، بحيث لا يقدح فيه ضعف سنده، لتحقّق القرائن الدالّة على صحّة إسناده إليه ﷺ .

(١) تفسير القمي ١: ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) إختيار معرفة الرجال ٢: ٥٧٠ برقم: ٥٠٥ .

هذا، وفي تفسير العياشي: عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ليس منكم رجل ولا امرأة إلا وملائكة الله يأتونه بالسلام، وأنتم الذين قال الله تعالى: ﴿وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (١)(٢).

ومن طريق العامة روى أبو نعيم الحافظ، عن رجاله، عن أبي هريرة، قال: قال علي بن أبي طالب: يا رسول الله أيما أحب إليك أنا أم فاطمة؟ قال: فاطمة أحب (٣) إلي، وأنت أعز علي منها، وكأني بك وأنت علي حوضي تذود عنه الناس، وأن عليه أباريق عدد نجوم الدنيا، وأنت والحسن والحسين وحمزة وجعفر في الجنة إخواناً على سرر متقابلين، وأنت معي وشيعتك، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (٤).

وعن عمرو بن أبي المقدم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: والله ما من عبد من شيعتنا يتلو القرآن في صلاته قائماً إلا وله بكل حرف خمسون حسنة، ولا في غيره إلا وله عشر حسنات، وأن للصامت من شيعتنا لأجر من قرأ القرآن كله ممن خلفه، وأنتم والله لكم في صلاتكم أجر الصائين في سبيل الله.

وأنتم والله الذين قال الله عز وجل: ﴿وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ إنما شيعتنا أصحاب الأربع الأعين: عينان في الرأس، وعينان في القلب، ألا وإن الخلائق كلهم كذلك، ألا وإن الله عز وجل فتح أبصاركم وأعمى

(١) سورة الحجر: ٤٧.

(٢) تفسير العياشي ٢: ٢٤٤ ح ٢٤.

(٣) فيه نظر؛ لأن حديث الطائر المشوي يدل على خلافه، والحق أن أبا هريرة الدوسي ممن لا يعبأ به ولا بحديثه «منه».

(٤) إحقاق الحق ٣: ٤٥٤ عن أبي هريرة، ورواه في الهامش عن عدة كتب، فراجع.

أبصارهم^(١).

وفي بصائر الدرجات: عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن منصور، عن سليمان بن خالد - فالسند صحيح - عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سمعته يقول: أعمال العباد تعرض كل خميس على رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا كان يوم عرفة هبط الرب تبارك وتعالى، وهو قوله: «وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا»^(٢) فقلت: جعلت فداك أعمال من هذه؟ فقال: أعمال مبغضينا ومبغضينا^(٣).

وعن إبراهيم بن أبي يحيى، عن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: ما من مولود يولد إلا وإيليس من الأبالسة بحضرته، فإن علم الله أنه ليس من شيعتنا، أثبت^(٤) الشيطان باصبه السبابة في دبره وكان مأنوثاً، وذلك الذكر يخرج للوجه، وإن كانت امرأة أثبت في فرجها فكانت فاجرة، فعند ذلك يبكي الصبي بكاءً شديداً إذا هو خرج من بطن أمه، والله بعد ذلك يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب^(٥).

هذا حديث غريب يدل على أن شيعتهم عليهم السلام لا يتلوا بلاء الأبنه؛ لأن المراد بكونه مأنوثاً حبّ الوطئ في الدبر، ومثله «رأيت التأنيث في ولد العباس» وفي الحديث: الشيطان أتى قوم لوط في صورة حسنة فيها تأنيث^(٦).

(١) تفسير العياشي ٢: ٢٤٤ ح ٢٣، قطعة من الحديث.

(٢) سورة الفرقان: ٢٣.

(٣) بصائر الدرجات ص ٤٢٦ ح ١٥.

(٤) في التفسير: فإن علم الله أنه من شيعتنا حجه عن ذلك الشيطان، وإن لم يكن من شيعتنا أثبت ... إلى آخره.

(٥) تفسير العياشي ٢: ٢١٨ ح ٧٢.

(٦) مجمع البحرين ٢: ٢٣٤.

وهذا البلاء وهو حبّ الوطئ في الدبر، شايح في أكثر العائمة من قديم الزمان إلى هذا الأزمان، وهذا ممّا وصل إليهم وشاع فيهم أكابراً عن كابر، ورائة عن زفر، فإنّه كان أفليحياً ذاأبنة .

قال بعض علماء العائمة: الأبنة داء ينفعه ماء الرجال، وكان في مولانا عمر. فلما تفتنّ بقباحته بعض من تأخّر عنه، غيّرهُ وفسّرَها بقوله «الأبنة نبت» فكتب بعض فضلائنا المتأخّرين تحته: نعم هي نبت ينميهِ ماء يخرج من بين الصلب والترائب . وممّا يؤيّد أنّ الشيعة لا يبتلي بهذا البلاء، ما في الكافي: عن عطية، قال: ذكرت لأبي عبد الله عليه السلام المنكوح من الرجال، فقال: ليس يبلي الله بهذا البلاء أحداً وله فيه حاجة، إنّ في أدبارهم أرحاماً منكوسة، وحياء أدبارهم كحياء المرأة، قد شرك فيهم ابن لإبليس يقال له: زوال، فمن شرك فيه من الرجال كان منكوحاً، ومن شارك من النساء كانت من الموارد، والمعامل (١) على هذا من الرجال إذا بلغ أربعين سنة لم يتركه وهم بقية سدوم، أما إنّني لست أعني ببقيتهم أنّهم ولدوهم (٢) ولكن من طينتهم .

قال: قلت: سدوم التي قلبت؟ قال: هي أربع مدائن: سدوم، وصريم، ولدماء، وعميراء، أتاها جبرئيل عليه السلام وهنّ مقلوبات إلى تخوم الأرض السابعة، فوضع جناحه تحت السفلى منهنّ، ورفعهنّ جميعاً حتّى سمع أهل السماء الدنيا نباح (٣)

(١) في المصدر: العامل .

(٢) في المصدر: ولدهم .

(٣) نبح الكلب بالنون والباء الموحّدة: صوت «منه» .

كلاهم ثم قلبها (١).

ولكن ينافيه ما فيه: عن إسحاق بن عمّار، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: هؤلاء المختنون (٢) مبتلون بهذا البلاء، فيكون المؤمن مبتلا به، والناس يزعمون أنه لا يتلي به أحد لله فيه حاجة؟ فقال: نعم قد يكون مبتلا به فلا تكلموهم، فإنهم يجدون لكلامكم راحة. قلت: جعلت فداك فإنهم ليسوا يصبرون، قال: هم يصبرون ولكن يطلبون بذلك اللذة (٣).

وفيه: في مرفوعة الهيثم النهدي، قال: شكى رجل إلى أبي عبدالله عليه السلام الأبنة، فمسح أبو عبدالله عليه السلام على ظهره، فسقطت منه دودة حمراء، فبرئ (٤).

وفيه: عن علي بن عمر بن يزيد، قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام وعنده رجل، فقال له: جعلت فداك إنني أحب الصبيان، فقال له عليه السلام: فتصنع ماذا؟ قال: أحملهم على ظهري.

فوضع أبو عبدالله عليه السلام يده على جبهته وولي وجهه عنه، فبكى الرجل، فنظر إليه أبو عبدالله عليه السلام كأنه رحمه، فقال: إذا أتيت بلدك فاشتر جزوراً سميناً وأعقله عقلاً شديداً، وخذ السيف واضرب السنام ضربة تقشر عنه الجلد واجلس عليه بحرارته، قال الرجل: فأتيت بلدي، واشتريت جزوراً، فعقلته عقلاً شديداً.

(١) فروع الكافي ٥: ٥٤٩ ح ٢.

(٢) خنث خنثاً من باب تعب إذا كان فيه لين وتكسر ويعدى بالتضعيف، فيقال: خنثه غيره، ومنه المختن بفتح النون والتشديد، وهو من يوطئ في دبره لما فيه من الانخناث، وهو التكسر والتثني، ويقال: هو من الخنثي «منه».

(٣) فروع الكافي ٥: ٥٥١ ح ١٠.

(٤) فروع الكافي ٥: ٥٥ ح ٧.

وفعلت ما أمرت به، فسقط مَنِّي على ظهر البعير شبه الوزغ أصغر من الوزغ، وسكن ما بي (١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ الله عبادة لهم في أصلابهم أرحام كأرحام النساء، فسئل فما بالهم لا يحملون؟ فقال: إنها منكوسة، ولهم في أدبارهم غدة كغدة البعير، فإذا هاجت هاجوا، وإذا سكنت سكنوا (٢).

وعن النبي صلى الله عليه وآله: من مكَّن من نفسه طايحاً يلعب به، ألقى الله عليه شهوة النساء (٣).

هذا، ولنرجع إلى ما كُنَّا فيه، فنقول:

وفي الكافي: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة - فالسند صحيح - عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما تروي هذه الناصبة؟

فقلت: جعلت فداك فيماذا؟

فقال: في أذانهم وركوعهم وسجودهم.

فقلت: إنَّهم يقولون: إنَّ أبي بن كعب رآه في النوم.

فقال: كذبوا، فإنَّ دين الله عزَّ وجلَّ أعزَّ من أن يرى في النوم.

قال: فقال له سدير الصيرفي: جعلت فداك فأحدث لنا من ذلك ذكراً.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنَّ الله عزَّ وجلَّ لما عرج بنبيه صلى الله عليه وآله إلى سماواته السبع، أمَّا أولاهن فبارك عليه. والثانية علِّمه فرضه، فأنزل الله محملاً من نور فيه أربعون

(١) فروع الكافي ٥: ٥٥ ح ٧.

(٢) فروع الكافي ٥: ٥٤٩ ح ٣.

(٣) فروع الكافي ٥: ٥٤٩ ح ١.

نوعاً من أنواع النور كانت محدقة بعرش الله تعشي أبصار الناظرين، أما واحد منها فأصفر، فمن أجل ذلك اصفرت الصفرة، وواحد منها أحمر، فمن أجل ذلك احمرت الحمرة، وواحد منها أبيض، فمن أجل ذلك ابيضّ البياض، والباقي على سائر عدد الخلق من النور والألوان، في ذلك المحمل حلق وسلاسل من فضة .

ثم عرج به إلى السماء، فنفرت الملائكة إلى أطراف السماء وخرت سجداً، وقالت: سبوح قدّوس ما أشبه هذا النور بنور ربنا، فقال جبرئيل عليه السلام: الله أكبر الله أكبر، ثم فتحت أبواب السماء، واجتمعت الملائكة، فسلمت على النبي صلى الله عليه وآله أفواجاً، وقالت: يا محمد كيف أخوك؟ إذا نزلت فاقرأه السلام .

قال النبي صلى الله عليه وآله: فتعرفونه ؟

قالوا: وكيف لا نعرفه وقد أخذ ميثاقك وميثاقه منّا وميثاق شيعته إلى يوم القيامة علينا، وإنا لنتصّفح وجوه شيعته كلّ يوم وليلة خمساً، يعنون في كلّ وقت صلاة، وإنا لنصلي عليك وعليه .

ثم زادني ربّي أربعين نوعاً من أنواع النور لا تشبه النور الأوّل، وزادني حلقاً وسلاسل، وعرج بي إلى السماء الثانية، فلما قربت من باب السماء الثانية، نفرت الملائكة إلى أطراف السماء وخرت سجداً، وقالت: سبوح قدّوس ربّ الملائكة والروح، ما أشبه هذا النور بنور ربنا .

فقال جبرئيل عليه السلام: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، فاجتمعت الملائكة وقالت: يا جبرئيل من هذا معك؟ قال: هذا محمد صلى الله عليه وآله، قالوا: وقد بعث؟ قال: نعم .

قال النبي ﷺ: فخرجوا إليّ شبه المعانيق^(١)، فسلموا عليّ وقالوا: اقرأ أخاك السلام، فقلت: أتعرفونه؟ قالوا: وكيف لا نعرفه وقد أخذ ميثاقك وميثاقه وميثاق شيعته إلى يوم القيامة علينا، وإنا لتتصّفح وجوه شيعته في كلّ يوم وليلة خمساً، يعنون في كلّ وقت صلاة .

قال: ثمّ زادني ربّي أربعين نوعاً من أنواع النور لا تشبه الأنوار الأولى .
ثمّ عرج بي إلى السماء الثالثة، فنفرت الملائكة، وخرّت سجّداً وقالت: سيّوح قدّوس ربّنا وربّ الملائكة والروح، ما هذا النور الذي يشبه نور ربّنا؟
فقال جبرئيل عليه السلام: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، أشهد أنّ محمّداً رسول الله، فاجتمعت الملائكة وقالت: مرحباً بالأوّل والآخِر، ومرحباً بالحاشر، ومرحباً بالناشر، محمّد خير النبيين، وعلي خير الوصيين .

قال النبي ﷺ: ثمّ سلّموا عليّ وسألوني عن أخي، قلت: هو في الأرض أفتعرفونه؟ قالوا: وكيف لا نعرفه وقد نحجّ البيت المعمور كلّ سنة وعليه رقّ أبيض فيه اسم محمّد واسم علي والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام وشيعتهم إلى يوم القيامة، وإنا لنبارك عليهم في كلّ يوم وليلة خمساً، يعنون في كلّ وقت صلاة، ويمسحون رؤوسهم بأيديهم .

قال: ثمّ زادني ربّي أربعين نوعاً من أنواع النور لا تشبه تلك الأنوار الأولى .
ثمّ عرج بي حتّى انتهيت إلى السماء الرابعة، فلم تقل الملائكة شيئاً، وسمعت دويّاً كأنه في الصدور، فاجتمعت الملائكة، وفتحت أبواب السماء، وخرجت إليّ شبه المعانيق .

(١) المعانيق: جمع المعناق، وهو الفرس الجيّد العنق «منه» .

فقال جبرئيل عليه السلام: حيّ على الصلاة، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح^(١)، فقالت الملائكة: صوتان معروفان، فقال جبرئيل عليه السلام: قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، فقالت الملائكة: هي لشيعة إلى يوم القيامة .

ثم اجتمعت الملائكة، وقالت: كيف تركت أخاك؟ فقلت لهم: فتعرفونه؟ قالوا: نعرفه وشيعته، وهم نور حول عرش الله تعالى، وإنّ في البيت المعمور لرقاً من نور فيه كتاب من نور فيه اسم محمّد وعلي والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام وشيعتهم إلى يوم القيامة، لا يزيد فيه رجل ولا ينقص منهم رجل، وإنّه لميثاقنا، وإنّه ليقرأ علينا كلّ جمعة^(٢). والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

وفيه دلالة واضحة على أنّ من لم يقل بالأئمّة الاثنا عشر عليهم السلام من فرق أهل الإسلام، فهو ناصب؛ لأنّه لا يخلو من نصب عداوة لواحد من أهل البيت عليهم السلام حيث اعتقد فيه أنّه ليست له مرتبة الإمامة وفرض الطاعة .

وأيضاً فإنّهم ينصبون العداوة للشيعة. ولما سئل سيّدنا أبو عبد الله عليه السلام عن الناصب، قال: ليس الناصب من نصب العداوة لنا، فإنّك لو دررت العراقين لما وجدت من يبغضنا، وإنّما الناصب من نصب العداوة لشيعتنا وهو يعلم أنّهم شيعتنا^(٣) .

وهذا هو التفسير، وعليه فجّل المخالفين بل كلّهم داخلون فيه، ولعلّه لذلك

(١) ليس في هذا الحديث ذكر حيّ على خير العمل، ولكنّها مذكورة في أخبار آخر

كثيرة، وهذا هو الشايخ بين الشيعة وعليه العمل «منه» .

(٢) فروع الكافي ٣: ٤٨٢ - ٤٨٥ .

(٣) معاني الأخبار ص ٣٦٥ .

ذهب المرتضى وابن إدريس إلى نجاسة الجمهور كلهم، والاحتياط والدليل يقتضي المشهور .

والمشهور أنّ النواصب هم المتظاهرون بالسبّ للأئمة عليهم السلام .

وفي الفقيه: من نصب حرباً لآل محمّد، فلا نصيب له في الإسلام (١) .

والجهال يتوهّمون أنّ كلّ مخالف ناصب، وليس كذلك .

وفي القاموس: الناصب المتديّن ببعضة علي بن أبي طالب، نصبوا له، أي:

عادوه (٢) .

ثمّ إنّ الأذان والإقامة عند الشيعة وحي من الله تعالى كسائر العبادات على

لسان جبرئيل عليه السلام .

روى الفضيل بن يسار، عن الباقر عليه السلام، أنّه قال: لما أُسري برسول الله صلى الله عليه وآله، فبلغ

البيت المعمور، حضرت الصلاة، فأذنّ جبرئيل وأقام، فتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله، فصلّى

خلفه الملائكة والنبيون عليهم السلام (٣) .

وروى منصور بن حازم، عن الصادق عليه السلام، قال: لما هبط جبرئيل بالأذان على

رسول الله صلى الله عليه وآله كان رأسه على حجر علي عليه السلام، فأذنّ جبرئيل وأقام، فلما انتبه

رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: يا علي أسمعت؟ قال: نعم، قال: أحفظت؟ قال: نعم، قال: ادع

بلاّلاً فعلمه، كذا في الفقيه (٤) .

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٠٨ .

(٢) القاموس المحيط ١: ١٣٣ .

(٣) فروع الكافي ٣: ٣٠٢ ح ١ .

(٤) من لا يحضره الفقيه ١: ٢٨٢ ح ٨٦٥ .

ونسبه العامة في المشهور منهم إلى رؤيا عبدالله بن زيد في منامه، وهو بعيد عن أحوال رسول الله ﷺ وتلقيه العبادة بالوحي، ولقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (١).

قال ابن أبي عقيل: أجمعت الشيعة عن الصادق عليه السلام أنه لعن قوماً زعموا أن النبي ﷺ أخذ الأذان عن عبدالله بن زيد، فقال: ينزل الوحي على نبيكم، فتزعمون أنه أخذ الأذان من عبدالله بن زيد (٢).

هذا، وفي أصول الكافي: عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني - فالسند صحيح على الظاهر - عن أبي جعفر الثاني، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: إن الله خلق الإسلام، فجعل له عرصة، وجعل له نوراً، وجعل له حصناً، وجعل له ناصرًا.

فأما عرصته، فالقرآن. وأما نوره، فالحكمة. وأما حصنه، فالمعروف. وأما أنصاره، فأنا وأهل بيتي وشيعتنا، فأحبوا أهل بيتي وشيعتهم وأنصارهم، فإنه لما أُسري بي إلى السماء الدنيا، فنسبني جبرئيل لأهل السماء، فاستودع (٣) الله حبي وحب أهل بيتي وشيعتهم وأنصارهم في قلوب الملائكة، فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة.

ثم هبط إلى الأرض، فنسبني لأهل الأرض، فاستودع الله عز وجل حبي وحب

(١) سورة النجم: ٤.

(٢) بحار الأنوار ٨١: ١٢١.

(٣) في المصدر: استودع.

أهل بيتي وشيعتهم في قلوب مؤمني أمتي، فمؤمنوا^(١) أمتي يحفظون وديعتي [في أهل بيتي]^(٢) إلى يوم القيامة، ألا فلو أن رجلاً^(٣) من أمتي عبد الله عزّ وجلّ عمر أيام الدنيا، ثمّ لقي الله عزّ وجلّ مبغضاً لأهل بيتي وشيعتي ما فرّج الله صدره إلّا عن نفاق^(٤).

وفي روضة الكافي: عن محمّد بن مسلم، قال أبو جعفر^(٥): يابن مسلم الناس أهل رياء غيركم، وذلك^(٥) أنكم أخفيتم ما يحبّ الله عزّ وجلّ، وأظهرتم ما يحبّ الناس، والناس أظهروا ما يسخط الله عزّ وجلّ، وأخفوا ما يحبّ^(٦) الله، يابن مسلم إنّ الله تعالى رأف بكم، فجعل المتعة عوضاً لكم من الأسرية^(٧).

وفي أصول الكافي: عن أبي حمزة، عن أبي إسحاق، قال: حدّثني الثقة من أصحاب أمير المؤمنين^(٨) أنّهم سمعوا أمير المؤمنين^(٩) يقول في خطبة له:
اللهمّ وإني لأعلم أنّ العلم لا يأزر كلّه، ولا ينقطع موادّه، وأنك لا تخلي أرضك من حجة لك على خلقك، ظاهر ليس بالمطاع، أو خائف مغمور كي لا تبطل حجّتك، ولا يضلّ أولياؤك بعد إذ هديتهم، بلى أين هم؟ وكم؟ أولئك الأقلّون عدداً، الأعظمون عند الله جلّ ذكره قدراً، المتّبعون لقادة الدين الأئمّة الهادين،

(١) في الأصل: فهو عند .

(٢) الزيادة من المصدر .

(٣) في المصدر: الرجل .

(٤) أصول الكافي ٢: ٤٦ ح ٣ .

(٥) في المصدر: وذلكم .

(٦) في المصدر: يحبّه .

(٧) الروضة من الكافي ٨: ١٥١ ح ١٣٣، وفي آخره: عن الأثرية .

الذين يتأدّبون بأدابهم، وينهجون نهجهم، فعند ذلك تهجم بهم العلم على حقيقة الإيمان، فستجيب أرواحهم لقادة العلم، ويستنبئون من حديثهم ما استوعر على غيرهم، ويأنسون بما استوحش منه المكذّبون وأباه المترفون^(١).

أولئك أتباع العلماء، صحبوا أهل الدنيا بطاعة الله تبارك وتعالى وأوليائه، ودانوا بالتقية على دينهم، والخوف من عدوّهم، فأرواحهم معلقة بالمحلّ الأعلى، فعلماءهم وأتباعهم خرس صمت في دولة الباطل، منتظرون لدولة الحقّ «وسيقّ الله الحقّ بكلماته ويمحق الباطل» هاها طوبى لهم على صبرهم على دينهم في حال هدنتهم، ويا شوقاه إلى رؤيتهم في حال ظهور دولتهم، وسيجمعنا الله وإياهم في جنّات عدن ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم^(٢).

قوله عليه السلام «العلم لا يارز» بالراء المهملة ثمّ الزاي المعجمة، أي: لا يجتمع ولا ينقبض بل ينبسط وينتشر، ومنه الحديث «إنّ الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تآرز الحيّة إلى جحرها»^(٣).

والهجوم على قوم الدخول عليهم بغتة وغفلة من غير استئذان، أي: يطلعهم العلم على حقيقة الإيمان.

«ويستنبئون» أي: يستخبرون.

والوعر: من الأرض ضدّ السهل.

والمترف: المتنعم من الترفّح بالضمّ وهي النعمة.

(١) في المصدر: المسرفون.

(٢) أصول الكافي ١: ٣٣٥ ح ٣.

(٣) مجمع البحرين ٤: ٥.

وإنما تكون أرواحهم معلقة بالمحل الأعلى؛ لأنهم نفضوا عن أذيال قلوبهم غبار التعلق بهذه الخبرة الموحشة، وتوجهت أرواحهم إلى مشاهدة جمال الربوبية، فهم مصاحبون بأشباههم لأهل هذه الدار، وبأرواحهم بالملائكة المقربين الأبرار، وحسن أولئك رقيقاً .

وقوله ﷺ «هاها» كناية عن التأوه .

والهدنة: بالضمّ الصلح بين المسلمين والكفار وبين المتحاربين، يقال: هدنته، أي: أسكنته .

وفي هذا الحديث من الدلالة على جلالة قدر الشيعة وبشارتهم، ولا سيما للذين هم في هذا الزمان، وهو زمان غيبة صاحبنا صاحب العصر والزمان عليه صلوات الله الملك المنان، ما لا يخفى .

وفي مجمع البيان: عن أبي القاسم الحسكاني^(١)، بالاسناد عن الأعمش، قال: حدثنا أبوالمتموكل الناجي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة يقول الله لي ولعلي: ألقيا في النار من أبغضكما، وأدخلا الجنة من أحبكما، وذلك قوله تعالى: ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (٢)(٣) .

وفي أمالي شيخ الطائفة: بإسناده قال: قال رسول الله ﷺ في قوله عز وجل: ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ نزلت فيّ وفي علي بن أبي طالب، وذلك أنه إذا كان يوم القيامة شفّعتني ربّي وشفّعتك يا علي، وكساني وكسك يا علي، ثم قال لي ولك

(١) شواهد التنزيل للحسكاني ٢: ١٩٠ .

(٢) سورة ق: ٢٤ .

(٣) مجمع البيان ٥: ١٤٧ .

يا علي: ألقيا في جهنم من أبغضكما، وأدخلا الجنة من أحبكما، قال: ذلك هو المؤمن^(١).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٢) الذين آمنوا الشيعة، وذكر الله أمير المؤمنين والأئمة^(٣).

وفي تفسير العياشي: عن خالد بن نجیح، عن جعفر بن محمد^(٤)، قال: بمحمد^(٥) تطمئن القلوب، وهو ذكر الله وحجابه^(٤).

ومآل الخبرين واحد لا اختلاف بينهما؛ لأنَّ محمداً وأمير المؤمنين والأئمة^(٥) واحد في كونهم ذكر الله.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى مروان بن مسلم، عن أبي بصير، قال الصادق^(٦): طوبى لمن تمسك بأمرنا في غيبة قائمنا، فلم يزغ قلبه بعد الهداية. قيل له: جعلت فداك وما طوبى؟ قال: شجرة في الجنة، أصلها في دار علي بن أبي طالب، وليس من مؤمن إلا وفي داره غصن من أغصانها، وذلك قول الله عز وجل: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَا بٍ﴾^(٥).

وإسناده إلى أبي حمزة، عن أبي جعفر^(٦)، قال: قال رسول الله^(٧): طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو يأتّم به في غيبته قبل قيامه، ويتولّى أولياءه ويعادي

(١) أمالي الشيخ الطوسي ص ٣٦٨ برقم: ٧٨٢.

(٢) سورة الرعد: ٢٨.

(٣) تفسير القمي ١: ٣٦٥.

(٤) تفسير العياشي ٢: ٢١١ ح ٤٤.

(٥) كمال الدين ص ٣٥٨ ح ٥٥.

أعداءه، ذلك من رفقائي وذوي مودّتي، وأكرم أمّتي عليّ يوم القيامة (١).

وفي شرح الآيات الباهرة: بإسناده إلى محمّد بن إسماعيل بن عبدالرحمن الجعفي، قال: دخلت أنا وعمّي الحصين بن عبدالرحمن على أبي عبدالله عليه السلام، فسلمّ عليه، فردّ عليه السلام وأدناه، وقال: ابن من هذا معك؟ قال: ابن أخي إسماعيل.

قال: رحم الله إسماعيل وتجاوز عن سيّئ عمله كيف مخلفوه (٢)؟

قال: نحن جميعاً بخير ما أبقى الله لنا مودّتكم.

قال: يا حصين لا تستصغرنّ مودّتنا، فإنّها من الباقيات الصالحات، فقال: يا ابن رسول الله ما أستصغرها، ولكن أحمد الله عليها، لقولهم صلوات الله عليهم: من حمد فليقل الحمد لله على أوّل النعم، قيل: وما أوّل النعم؟ قال: ولايتنا أهل البيت (٣).

وفيه أيضاً: بإسناده إلى الهيثم بن عبدالله، قال: حدّثنا مولاي علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاني جبرئيل عليه السلام عن ربّه عزّ وجلّ وهو يقول: ربّي يقرّوك السلام ويقول لك: يا محمّد بَشِّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ويؤمنون بك وبأهل بيتك بالجنّة، ولهم عندي جزاء الحسنى يدخلون الجنّة، أي: جزاء الحسنى وهي ولاية أهل البيت عليهم السلام دخول الجنّة والخلود فيها في جوارهم صلوات الله عليهم (٤).

(١) كمال الدين ص ٢٨٦ ح ٢.

(٢) في المصدر: تخلّفوه.

(٣) تأويل الآيات الباهرة ١: ٢٩٧ ح ٨.

(٤) تأويل الآيات الباهرة ١: ٢٩٧ - ٢٩٨ ح ٩.

وفي روضة الكافي: عن أبي حمزة الثمالي، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما يصنع بأحد عند الموت؟ قال: أما والله يا أبا حمزة ما بين أحدكم وبين أن يرى مكانه من الله ومكانه منّا إلا أن تبلغ نفسه هاهنا، ثم أهوى بيده إلى نحره، ألا أبشرك يا أبا حمزة؟ فقلت: بلى جعلت فداك .

فقال: إذا كان ذلك أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام معه قعد عند رأسه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أما تعرفني؟ أنا رسول الله هلمّ إلينا، فما أمامك خير لك ممّا خلّفت، أما ما كنت تخاف فقد أمنت، وأماماً كنت ترجو، فقد هجبت عليها، أيتها الروح أخرجي إلى روح الله ورضوانه، فيقول له علي عليه السلام مثل قول رسول الله صلى الله عليه وآله .

ثم قال: يا أبا حمزة ألا أخبرك بذلك في كتاب الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (١)(٢) .

وفي الكافي: عن محمد بن يحيى وغيره، عن محمد بن أحمد، عن موسى بن عمر، عن ابن سنان، عن أبي سعيد القمّاط، عن بكير بن أعين - فالسند صحيح على الظاهر - قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام لأيّ علّة وضع الحجر في الركن الذي هو فيه ولم يوضع في غيره؟ ولأيّ علّة يقبل؟ ولأيّ علّة أُخرج من الجنّة ووضعت ميثاق العباد والعهد فيه ولم يوضع في غيره؟ وكيف السبب في ذلك؟ تخبرني جعلني الله فداك، فإنّ تفكّري فيه لعجب .

قال: فقال: سألت وأعضلت في المسألة واستقصيت، فافهم الجواب وفرّغ قلبك واضع سمعك أخبرك إن شاء الله، إنّ الله تبارك وتعالى وضع الحجر الأسود، وهي

(١) سورة يونس: ٦٤ .

(٢) تفسير العياشي ٢: ١٢٦ ح ٣٤ . والحديث غير موجود في روضة الكافي .

جوهرة أُخرجت من الجنة إلى آدم ﷺ، فوضعت في ذلك الركن لعلّ الميثاق .
 وذلك أنّه لما أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم حين أخذ الله عليهم الميثاق
 في ذلك المكان [وفي ذلك المكان] (١) ترايا لهم، وفي ذلك المكان يهبط الطير
 على القائم ﷺ، فأول ما يبایعه ذلك الطير، وهو والله جبرئيل ﷺ، وإلى ذلك المكان
 يسند القائم ﷺ ظهره، وهو الحجّة والدليل على القائم ﷺ، وهو الشاهد لمن وافى
 ذلك المكان، والشاهد على من أدّى إليه الميثاق، والعهد الذي أخذ الله عزّ وجلّ
 على العباد .

فأمّا القُبلَة والالتماس، فلعلّ العهد، تجديداً لذلك العهد والميثاق، وتجديداً
 للبيعة لتؤدّوا إليه العهد الذي أخذ الله عليهم في الميثاق، فيأتوه في كلّ سنة، ويؤدّوا
 إليه ذلك العهد والأمانة التي أخذ الله عليهم (٢) .

ألا ترى أنّك تقول: أمانتني أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة، والله ما
 يؤدّي ذلك أحد غير شيعتنا، ولا حفظ ذلك العهد والميثاق أحد غير شيعتنا، وأنّهم
 ليأتوه فيعرفهم ويصدّقهم، ويأتيه غيرهم فينكرهم ويكذبهم .

وذلك أنّه لم يحفظ ذلك غيركم، فلکم والله يشهد وعليهم والله يشهد بالخفر
 والجحود والكفر، وهو الحجّة البالغة من الله عليهم يوم القيامة، يجيء وله لسان
 ناطق وعينان في صورته الأولى يعرفه الخلق ولا ينكره، يشهد لمن وافاه وجدّد
 العهد والميثاق عنده بحفظ العهد والميثاق وأداء الأمانة، ويشهد على كلّ من أنكر

(١) الزيادة من المصدر .

(٢) في المصدر: أخذنا عليهم .

وجحد ونسي بالكفر والإنكار^(١). والحديث طويل أخذنا منه بقدر الحاجة .
وفي أمالي شيخ الطائفة عليه السلام: بإسناده إلى جابر، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن
جده عليه السلام، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: أنت الذي احتج الله بك في ابتدائه الخلق
حيث أقامهم أشباحاً، فقال: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ»^(٢) قال: ومحمد رسولي،
قالوا: بلى، قال: وعلي أمير المؤمنين، وأبى الخلق جميعاً إلا استكباراً وعتواً عن
ولايتك إلا نفر قليل، وهم أقلّ القليل، وهم أصحاب اليمين^(٣).

وروى أخطب خوارزم حديثاً مسنداً، يرفعه إلى سعيد بن جبير، عن ابن
عبّاس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته، فغدا عليه علي بن أبي طالب عليه السلام بالغداة،
وكان يحب أن لا يسبقه أحد، فدخل فإذا النبي صلى الله عليه وآله في صحن الدار، وإذا رأسه في
حجر دحية، فقال: السلام عليك كيف أصبح رسول الله؟ فقال له دحية: وعليك
السلام أصبح بخير يا أخا رسول الله .

فقال له علي عليه السلام: جزاك الله من أهل البيت خيراً .
فقال له دحية: إني أحبك، وإن لك عندي مدحة أزفها إليك، أنت أمير المؤمنين،
وقائد الغر المحجلين، وسيد ولد آدم ما خلا النبيين والمرسلين^(٤)، لواء الحمد
بيدك يوم القيامة، تزف أنت وشيعتك مع محمد وحزبه إلى الجنان، قد أفلح من

(١) فروع الكافي ٤: ١٨٤ - ١٨٥ ح ٣ .

(٢) سورة الأعراف: ١٧٢ .

(٣) أمالي الشيخ الطوسي ص ٢٣٢ - ٢٣٣ برقم: ٤١٢ .

(٤) والحق أنه صلى الله عليه وآله سيد ولد آدم أجمعين حتى النبيين والمرسلين ما خلا محمد خاتم
النبيين صلوات الله عليهم أجمعين، كما دلّت عليه دلائل وروايات كثيرة، أوردناها في

تولّك، وخسر من قلاك^(١)، محبّوا محمّد محبّوك، ومبغضوه مبغضوك، لن تنالهم شفاعة محمّد، أدن منّي يا صفوة الله وخذ رأس ابن عمّك، فأنت أحقّ به منّي .

فأخذ رأس رسول الله ﷺ، فانتبه وقال: ما هذه المهمة؟ فأخبره الخبر، فقال: لم يكن دحية وإنما كان جبرئيل سمّاك باسم سمّاك الله به، وهو الذي ألقى محبّتك في صدور المؤمنين، ورهبتك في صدور الكافرين^(٢) .

أقول: ونقل هؤلاء أمثال هذا الخبر في كتبهم غريب، ولعله كان من غير رويّة، أو أجزاها الله على لسانهم وسبّب لهم الباعث على نقلها ليكون ذلك حجّة عليهم وفضيحة لهم عند الله وعند الناس، كما هو الموجود في غير هذا المحلّ أيضاً من نظائرها كثيراً .

وروى الشيخ الفقيه محمّد بن جعفر^(٣) حديثاً مسنداً عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي طوبى لمن أحبّك، وويل لمن أبغضك وكذب بك، يا علي أنت علم لهذه الأمة، من أحبّك فاز، ومن أبغضك هلك .

يا علي أنا مدينة العلم وأنت الباب، يا علي أنت أمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجّلين، يا علي ذكرك في التوراة، وذكر شيعتك قبل أن يخلقوا بكلّ خير، وكذلك ذكرك في الإنجيل وما أعطاك الله من علم الكتاب، فإنّ أهل الإنجيل يفرطون في شمعون وشيعته وما يعرفونهم، وأنت وشيعتك مذكورون في كتبهم .

يا علي خبر أصحابك إنّ ذكرهم في السماء أفضل وأعظم من ذكرهم في الأرض، فليفرحوا بذلك، وليزدادوا اجتهاداً، فإنّ شيعتك على منهاج الحقّ

(١) في المصدر: عاداك .

(٢) المناقب للخوارزمي ص ٢٣٥ ط تبريز .

والاستقامة الحديث (١).

وفي إرشاد المفيد: بإسناده إلى الأصعب بن نباتة، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ لله تعالى قصراً من ياقوت أحمر لا يناله إلا نحن وشيعتنا وسائر الناس منه بريئون (٢).

وفي روضة الكافي: في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام وهي خطبة الوسيلة: ألا وإنَّ الوسيلة أعلى درج الجنة، وذروة ذوائب الزلفة، ونهاية غاية الأمنية، لها ألف مرقاة. وساق الكلام عليه السلام إلى أن قال:

وعن يمين الوسيلة عن يمين الرسول صلى الله عليه وآله غمامة بسطة البصر، يأتي منها النداء: يا أهل الموقف طوبى لمن أحبَّ الوصي، وآمن بالنبي الأمي العربي، ومن كفر به فالنار موعده.

وعن يسار الوسيلة عن يسار الرسول صلى الله عليه وآله ظلَّة يأتي منها النداء: يا أهل الموقف طوبى لمن أحبَّ الوصي، وآمن بالنبي الأمي، والذي له الملك الأعلى، لا يجاز (٣) أحد ولا نال الروح والجنة إلا من لقي خالقه بالإخلاص لهما والاعتداء بنجومهما، فأيقنوا يا أهل ولاية الله تبييض (٤) وجوهكم، وشرف مقعدكم، وكرم مآبكم، وبفوزكم اليوم على سرر متقابلين، ويا أهل الإنحراف والصدود عن الله عزَّ ذكره ورسوله وصراطه وأعلام الأزمنة، أيقنوا بسواد وجوهكم، وغضب ربكم، جزاءً

(١) أمالي الشيخ الصدوق ص ٦٥٧ برقم: ٨٩١، بشارة المصطفى ص ٢٢١ - ٢٢٣.

(٢) الإرشاد ٤٢: ١.

(٣) في المصدر: لا فاز.

(٤) في المصدر: بياض.

بما كنتم تعملون^(١).

وفي روضة الكافي: عن الحسين بن أعين أخى مالك بن أعين، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الرجل «جزاك الله خيراً» ما يعنى به؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: إن خيراً نهر في الجنة مخرجه من الكوثر، والكوثر مخرجه من ساق العرش، عليه منازل الأوصياء، وشيعتهم على حافتي ذلك النهر جوارى نابتات، كلما قلعت واحدة نبتت أخرى، سمي بذلك النهر، وذلك قوله عز وجل: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾^(٢) فإذا قال الرجل لصاحبه: جزاك الله خيراً، فإنما يعنى بذلك تلك المنازل التي قد أعدها الله عز وجل لصفوته وخيرته من خلقه^(٣).

وفيه: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن أبي أيوب، عن الحلبي - فالسند صحيح - قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ قال: هن صالح^(٤) المؤمنات العارفات المخدرات^(٥) في خيام الدر والياقوت والمرجان، لكل خيمة أربعة أبواب على كل باب سبعون كاعباً حجاباً لهم، ويأتيهن في كل يوم كرامة من الله عز ذكره ليبشر الله بهن المؤمن^(٦). وفيه: عن أبي شبل، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام ابتداءً منه: أحببتمونا وأبغضنا

(١) الروضة من الكافي ٨: ٢٤ - ٢٥.

(٢) سورة الرحمن: ٧٠.

(٣) الروضة من الكافي ٨: ٢٣٠ - ٢٣١ ح ٢٩٨.

(٤) في المصدر: صالح.

(٥) في المصدر: العازمات، قال: قلت: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ قال: الحور هن

البيض المضمومات المخدرات الخ.

(٦) الروضة من الكافي ٨: ١٥٦ - ١٥٧ ح ١٤٧.

الناس، وصدّقتونا وكذّبتنا الناس، ووصلتمونا وجفانا الناس، فجعل الله محياكم محيانا ومماتكم مماتنا، أما والله ما بين الرجل وبين أن يقرّ الله عينيه إلّا أن تبلغ نفسه هذا المكان، وأوماً بيده إلى حلقه فمدّ الجلدة .

ثم أعاد ذلك، فوالله ما رضي حتّى حلف لي، فقال: والله الذي لا إله إلّا هو لحدّثني أبي محمّد بن علي بذلك، يا أباشبل أما ترضون أن تصلّوا ويصلّوا، فيقبل منكم ولا يقبل منهم، أما ترضون أن تزكّوا ويزكّوا، فيقبل منكم ولا يقبل منهم، أما ترضون أن تحجّوا ويحجّوا، فيقبل الله جلّ ذكره منكم ولا يقبل منهم .

فوالله ما تقبل الصلاة إلّا منكم، ولا الزكاة إلّا منكم، ولا الحجّ إلّا منكم، فاتّقوا الله عزّ وجلّ، فإنّكم في هدنة، وأدّوا الأمانات، فإذا تميّز الناس فعند ذلك ذهب كلّ قوم بهواهم، وذهبتهم بالحقّ ما أطعتمونا، أليس القضاة والأمرء وأصحاب المسائل منهم؟ قلت: بلى .

قال: فاتّقوا الله عزّ وجلّ، فإنّكم لا تطيقون الناس كلّهم، إنّ الناس أخذوا هاهنا وهاهنا، وإنّكم أخذتم حيث أخذ الله، إنّ الله عزّ وجلّ اختار من عباده محمّداً ﷺ، فاخترتم خيرة الله، فاتّقوا الله وأدّوا الأمانات إلى الأسود والأبيض، وإن كان حرورياً وإن كان شامياً^(١) .

وفيه: عن معاذ بن كثير، قال: نظرت إلى الموقف والناس فيه كثير، فدنوت إلى أبي عبد الله ﷺ، فقلت له: إنّ أهل الموقف لكثير، قال: فصرف ببصره فأداره فيهم، ثمّ قال: أدن منّي يا عبد الله غشاء^(٢) يأتي به الموج من كلّ مكان، لا والله ما الحجّ

(١) الروضة من الكافي ٨: ٢٣٦ ح ٣١٦ .

(٢) الغشاء بالضمّ والمدّ ما يجيء به السيل ممّا يحتمله من الوبسح وغيره «منه» .

إلّا لكم، لا والله ما يتقبّل إلّا منكم (١).

الظاهر أنّ المراد بعدم قبول صلاتهم وزكاتهم وحجّهم عدم ترتّب الثواب عليها لا عدم إجرائها، فإنّها مجزية اتّفاقاً، ولذا قال أصحابنا: إذا استبصر المخالف لا يعيد الحجّ (٢).

فلا بدّ: إمّا إلى القول بأنّ قبول العبادة أمر مغاير للإجزاء، فإنّ المجزية منها هي المبرأة للذمّة، والمقبولة منها ما يترتّب عليه الثواب، ولا تلازم بينهما، أو إلى القول بأنّ عدم القبول كناية عن نقص الثواب وفوات معظمه، فتأمل.

وفيه: عن أبي الصامت، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: مررت أنا وأبو جعفر عليه السلام على الشيعة، وهم ما بين القبر والمنبر، فقلت لأبي جعفر عليه السلام: شيعتك ومواليك جعلني الله فداك. قال: أين هم؟ فقلت: أراهم ما بين القبر والمنبر، فقال: اذهب إليهم، فذهب فسلم عليهم، ثمّ قال: والله إنّي لأحبّ ريحكم وأرواحكم، فأعينوني مع هذا بورع واجتهاد، إنّه لا ينال ما عند الله إلّا بورع واجتهاد، وإذا ائتمتم بعد فاققدوا به، أما والله إنكم لعلني ديني ودين آبائي إبراهيم وإسماعيل، وإن كان هؤلاء على دين أولئك، فأعينوني على هذا بورع واجتهاد (٣).

وفيه: عن أبي الربيع الشامي، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ قائمنا إذا قام مدّ الله عزّ وجلّ لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتّى يكون بينهم وبين القائم يريد

(١) الروضة من الكافي ٨: ٢٣٧ ح ٣١٨.

(٢) عدم إعادة الحجّ تفضّل من الله عليهم لاستبصارهم، لا لأنّها كانت عبادتهم في زمن عدم استبصارهم مجزية، ولذا نرى بعض عباداتهم بعد الاستبصار غير مجزية، فلا بدّ من إعادتها، فتدبّر.

(٣) الروضة من الكافي ٨: ٢٤٠ ح ٣٢٨.

يكلّمهم، فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه (١).

وفيه: عن أبان بن تغلب وعدّة، قالوا: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام جلوساً، فقال عليه السلام: لا يستحقّ عبد حقيقة الإيمان حتّى يكون الموت أحبّ إليه من الحياة، ويكون المرض أحبّ إليه من الصحّة، ويكون الفقر أحبّ إليه من الغنى، فأنتم كذا.

فقالوا: لا والله جعلنا الله فداك، وسقط في أيديهم (٢)، ووقع اليأس في قلوبهم. فلمّا رأى ما داخلهم من ذلك، قال: أيسرّ أحدكم أنّه عمّر ما عمّر، ثمّ يموت على غير هذا الأمر، أو يموت على ما هو عليه؟ قالوا: بل يموت على ما هو عليه الساعة، قال: فأرى الموت أحبّ إليكم من الحياة.

ثمّ قال: أيسرّ أحدكم إن بقي ما بقي لا يصيبه شيء من هذه الأمراض والأوجاع حتّى يموت على غير هذا الأمر؟ قالوا: لا يا بن رسول الله. قال: فأرى المرض أحبّ إليكم من الصحّة.

قال: ثمّ قال: أيسرّ أحدكم أنّ له ما طلعت عليه الشمس وهو على غير هذا الأمر؟ قالوا: لا يا بن رسول الله. قال: فأرى الفقر أحبّ إليكم من الغنى (٣).

وفيه: عن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ما أحد من هذه الأئمة يدين بدين إبراهيم عليه السلام إلّا نحن وشيعتنا، ولا هدي من هدي من هذه الأئمة إلّا

(١) الروضة من الكافي ٨: ٢٤٠ - ٢٤١ ح ٣٢٩.

(٢) قال صاحب الكشّاف في قوله تعالى: «وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ» أي: لما اشتدّ ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل؛ لأنّ من شأن من اشتدّ ندمه وحسرتة أن يعضّ يده غمّاً، فيصير يده مسقوطاً فيها؛ لأنّ فاه قد وقع فيها وسقط أيديهم، وهو من باب الكناية «منه».

(٣) الروضة من الكافي ٨: ٢٥٣ ح ٣٥٧.

بنا، ولا ضلّ من ضلّ من هذه الأمة إلّا بنا^(١) .

وفيه: عن سعيد بن يسار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الحمد لله صارت فرقة مرجئة، وصارت فرقة حرورية، وصارت فرقة قدرية، وسمّيت الترابية وشيعة علي، أما والله ما هو إلّا الله وحده لا شريك له ورسوله وآل رسول الله وشيعة آل رسول الله عليه السلام، وما الناس إلّا هم كان علي أفضل الناس بعد رسول الله وأولى الناس بالناس حتّى قال ثلاثاً^(٢) .

وعن عبد الحميد الواسطي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: أصلحك الله لقد تركنا أسواقنا انتظاراً لهذا الأمر حتّى ليوشك الرجل منا أن يسأل في يده .

فقال: يا عبد الحميد أترى من حبس نفسه على الله لا يجعل الله له مخرجاً، بلى والله ليجعلنّ الله له مخرجاً، رحم الله عبداً أحيا أمرنا .

قلت: أصلحك الله انّ هؤلاء المرجئة يقولون: ما علينا أن نكون على الذي نحن عليه حتّى إذا جاء ما تقولون كنّا نحن وأنتم سواء .

فقال: يا عبد الحميد صدقوا من تاب تاب الله عليه، ومن استتر نفاقاً فلا يرغم الله إلّا أنفه، وأظهر أمرنا أهرق^(٣) الله دمه، يذبهم الله على الإسلام كما يذب القصاب شاته .

قال: قلت: فنحن يومئذ والناس فيه سواء؟ قال: أنت يومئذ سنام الأرض وحكّامها، لا يسعنا في ديننا إلّا ذلك .

(١) الروضة من الكافي ٨: ٢٥٤ ح ٣٥٩ .

(٢) الروضة من الكافي ٨: ٨٠ ح ٣٦ .

(٣) في الأصل: إهراق .

قلت: فإن متّ قبل أن أدرك القائم عليه السلام.

قال: إنّ القائل منكم إذا قال: إن أدركت قائم آل محمّد نصرته كالمقارع^(١) معه بسيفه والشهادة معه شهادتان^(٢).

وعن عبدالله بن الوليد الكندي، قال: دخلنا على أبي عبدالله عليه السلام في زمن مروان، فقال: من أنتم؟ قلنا: من أهل الكوفة.

فقال: ما من بلدة من البلدان أكثر محباً لنا من أهل الكوفة، ولا سيّما هذه العصابة، إنّ الله جلّ ذكره هداكم لأمر جهله الناس، وأحببتمونا وأبغضنا الناس، واتبعتمونا وخالفنا الناس، وصدّقتمونا وكذّبنا الناس، فأحياكم الله محيانا، وأماتكم مماتنا.

فأشهد على أبي أنّه كان يقول: ما بين أحدكم وبين أن يرى ما يقرّ الله به عينه وأن يعتبط إلا أن تبلغ نفسه هذه، وأهوى بيده إلى حلقة، وقد قال الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾^(٣) فنحن ذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله^(٤).

وعن محمّد بن سلمان، عن أبيه، قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام إذ دخل عليه أبو بصير وقد خفره النفس، فلمّا أخذ مجلسه، قال له أبو عبدالله عليه السلام: يا أبا محمّد ما هذا النفس العالي؟

(١) قارع وتقارع القوم بعضهم بعضاً: ضاربوا، وبالرماح: تطاعنوا.

(٢) الروضة من الكافي ٨: ٨٠ - ٨١ ح ٣٧.

(٣) سورة الرعد: ٣٨.

(٤) الروضة من الكافي ٨: ٨١ ح ٣٨.

فقال: جعلت فداك يا بن رسول الله كبرت سنّي، ودقّ عظمي، واقترب أجلي، مع ما أنّي لست أدري ما أرد عليه من أمر آخرتي .

فقال أبو عبدالله عليه السلام: يا أبا محمّد وأنتك لتقول هذا؟

قال: جعلت فداك وكيف لا أقول؟

فقال: يا أبا محمّد ما علمت أنّ الله عزّ وجلّ يكرم الشباب منكم ويستحيي من الكهول؟

قال: قلت: جعلت فداك فكيف يكرم الشباب ويستحيي من الكهول؟

فقال: يكرم الله الشباب أن يعذبهم، ويستحيي من الكهول أن يحاسبهم .

قال: قلت: جعلت فداك هذا لنا خاصّة أم لأهل التوحيد؟

قال: فقال: لا والله إلّا لكم خاصّة دون العالم .

قال: قلت: جعلت فداك فإنّا نبزنا نبزاً، انكسرت له ظهورنا، وماتت له أفدتنا، واستحلّت له الولاية دماءنا في حديث رواه لهم فقهاؤهم .

قال: فقال أبو عبدالله عليه السلام: الرافضة؟

قال: قلت: نعم .

قال: لا والله ما هم سمّوكم، بل الله سمّاكم به، أما علمت يا أبا محمّد إنّ سبعين رجلاً من بني اسرائيل رفضوا فرعون وقومه لما استبان لهم ضلالهم، فلاحقوا بموسى عليه السلام لما استبان لهم هداه، فسّموا في عسكر موسى عليه السلام الرافضة؛ لأنّهم رفضوا فرعون، وكانوا أهل ذلك العسكر عبادة وأشدّهم حبّاً لموسى وهارون وذريتهما عليهم السلام، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام: أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراة، فإنّي قد سمّيتهم به، ونحلّتهم إياه، فأثبت موسى عليه السلام الاسم لهم، ثمّ ذخر الله عزّ وجلّ لكم هذا الاسم حتّى نحلّكموه .

يا أبا محمد رفضوا الخير، ورفضتم الشر، افترق الناس كل فرقة، وتشعبوا كل شعبة، فانشعبتم مع أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وعليهم، وذهبتهم حيث ذهبوا، واخترتهم من اختار الله لكم، وأردتم من أراد الله. فأبشروا فأنتم والله المرحومون المتقبل من محسنكم، والمتجاوز عن مسيئكم، من لم يأت الله عز وجل بما أنتم عليه يوم القيامة لم يتقبل منه حسنة، ولم يتجاوز عنه سيئة .
يا أبا محمد فهل سررتك؟ قال: قلت: جعلت فداك زدني .

قال: فقال: يا أبا محمد إن الله عز وجل ملائكة يسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا، كما يسقط الريح الورق في أوان سقوطه، وذلك قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١) استغفارهم والله لكم دون هذا الخلق .

يا أبا محمد فهل سررتك؟ قال: قلت: جعلت فداك زدني .
قال: يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه، فقال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^(٢) إنكم وفيتهم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا، وأنكم لم تتبدلوا بنا غيرنا، ولم تفعلوا ما عيركم كما^(٣) عيرتهم، حيث يقول جل ذكره: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾^(٤) .

(١) سورة غافر: ٧ .

(٢) سورة الأحزاب: ٢٣ .

(٣) في المصدر: ولو لم تفعلوا لعيركم الله كما الخ .

(٤) سورة الأعراف: ١٠٢ .

يا أبا محمّد فهل سررتك؟ قال: قلت: جعلت فداك زدني .

قال: يا أبا محمّد لقد ذكركم الله في كتابه، فقال: ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (١) والله ما أراد بهذا غيركم. يا أبا محمّد فهل سررتك؟ قال: قلت: جعلت فداك زدني . فقال: يا أبا محمّد ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٢) والله ما أراد بهذا غيركم. يا أبا محمّد فهل سررتك؟ قال: قلت: جعلت فداك زدني .

فقال: يا أبا محمّد لقد ذكرنا الله وشيعتنا وعدونا في آية من كتابه، فقال عزّ وجلّ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٣) فنحن الذين يعلمون، وعدونا الذين لا يعلمون، وشيعتنا هم أولوا الألباب. يا أبا محمّد فهل سررتك؟ قال: قلت: جعلت فداك زدني .

فقال: يا أبا محمّد والله ما استثنى الله عزّ ذكره بأحد من أوصياء الأنبياء ولا أتباعهم ما خلا أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته، فقال في كتابه وقوله الحقّ: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ (٤) يعني بذلك علياً عليه السلام وشيعته. يا أبا محمّد فهل سررتك؟ قال: قلت: جعلت فداك زدني .

قال: يا أبا محمّد لقد ذكركم الله في القرآن، إذ يقول: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥) والله ما أراد بهذا غيركم، فهل سررتك يا أبا محمّد؟ قال: قلت: جعلت

(١) سورة الحجر: ٤٧ .

(٢) سورة الزخرف: ٦٧ .

(٣) سورة الزمر: ٩ .

(٤) سورة الدخان: ٤٢ - ٤٣ .

(٥) سورة الزمر: ٥٣ .

فداك زدني .

فقال: يا أبا محمد لقد ذكركم الله عزّوجلّ في كتابه، فقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (١) والله ما أراد بهذا إلا الأئمة عليهم السلام وشيعتهم، فهل سررتك يا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك زدني .

قال: يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه، فقال: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٢) فرسول الله صلى الله عليه وآله في الآية النبويون، ونحن في هذه الآية (٣) الصديقون والشهداء، وأنتم الصالحون، فتسمّوا بالصلاح كما سمّاكم الله عزّوجلّ .
يا أبا محمد فهل سررتك؟ قال: قلت: جعلت فداك زدني .

قال: يا أبا محمد لقد ذكركم الله إذ حكى عن عدوّكم في النار بقوله: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ (٤) والله ما عنى الله ولا أراد بهذا غيركم، صرتم عند أهل هذا العالم شرار الناس، وأنتم والله في الجنّة تحبرون (٥) وفي النار تظلبون .
يا أبا محمد فهل سررتك؟ قال: قلت: جعلت فداك زدني .

قال: يا أبا محمد ما من آية نزلت تقود إلى الجنّة ولا يذكر أهلها بخبر إلا وهي فينا وفي شيعتنا، وما من آية نزلت تذكر أهلها بشرّ ولا تسوق إلى النار إلا وهي

(١) سورة الحجر: ٤٢ .

(٢) سورة النساء: ٦٩ .

(٣) في المصدر: في هذا الموضع .

(٤) سورة ص: ٦٢ - ٦٣ .

(٥) تتعمون وتكرّمون وتسرون من الحبور وهو السرور «منه» .

في عدونا ومن خالفنا، فهل سررتك يا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك زدني .
قال: يا أبا محمد ليس على ملة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا، وسائر الناس من ذلك
براء. يا أبا محمد فهل سررتك؟. وفي رواية أخرى: فقال: حسبي (١).

وعن ابن محبوب، عن أبي يحيى كوكب الدم، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إن
حواري عيسى عليه السلام كانوا شيعته، وإن شيعتنا حوارينا، وما كان حواريا عيسى
بأطوع له من حوارينا لنا، إنما قال عيسى عليه السلام للحواريين ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ
قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ (٢) فلا والله ما نصره من اليهود ولا قاتلوه
دونه، وشيعتنا والله لم يزلوا منذ قبض الله عز ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله ينصروننا
ويقاتلون دوننا، ويحرقون ويعذبون ويشردون في البلدان، جزاهم الله عنا خيراً .
وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: والله لو ضربت خيشوم محبينا بالسيف ما أبغضونا،
والله لو أدنيت إلى مبغضينا وحثوت لهم من المال ما أحبونا (٣).

الحواريون هم صفوة الأنبياء الذين خلصوا وأخلصوا في التصديق بهم
ونصرتهم، قيل: أصل هذا الاسم لأصحاب عيسى عليه السلام المختصين به، وكانوا
اثنا عشر، ثم صار مستعملاً فيما أشبههم من المصدقين .

وقيل: سموا بذلك لأنهم كانوا قصارين يحورون الثياب، أي: يقصرونها
وينقونها من الأوساخ، ويبيضونها من الحور، وهو البياض الخالص .

وعن بعض الأعلام أنهم لم يكونوا قصارين على الحقيقة، وإنما إطلاق الاسم

(١) الروضة من الكافي ٨: ٢٣ - ٣٦ ح ٦ .

(٢) سورة الصف: ١٤ .

(٣) الروضة من الكافي ٨: ٢٦٨ - ٢٦٩ ح ٣٩٦ .

عليهم رمزاً إلى أنهم ينقون نفوس الخلائق من الأوساخ الذميمة والكدورات، ويرقونها إلى عالم النور من عالم الظلمات (١).

وعن الرضا عليه السلام وقد سئل لِمَ سَمِّيَ الحواريون الحواريين؟ قال: أمّا عند الناس فإنّهم سمّوا حواريين؛ لأنّهم كانوا يقصرون الثياب من الوسخ بالغسل. وأمّا عندنا، فإنّهم كانوا مخلصين في أنفسهم ومخلصين لغيرهم من أوساخ الذنوب (٢).

هذا، وعن عمرو بن أبي المقدم، قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى زين شيعتنا بالحلم، وغشاهم بالعلم، لعلهم بهم قبل أن يخلق آدم عليه السلام (٣).

وعن عمّار بن ياسر، قال: بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الشيعة الخاصة الخالصة ممّا أهل البيت. فقال عمر: يا رسول الله عرفناهم حتّى نعرفهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما قلت لكم إلّا وأنا أريد أن أخبركم.

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا الدليل على الله عزّ وجلّ وعلى نصر الله، ومناره (٤) أهل البيت، وهم المصاييح الذين يستضاء بهم.

فقال عمر: يا رسول الله فمن لم يكن قلبه موافقاً لهذا؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما وضع القلب في ذلك الموضوع إلّا ليوافق (٥) أو يخالف،

(١) راجع: التعليقة على اختيار معرفة الرجال للسيد الداماد ١: ٤١ - ٤٢.

(٢) علل الشرائع ص ٨٠ - ٨١.

(٣) الروضة من الكافي ٨: ٣١٥ ح ٤٩٤.

(٤) المنارة: علم الطريق، وما يوضع فوقها السراج، أي: هو العلم الذي يقتدي به أهل البيت عليهم السلام، ويهتدون بأنوار علمه، وأهل البيت هم المصاييح الذين يستضيء بهم سائر الخلق «منه».

(٥) قوله صلى الله عليه وآله «إلّا ليوافق» أي: ليعلم الموافق والمخالف «منه».

فمن كان قلبه موافقاً لنا أهل البيت كان ناجياً، ومن كان قلبه مخالفاً لنا أهل البيت كان هالكاً^(١).

وفي صحيحة قتيبة الأعشى، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عاديتم فينا الآباء والأبناء والأزواج، وثوابكم على الله عزّوجلّ، أما أنّ أحوج ما تكونون إذا بلغت الأنفس إلى هذه، وأوماً بيده إلى حلقه^(٢).

وفي صحيحة سعيد بن يسار، قال: استأذنا على أبي عبد الله عليه السلام أنا والحارث ابن المغيرة النصري ومنصور الصيقل، فواعدنا دار طاهر مولاه، فصلينا العصر، ثمّ رحنا إليه، فوجدناه متكئاً على سرير قريب من الأرض، فجلسنا حوله، ثمّ استوى جالساً، ثمّ أرسل رجليه حتّى وضع قدمه على الأرض.

ثمّ قال: الحمد لله الذي أذهب الناس يميناً وشمالاً، فرقة مرجئة، وفرقة خوارج، وفرقة قدرية، وسمّيتم أنتم الترابية، ثمّ قال يمين منه: أما والله ما هو إلاّ الله وحده لا شريك له ورسوله وآل رسوله صلّى الله عليهم، وشيعتهم كرم الله وجوهمهم، وما كان سوى ذلك فلا كان عليّ، والله أولى الناس بالناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولها ثلاثاً^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: إنّ من الملائكة الذين في السماء الدنيا ليطلعون على الواحد والاثنين والثلاثة، وهم يذكرون فضل آل محمّد عليه السلام، فيقولون: أما ترون هؤلاء في قلّتهم وكثرة عدوّهم، يصفون فضل آل محمّد، فيقول الطائفة الأخرى

(١) الروضة من الكافي ٨: ٣٣٣ ح ٥١٨.

(٢) الروضة من الكافي ٨: ٣٣٣ ح ٥١٩.

(٣) الروضة من الكافي ٨: ٣٣٣ ح ٥٢٠.

من الملائكة: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم^(١).
 وفي صحيحة عمر بن حنظلة، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: يا عمر لا تحملوا عليّ
 شيعتنا وارققوا بهم، فإنّ الناس لا يحتملون^(٢) ما تحملون^(٣).
 وعن الصباح بن سيّابة، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إنّ الرجل ليحبّبكم وما يدري
 ما تقولون^(٤)، فيدخله الله عزّ وجلّ الجنّة، وإنّ الرجل ليبغضكم وما يدري ما
 تقولون، فيدخله الله عزّ وجلّ النار، وإنّ الرجل منكم لتملئ صحيفته عن غير عمل.
 قلت: وكيف يكون ذلك؟

قال: يمرّ بالقوم ينالون منّا، فإذا رأوه قال بعضهم لبعض: كفّوا، فإنّ هذا الرجل
 من شيعتهم، ويمرّ بهم الرجل من شيعتنا، فيهمزونه ويقولون فيه، فيكتب الله له ذلك
 حسناً حتّى تملئ صحيفته من غير عمل^(٥).

(١) الروضة من الكافي ٨: ٣٣٤ ح ٥٢١.

(٢) قيل: أي لا تكلفوا أوساط الشيعة بالتكاليف الشاقّة في العلم والعمل، بل علّموهم
 ودعوهم إلى العمل برفق ليكلّموا، فإنّهم لا يحملون من العلوم والأسرار وتحمل المشاق
 في الطاعات ما تحملون.

وقيل: المراد التحريص على التقية، أي: لا تحمّلوا الناس بترك التقية عليّ رقاب
 شيعتنا وارققوا، أي: بالمخالفين، فإنّهم لا يصبرون عليّ آرائكم كما تصبرون عنهم. وهذا
 أقرب من الأوّل، فتأمّل «منه».

أقول: القول الأوّل للعلامة المجلسي في مرآة العقول ذيل الرواية المذكورة.

(٣) الروضة من الكافي ٨: ٣٣٤ ح ٥٢٢.

(٤) أي: بالاستدلال بل قال به عليّ سبيل التقليد لحسن ظنّه بكم وحبّه لكم، ويمكن
 حمله على المستضعفين المخالفين «منه».

(٥) الروضة من الكافي ٨: ٣١٥ ح ٤٩٥.

وعن أبي حمزة في حديث طويل، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: شيعتنا أقرب الخلق من عرش الله عز وجل يوم القيامة بعدنا، ومن شيعتنا أحد يقوم إلى الصلاة إلا اكتفتته فيها عدد من خالفه من الملائكة يصلون عليه جماعة حتى يفرغ من صلاته، وإن الصائم منكم ليرتفع في رياض الجنة تدعوه الملائكة حتى يفطر. وسمعته يقول: أنتم أهل تحية الله بسلامته^(١)، وأهل أثره الله برحمته، وأهل توفيق الله بعصمته، وأهل دعوة الله بطاعته، لا حساب عليكم ولا خوف ولا حزن، أنتم للجنة والجنة لكم، أسماؤكم عندنا الصالحون والمصلحون^(٢).

وعن فضيل الصائغ، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أنتم والله نور في ظلمات الأرض، والله إن أهل السماء لينظرون إليكم في ظلمات الأرض، كما تنظرون أنتم إلى الكوكب الدرّي في السماء، وإن بعضهم ليقول لبعض: يا فلان عجب لفلان كيف أصاب هذا الأمر^(٣)، وهو قول أبي عبد الله عليه السلام: والله ما أعجب ممّن هلك كيف^(٤) هلك، ولكن أعجب ممّن نجى كيف نجى^(٥).

وعن بريد بن معاوية، قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام في فسطاطه له بمنى، إلى أن قال: قال له زيد الأسود: إنّي ألمّ بالذنوب حتى إذا ظننت أنّي قد هلكت ذكرت حبّكم، فرجوت النجاة وتجلي عني.

فقال أبو جعفر عليه السلام: وهل الدين إلاّ الحبّ، قال الله تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ

(١) في المصدر: بسلامه.

(٢) الروضة من الكافي ٨: ٣٦٥-٣٦٦.

(٣) أي: المعرفة والولاية، مع أنّ أكثر الناس في الجهالة والضلالة «منه».

(٤) لأنّ أكثر الخلق كذلك، ودواعي الهلاك والضلال كثيرة «منه».

(٥) الروضة من الكافي ٨: ٢٧٥ ح ٤١٥.

وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ» (١) وقال: «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» (٢) وقال: «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ» (٣) إِنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فقال: يا رسول الله أحبِّ المصلِّين ولا أصلي، وأحبِّ الصَّوامين ولا أصوم، فقال رسول الله ﷺ: أنت مع من أحببت ولك ما اكتسبت. وقال: ما تبغون وما تريدون، أما أنها لو كانت فزعة من السماء فزرع كل قوم إلى ما منهم، وفزعنا إلى نبيِّنا، وفزعتم إلينا» (٤).

وفي صحيحة عبد الملك بن أعين، قال: قمت من عند أبي جعفر ﷺ، فاعتمدت على يدي فبكيت، فقال: ما لك؟ فقلت: كنت أرجو أن أدرك هذا الأمر وبي قوّة. فقال: أما ترضون أن عدوكم يقتل بعضهم بعضاً وأنتم آمنون في بيوتكم، أنه لو قد كان ذلك أعطي الرجل منكم قوّة أربعين رجلاً، وجعلت قلوبكم كزبر الحديد، لو قذف بها الجبال لقلعتها، وكنتم قوام الأرض وخزّانها» (٥).

وفي روضة الكافي: عن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر ﷺ، قال: قلت: إن بعض أصحابنا يفترون (٦) ويقذفون من خلفهم، فقال لي: الكفّ عنهم أجمل. ثم قال: والله يا أبا حمزة إن الناس كلهم أولاد بغايا ما خلا شيعتنا. قلت: كيف لي بالمخرج (٧) من هذا؟

(١) سورة الحجرات: ٧.

(٢) سورة آل عمران: ٣١.

(٣) سورة الحشر: ٩.

(٤) الروضة من الكافي ٨: ٧٩ - ٨٠ ح ٣٥.

(٥) الروضة من الكافي ٨: ٢٩٤ ح ٤٤٩.

(٦) أي: يفترون عليهم ويقذفونهم بالزنا، فأجاب ﷺ بأنه لا ينبغي لهم ترك التقية «منه».

(٧) قوله «كيف لي بالمخرج» أي: بم أحتجّ على من أنكر هذا «منه» هذه التعليقة وغيرها

فقال لي: يا أباحزمة كتاب الله المنزل يدلّ عليه، إنّ الله تبارك وتعالى جعل لنا أهل البيت سهماً ثلاثة في جميع الفيء، ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (١) فنحن أصاب الخمس والفيء، وقد حرّمناه على جميع الناس ما خلا شيعتنا .

والله يا أباحزمة ما من أرض تفتح ولا خمس يخمس، فيضرب على شيء منه إلّا كان حراماً على من يصيبه، فزجاً كان أو مالاً، ولو قد ظهر الحقّ لقد بيع (٢) الرجل الكريمة عليه نفسه فيمن لا يزيد، حتّى أنّ الرجل منهم ليفتدي بجميع ماله ويطلب النجاة لنفسه، فلا يصل إلى شيء من ذلك، وقد أخرجونا وشيعتنا من حقنا ذلك بلا حقّ ولا عذر ولا حجّة .

قلت: قوله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ تَتَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ (٣) قال: إمّا موت في طاعة الله، أو إدراك ظهور إمام، ونحن نتربص بهم مع ما نحن فيه من الشدّة ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ قال: هو المسخ ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ هو القتل، قال الله عزّ وجلّ لنبيه ﷺ: ﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ والتربص إنتظار وقوع البلاء

⇒ مأخوذة من مرآة العقول للعلامة المجلسي .

(١) سورة الأنفال: ٤٠ .

(٢) على بناء المجهول، فالرجل مرفوع به، و «الكريمة عليه نفسه» صفة للرجل، أي: يبيع الإمام، أو من يأذن له الإمام، أو من أصحاب الخمس والخراج والغنائم المخالف الذي تولد من هذه الأموال، مع كونه عزيزاً في نفسه، كريماً في سوق المراد، ولا يزيد أحد على ثمنه لهوانه وحقارته عندهم «منه» .

(٣) سورة التوبة: ٥٢ .

بأعدائهم^(١).

والظاهر أنّ قوله ﷺ «هو المسخ» إشارة إلى ما في رواية عبد الله بن طلحة، قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن الوزغ، فقال: رجس، وهو مسخ كلّه، فإذا قتلته فاغتسل^(٢).

وقال: إنّ أباي ﷺ كان قاعداً في الحجر ومعه رجل يحدثه، فإذا هو بوزغ يولول^(٣) بلسانه، فقال أبي للرجل: أتدري ما يقول هذا الوزغ؟ فقال: لا علم لي بما يقول. قال: فإنه يقول: والله لئن ذكرت عثمان بشتمة^(٤) لأبستمنّ علياً حتّى يقوم من هاهنا.

قال: وقال أبي: ليس يموت من بني أمية ميت إلا مسخ^(٥) وزغاً. قال: وقال: إنّ عبد الملك بن مروان لما نزل به الموت مسخ وزغاً، فذهب من بين يدي من كان عنده، وكان عنده ولده، فلما أن فقدوه عظم ذلك عليهم، فلم يدروا كيف يصنعون، ثمّ اجتمع أمرهم على أن يأخذوا جذعاً فيضعوه كهيئة الرجل.

(١) الروضة من الكافي ٨: ٢٨٥ - ٢٨٧ ح ٤٣١.

(٢) المشهور بين أصحابنا استحباب ذلك الغسل «منه».

(٣) ولولت القوس صوّت «منه».

(٤) في المصدر: بشتيمة.

(٥) إمّا قبل موته أو بعده، بأن تتعلّق روحه بجسد مثالي على صورة الوزغ، أو يتغيّر جسدهم الأصلي إلى تلك الصورة، كما هو ظاهر آخر الخبر، ثمّ تتغيّر تلك الصورة إلى جسدهم الأصلي في الرجعة «منه».

قال: ففعلوا ذلك، وألبسوا^(١) الجذع درع حديد، ثم ألقوه^(٢) في الأكفان، ولم يطلع عليه أحد من الناس إلا أنا وولده^(٣).

وفي روضة الكافي: عن حريز، عن عبدالله، عن الفضيل، قال: دخلت مع أبي جعفر عليه السلام المسجد الحرام وهو متكئ عليّ، فنظر إلى الناس ونحن على باب بني شيبه، فقال: يا فضيل هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية، لا يعرفون حقاً ولا يدنون ديناً.

يا فضيل أنظر إليهم مكبين عليّ وجوههم، ثم تلا هذه الآية: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤) يعني: علياً والأوصياء عليهم السلام، ثم تلا: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾^(٥) أمير المؤمنين عليه السلام.

يا فضيل لم يسم بهذا الاسم غير علي عليه السلام إلا مفتر كذاب إلى يوم البأس^(٦) هذا، أما والله يا فضيل ما لله عزّ ذكره حاج غيركم، ولا يغفر الذنوب إلا لكم، ولا يتقبل إلا منكم، وإنكم لأهل هذه الآية: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾^(٧).

(١) إنما فعلوا ذلك ليصير ثقبلاً ولا يحسّ من أخذ فوق الكفن بأنه خشب «منه».

(٢) في المصدر: لقوه.

(٣) الروضة من الكافي ٨: ٢٣٢ - ٢٣٣ ح ٣٠٥.

(٤) سورة الملك: ٢٣.

(٥) سورة الملك: ٢٨.

(٦) أي: يوم القيامة، أو زمان التكلم بهذا الحديث «منه».

(٧) سورة النساء: ٣١.

يا فضيل أما ترضون أن تقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتكفؤوا من ألسنتكم، وتدخلوا الجنة، ثم قرأ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (١) أنتم (٢) والله أهل هذه الآية (٣).

وفي الكافي: في صحيحة أبي عبيدة الحدّاء، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الاستطاعة وقول الناس بها، وتلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (٤) قال: يا أبا عبيدة الناس مختلفون في إصابة القول وكلهم هالك، قال: قلت: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ قال: هم شيعتنا ولرحمته خلقهم، وهو قوله ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يقول لطاعة الإمام الرحمة التي يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يقول: علم الإمام وسع علمه الذي هو من علمه كل شيء (٥).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ﴿لَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الدين ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يعني: آل محمد وأتباعهم، يقول الله: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يعني: أهل رحمته لا يختلفون في الدين (٦). وعن سعيد بن المسيّب، عن علي بن الحسين عليه السلام في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ فأولئك هم أولياؤنا من المؤمنين، ولذلك خلقهم من الطينة طيباً، أما تسمع لقول إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا

(١) سورة النساء: ٧٧.

(٢) أي: أنتم عملتم بمضمونها «منه».

(٣) الروضة من الكافي ٨: ٢٨٨ - ٢٨٩ ح ٤٣٤.

(٤) سورة هود: ١١٨.

(٥) أصول الكافي ١: ٤٢٩ ح ٨٣.

(٦) تفسير القمي ١: ٣٣٨.

وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ ﴿١﴾ قال: إيانا عني، وأولياؤه وشيعته وشيعة وصيّه. قال: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ قال: عني بذلك من جحد وصيّه ولم يتّبعه من أمّته، وكذلك والله حال هذه الأمة (٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: عن أبي حمزة، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لا يعذب (٣) الله عزّ وجلّ يوم القيامة أحداً، يقول: يا ربّ لم أعلم أنّ ولد فاطمة هم الولاية على الناس كافة، وفي شيعة ولد فاطمة أنزل الله هذه الآية خاصّة: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤).

وفيه: في قوله تعالى: ﴿جَنَّتْ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَىٰ الدَّارِ﴾ (٥) نزلت في الأئمة عليهم السلام وشيعتهم الذين صبروا (٦).

وفيه: عنه، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل - فالسند صحيح - عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: نحن صبرنا، وشيعتنا أصبر منّا؛ لأنّا صبرنا بعلم، وصبروا بما لا يعلمون (٧).

(١) سورة البقرة: ١٢٦.

(٢) تفسير العياشي ٢: ١٦٤ - ١٦٥ ح ٨٤.

(٣) في المصدر: لا يعذر.

(٤) تفسير القمي ٢: ٢٥٠، والآية في سورة الزمر: ٥٣.

(٥) سورة الرعد: ٢٣.

(٦) تفسير القمي ١: ٣٦٥.

(٧) تفسير القمي ١: ٣٦٥.

وفي الكافي: عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص، قال: سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول لرجل: أتحبّ البقاء في الدنيا؟ فقال: نعم. فقال: ولم؟ قال: لقراءة قل هو الله أحد، فسكت عنه .

فقال بعد ساعة: يا حفص من مات من أوليائنا وشيعتنا ولم يحسن القرآن، علم في قبره ليرفع الله به من درجته، فإنّ درجات الجنّة على عدد آيات القرآن، يقال له: اقرأ وارق، فيقرأ ثمّ يرقى .

قال حفص: فما رأيت أحداً أشدّ خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر عليه السلام، ولا أرجى للناس منه، وكانت قراءته حزناً، فإذا قرأ فكأنّه يخاطب إنساناً^(١) .

وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى عيسى بن عبيد الأشعري، عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام، قال: حدّثني أبي، عن جدّي، عن أبيه عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أُسري بي إلى السماء، حملني جبرئيل على كتفه الأيمن، فنظرت إلى بقعة بأرض الجبل حمراء، أحسن لوناً من الزعفران، وأطيب ريحاً من المسك .

قلت: لمن هذه البقعة ؟

قال: بقعة شيعةك وشيعة وصيّك علي .

فقلت: من الشيخ صاحب البرنس^(٢)؟ قال: إبليس . قلت: فما يريد منهم؟ قال:

يريد أن يصدّهم عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ويدعوهم إلى الفسق والفجور .

(١) أصول الكافي ٢: ٦٠٦ .

(٢) البرنس: شيء يلبسه النصارى على رؤوسهم «منه» .

قلت: يا جبرئيل أهو بنا إليه أسرع^(١) من البرق الخاطف والبصر اللامع، فقلت: قم يا ملعون، فشارك أعداءهم في أموالهم وأولادهم ونسائهم، فإن شيعتي وشيعة علي ليس لك عليهم سلطان^(٢).

وفي روضة الكافي، وفي مجمع البيان: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي خالد - فالسند صحيح على الظاهر - عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾^(٣) قال: الخيرات الولاية.

وقوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾ يعني: أصحاب القائم الثلاثة والبضعة عشر رجلاً، قال: وهم الأمة المعدودة، قال: يجتمعون والله في ساعة واحدة قزعاً كقزع الخريف^(٤).

أي: يجتمعون إليه عليه السلام كقطع السحاب المتفرقة، وإنما خصّ الخريف؛ لأنه أول الشتاء، والسحاب فيه يكون متفرقاً غير متراكم ولا مطبق، ثم يجتمع بعضه إلى بعض بعد ذلك، وكذلك يكون حال أصحاب القائم عليه السلام.

وفي كتاب الغيبة للشيخ المفيد عليه السلام: بإسناده إلى أبي حمزة الشمالي، قال: كنت عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام ذات يوم، فلما تفرّق من كان عنده قال: يا أبا حمزة من المحتوم الذي حتمه الله قيام قائمنا، فمن شكّ فيما أقول لقي الله وهو

(١) في المصدر: يا جبرئيل أهو بنا إليهم، فأهوئ بنا إليهم أسرع... الخ.

(٢) علل الشرائع ص ٥٧٢، وفي آخره بعد قوله «سلطان»: فسميت قم.

(٣) سورة البقرة: ١٤٨.

(٤) الروضة من الكافي ٨: ٣١٣ ح ٤٨٧.

كافر به وله جاحد .

ثم قال: بأبي وأمي المسمّى باسمي المكنّى بكنيتي السابع من ولدي، يأتي فيملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، يا أباحمزة من أدركه فيسلم له ما سلم لمحمد وعلي وجبت له الجنة، ومن لم يسلم فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وبئس مثوى الظالمين الحديث (١).

وفي منهج التحقيق (٢): عن ابن خالويه، يرفعه إلى جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عزّ وجلّ خلقني وخلق علياً والحسن والحسين من نور واحد، فعصر ذلك النور عصرة، فخرج منه شيعتنا، فسبّحنا فسبّحوا، وقدّسنا فقدّسوا، وهللنا فهلّلوا، ومجّدنا فمجّدوا، ووحدنا فوحدوا، ثمّ خلق السماوات والأرض وخلق الملائكة ستمائة عام لا تعرف تسيحاً ولا تقديساً، فسبّحنا فسبّحت شيعتنا وكذلك في البواقي، فنحن الموحدون حيث لا موحد غيرنا .

وحقيق على الله عزّ وجلّ كما اختصنا وشيعتنا أن يزلفنا وشيعتنا في أعلى عليين، إن الله اصطفانا واصطفى شيعتنا من قبل أن نكون أجساماً، فدعانا فأجبناه فغفر لنا ولشيعتنا من قبل أن نستغفر الله عزّ وجلّ (٣).

وهذا الحديث صريح في تجرّد النفس، وفيه من بشارة الشيعة وجلالة قدره ما

(١) بحار الأنوار ٥١: ١٣٩ - ١٤٠ ح ١٣ عن كتاب الغيبة للشيخ المفيد .

(٢) هو لبعض علماء الإمامية ينقل عنه العلامة المجلسي في البحار وغيره، راجع حول الكتاب إلى كتاب الذريعة ٢٣: ١٨٤ .

(٣) بحار الأنوار ٢٦: ٣٤٣ و ٢٧: ١٣١ .

لا يخفى .

وفي الكافي: عن أبي عبدالله عليه السلام: موسّع على شيعتنا أن ينفقوا ممّا في أيديهم بالمعروف، فإذا قام قائمنا حرم على كلّ ذي كنز كنزه حتّى يأتيه به، فيستعين به على عدوّه، وهو قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (١)(٢).

وفيه: عنه عليه السلام بعد أن ذكر أنهار الأرض: فما سقت أو استقت فهو لنا، وما كان لنا فهو لشيعتنا، وليس لعدوّنا منه شيء إلا ما غصب عليه، وإنّ وليّنا لفي أوسع بين ذه وذه، يعني: بين السماء والأرض، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ المغصوبين عليها ﴿خَالِصَةً﴾ لهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٣) بلا غصب (٤).

وفي كتاب علي عليه السلام: إنّ القائم من أهل بيته يظهر بالسيف، فيحوي الأرض ويمنعها، ويخرج عنها الناس، كما حواها رسول الله صلى الله عليه وآله ومنعها، إلا ما كان في أيدي شيعته، فإنّه يقاطعهم، ويترك الأرض في أيديهم (٥).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٦) قال: آمنوا بما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله من

(١) سورة التوبة: ٣٥.

(٢) فروع الكافي ٤: ٦١ ح ٤.

(٣) سورة الأعراف: ٣٢.

(٤) أصول الكافي ١: ٤٠٩ ح ٥.

(٥) الكافي ١: ٤٠٧ و ٥: ٢٧٩.

(٦) سورة الأنعام: ٨١.

الولاية، ولم يخلطوها بولاية فلان وفلان (١).

وفي روضة الكافي: عن بدر بن الوليد الخثعمي، قال: دخل يحيى بن سابور على أبي عبد الله عليه السلام ليودّعه، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أما والله إنكم لعلى الحق، وإن من خالفكم لعلى غير الحق، والله ما أشكّ لكم في الجنة، وإنّي لأرجو أن يقرّ الله بأعينكم إلى قريب (٢).

وفيه: عن ابن مسكان، عن حبيب، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أما والله ما أحد من الناس أحبّ إليّ منكم، وإنّ الناس سلكوا سبلاً شتّى، فمنهم من أخذ برأيه، ومنهم من اتّبع هواه، ومنهم من اتّبع الرواية، وإنكم أخذتم بأمر له أصل، فعليكم بالورع والاجتهاد الحديث (٣).

وفي الفقيه: عنه عليه السلام: إنّ الشيطان ليأتي الرجل من أوليائنا عند موته عن يمينه وعن شماله ليضله عمّا هو عليه، فيأبى الله عزّ وجلّ له ذلك، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٤) (٥).

وفي تفسير العياشي: بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام: من أحبّنا فهو ممّا أهل البيت، قيل: منكم، قال: ممّا والله، أما سمعت قول إبراهيم: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (٦)

(١) أصول الكافي ١: ٤١٣ ح ٣.

(٢) الروضة من الكافي ٨: ١٤٥ ح ١١٩، وفي آخره: عن قريب.

(٣) الروضة من الكافي ٨: ١٤٥ ح ١٢١.

(٤) سورة إبراهيم: ٢٧.

(٥) من لا يحضره الفقيه ١: ١٣٤ ح ٣٦٠.

(٦) سورة إبراهيم: ٣٦.

ومثله عن الصادق عليه السلام (١).

وفيه: عن الباقر عليه السلام في قوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ﴾ (٢) أما أنه لم يعن الناس كلهم أنتم أولئك ونظراؤكم، إنما مثلكم في الناس مثل الشعرة البيضاء في الثور الأسود، أو مثل الشعرة السوداء في الثور الأبيض، ينبغي للناس أن يحجوا هذا البيت، ويعظموه لتعظيم الله إياه، وأن يلقونا حيث كنا، نحن الأدلاء على الله (٣)

ولعله عليه السلام يشير إلى أن كلمة «من» تبعيضية.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: إذا وقعت نفسه في صدره يرى رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقال له: أنا رسول الله أبشر، ثم يرى علي بن أبي طالب، فيقول: أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبه أنا أنفعك اليوم، وذلك في القرآن قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (٤).

وفيه: عن الباقر عليه السلام قال: يبشّرهم بقيام القائم وبظهوره، وبقتل أعدائهم، وبالنجاة في الآخرة، والورود على محمد وآله الصادقين على الحوض (٥).

وفي الخبر المشهور بين الفريقين عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقة، وافرقت النصارى على اثنتين وسبعين

(١) تفسير العياشي ٢: ٢٣١ ح ٣٢ و ٣٣.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٧.

(٣) تفسير العياشي ٢: ٢٣٣ ح ٣٩.

(٤) فروع الكافي ٣: ١٢٩، والآية في سورة يونس: ٦٤.

(٥) أصول الكافي ١: ٤٢٩ - ٤٣٠.

فرقة كلِّها هالكة إلا فرقة واحدة، وشقوق هذه الأمة على ثلاثة وسبعين فرقة كلِّها في النار إلا فرقة ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ فهذه هي التي تنجي^(١). وهم المشهورون بالفرقة الناجية .

وفي رواية أخرى: عن النبي ﷺ أنه قال: افتقرت أمة موسى على إحدى وسبعين فرقة كلِّها في النار إلا واحدة، وهي التي اتَّبعَتْ وصيَّه يوشع. وافتقرت أمة عيسى على اثنتين وسبعين فرقة كلِّها في النار إلا واحدة، وهي التي اتَّبعَتْ وصيَّه سمعون. وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلِّهم في النار إلا واحدة، وهي التي تتبع وصيِّي علياً^(٢).

وعن الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: وشيعتنا الفرقة الناجية^(٣).

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام أنهما قالوا: نحن هم^(٤).

وأراد بضمير المتكلم شيعتهم، وهم الإمامية القائلون بوجود الإمامة والعصمة والنصّ الجلي. فهذا الخبر المستفيض الشايع بين الأئمة، صريح في أنّ أهل النجاة منهم هم الإمامية، وهم المشهورون بالشيعة، وإنّ الباقين في النار، ونعم ما قال في هذا المعنى شرف الدولة عليّ ما نقل عنه :

إذا افتقرت في الدين سبعون فرقة ونيف كما جاء في سائر النقل

وليس بسناج منهم غير فرقة فماذا ترى يا ذا البصيرة والعقل

(١) تفسير العياشي ٢: ٤٣ ح ١٢٢ .

(٢) بحار الأنوار ٢٨: ٢٩ .

(٣) راجع الروايات الواردة في ذلك إلى بحار الأنوار ٢٨: ٤ - ٦ .

(٤) تفسير العياشي ٢: ٤٢ ح ١٢١ .

أفي الفرقة الهلاك آل محمد أم الفرقة اللاتي نجت منهم قل لي
 فحلّ علياً لي إماماً وهادياً وأنت من الباقيين في أوسع الحلّ
 ومن الدليل على أنّ المراد بأهل النجاة في هذا الخبر من تمسك بأهل البيت
 وتشبّث بأذيالهم سلام الله عليهم، الخبر المشهور بين الفريقين عنه عليه السلام: مثل أهل
 بيتي كمثل سفينة نوح، من ركب فيها نجى، ومن تخلف عنها غرق (١).

وهذا الحديث قد رواه ابن المغازلي الشافعي، بإسناده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بطرق
 عديدة خمسة أو ستة (٢)، ولذلك سمّيناه مشهوراً.

وعباراته متقاربة، ففي بعضها «إنّما مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح» وفي بعضها
 «كمثل سفينة نوح» وفي بعضها «ركب فيها» وفي بعضها ذكر بدون لفظة «إنّما» إلى
 غير ذلك من الاختلافات الغير المخلّة بالمقصد.

وفي تفسير العياشي: بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية: «وَأَخْرُونَ
 اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ» (٣) قال: عسى من الله واجب، وإنّما نزلت في شيعتنا المذنبين (٤).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: عن جابر، قال: قال رجل عند أبي جعفر عليه السلام:
 «وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً» (٥) قال: أمّا النعمة الظاهرة، فهو النبي صلى الله عليه وآله وما

(١) رواه جماعة من أعلام السنّة، راجع: إحقاق الحقّ ٩: ٢٧٠ - ٢٩٣ و ١٨ و ٢٨٤ و ٣١١

- ٣٢٢.

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ١٣٢ - ١٣٤.

(٣) سورة التوبة: ١٠٢.

(٤) تفسير العياشي ٢: ١٠٥ ح ١٠٥.

(٥) سورة لقمان: ٣٠.

جاء به من معرفة الله عزّوجلّ وتوحيده. وأمّا النعمة الباطنة، فولایتنا أهل البيت وعقد مودّتنا، فاعتقد والله قوم هذه النعمة الظاهرة والباطنة، واعتقدها قوم ظاهرة ولم يعتقدوها باطنة، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ (١) ففرح رسول الله ﷺ عند نزولها، إذ لم يقبل الله تبارك وتعالى إيمانهم إلاّ بعقد ولايتنا ومحبتنا (٢).
وفيه من البشارة ما لا يخفى .

وفي روضة الكافي: عن محمّد بن علي الحلبي، قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: اختلاف بني العباس من المحتوم، والنداء من المحتوم، وخروج القائم من المحتوم. قلت: وكيف النداء؟ قال: ينادي منادٍ من السماء أوّل النهار: ألا إنّ علياً وشيعته هم الفائزون. قال: فينادي منادٍ آخر النهار: ألا إنّ عثمان وشيعته هم الفائزون (٣).

وفيه: في صحيحة إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله ﷺ، قال: لا ترون ما تحبّون حتّى يختلف بنو فلان فيما بينهم، فإذا اختلفوا طمع الناس وتفرّقت الكلمة وخرج السفيناني (٤).

المراد بـ«بني فلان» بنو العباس، وهذا أحد أسباب خروج القائم ﷺ، وإن كان بعد زمان طويل. وقيل: المراد أنّ بعد بني العباس لم يتفق الملوك على خليفة، وهذا

(١) سورة المائدة: ٤١ .

(٢) تفسير القمّي ٢: ١٦٦ .

(٣) الروضة من الكافي ٨: ٣١٠ ح ٤٨٤ .

(٤) الروضة من الكافي ٨: ٢٠٩ ح ٢٥٤ .

معنى تفرّق الكلمة، ثمّ تمضي بعد ذلك مدّة مديدة إلى خروج السفيناني، ثمّ إلى ظهور المهدي عليه السلام (١).

وفيه: عن عبدالرحمن بن مسلمة الجريري، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: يؤبّخونا ويكذّبونا أنا نقول: إنّ صيحتين تكونان، يقولون: من أين يعرف المحقّة من المبطلّة إذا كانتا؟ قال: فماذا تردّون عليهم؟ قلت: ما تردّ عليهم شيئاً.

قال: قولوا يصدّق بها إذا كانت من كان يؤمن بها من قبل، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٢) يؤمن بها من قبل (٣).

أي: يصدّق بها من علم بأخبار أهل البيت عليهم السلام أنّ المنادي الأوّل هو الحقّ، والثاني هو الباطل لأنّه شيطان، وذكر الآية لبيان أنّه لا بدّ من تصديق أهل البيت عليهم السلام في كلّ ما يخبرون؛ لأنّهم الهادون إلى الحقّ، والعالمون بكلّ ما يحتاج إليه الخلق وأعداؤهم الجاهلون.

أو المراد أنّ بعد ظهور من ينادي باسمه وهو القائم عليه السلام - كما في خبر آخر - يعلم حقيّته بعلمه الكامل، كما قال الله ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي﴾ الآية.

أو المراد أنّه يظهر من الآية أنّ للحقّ ظهوراً، حيث قال في مقام الاحتجاج على الكفّار: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ فالحقّ ظاهر، ولكن يتعامى عنه بعض الناس.

(١) مرآة العقول ٢٦: ١٢٨ ذيل الرواية المذكورة.

(٢) سورة يونس: ٣٥.

(٣) الروضة من الكافي ٨: ٢٠٨ ح ٢٥٢.

وفيه: في صحيحة داود بن فرقد، قال: سمع رجل من العجلية هذا الحديث قوله: ينادي منادٍ ألا إن فلان بن فلان وشيعته هم الفائزون أول النهار، وينادي آخر النهار ألا إن عثمان وشيعته هم الفائزون، قال: وينادي أول النهار منادي آخر النهار. فقال الرجل: فما يدرينا أيما الصادق من الكاذب؟ فقال: يصدّقه عليها من كان يؤمن بها قبل أن ينادي، إن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ الآية (١).

قيل: الظاهر أنّ القائل في قوله «وينادي أول النهار» هو الإمام عليه السلام، والمراد أنّ منادي أول النهار وآخره شبيهان بحسب الصوت. أو المراد أنّ منادي آخر النهار ينادي أول النهار أيضاً كما ينادي آخر النهار.

وفيه: عن أبي حمزة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لكلّ مؤمن حافظ وسائب. قلت: وما الحافظ وما السائب يا أبا جعفر؟ قال: الحافظ من الله تبارك وتعالى حافظ من الولاية يحفظ به المؤمن أينما كان. وأمّا السائب، فبشارة محمّد يبشّر الله تبارك وتعالى به المؤمن أينما كان وحيثما كان (٢).

قيل: كلمة «من» إمّا تعليلية، أي: له حافظ من البلايا بسبب ولاية أئمة الحقّ، أو له حافظ بسبب الولاية ليحرس ولايته لئلا تزول بتشكيك أهل الباطل، أو بيانية، أي: الحافظ الذي هو الولاية تحفظ عن البلايا والفتن.

والسائب من السيب بمعنى العطاء، أو بمعنى الجريان، أي: جارية من الدهور، أو من السائبة التي لا مالك لها بخصوصه، أي: سيب لجميع المؤمنين البشارة عند

(١) الروضة من الكافي ٨: ٢٠٩ ح ٢٥٣.

(٢) الروضة من الكافي ٨: ١٧٦ ح ١٩٥.

الموت بالسعادة^(١).

وفي الكافي: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: يا أبا محمد إنَّ الله ملائكة يسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا، كما تسقط الريح الورق في أوان سقوطه، وذلك قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢) إستغفارهم، والله لكم دون هذا الخلق الحديث وطوله.

ومثله ما في رواية أخرى: ألا إنَّه عليه السلام قال فيها: والله ما أراد غيركم^(٣).

وفي عيون الأخبار: بإسناده إلى الرضا عليه السلام حديث طويل، وفيه يقول عليه السلام: وإنَّ الملائكة لخدَّامنا وخدَّام محبِّينا، يا علي ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ بولايتنا^(٤).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: بإسناده عن حمَّاد، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل الملائكة أكثر أم بنو آدم؟ فقال: والذي نفسي بيده لملائكة الله في السماوات أكثر من عدد التراب في الأرض، وما في السماء موضع قدم إلا وفيه ملك يسبِّحه ويقدِّسه، ولا في الأرض شجرة ولا مدر إلا وفيها ملك موكل بها يأتي الله كلَّ يوم بعملها والله أعلم بها، وما منهم أحد إلا ويتقرَّب كلَّ يوم إلى الله بولايتنا أهل البيت،

(١) مرآة العقول للعلامة المجلسي رحمته الله ٢٦: ٦٢ - ٦٣ ذيل الرواية المذكورة.

(٢) سورة غافر: ٧.

(٣) الروضة من الكافي ٨: ٣٠٤ ح ٤٧٠.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٦٢، بحار الأنوار ١٨: ٣٤٥ و ٢٦: ٢٣٥ و ٥٧: ٣٠٣ و

٦٥: ٦، تفسير نور الثقلين ٤: ٥١١ ح ١٢ عن عيون أخبار الرضا.

ويستغفر لمحبينا، ويلعن أعداءنا، ويسأل الله أن يرسل عليهم العذاب إرسالاً^(١). وفي أصول الكافي: عن عمّار الأسدي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٢) ولايتنا أهل البيت، وأهوى بيده إلى صدره، فمن لم يتولّنا لم يرفع الله له عملاً^(٣).

الضمير في «يرفعه» إمّا أن يعود إلى العمل الصالح، أي: يتقبّله. وإمّا إلى الكلم الطيب، أي: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب. وقيل: هو من القلب، أي: الكلم الطيب يرفع العمل الصالح.

والظاهر من هذا الحديث هو الأوّل، فالضمير المستكن في «يرفعه» وهو الضمير الفاعل يعود إلى الكلم الطيب، والبارز إلى العمل الصالح، أي: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وهو ولايتنا أهل البيت، فلا حاجة فيه إلى القول بالقلب، فافهم.

وقيل: الظاهر أنّ قوله «ولايتنا» تفسير للعمل الصالح، فالمستتر في قوله «يرفعه» راجع إليه، والبارز إلى الكلم، والمراد به كلمة الإخلاص والدعاء والأذكار كلّها، وبصعوده بلوغه إلى محلّ الأعلى والقبول، أي: العمل الصالح وهو الولاية يرفع الكلم الطيب، ويبلغه حدّ القبول. والأظهر ما ذكرناه، فتأمّل.

وفي روضة الكافي: عن مالك الجهني، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مالك إنّه ليس من قوم اتّموا بإمام في الدنيا إلّا جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه إلّا أنتم

(١) تفسير القمّي ٢: ٢٥٥.

(٢) سورة فاطر: ١١.

(٣) أصول الكافي ١: ٤٣٠ ح ٨٥.

ومن كان على مثل حالكم^(١). الحديث وطوله .

وفي محاسن البرقي: عن مالك بن أعين، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا مالك أما ترضون أن يأتي كل قوم يلعن بعضهم بعضاً إلا أنتم ومن قال بمقالتكم^(٢) .

وفي الكافي: عن الحسن بن الجهم، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: لا تنسني من الدعاء، قال: أَوْتَعَلِمَ أَنِّي أَنْسَاكَ، قال: فتفكرت في نفسي، وقلت: هو يدعو لشيئته وأنا من شيئته، قلت: لا، لا تنساني، قال: وكيف علمت ذلك؟ قلت: إني من شيئتك وأنت تدعو لهم. فقال: هل علمت بشيء غير هذا؟ قال: قلت: لا. قال: إذا أردت أن تعلم مالك عندي فانظر إلى ما لي عندك^(٣) .

ويستفاد منه أن صاحبنا - صلوات الله عليه - يدعو لشيئته ويحبهم ويشتاق إلى لقاءهم ما داموا داعين له ومشتاقين إلى لقائه، فنقول: اللهم عجل فرجه، وسهل مخرجه، واجعلنا من الذين يدخلون تحت سرادقات دولته، وينخرطون في سلك أحبته، ويقاتلون فيه فيقتلون أو يقتلون لإعلاء كلمته، بمحمد سيد الأبرار وسند الأخيار وآله وعترة .

وفي تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن أبي محمد الواشي، عن أبي الورد - فالسند صحيح - عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حفاة عراة، فيوقفون في المحشر حتى يercقوا عرقاً شديداً، وتشتد أنفاسهم، فيمكثون في ذلك مقدار خمسين عاماً،

(١) الروضة من الكافي ٨: ١٤٦ ح ١٢٢ .

(٢) المحاسن ١: ١٤٣ ح ٤٢ .

(٣) أصول الكافي ٢: ٦٥٢ ح ٤ .

وذلك قول الله: ﴿وَوَخَّصَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (١).

قال: ثم ينادي منادٍ من تلقاء العرش: أين النبي الأُمِّي؟ فيقول الناس: قد أسمعت فسم باسمه، فينادي: أين نبي الرحمة؟ أين محمد بن عبد الله الأُمِّي؟ فيتقدّم رسول الله ﷺ أمام الناس كلهم حتّى ينتهي إلى حوضٍ طوله ما بين ايلة وصنعاء، فيقف عليه، فينادي بصاحبكم، فيتقدّم علي عليه السلام أمام الناس، فيقف معه.

ثم يؤذن للناس فيمرّون، فبين وارد الحوض يومئذ، وبين مصروف عنه، فإذا رأى رسول الله ﷺ من يصرف عنه من محبّينا بكى، فيقول: يا ربّ شيعة علي أراهم قد صرفوا تلقاء أصحاب النار ومنعوا ورود حوضي. قال: قال: فيبعث الله إليه ملكاً فيقول له: ما يبكيك يا محمد؟ فيقول: أبكي لأناس من شيعة علي.

فيقول له الملك: إنّ الله يقول لك: يا محمد إنّ شيعة علي قد وهبتهم لك يا محمد، وصفحت لهم عن ذنوبهم بحبّهم لك ولعترتك، وألحقتهم بك وبمن كانوا يقولون به، وجعلنا في زمرك، فأوردهم حوضك.

قال أبو جعفر عليه السلام: فكم من باكٍ يومئذ وباكية ينادون: يا محمد، إذا رأوا ذلك، ولا يبقى أحد يومئذ يتولّانا ويحبّنا ويتبرّأ من عدوّنا ويبغضهم إلّا كانوا في حزبنا ومعنا ويردون حوضنا (٢).

هذا حديث صحيح يدلّ على وجوب البراءة من أعدائهم وبغضهم؛ لأنّ دفع الضرر وهو النجاة من النار واجب، وهو يتوقّف عليه، وما يتوقّف عليه الواجب فهو واجب.

(١) سورة طه: ١٠٨.

(٢) تفسير القمّي ٢: ٦٥.

والمراد بوجوب البراءة منهم وبغضهم، لعنهم والإكثار من سيئهم وشتيمهم والقول فيهم والوقية، واعتقاد أنهم مبعدون عن رحمة الله، ومطرودون عن ساحة عزّ الحضور. وفائدته أن يحذرهم الناس، ولا يتعلموا من بدعهم .

فأقول: اللهم العن الذين هدموا بيت النبوة والبرهان، وسلبوا أهل العزة والسلطان، وأطفؤوا مصابيح النور والعرفان، وعصوا في صفوة الملك الديان، وخاصة أبارك وزفر وعلان، فإنهم أول من أحيوا بدع الشيطان، وأماتوا سنن الرحمن .

هذا، وفي كتاب سعد السعود لابن طاووس رحمته الله: من مختصر تفسير محمد بن العباس بن مروان، بإسناده إلى جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل، يذكر فيه ما أعدّ الله لمحبي علي عليه السلام يوم القيامة .

وفيه: فإذا دخلوا منازلهم، وجدوا الملائكة يهتؤونهم بكرامة ربهم، حتى إذا استقرّوا قرارهم، قيل لهم: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ قالوا: نعم ربنا رضينا فارض عنا، قال: برضاي عنكم وبحبكم أهل بيت نبيي حلتم داري وصافحت الملائكة، فهنيئاً هنيئاً عطاءً غير مجذوذ، ليس فيه تنغيض، فعندها قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ وَأَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (١) .

وفي هذا الحديث: إن محبي علي عليه السلام يقولون لله عزّ وجلّ إذا دخلوا الجنة: فأذن لنا بالسجود، قال لهم ربهم عزّ وجلّ: إنّي قد وضعت عنكم مؤونة العبادة، وأرحت

لكم أبدانكم، فطالما أنصبتم في الأبدان، وعينتم لي الوجوه، فالآن أفضيتم إليّ روحي ورحمتي^(١).

وفي أصول الكافي: عن سعد الخفاف، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال حاكياً عن القرآن: يأتي الرجل من شيعتنا الذي كان يعرفه، ويجادل به أهل الخلاف، فيقوم بين يديه، فيقول: ما تعرفني، فينظر إليه الرجل، فيقول: ما أعرفك يا عبد الله. قال: فيرجع في صورته التي كانت في الخلق الأول، فيقول: ما تعرفني؟ فيقول: نعم.

فيقول القرآن: أنا الذي أسهرت ليلك، وأنصبت عيشك، وسمعت الأذى، ورجمت بالقول فيّ، ألا وإنّ كلّ تاجر قد استوفى تجارته، وأنا وراءك اليوم، قال: فينطلق به إلى ربّ العزة تبارك وتعالى، فيقول: يا ربّ عبدي وأنت أعلم به، قد كان نصباً بي، مواظباً عليّ، يعادي بسببي، ويحبّ فيّ ويبغض.

فيقول الله عزّ وجلّ: أدخلوا عبدي جنّتي، وأكسوه حلّة من حلل الجنّة، وتوجّوه بتاج. فإذا فعل به ذلك عرض على القرآن، فيقول^(٢): هل رضيت بما صنع بوليك؟ فيقول: يا ربّ إنّني أستقلّ هذا له، فزده مزيد الخير كلّ.

فيقول عزّ وجلّ: وعزّتي وجلالي وعلوّي وارتفاع مكاني لأنحلنّ له اليوم خمسة أشياء مع المزيد له ولمن كان بمنزلته، إلّا أنّهم شباب لا يهرمون، وأصحّاء لا يسقمون، وأغنياء لا يفتقرون، وفرحون لا يحزنون، وأحياء لا يموتون، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ الحديث وطوله^(٣).

(١) سعد السعود ص ١١١، بحار الأنوار ٦٥: ٧٣، تفسير نور الثقلين ٤: ٣٦٧.

(٢) في المصدر: فيقال له.

(٣) أصول الكافي ٢: ٥٩٧ - ٥٩٨، والآية في سورة الدخان: ٥٦.

وهو صريح في تجسّم الأعراض في النشأة الآخرة كما هو الحقّ، ونحن قد فصلناه في مواضع من تعليقاتنا على الأربعين، ولا سيّما في رسالة لنا في جواب شبهة بعض المعاصرين، فليطلب من هناك .

واعلم أنّ لكلّ شيء صورة ومعنىّ وجسداً وروحاً، جوهرأً كان أم عرضاً، فجسد القرآن ما به يتمثّل في النشأة الأخرى، تارة على صورة النبيين والمرسلين، وأخرى على صورة الشابّ والملائكة المقرّبين، كما ورد في الأخبار المأثورة عن المعصومين .

وروحه ما به يبقى ذلك الجسد، وبه يتحرّك ويتكلّم عند ربّه جلّ وعزّ، فيشفع لقاريه وحافظيه، فيقول: يا ربّ فلان أظمأت هواجره وأسهرت ليله، فيقول تبارك وتعالى: أدخلهم الجنة على منازلهم، كما ورد في الأخبار المروية عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام (١) .

وقال بعض الشارحين (٢) لحديث سعد عند قوله عليه السلام «فإنّ القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق» (٣): تصويره بالصورة المذكورة أمر ممكن، كتصوير الأعمال والأعراض بالأجسام، كما نظقت به رواياتنا وروايات العامة، وذهب إليه المحقّقون من الطرفين، فوجب أن لا يستبعد ولا ينكر تعلق القدرة القاهرة به .

قال صاحب كتاب إكمال الإكمال لشرح مسلم: القرآن يصوّر بصورة، ويجيء

(١) أصول الكافي ٢: ٦٠١ ح ١١ .

(٢) هو مولانا محمّد صالح المازندراني رحمته الله «منه» .

(٣) أصول الكافي ٢: ٥٩٦ .

بها يوم القيامة ويراهها الناس، كما تجعل الأعمال صوراً وتوضع في الميزان ويقع فيها الوزن والقدرة صالحة لا يجاد كلّ ممكن، والإيمان به واجب تمامه بعبارته .
 وإمّا كانت صورته أحسن الصور؛ لأنّه كلام ربّ العزّة، وهو أحبّ الخلق إليه، فألبسه صورة هي أحسن الصور وأحبّها لديه، وأيضاً حسن الصورة في القيامة تابع للكمال، وكلّ كمال صوري ومعنوي موجود فيه^(١). إلى هنا كلامه رفع مقامه .
 وفيه: عن عمّار الساباطي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٢) فقال: الذين اتّبعوا رضوان الله هم الأئمّة عليهم السلام، وهم والله يا عمّار درجات المؤمنين، وبولايتهم ومعرفتهم إيانا يضاعف لهم أعمالهم، ويرفع الله لهم الدرجات العلى^(٣) .

وفي كتاب مناقب ابن المغازلي الشافعي الواسطي: بإسناده إلى داود بن السلسل^(٤)، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً لا حساب عليهم، ثمّ التفت إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: هم من شيعتك وأنت إمامهم^(٥) .

وبإسناده إلى محمّد بن علي الكندي، عن محمّد بن مسلم، عن جعفر بن محمّد ابن علي الحسين، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: يا

(١) شرح الكافي للمولى المازندراني ١١: ٢ .

(٢) سورة آل عمران: ١٦٣ .

(٣) أصول الكافي ١: ٤٣٠ ح ٨٤ .

(٤) في المصدر: سليك .

(٥) المناقب لابن المغازلي ص ٢٩٣ .

علي إن شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما بهم من العيوب والذنوب، ووجوههم كالقمر في ليلة البدر، وقد فرّجت عنهم الشدائد، وسهّلت لهم الموارد، ووافوا^(١) الأمن والأمان، وارتفعت عنهم الأحزان، يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون، شرك نعالهم تتلأأ نوراً على نوق بيض لها أجنحة قد دَلَّت من غير مهانة، ونجبت من غير رياضة، أعناقها من ذهب أحمر أليّن من الحرير، لكرامتهم على الله عزّ وجلّ^(٢).

وفيه أيضاً: بإسناده عن كثير بن زيد، قال: دخل الأعمش^(٣) على المنصور وهو جالس للمظالم، فلما بصر به قال له: يا أبا سليمان تصدّر، قال: أنا صدر حيث جلست. ثم قال: حدّثني الصادق، قال: حدّثني الباقر، قال: حدّثني السجّاد، قال: حدّثني الشهيد، قال: حدّثني التقي وهو الوصي أمير المؤمنين علي، قال: حدّثني النبي ﷺ، قال: أتاني جبرئيل ﷺ أنفاً، فقال: تختّموا بالعقيق، فإنّه أول حجر أقرّ لله

(١) في المصدر: وأعطوا.

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٢٩٦.

(٣) قال الشهيد الثاني فيما كتب على الخلاصة هكذا: لم يذكر المصنّف الأعمش، واسمه سليمان بن مهران، وذكره الجمهور، وأثنوا عليه كثيراً، ووثّقه، ونصّوا عليه بالتشيع الصريح، كما قال هكذا عبدالعظيم المنذري في كتاب الإكمال، وذكر جماعة من أصحابنا وأثنى عليهم، مثل أبان بن تغلب، وأكثر في الثناء الصريح عليه، ووثّقه مع تصريحه بتشيعه انتهى.

وأنت تعلم أنّ الخلاصة ما ذكر الرجل إلاّ المذكور بعنوان الأعمش، وهو مشترك بين جماعة، لكن المشهور الموثّق المذكور في الألسن هو سليمان بن مهران، وهو أستاذ أبي حنيفة. قيل: قال له أبوحنيفة: أي شيء أعطاك الله في عوض العين؟ فقال على الفور في جوابه: عدم رؤيتك «منه».

بالوحدانية، ولي بالنبوة، ولعلي بالوصية، ولولده بالإمامة، ولشييعته بالجنة .
 فاستدار الناس وجوههم نحوه، فقيل له: تذكر قوماً فتعلم من لا يعلم، فقال:
 الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، والباقر محمد
 ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، والسجاد علي بن الحسين بن علي بن
 أبي طالب، والشهيد الحسين بن علي، والتقي وهو الوصي علي بن أبي طالب عليهم
 الصلاة والسلام^(١).

أقول: ونقلهم أمثال هذه الأخبار في كتبهم غريب؛ لأنّ عندهم أنّ كلّ من أفتى
 في الإسلام، سواء أقام عليها أم رجع عنها، فهو من فقهاء الأمة، إلاّ الأئمة من أهل
 بيت النبوة، فإنّهم ليسوا من فقهاء الأمة، ولا من الجماعة والسنة، ومن اقتدى بهم
 فهو من أهل الضلالة والبدعة .

وأغرب منه أنّهم يصدّقون الروايات عن أبي حنيفة وشافعي ومالك، ولا
 يصدّقون عن أهل بيت العصمة والطهارة ومعدن الرسالة والنبوة، مع أنّ الله قد أراح
 بأهل بيته علّتهم، وأغناهم بهم عن غيرهم، فيتركونهم ويتعلّقون بأذيال أولئك
 الأنعام ويقولون: هؤلاء علماء الإسلام وأئمة الأنام .

وإنّهم يرون وجوب العمل بأخبار الآحاد، فإن ورد عليهم خبر عن آل الرسول
 لا يقبلونه، فخير أهل البيت عندهم دون أخبار الآحاد رتبة، وأقلّ منها درجة،
 ويختارون عليه خبر أبي هريرة، والمغيرة بن شعبة، وأبي موسى الأشعري، وعامر
 الشعبي، وأمثالهم، فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتّى يلاقوا يومهم الذي يوعدون .

وفي الكافي: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمرو بن

أبي المقدم - فالسند صحيح - قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: خرجت أنا وأبي حتى إذا كنا بين القبر والمنبر، إذ هو بأناس من الشيعة، فسلم عليهم، ثم قال: إني والله لأحبّ رياحكم وأرواحكم، فأعينوني على ذلك ^(١) بورع واجتهاد.

واعلموا أنّ ولايتنا لا تنال إلا بالورع والاجتهاد، ومن اتّم منكم بعد فليعمل بعمله، أنتم شيعة الله، وأنتم أنصار الله، وأنتم السابقون الأولون والسابقون الآخرون، والسابقون في الدنيا، والسابقون في الآخرة إلى الجنة الحديث وطوله ^(٢).

وفيه من التسليم والتعظيم والتكريم والتعليم والبشارة والاشارة ما لا يخفى . وفي روضة الكافي: عن معاوية بن عمّار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الرجل منكم ليكون في المحلّة، فيحتجّ الله عزّ وجلّ يوم القيامة على جيرانه، فيقال لهم: ألم يكن فلاناً بينكم؟ ألم تسمعوا كلامه؟ ألم تسمعوا بكاءه في الليل؟ فيكون حجة الله عليكم ^(٣).

وفي كتاب الخصال: عن حفص بن غياث النخعي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل يزداد في كلّ يوم إحساناً، ورجل يتدارك

(١) الظاهر أنّ «ذلك» إشارة إلى الحبّ، وذلك أنّ ورعهم واجتهادهم كلّما كانا أكثر كانت المناسبة بينهم وبينه عليه السلام أتمّ، فتصير رابطة المحبّة أشدّ وأحكم. أو يقال: إنهم عليهم السلام لما كانوا شغفاء لشيعتهم يوم القيامة، فكّلما كان ورعهم عن المحرّمات بل الشبهات أكثر واجتهادهم في الطاعات والعبادات إلى درجة القبول أقرب، ولذلك قال عليه السلام: أعينوني على ذلك بورع واجتهاد «منه».

(٢) الروضة من الكافي ٨: ٢١٢-٢١٣ ح ٢٥٩.

(٣) الروضة من الكافي ٨: ٨٤ ح ٤٣ وفي آخره: عليهم.

ذنبه بالتوبة، وأنى له التوبة، والله لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله منه إلا بولايتنا أهل البيت^(١).

وفي تفسير العياشي: عن محمد بن جعفر، عن أبي عبد الله^(ع)، قال: إذا كان يوم القيامة نصب منبر عن يمين العرش له أربع وعشرون مرقاة، ويجيء علي بن أبي طالب^(ع) ويده لواء الحمد، فيرتقيه، ويذكره ويعرض عليه الخلائق، فمن عرفه دخل الجنة، ومن أنكره دخل النار^(٢).

وفي أمالي شيخ الطائفة^(ع): بإسناده إلى حنش بن المعتمر، قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(ع)، فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله كيف أمسيت؟ قال: أمسيت محبباً لمحبتنا مبغضاً لمبغضنا، أمسى محببنا مغتبطاً برحمة من الله كان ينتظرها، وأمسى عدوئنا يؤسس بنيانه على شفا جرف هار، فكان ذلك الشفا قد انهار به في نار جهنم^(٣).

وإسناده إلى أمير المؤمنين^(ع) أنه قال: ليس عبد من عباد الله ممن امتحن الله قلبه بالإيمان إلا وهو يجد مودتنا على قلبه فهو محببنا، وليس عبد من عباد الله ممن سخط الله عليه إلا وهو يجد بغضنا على قلبه فهو مبغضنا، فأصبح محببنا منتظر الرحمة، وكانت أبواب الرحمة قد فتحت له، وأصبح مبغضنا على شفا جرف هار فأنهار به في نار جهنم، فهنيئاً لأهل الرحمة رحمتهم، وهنيئاً لأهل النار مثواهم^(٤).

(١) الخصال ص ٤١ ح ٢٩ .

(٢) بحار الأنوار ٨: ٦ .

(٣) أمالي الشيخ الطوسي ص ١١٣ برقم: ١٧٢ .

(٤) أمالي الشيخ الطوسي ص ٣٤ برقم: ٣٤، بحار الأنوار ٢٧: ٧٩، تفسير نور الثقلين

٢: ٢٦٨ ح ٣٥٢ عن الأمالي .

وإسناده إلى صالح بن ميثم التمار، قال: وجدت في كتاب ميثم عليه السلام، قال: تمسّينا ليلة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال لنا: ليس من عبد امتحن الله قلبه بالإيمان إلا أصبح يجد مودّتنا على قلبه، ولا أصبح عبد سخط الله عليه إلا يجد بغضنا على قلبه، فأصبحنا نفرح بحبّ المحبّ لنا، ونعرف بغض المبغض لنا. وأصبح محبّنا معتباً بحبّنا برحمة من الله ينتظرها كل يوم، وأصبح مبغضنا يؤسّس بنيانه على شفا جرف هار، فكان ذلك الشفا قد انهار به في نار جهنّم، وكانت أبواب الرحمة قد فتحت لأهل أصحاب الرحمة، فهنيئاً لأصحاب الرحمة رحمتهم، وتعتساً لأصحاب النار متواهم^(١).

وفي روضة الكافي: عن سعيد بن المسيّب، قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: إنّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: أخبرني إن كنت عالماً عن الناس وعن أشباه الناس وعن التناسس .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا حسين أجب الرجل .

فقال له الحسين عليه السلام: أمّا قولك «أخبرني عن الناس» فنحن الناس، ولذلك قال الله تعالى ذكره في كتابه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾^(٢) فرسول الله صلى الله عليه وآله الذي أفاض بالناس .

وأما قولك «أشباه الناس» فهم شيعتنا، وهم موالينا، وهم منّا، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾^(٣) .

(١) أمالي الشيخ الطوسي ص ١٤٨ برقم: ٢٤٣ .

(٢) سورة البقرة: ١٩٩ .

(٣) سورة إبراهيم: ٣٦ .

وأما قولك «النسناس» فهم السواد الأعظم، وأشار بيده إلى جماعة الناس، ثم قال: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (١).

وفي حديث آخر: إِنَّ حَيًّا مِنْ عَادِ عَصَا رَسُولِهِمْ، فَمَسَخَهُمُ اللَّهُ نَسْنَسًا، لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَدٌ وَرَجُلٌ مِنْ شَقِّ وَاحِدٍ، يَنْقَرُونَ كَمَا يَنْقَرُ الطَّائِرُ، وَيَرْعُونَ كَمَا تَرْعِي الْبِهَائِمُ (٢).

وقيل: أولئك انقرضوا. وقيل: النسناس هم يأجوج ومأجوج. وقيل: هم على صور الناس أشبهوهم في شيء وخالفوهم في شيء وليسوا من بني آدم.

وقيل: النسناس ويكسر جنس من الخلق يشب أحدهم على رجل واحدة.

وفي أمالي شيخ الطائفة عليه السلام: بإسناده إلى عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أنت والله منّا أهل البيت، قلت: جعلت فداك من آل محمّد؟ قال: إي والله من أنفسهم. قلت: من أنفسهم جعلت فداك؟ قال: إي والله من أنفسهم يا عمر، أما تقرأ كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣) أو ما تقرأ قول الله عزّ اسمه: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤).

وفي تفسير العياشي: عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: من أحببنا فهو منّا أهل البيت. قلت: جعلت فداك منكم؟ قال: منّا والله، أما سمعت قول إبراهيم عليه السلام:

(١) الروضة من الكافي ٨: ٢٤٤ - ٢٤٥، والآية في سورة الفرقان: ٤٤.

(٢) بحار الأنوار ٢٤: ٩٦.

(٣) سورة آل عمران: ٦٨.

(٤) أمالي شيخ الطوسي ص ٤٥ برقم: ٥٣، بحار الأنوار ٦٥: ٢٠، تفسير نور الثقلين

﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (١).

وفيه: عن محمد الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: من اتقى الله منكم وأصلح فهو من أهل البيت، قال: منكم أهل البيت؟ قال: من أهل البيت، قال: فينا قال إبراهيم: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾.

قال عمر بن يزيد قلت له: من آل محمد؟ قال: إي والله من آل محمد، إي والله من آل محمد من أنفسهم، أما تسمع قول الله يقول: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وقول إبراهيم: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (٢).

وعن أبي عمير (٣) الزبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: من تولّى آل محمد وقدمهم على جميع الناس بما قدمهم من قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو من آل محمد بمنزلة آل محمد، لا أنه من القوم بأعيانهم، وإنما هو منهم بتوليّه إليهم واتباعه إليّهم، وكذلك حكم الله في كتابه: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (٤) وقول إبراهيم: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥).

وفيه: عن مسعدة بن صدقة، قال: قصّ أبو عبدالله عليه السلام قصص أهل الميثاق من أهل الجنة وأهل النار، فقال في صفات أهل الجنة: فمنهم من لقي الله شهيداً لرسله، ثم مرّ في صفتهم حتى بلغ من قوله: ثم جاء الاستثناء من الله في الفريقين جميعاً. فقال الجاهل بعلم التفسير: إنّ هذا الاستثناء من الله إنّما هو لمن دخل الجنة

(١) تفسير العياشي ٢: ٢٣١ ح ٣٢.

(٢) تفسير العياشي ٢: ٢٣١ ح ٣٣.

(٣) في المصدر: وعن أبي عمرو.

(٤) سورة المائدة: ٥١.

(٥) تفسير العياشي ٢: ٢٣١ ح ٣٤.

والنار، وذلك أن الفريقين جميعاً يخرجان منهما فتبقيان وليس فيهما أحد وكذبوا إنَّما عني (١) بالاستثناء أن ولد آدم كلُّهم وولد الجن معهم على الأرض والسموات تظلمهم، فهو ينقل المؤمنين حتَّى يخرجهم إلى ولاية الشياطين وهي النار. فذلك الذي عني الله في أهل الجنَّة والنار ما دامت السموات والأرض، يقول في الدنيا: والله تبارك وتعالى ليس يخرج أهل الجنَّة منها ولا كلَّ أهل النار منها كيف يكون ذلك، وقد قال الله في كتابه: ﴿مَا كَثِيرٌ فِيهِ أَسْدَأهُ﴾ (٢) ليس فيها استثناء .

وكذلك قال أبو جعفر عليه السلام: من دخل في ولاية آل محمَّد دخل الجنَّة، ومن دخل في ولاية عدوِّهم دخل النار. وهذا الذي عني الله من تفسير الاستثناء في الخروج من الجنَّة والنار والدخول (٣).

وهذا منه عليه السلام إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ (٤).

أقول: لهذا الاستثناء تأويلات عديدة، أوردناها في تعليقاتنا على المسائل المهنائية، فليطلب من هناك .

(١) في المصدر: لكن عني .

(٢) سورة الكهف: ٣ .

(٣) تفسير العياشي ٢: ١٥٩ - ١٦٠ ح ٦٦ .

(٤) سورة هود: ١٠٦ - ١٠٨ .

والمشهور بين الجمهور ومفسريهم وصوفية أهل السنة ولغويهم أنّ الله تعالى كما يعذب في الآخرة بحرّ النار، كذلك يعذب ببرد الزمهرير، وجعلوا هذا الاستثناء إشارة إلى ذلك .

قال صاحب الكشاف فيه: هذا استثناء من الخلود في عذاب النار، ومن الخلود في نعيم الجنّة، بمعنى أنّ أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده، بل يعذبون بالزمهرير ونحوه من أنواع العذاب سوى عذاب النار، وكذا أهل الجنّة لهم سوى الجنّة ما هو أكبر منها وأجلّ، وهو رضوان الله ما يتفضّل به عليهم ممّا لا يعرف كنهه إلاّ الله (١) .

ومثله قال بعض أصحابنا، وهو صاحب تفسير كنز الدقائق ميرزا محمّد بن محمّد رضا القميّ: إنّ أهل النار ينقلون منها إلى الزمهرير وغيره من العذاب أحياناً، وكذلك أهل الجنّة يتنعمون بما هو أعلى من الجنّة، كالاتّصال بجناب القدس، والفوز برضوان الله ولقائه (٢) .

وقال ابن الأثير في النهاية: الزمهرير شدة البرد، وهو الذي أعدّه الله تعالى عذاباً للكفّار في الدار الآخرة (٣) .

وقال صاحب الفتوحات المكيّة: اعلم عصمنا الله وإياك أنّ النار من أعظم المخلوقات، وهي سجن الله في الآخرة، وهي تحوي على حرور وزمهرير، ففيها البرد على أقصى درجاته، والحرور على أقصى درجاته، وبين أعلاها وقعرها

(١) الكشاف ٢: ٢٩٤ .

(٢) كنز الدقائق ٤: ٦٣٧ - ٦٣٨ طبع العراقي .

(٣) نهاية ابن الأثير ٢: ٣١٤ .

خمس وسبعون إلى مائة من السنين .

وهذا كله وإن كان شبيهاً بأن يكون رجماً بالغيب؛ إذ لم نجد له من أخبارنا عيناً ولا أثراً، إلا أنه ليس فيها ما ينافيه، وليس مرادهم بالزمهير ما هو المشهور من الطبقة الثالثة من الهواء البارد الذي يخالطه الأبخرة المائية، ولا يصل إليه أثر شعاع الشمس المنعكس، فيبقى على برودته، بل مرادهم به البرد الشديد المعدّ لعذاب أهل العذاب، كما صرّح به في النهاية .

وعن أخطب خوارزم من علماء العامة، عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، عَطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى حَمْدَنِي عَبْدِي، وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَوْلَا عَبْدَانِ أُرِيدُ أَنْ أُخْلِقَهُمَا فِي دَارِ الدُّنْيَا مَا خَلَقْتِكَ، قَالَ: إِلَهِي يَكُونَانِ مِنِّي؟ قَالَ: نَعَمْ يَا آدَمُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَانظُرْ . فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا مَكْتُوبٌ عَلَى الْعَرْشِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ نَبِي الرَّحْمَةِ، وَعَلِيٌّ مَقِيمُ الْحِجَّةِ، مِنْ عَرَفَ حَقَّ عَلِيِّ زَكِي وَطَابَ، وَمَنْ أَنْكَرَ حَقَّهُ لَعَنَ وَخَابَ، أَقْسَمْتُ بِعِزَّتِي أَنْ أَدْخُلَ الْجَنَّةَ مِنْ أَطَاعِهِ وَإِنْ عَصَانِي، وَأَقْسَمْتُ أَنْ أَدْخُلَ النَّارَ مِنْ عَصَاهُ وَإِنْ أَطَاعَنِي (١) .

وفي أصول الكافي (٢): عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن الحسن بن علي بن فضال، عن ثعلبة بن ميمون، عن أبي أمية يوسف ثابت بن أبي سعيدة، فالسند موثق؛ لأن يوسف هذا كوفي ثقة روى عن أبي عبدالله عليه السلام . قال: دخل قوم على أبي عبدالله عليه السلام، فقالوا لَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ: إِنَّا أَحْبَبْنَاكُمْ

(١) المناقب للخوارزمي ص ٢٥٢ ط تبريز .

(٢) كذا والصحيح: روضة الكافي .

لقرابتكم من رسول الله ﷺ، ولما أوجب علينا من حقكم، ما أحببناكم للدنيا نصيها منكم إلا لوجه الله تعالى والدار الآخرة، وليصلح امرء (١) منا دينه .

فقال أبو عبدالله عليه السلام: صدقتم من أحببنا كان معنا، أو قال: جاء معنا يوم القيامة هكذا، ثم جمع بين السبابتين، ثم قال: والله لو أن رجلاً صام النهار وقام الليل، ثم لقي الله بغير ولايتنا أهل البيت، للقيه وهو عنه غير راضٍ، أو قال: ساخط عليه .
ثم قال: وذلك قول الله عز وجل: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٢) (٣) .

وهذا الخبر بصريحه يدل على كفر من أنكر الولاية، وإن أقر بما سواه وعبد ما عبد، وسيأتي أوضح من ذلك إن شاء الله العزيز .

وفي الكافي: في صحيحة عمر بن يزيد، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنني سمعتك وأنت تقول: كل شيعتنا في الجنة على ما كان فيهم (٤)، قال: صدقتك كلهم والله في الجنة. قال: قلت: جعلت فداك إن الذنوب كثيرة كبار، فقال: أما في القيامة فكلكم في الجنة بشفاعة النبي المطاع، أو وصي النبي، ولكن والله أتخوف عليكم في البرزخ. قلت: وما البرزخ؟ قال: القبر منذ حين الموت إلى يوم القيامة (٥) .

(١) في المصدر: لامرء .

(٢) سورة التوبة: ٥٥ .

(٣) الروضة من الكافي ٨: ١٠٦-١٠٧ ح ٨٠ .

(٤) هذا الحديث ينافيه ما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره، حيث قال: وسئل العالم صلوات الله عليه عن مؤمني الجنّ أيدخلون الجنة؟ فقال: لا، ولكن الله حظائرين الجنة والنار يكون فيها مؤمنوا الجنّ وفساق الشيعة، فتأمل «منه» .

(٥) فروع الكافي ٣: ٢٤٢ ح ٣ .

وفيه دلالة على أن المؤمن المستقرّ الإيمان لا يؤمر به إلى النار الكبرى، وهو المصرّح به في قول سيّدنا زين العابدين وفخر الساجدين - صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه المعصومين - في دعاء أبي حمزة الثمالي: ولئن أدخلتني النار لأخبرن أهل النار بحبيّ إياك، وساق الكلام عليه السلام إلى أن قال: إلهي إن أدخلتني النار ففي ذلك سرور عدوّك، وإن أدخلتني الجنّة ففي ذلك سرور نبيّك، وأنا والله أعلم أنّ سرور نبيّك أحبّ إليك من سرور عدوّك الدعاء (١).

وفي قول سيّدنا أبي عبد الله الصادق عليه السلام: والله لا يموت عبد يحبّ الله ورسوله والأئمّة فتمسّه النار (٢).

وعليه فلا بدّ: إمّا من حمل المحبّة على المحبّة الصادقة الكاملة الكافية عن ارتكاب ما يوجب النار، فإنّ حبّ الله ورسوله والأئمّة إنّما ينشأ من الإيمان بهم والتصديق بصفاتهم، فإنّ جميع مقتضيات المحبّة من الجود والكرم والعلم والحلم وغيرها من صفات الكمال موجودة فيهم.

ولا يحبّ أحد أحداً إلّا لكونه موصوفاً ببعض تلك الصفات، فمن جمع جميعها على أبلغ وجهه وآكده كان أولى بالمحبّة. ولما كان حبّهم ينشأ من الإيمان بهم يزداد بازدياده ضرورة ازدياد المسبّب بازدياد السبب، حتّى يغلب حبّهم على كلّ شيء. وإذا بلغ المحبّ إلى تلك المرتبة السنية من الإيمان يضمحلّ في نظره كلّ شيء سوى ما كان له سبيل إليهم، فلا يختار إلّا ما فيه رضاؤهم.

نظير ذلك ما ترى في العشاق المجازية أنّهم يقصدون في جميع حركاتهم

(١) فقرات من دعاء أبي حمزة الثمالي يقرأ في سحر شهر رمضان المبارك.

(٢) بحار الأنوار ٦٥: ١١٥.

وسكناتهم ما فيه رضاء المحبوب ولا يقصدون سواه، وذلك يوجب طاعته وترك معصيته، وطاعة من أمر بطاعته وترك معصيته. فإذا كان الحال في المحبوب المجازي هذا الحال، فما ظنك بالمحبوب الحقيقي. ونعم ما قال بعض العرفاء :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إنَّ المحبَّ لمن يحبَّ مطيع^(١)

وقيل: المراد بمحبّة من يحبّ محبة حقيقية ومقامه دون شخصه الجزئي، ولاسيما إذا لم ير المحبّ وإنّما سمع بصفاته وأخلاقه، ومن هنا يحكم بنجاة كثير من المخالفين الواقعيين في عصر خلفاء إمام الحقّ المحييين لأئمتنا عليهم السلام، وإن لم يعرفوا قدرهم وإمامتهم .

كما يدلّ عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام في حديث أشعث بن قيس في كلام طويل، قال عليه السلام: وأما الثلاثة أبوذرّ والمقداد وسلمان، فثبتوا على دين محمّد وملّته وملّة إبراهيم حتّى لقوا الله .

فقال الأشعث: إن كان الأمر كما تقول لقد هلك الأمة غيرك وغير شيعتك .
قال: فإنّ الحقّ والله كما أقول، وما هلك من الأمة إلاّ الماضين المكابرين الجاحدين المعاندين، فأما من تمسك بالتوحيد والإقرار بمحمّد ولم يخرج من الملة، ولم يظهر علينا الظلمة، ويشكّ في الخلافة ولم يعرف أهلها وولاتها، ولم ينكر لنا ولاية، ولم ينصب لنا عداوة، فإنّ ذلك مسلم ضعيف يرجئ له الرحمة من ربّه، ويتخوّف عليه ذنوبه^(٢) .

(١) بحار الأنوار ٤٧: ٢٤ و ٦٧: ٦٥ .

(٢) بحار الأنوار ٢٩: ٤٧١ و ٦٩: ١٧٠ .

وفي الكافي^(١): بإسناده الصحيح عن الصادق عليه السلام، قيل له: رأيت من صام وصلّى، واجتنب المحارم، وأحسن ورعه، ممّن لا يعرف ولا ينصب، فقال: إنّ الله يدخل أوّلك الجنّة برحمته^(٢).

أو هي من تخصيص الآيات والروايات الدالّة على عذاب صاحب الكبيرة بالعذاب البرزخي .

واعلم أنّ وقوع العذاب في البرزخ ممّا انعقد عليه الإجماع، ونطقت به الأخبار، كالخبر المذكور، وخبر آخر عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام: إنّ بين الدنيا والآخرة ألف عقبة أهونها وأيسرها الموت. وله نظائر، ودلّ عليه القرآن المجيد: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٣) وقال به أكثر أهل الملل، وإن وقع الاختلاف في تفاصيله، كما فصلناه في تعليقاتنا على الأربعين للشيخ بهاء الدين رحمته.

هذا وفي رواية أمّ سلمة - رضي الله عنها - عن النبي صلى الله عليه وآله: شيعة علي هم الفائزون يوم القيامة^(٤).

وفيه دلالة على أنّ الفوز هو النجاة من النار والدخول في الجنّة، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾^(٥) منحصر في شيعته صلوات الله عليه، بدلالة ضمير الفصل وتعريف الخبر. وأما أشياع أئمة الجور

(١) كذا ولعلّ الصحيح: المحاسن .

(٢) المحاسن للبرقي ١: ١٥٨، بحار الأنوار ٢٧: ١٨٣ و ٦٩: ١٦٢ .

(٣) سورة المؤمنون: ١٠٠ .

(٤) إحقاق الحقّ ٧: ٢٩٧ عن أمّ سلمة بعدة طرق .

(٥) سورة آل عمران: ١٨٥ .

وأتباعهم، فلا فوز لهم ولا فلاح .

وبدلّ عليه أيضاً ما في حسنة^(١) ابن أبي المقدام، عن أبي عبد الله عليه السلام عن أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - أنه قال لقنبر: يا قنبر أبشر^(٢) وبشّر واستبشر، فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على أُمَّته ساخط إلا الشيعة .

ألا وإنّ لكلّ شيء عزّاً، وعزّ الإسلام الشيعة، ألا وإنّ لكلّ شيء دعامة ودعامة الإسلام الشيعة، ألا وإنّ لكلّ شيء ذروة وذروة الإسلام الشيعة، ألا وإنّ لكلّ شيء سيّداً وسيّد المجالس مجالس الشيعة، ألا وإنّ لكلّ شيء إماماً وإمام الأرض أرض تسكنها الشيعة .

والله لولا ما في الأرض منكم ما رأيت بعين عسباً أبداً، والله لولا ما في الأرض منكم ما أنعم الله على أهل خلافكم ولا أصابوا الطيبات، ما لهم في الدنيا ولا لهم في الآخرة من نصيب، كلّ ناصب وإن تعبد واجتهد، منسوب إلى هذه الآية: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصَلَّى نَاراً حَامِيَةً﴾^(٣) فكلّ ناصب مجتهد فعمله هباء، شيعتنا ينطقون بنور الله عزّ وجلّ، ومن يخالفهم ينطقون بتفلّت^(٤) .

والله ما من عبد من شيعتنا ينام إلاّ أصد الله روحه إلى السماء فيبارك عليها، فإن كان قد أتى عليها أجلها جعلها في كنوز رحمته، وفي رياض جنّاته، وفي ظلّ

(١) هذا حديث صحيح رواه الكليني في روضة الكافي عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمرو بن أبي المقدم عنه عليه السلام. وإنما قلنا إنه حسن بإبراهيم أبي علي تبعاً للمشهور، وإلاّ فهو صحيح، كما حقّقنا في بعض رسالتنا «منه» .

(٢) أبشر، أي: خذ هذه البشارة وبشّر، أي: غيرك. واستبشر، أي: افرح وسر بذلك «منه» .

(٣) سورة الغاشية: ٣ - ٤ .

(٤) أي: يصدر عنهم فلتة من غير تفكّر وروية وأخذ عن صادق .

العرش^(١)، وإن كان أجلها متأخراً بعثها مع أمنتها من الملائكة ليردّوها إلى الجسد الذي خرجت منه لتسكن فيه .

والله إنّ حاجكم وعمّاركم لخاصّة الله عزّ وجلّ، وإنّ فقراؤكم لأهل الغناء، وإنّ أغنياءكم لأهل القناعة، وإنّكم كلّكم لأهل دعوته وأهل إجابته الحديث^(٢) .

وزاد في آخر مثله: ألا وإنّ لكلّ شيء جوهرأ، وجوهر ولد آدم محمّد ونحن وشيعتنا^(٣)، حبّذا شيعتنا ما أقربهم من عرش الله عزّ وجلّ، وأحسن صنع الله إليهم يوم القيامة، ولولا أن يتعاطم الناس ذلك أو يدخلهم زهو، لسلمت عليهم الملائكة قبلاً^(٤) .

وفيه من التعظيم العظيم والبشارة الجليلة كما سبقت في نظائره ما لا يخفى .
وفي مجمع البحرين: الزهو الكبر والفخر، ثمّ قال: ومنه حديث الشيعة: «لولا أن يدخل الناس زهو لسلمت عليهم الملائكة قبلاً» أي: فخر وكبر واستعظام، ومثله: «لولا أن يتعاطم الناس ذلك ويدخلهم زهو لسلمت عليكم الملائكة قبلاً»^(٥) انتهى كلامه رفع مقامه .

وفي صحيحة بكير بن أعين، قال: كان أبو جعفر^{عليه السلام} يقول: إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا، وهم ذرّ يوم أخذ الميثاق على الذرّ، بالإقرار له بالربوبية،

(١) في المصدر: عرشه .

(٢) الروضة من الكافي ٨: ٢١٣ - ٢١٤ ح ٢٥٩ .

(٣) في المصدر: وشيعتنا بعدنا .

(٤) الروضة من الكافي ٨: ٢١٤ ح ٢٦٠ .

(٥) مجمع البحرين ١: ٢١٠ .

ولمحمّد ﷺ بالنبوة^(١). وعرض الله عزّ وجلّ على محمّد أمته في الطين وهم أظلمة، وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم، وخلق أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام، وعرضهم عليه وعرفهم رسول الله وعرفهم علياً، ونحن نعرفهم في لحن القول^(٢). وهذه الصحيحة تشعر بأن أرواحهم كانت متعلّقة بأبدان مثالية، ولا استبعاد فيه؛ إذ كما يجوز أن تتعلّق الأرواح بعد خراب هذه الأبدان بأبدان مثالية، كما دلّت عليه الروايات، جاز أن تتعلّق بها قبل تعلّقها بهذه الأبدان، وليس ذلك من التناسخ في شيء، كما أوضحناه في تعليقاتنا على الأربعين.

روى محمّد بن يعقوب بإسناده، عن عبدالله بن محمّد الجعفري، عن أبي جعفر ﷺ، قال: إنّ الله خلق الخلق، ثمّ بعثهم في الظلال، فقلت: وأي شيء الظلال؟ قال: ألم تر إلى ظلّك في الشمس شيء وليس بشيء الحديث^(٣).

وفي روضة الكافي: عن عبدالله بن جبلة، عن إسحاق بن عمّار أو غيره، قال: قال أبو عبدالله ﷺ: نحن بنو هاشم، وشيعتنا العرب، وسائر الناس الأعراب^(٤). ولعلّه منه ﷺ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾^(٥) الآية.

وفيه: عن زرارة، قال: قال أبو عبدالله ﷺ: نحن قريش، وشيعتنا العرب، وسائر الناس علوج الروم^(٦).

(١) أصول الكافي ١: ٤٣٦ ح ١.

(٢) أصول الكافي ١: ٤٣٧-٤٣٨ ح ٩.

(٣) أصول الكافي ١: ٤٣٦ ح ٢.

(٤) الروضة من الكافي ٨: ١٦٦ ح ١٨٣.

(٥) سورة التوبة: ٩٧.

(٦) الروضة من الكافي ٨: ١٦٦ ح ١٨٤.

هذا، وفي رواية أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد ضرب كتف علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه - بيده، وقال: يا علي من أحببنا فهو العربي، ومن أبغضنا فهو العلج، شيعتنا أهل البيوتات والمعادن والشرف، ومن كان مولده صحيحاً، وما على ملّة إبراهيم إلّا نحن وشيعتنا، وسائر الناس منها براء، وإنّ لله ملائكة يهدمون سيئات شيعتنا كما يهدم القوم النبيان (١).

أقول: العلج بالكسر فالسكون وجيم في الآخر الرجل الضخم من كفّار العجم، وبعضهم يطلقه على الكافر مطلقاً، والجمع علوج وأعلاج .

وفي حديث علي رضي الله عنه: الناس ثلاثة: عربي، وموالي، وعلج، فنحن العرب، وشيعتنا الموالي، ومن لم يكن على مثل ما نحن عليه فهو علج (٢). أي: كافر .

وفي حديث آخر: من ولد في الإسلام فهو عربي (٣).

وفي آخر: الناس ثلاثة: عربي، ومولى، وعلج، فأما العرب فنحن، وأما المولى فمن والانا، وأما العلج فمن تبرأ منا وناصبنا (٤).

ويظهر من خبر أبي ذرٍّ وغيره أنّ المراد بالعربي والعرب من شايعهم ووالاهم وأحبهم، وبالعجمي والعجم من تبرأ منهم وناصبهم، كما يدلّ عليه أيضاً قوله صلى الله عليه وآله في حديث آخر: نحن قريش، وشيعتنا العرب، وعدونا العجم (٥).

وفي رواية أخرى: عن أبي جعفر رضي الله عنه، قال: من ولد في الإسلام حرّاً فهو عربي،

(١) بحار الأنوار ٦٥: ٢٣ .

(٢) مجمع البحرين ٢: ٣١٩ .

(٣) الروضة من الكافي ٨: ١٤٨ .

(٤) الخصال ص ١٢٣ ح ١١٦ .

(٥) مجمع البحرين ٢: ١١٨ .

ومن كان له عهداً فخره في عهده فهو مولى لرسول الله ﷺ، ومن دخل في الإسلام طوعاً فهو مهاجر (١).

فما قال بعض أصحابنا بعد نقله نبذة من هذه الأخبار: ومن هنا جاء تفضيل العرب على العجم؛ لأنهم - صلوات الله عليهم - أشرف المخلوقين، واتصفوا بهذا الوصف. محل تأمل، وفي رواية أبي ذرّ دلالة واضحة على صحة مواليد الشيعة وطيب ولادتهم، ولذلك صاروا من محبيهم، وصار مخالفوهم من مبغضهم.

قال الصادق عليه السلام: والله لا يحبنا من العرب والعجم إلا أهل البيوتات والشرف والمعدن، ولا يبغضنا من هؤلاء وهؤلاء إلا كلّ دنس ملصق (٢).

قوله عليه السلام «أهل البيوتات» أي: ذوي الأحساب والأنساب الشريفة، والبيت يكون بمعنى الشرف.

والمعدن: مركز كل شيء، ومنه الحديث «فمن معادن العرب تسألوني؟ قالوا: نعم» (٣) أي: أصولها التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها.

والملصق: بتشديد الصاد ويخفف الدعي المتهم في نسبه، والرجل المقيم في الحي وليس منهم بنسب.

وقد دلت الأخبار المستفيضة على أنّ حبهم عليهم السلام علامة طيب الولادة، وبغضهم علامة خبثها. وكان الصبي على عهد رسول الله ﷺ إذا وقع الشك في نسبه عرضت عليه ولاية سيّدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فإن قبلها ألحق نسبه بمن ينتمي

(١) الروضة من الكافي ٨: ١٤٨ ح ١٢٦.

(٢) الروضة من الكافي ٨: ٣١٦ ح ٤٩٧.

(٣) نهاية ابن الأثير ٣: ١٩٢.

إليه، وإن أنكرها نفي عنه .

وعن الصادق عليه السلام: من وجد برد حبّنا على قلبه، فليكثر الدعاء لأئمّه، فإنّها لم تخن أباه (١).

وفي رواية أخرى: ومن علامات ولد الزنا بغضنا أهل البيت (٢).
والأخبار في ذلك أكثر ولا تحصى .

وروى الكشي بإسناده عن زيد الشحام، قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام، فقال: يا زيد جدّد التوبة وأحدث عبادة. قال: قلت: نعتت إليّ نفسي .

فقال لي: يا زيد ما عندنا لك خير وأنت من شيعتنا، إلينا الصراط، وإلينا الميزان، وإلينا حساب شيعتنا، والله لأنّا لكم أرحم من أحدكم بنفسه، يا زيد كأنّي أنظر إليك في درجتك من الجنّة، ورفيقك فيها الحارث بن المغيرة النصري (٣).

وإسناده عن أبي بصير، قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام، فقال: ما فعل أبو حمزة الثمالي؟ قلت: خلفته عليلاً. قال: إذا رجعت إليه فاقرأه منّي السلام، وأعلمه أنّه يموت في شهر كذا في يوم كذا .

قال أبو بصير: فقلت: جعلت فداك والله لقد كان لكم فيه أنس، وكان لكم شيعة.
قال: صدقت ما عندنا خير له. قلت: شيعتكم معكم؟ قال: نعم إن هو خاف الله وراقب وتوقّى الذنوب، فإذا هو فعل كان معنا في درجتنا (٤).

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٩٣ .

(٢) بحار الأنوار ٧٦: ١٩ .

(٣) إختيار معرفة الرجال ٢: ٦٢٨ ح ٦١٩ .

(٤) إختيار معرفة الرجال ٢: ٤٥٨ ح ٣٥٦ .

وفي الكافي: في موثقة ميسر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال لي: أتخلون وتحدثون ما شئتم؟ فقلت: إي والله إننا لنخلو ونحدث ما شئنا، فقال: أما والله لوددت أنني معكم في بعض تلك المواطن. أما والله إنني لأحبّ ريحكم وأرواحكم، وأنكم على دين الله وملائكته، فأعينوني بورع واجتهاد^(١).

وقيل: إنّ للمؤمن ريحاً أطيب من المسك الأذفر يشمّها ويدركها العارفون، سيّما إذا كان في بعض تلك المواضع التي أفضلها مدارس العلوم الشرعية، ومواضع نشر فضائل الأئمة الطاهرة المرضيين. فانظر أيّها الطالب إلى كثرة فضلها ورفعة شرفها، حتّى إنّه عليه السلام تمّنى أن يكون جليسا فيها، بل هو عليه السلام والملائكة المقربون جلساؤك فيها، ولو كشف الغطاء لرأيت منزلاً شريفاً وأمرأ غريباً^(٢).

وفي موثقة ميسر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أما والله لا تدخل النار منكم إثنان، لا والله ولا واحد الحديث^(٣).

وعن أبي بكر الحضرمي، أنّه قال حين حضره الموت: ليس هذا مقام الكذب، إنني سمعت جعفر بن محمد عليه السلام، قال: لا تمسّ النار من مات وهو يقول بهذا الأمر^(٤).

والأخبار في هذا الباب عن الأئمة الأطهار - صلوات الله عليهم ما اختلفت الليل والنهار - بحيث لا يمكن استقصاؤها كثيرة، وفيما ذكرناه من الصحاح

(١) أصول الكافي ٢: ١٨٧ ح ٥.

(٢) شرح الكافي للمولّي محمّد صالح المازندراني ٩: ٦٤.

(٣) الروضة من الكافي ٨: ٧٨ ح ٣٢.

(٤) إختيار معرفة الرجال ٢: ٧١٦ ح ٧٩٠.

والحسان والموثقات كفاية إن شاء الله العزيز .

واعلم أن المراد بهذا الأمر المذهب الحقّ الذي عليه الفرقة الناجية من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائهم، وقد صار هذا اللفظ حقيقة عرفية في هذا المعنى عندنا حتى لا يحتاج في فهمه منه إلى قرينة .

ولنختم هذا الفصل بذكر نبذة من الأخبار الدالة على صفات من كمل فيه التشييع والإيمان، وانخرط بذلك في سلك أولياء الرحمن، وهو أعزّ وجوداً من الكبريت الأحمر، وأطيب ريحاً لو وجد من المسك الأذفر .

فتقول: روى ثقة الإسلام في الكافي، بإسناده عن محمد بن عجلان، قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام، فدخل رجل فسلم، فسأله كيف من خلفت من إخوانك؟ قال: فأحسن الثناء وزكي وأطرى، فقال له: كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم؟ فقال: قليلة. قال: فكيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم؟ قال: قليلة. قال: فكيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟ فقال: إنك لتذكر أخلاقاً قلّ ما هي في من عندنا. قال: فقال: كيف تزعم هؤلاء أنهم شيعة^(١) .

وفيه: عن أبي إسماعيل، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك إن الشيعة عندنا كثير، فقال: فهل يعطف الغني على الفقير؟ ويتجاوز المحسن عن المسيء ويتواسون؟ فقلت: لا، فقال: ليس هؤلاء شيعة، الشيعة من يفعل هذا^(٢) .

وفيه: عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، أنه قال: شيعتنا الشاحبون الذابلون الناحلون

(١) أصول الكافي ٢: ١٧٣ ح ١٠ .

(٢) أصول الكافي ٢: ١٧٣ ح ١١ .

الذين إذا جنّهم الليل استقبلوه بحزن (١).

تعريف الخبير باللام للحصر. والشاحب: المتغيّر لونه من هزال أو جوع .
والذابل: من قلّ ماء بشرته ونداوته وذهبت نضارته، من ذبل النبات إذا يبس .
والناحل: المهزول من مرض أو سفر ونحوهما. وإتّما خصّ الليل؛ لأنّها محلّ
الخلوة مع الله والفراغ من الناس والخلوص في العبادة، كما قيل :

إذا كثرت منك الذنوب فداوها برفع يد في الليل والليل مظلم
وفيه: عنه عليه السلام، قال: إنّ شيعة علي عليه السلام كانوا خصم البطون، ذبل الشفاه، أهل
رأفة وعلم وحلم، يعرفون بالرهبانية، فأعينوني على ما أنتم عليه بالورع
والاجتهاد (٢).

خصم البطن: مثلثة الميم إذا خلا وجاع، وذلك منهم لما علموا أنّ في البطنة:
خمود الفطنة، وفوات الرقّة، وحدوث القسوة، والكسل عن العمل، وصرف العمر
في تحصيل الزائد. ويمكن أن يكون كناية عن كثرة صيامهم .
وفيه: عنه عليه السلام: شيعتنا أهل الهدى، وأهل التّقى، وأهل الخير، وأهل الإيمان،
وأهل الفتح والظفر (٣).

فالفتح إشارة إلى كمالهم في القوّة النظرية، والظفر إشارة إلى كمالهم في القوّة
العملية حتّى بلغوا غايتها، وهو فتح أبواب الأسرار، والفوز بقرب الحقّ، وفيه
حثّ لهم على تحصيل الخصال المذكورة .

(١) أصول الكافي ٢: ٢٣٣ ح ٧.

(٢) أصول الكافي ٢: ٢٣٣ ح ١٠.

(٣) أصول الكافي ٢: ٢٣٣ ح ٨.

وفيه: عن سماعة، قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام، فقال لي مبتدءاً: يا سماعة ما هذا الذي كان بينك وبين جمالك، إياك أن تكون فحاشاً أو سخاباً^(١) أو لعاناً، فقلت: والله لقد كان ذلك إته ظلمي، فقال: إن كان ظلمك لقد أريبت عليه، إن هذا ليس من فعالِي، ولا أمر به شيعتي، استغفر ربك، قلت: أستغفر الله ولا أعود^(٢).

دلّت على أنّ من كمال الإيمان والتشيع هجران الفحش .
والسخب: وهو الضجة واضطراب الأصوات للخصام .

واللعنة إذا خرجت من صاحبها ترددت، فإن وجد مساعاً، وإلا رجعت على صاحبها، كذا في الكافي في موثقة أبي حمزة الشمالي، عن أبي جعفر عليه السلام^(٣) .
وفي المصباح: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ العبد إذا لعن شيئاً سعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض، فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساعاً رجعت إلى الذي لعن، فإن كان أهلاً لذلك، وإلا أتى قائلها^(٤).

وفيه: عنه عليه السلام: إياك والسفلة، فإنما شيعة علي عليه السلام من عفّ بطنه وفرّجه، واشتدّ جهاده، وعمل لخالفه، ورجي ثوابه، وخاف عقابه، فإذا رأيت أولئك، فأولئك شيعة جعفر^(٥).

وفيه: عن أبي جعفر عليه السلام: إنّما شيعة علي عليه السلام العلماء الحلماء، الذبّل الشفاه، تعرف

(١) في المصدر: سخاباً .

(٢) أصول الكافي ٢: ٣٢٦ ح ١٤ .

(٣) أصول الكافي ٢: ٣٦٠ ح ٦ .

(٤) بحار الأنوار ٧٢: ١٦٦ .

(٥) أصول الكافي ٢: ٢٣٣ ح ٩ .

الرهبانية على وجوههم^(١).

وفيه: عنه عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: شيعتنا المتبادلون في ولايتنا، المتحابون في مودّتنا، المتزاورون في إحياء أمرنا، الذين إن غضبوا لم يظلموا، وإن رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوروا، سلم لمن خالطوا^(٢).

ذكر عليه السلام للشيعة سبع خصال:

الأولى: التبادل، أي: بذل بعضهم بعضاً فضل ماله، ولفظة «في» للسببية.

الثانية: التحاب، أي: حبّ بعضهم بعضاً، ولا يتحقّق إلاّ بتحقيق آثاره.

الثالثة: التزاور، أي: زيارة بعضهم بعضاً بقصد إحياء أمر أئمتّهم، وذكر شرفهم وفضيلتهم.

الرابعة: رفض الظلم عند سورة الغضب، وهو مسبّب عن كمال الاعتدال في القوّة الغضبية.

الخامسة: عدم الإسراف والتجاوز عن القصد، ورفض الميل إلى الباطل، وترك التعصّب والحمية عند الرضا عن أحد، وهو من توابع العدل.

السادسة: كونهم بركة على الجار لا يصلح النفع إليه ودفع الضرّ عنه.

السابعة: كونهم سلماً وصلحاً لمن خالطوه.

وفيه: عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لا تذهب بكم المذاهب، فوالله ما شيعتنا إلاّ من أطاع الله عزّ وجلّ^(٣).

(١) أصول الكافي ٢: ٢٣٥ ح ٢٠.

(٢) أصول الكافي ٢: ٢٣٦ - ٢٣٧ ح ٢٤.

(٣) أصول الكافي ٢: ٧٣ ح ١.

أي: لا تذهبكم المذاهب إلى سبيل الضلال وتمني المحال، فالباء للتعديّة، وإسناد الذهاب إليها مجاز عقلي؛ لأنّ فاعله النفس الأمّارة والشيطان، ولعلّ المراد بها الأعمال القبيحة، والعقائد الكاسدة الفاسدة التي من جملتها أن تفعلوا ما تريدون .

أو المراد بالشيعة الكاملون منهم؛ لأنّ التشيع هو المتابعة لهم قولاً وفعلًا، ولا يتحقّق هذا المفهوم إلّا لمن أطاع الله كما أطاعوه .

وفيه: عن مهزم الأسدي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا مهزم شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه، ولا شحناؤه بدنه، ولا يمتدح بنا معلناً، ولا يجالس لنا عائباً، ولا يخاصم لنا قالياً، إن لقي مؤمناً أكرمه، وإن لقي جاهلاً هجره .

قلت: جعلت فداك فكيف أصنع بهؤلاء المتشيعة ؟

فقال: فيهم التمييز، وفيهم التبديل، وفيهم التمحيص، تأتي عليهم سنون تفنيهم، وطاعون يقتلهم، واختلاف تبدّدهم، شيعتنا من لا يهرّ هريير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل عدوّنا وإن مات جوعاً .

قلت: جعلت فداك فأين أطلب هؤلاء؟ قال: في أطراف الأرض، أولئك الخفيض عيشهم، المنتقلة ديارهم، إن شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، ومن الموت لا يجزعون، وفي القبور يتزاورون، وإن لجأ إليهم ذو حاجة منهم رحموه، لن تختلف قلوبهم وإن اختلفت^(١) بهم الدار الحديث^(٢) .

ذكر عليه السلام أموراً توجب خروجهم من الفرقة الناجية، أو هلاكهم بالأعمال

(١) في المصدر: اختلف .

(٢) أصول الكافي ٢: ٢٣٨ - ٢٣٩ ح ٢٧ .

والأخلاق الشنيعة في الدنيا والآخرة :

أحدها: التمييز بين الثابت الراسخ وغيره .

وثانيها: تبديل حالهم بحال أخس، أو بقوم آخرين لا يكونوا أمثالهم .

وثالثها: الابتلاء والاختبار .

وفي رواية ابن أبي يعفور، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ويل لطغاة العرب من أمر قد اقترب. قلت: جعلت فداك كم مع القائم من العرب؟ قال: نفر يسير.

قلت: والله إن من يصف هذا الأمر منهم لكثير. قال: لا بدّ للناس من أن يمحصوا ويميّزوا ويغربلوا، ويستخرج في الغربال خلق كثير (١).

ورابعها: السنون، وهي الجذب والقحط .

وخامسها: الطاعون، وهو الموت من الوباء .

وسادسها: اختلاف بينهم بالتدابير والتقاطع والتنازع أو غيرها يبددهم ويفرقهم.

والهريز: صوت الكلب، وهو دون النباح .

وفيه إشارة إلى أنّ الشيعة من كسر القوّة الشهوية والغضبية، فإنّ إفراط القوّة

الغضبية يجعل الرجل شبيهاً بالكلاب، وإفراط القوّة الشهوية يجعله شبيهاً بالغراب.

وإنّما يكونوا في أطراف الأرض؛ لأنّهم يستوحشون من الناس، لما رأوا منهم

ما يوجب تنفّر القلوب عنهم، ولعدم شهرتهم وخمول ذكركم في الناس، إن شهدوا

لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، أي: لم يطلبوا لاستنكاف الناس من صحبتهم،

وعدم اعتنائهم بشأنهم .

وقد روي عنه عليه السلام أنّه قال: إنّ الله يحبّ من خلقه الأصفياء الأخفياء، الشعثة

رؤوسهم، المغبرة وجوههم، الخمصة بطونهم، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم، وإن خطبوا المتنعمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن طلوعوا لم يفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا .

وفيه: في صحيحة أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: أيما رجل من شيعتنا أتى رجلاً من إخوانه، فاستعان به في حاجته، فلم يعنه وهو يقدر، إلا ابتلاه الله بأن يقضي حوائج عدّة من أعدائنا، يعذبه الله عليها يوم القيامة ^(١) .

وفيه: عنه عليه السلام: أيما رجل من أصحابنا استعان به رجل من إخوانه في حاجة، فلم يبالغ فيها بكلّ جهد، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين. قال أبو بصير: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما تعني بقولك والمؤمنين؟ قال: من لدن أمير المؤمنين إلى آخرهم ^(٢) .

وفيه: عن علي بن أبي زيد، عن أبيه، قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام، فدخل عيسى بن عبدالله القمي، فرحّب وقرّب مجلسه، ثمّ قال: يا عيسى بن عبدالله ليس منّا ولا كرامة من كان في مصر فيه مائة ألف أو يزيدون، وكان في ذلك المصر أحد أروع منه ^(٣) .

أي: ليس من خلّص شيعتنا، والكرامة هي الكون في دار المقامة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، أو دخول الجنة والفوز بنعيمها بغير حساب .

(١) أصول الكافي ٢: ٣٦٦ ح ٢ .

(٢) أصول الكافي ٢: ٣٦٢ - ٣٦٣ ح ٣ .

(٣) أصول الكافي ٢: ٧٨ ح ١٠ .

وفيه: عن محمد بن حمزة العلوي، قال: أخبرني عبيد الله بن علي، عن أبي الحسن الأول عليه السلام، قال: كثيراً ما كنت أسمع أبي عليه السلام يقول: ليس من شيعتنا من لا تتحدّث المخدّرات بورعه في خدورهنّ، وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم خلق الله أروع منه^(١).

المراد بالشيعة خلصهم الذين هم من أهل الكرامة المذكورة.

وفيه دلالة على أنّ شهرة الصلاح بل إظهاره ليشتهر به أمر مطلوب، بشرط أن لا يكون الإظهار لغرض نفساني من الرياء والسمعة، بل لغرض صحيح من قصد الاقتداء به، والتحقّظ عن نسبة الفسق إليه ونحوهما.

وفيه: عن أبي جعفر عليه السلام، قال: يا معشر الشيعة شيعة آل محمد كونوا النمرقة الوسطى، يرجع إليكم الغالي، ويلحق بكم التالي، فقال له رجل من الأنصار يقال له سعد: جعلت فداك ما الغالي؟ قال: قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، فليس أولئك منّا ولسنا منهم.

قال: فما التالي؟ قال: المرتاد يريد الخير يبلغه الخير يؤجر عليه^(٢)، ثمّ أقبل علينا فقال: والله ما معنا من الله براءة، ولا بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجة، ولا نتقرّب إلى الله إلّا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا، ومن كان منكم عاصياً لله فلا تنفعه ولايتنا، ويحكم لا تغتر، ويحكم لا تغتر^(٣).

النمرقة: بضمّ النون والراء وبكسرهما وسادة صغيرة جمعها نمارقة. أي: كونوا

(١) أصول الكافي ٢: ٧٩ ح ١٥.

(٢) أي: من يوصله إلى الخير بهدأيته وإرشاده يؤجر عليه، فالفاعل محذوف «منه».

(٣) أصول الكافي ٢: ٧٥-٧٦ ح ٦.

بين الناس كالنمرقة الوسطى بين النمارق في الشرف والحسن؛ لأنّ النمرقة الوسطى أشرف النمارق وأحسنها .

والمقصود كونوا أمة وسطاً بين طرفي الإفراط والتفريط، أو كونوا أهل النمرقة الوسطى، كما هو شأن أهل الشرف والمجد، إمّا على حدّ المضاف، أو على إرادته من النمرقة مجازاً، تسمية الحال باسم المحلّ، أو أحد المتجاورين باسم صاحبه .
 ووجه التشبيه أو الغرض منه هو قوله «يرجع إليكم الغالي، ويلحق بكم التالي». وفيه: عن أبي عبدالله عليه السلام: شيعتنا الرحماء بينهم، الذين إذا دخلوا ذكروا الله، إنّا إذا ذكرنا ذكر الله، وإذا ذكر عدوّنا ذكر الشيطان (١).

يعني: إنّ شيعتنا هم الذين يتراحمون بعضهم بعضاً. والحصر المستفاد من تعريف الخبر للمبالغة، والإشعار بأنّ من لم يتّصف بهذه الصفة كأنه ليس بشيعة .
 وفي صحيحة خيشمة، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: أبلغ شيعتنا أنّه لن ينال ما عند الله إلّا بعمل، وأبلغ شيعتنا أنّ أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثمّ يخالفه إلى غيره (٢).

قيل: شمل من وصف حقيقة العدل ومنافعه وخالفه، ومن وصف أعمالاً وأخلاقاً حسنة وعمل بغيرها، ومن وصف أعمالاً وأخلاقاً وعمل بها، ومن وعظ الناس ولم يتّعظ، ومن أمر بالمعروف وتركه، ونهى عن المنكر وفعله. وإنّما كان حسرته أعظم لوقوعه في الهلكة مع العلم، وهو أعظم من الوقوع فيها بدونه، لمشاهدة نجاة الغير بقوله وعدم نجاته به .

(١) أصول الكافي ٢: ١٨٦ ح ١ .

(٢) أصول الكافي ٢: ٣٠٠ ح ٥ .

وفيه: عن سدير الصيرفي، قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام، فقلت له: والله ما يسعك القعود، فقال: ولمّ يا سدير. قلت: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك، والله لو كان لأمير المؤمنين عليه السلام مالك من الشيعة والأنصار والموالي ما طمع فيه تميم ولا عدي.

فقال: يا سدير وكم عسى أن يكونوا؟ قلت: مائة ألف. قال: مائة ألف؟ قلت: نعم ومائتي ألف؟ فقال: ومائتي ألف؟ قلت: نعم ونصف الدنيا.

قال: فسكت عني، ثم قال: يخف عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع؟ قلت: نعم، فأمر بحمار وبغل أن يسرجا، فبادرت فركبت الحمار، فقال: يا سدير ترى أن تؤثرني بالحمار؟ قلت: البغل أزين وأنبّل. قال: الحمار أرفق بي، فنزلت فركب الحمار وركبت البغل، فمضينا، فحانت الصلاة، فقال: يا سدير أنزل بنا نصلي.

ثم قال: هذه أرض سبخة لا تجوز الصلاة فيها، فسرنا حتى صرنا إلى أرض حمراء ونظر إلى غلام يرعي جداءً، فقال: والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود، ونزلنا وصلينا، فلما فرغنا من الصلاة عطفت إلى الجداء، فعدتها فإذا هي سبعة عشر^(١).

فيه دلالة على قلة عدد الكاملين في التشيع في عصره عليه السلام، وكذا في هذه الأعصار؛ لأنّ صاحبنا - صلوات الله وسلامه عليه - مع كثرة المنتسبين إليه من الشيعة لو كان له شيعة في الواقع بهذا العدد لما وسعه القعود لعدم الفرق بينهما عليهما السلام. وفيه: عن علي بن جعفر، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ليس كلّ من قال

بولايتنا مؤمناً، ولكن جعلوا أنساً للمؤمنين (١).

ولعل المراد به المؤمن الكامل.

وفي صحيحة زيد الشحام، قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: إقرأ علي من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام، وأوصيكم بتقوى الله عز وجل، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السجود، وحسن الجوار، فهذا جاء محمداً عليه السلام.

وأدوا الأمانة إلى من اتمنكم عليها برأ أو فاجراً، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأمر بأداء الخيط والمخيط، صلوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفري، فيسرني ذلك، ويدخل علي منه السرور، وقيل: هذا أدب جعفر، وإذا كان علي غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره، وقيل: هذا أدب جعفر.

فوالله لحدّثني أبي عليه السلام إن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام، فيكون زينها آداهم للأمانة، وأفضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه، فتقول: من مثل فلان أنه لآدانا للأمانة، وأصدقنا للحديث (٢).

وفي موثقة أبي بصير، عنه عليه السلام قال: شيعتنا الذين إذا دخلوا ذكروا الله كثيراً (٣).

(١) أصول الكافي ٢: ٢٤٤ ح ٧.

(٢) أصول الكافي ٢: ٦٣٦ ح ٥.

(٣) أصول الكافي ٢: ٤٩٩ ح ٢.

وفي صحيحة أبي حمزة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنما شيعتنا الخرس (١).
والوجه في الجمع بين هذه الأخبار وسابقتها: إنَّ للتشيع والإيمان مراتب
ودرجات، كلُّها متشاركة في أصول العقائد المنجية عن الهلاك الأبدية والعقول
السرمدية .

وفي الكافي: عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: ما أنتم والبراءة يبرأ بعضكم من بعض،
إنَّ المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض، وبعضهم أنفذ
بصيرة (٢) من بعض، وهي الدرجات (٣) .

وفي حسنة سدير الصيرفي، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنَّ المؤمنين على منازل:
منهم على واحدة، ومنهم على اثنتين، ومنهم على ثلاث، ومنهم على أربع، ومنهم
على خمس، ومنهم على ستّ، ومنهم على سبع، فلو ذهب تحمل على صاحب
الواحدة ثنتين لم يقو، وعلى صاحب الثنتين ثلاثاً لم يقو الحديث (٤) .

وهذه هي الدرجات، والحائز للجميع هو الكامل، والفاقد للجميع هو الناقص،
وما بينهما كامل وناقص بالاضافة، والكلّ بعد تفاوتهم بهذه المراتب متشاركون
في أصل التشيع، وما ورد في فضيلة الشيعة، وكونهم من أهل الفلاح، والفرقة
المرحومة الناجية، على ما سبق مفصلاً .

ويزيده بياناً ما في الكافي: في باب الدفع عن الشيعة، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال:

(١) أصول الكافي ٢: ١١٣ ح ٢ .

(٢) في المصدر: بصراً .

(٣) أصول الكافي ٢: ٤٥ ح ٤ .

(٤) أصول الكافي ٢: ٤٥ ح ٣ .

إِنَّ اللَّهَ لِيَدْفَعُ بِمَنْ يَصَلِّي مِنْ شِيعَتِنَا عَمَّنْ لَا يَصَلِّي مِنْ شِيعَتِنَا، وَلَوْ أَجْمَعُوا عَلَيَّ تَرَكَ الصَّلَاةَ لَهَلَكُوا، وَإِنَّ اللَّهَ لِيَدْفَعُ بِمَنْ يَزْكِي مِنْ شِيعَتِنَا عَمَّنْ لَا يَزْكِي، وَلَوْ أَجْمَعُوا عَلَيَّ تَرَكَ الزَّكَاةَ لَهَلَكُوا، وَإِنَّ اللَّهَ لِيَدْفَعُ بِمَنْ يَحُجُّ مِنْ شِيعَتِنَا عَمَّنْ لَا يَحُجُّ، وَلَوْ أَجْمَعُوا عَلَيَّ تَرَكَ الْحُجَّ لَهَلَكُوا، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (١) فوالله ما نزلت إلَّا فيكم، ولا عني بها غيركم (٢).

فإنه صريح في أنَّ ترك الفروع من الصلاة والزكاة والحج ونحوها لا يخرج الرجل عن كونه شيعة، وهو من أكبر الكبائر، فما ظنك بغيرها من أنواع الصغائر وخلاف المروءة، فهو يؤكِّد ما أسلفناه أنَّ الشيعة من شايعهم وواقفهم في الاعتقاد، وإن خالفهم في الأعمال والأفعال.

الفصل الرابع

[الشيعة شهيد إن مات على فراشه]

روى (٣) أبو بصير في الصحيح، قال: قلت: جعلت فداك الراذ علي هذا الأمر فهو كالراذ عليكم؟ فقال: يا أبا محمد من ردّ عليك هذا الأمر فهو كالراذ علي رسول الله ﷺ وعلى الله تبارك وتعالى، يا أبا محمد إن الميت علي هذا الأمر شهيد.

(١) سورة البقرة: ٢٥١.

(٢) أصول الكافي ٢: ٤٥١ ح ١.

(٣) هذا الحديث مذكور في روضة الكافي، ومروي عن يحيى الحلبي، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي بصير، ثم إنني وجدت هذا الحديث في محاسن البرقي مسنداً إلى أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، وزاد فيه: وإن مات بعد قوله «إي والله» وقيل: قوله «علي فراشه» وهو الأظهر «منه».

قال: قلت: وإن مات علي فراشه؟ قال: إي والله [وإن مات] (١) علي فراشه حيّ عند ربّه يرزق (٢).

والظاهر أنّ المروي عنه هو الصادق عليه السلام؛ إذ لم يعهد من مثل أبي بصير مخاطبة غير الإمام عليه السلام بمثل هذه المخاطبة، وهي قوله «جعلت فداك».

قال صاحب الكشّاف: أوّل من تكلم بهذه الجملة الدعائية أمير المؤمنين - سلام الله عليه - في مخاطبته مع رسول الله ﷺ، ثمّ شاع بين الناس.

ولا يخفى حسن موقعها في هذا المقام، فإنّ فيه مع ما يوجب من استعطاف الإمام عليه السلام، وحثّه عليّ جواب مسألته التي قلّ ما كانوا يصرّحون به تقيه، من رعاية حسن الأدب، وكمال الإخلاص، ما لا يخفى.

ولعلّ قوله عليه السلام «حيّ عند ربّه يرزق» بشارة وإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٣) الآية.

ويؤيّد ما في حسنة بريد العجلي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ ذكره: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ قال: هم والله شيعتنا حين صارت أرواحهم في الجنّة واستقبلوا الكرامة من الله عزّ وجلّ، علموا واستيقنوا أنّهم كانوا على الحقّ، وعلى دين الله عزّ ذكره، فاستبشروا بمن لم يلحق بهم من إخوانهم من المؤمنين ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

(١) الزيادة من المصدر.

(٢) الروضة من الكافي ٨: ١٤٦ ح ١٢٠.

(٣) سورة آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠.

يَحْرَظُونَ ﴿١﴾ .

وفي صحيفه مالك الجهني، عن أحدهما عليه السلام، قال: يا مالك إن الميت والله منكم على هذا الأمر لشهيد، بمنزلة الضارب بسيفه في سبيل الله ^(٢). لديهم وإيمانهم إلى أن يدركه الموت عن مجاهدة ومحاربة، فينالون بذلك درجات الشهداء .

وفي رواية منهال القصاب، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ادع الله أن يرزقني الشهادة، فقال: إن المؤمن شهيد ^(٣) .

وفي رواية صاحب الكشاف عنه عليه السلام: من مات على حب آل محمد مات شهيداً ^(٤) .

وعن الحارث بن المغيرة، قال: كنا عند أبي جعفر عليه السلام، فقال: العارف منكم هذا الأمر المحتسب فيه الخير كمن جاهد والله مع قائم آل محمد بسيفه .

ثم قال: بلى والله كمن جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسيفه، ثم قال الثالثة: بلى والله كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فسطاطه، وفيكم آية من كتاب الله. قلت: وأي آية جعلت فداك؟ قال: قول الله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ^(٥) ثم قال: صرتم والله صادقين شهداء عند ربكم ^(٦) .

(١) الروضة من الكافي ٨: ١٥٦ ح ١٤٦ .

(٢) الروضة من الكافي ٨: ١٤٦ ح ١٢٢ .

(٣) مجمع البيان ٥: ٢٣٨، والمحاسن ص ١٦٤ ح ١١٧ .

(٤) الكشاف ٣: ٤٦٧ .

(٥) سورة الحديد: ١٩ .

(٦) مجمع البيان ٥: ٢٣٨. هذا الحديث مذكور في مجمع البيان، وفي بعض النسخ: كمن

وفي تهذيب الأحكام: عن علي بن الحسين عليه السلام يقول وذكر الشهداء، قال: فقال بعضنا في المبطن، وقال بعضنا في الذي يأكله السبع، وقال بعضنا غير ذلك مما يذكر في الشهادة، فقال إنسان: ما كنت أرى أن الشهيد^(١) إلا من قتل في سبيل الله. فقال علي بن الحسين عليه السلام: إن الشهداء إذن لقليل، ثم قرأ هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ثم قال: هذه لنا ولشيعتنا^(٢).

وفي محاسن البرقي: بإسناده عن زيد بن أرقم، عن الحسين بن علي عليه السلام، قال: ما من شيعتنا إلا صديق شهيد، قال: قلت: جعلت فداك أتى يكون ذلك وعامتهم يموتون على فرشهم؟ فقال: أما تتلو كتاب الله في الحديد ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال: فكأنني لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله عز وجل، وقال: لو كان الشهداء كما يقولون كان الشهداء قليلاً^(٣). وفيه: عن أبان بن تغلب، قال: كان أبو عبد الله عليه السلام إذا ذكر هؤلاء الذين يقتلون

⇒ جادل والله مع قائم آل محمد. وفي بعضها: كمن جالد. والأظهر ما ذكرناه «منه».

(١) المشهور أن الشهيد من قتل بين يدي نبي أو إمام معصوم، أو قتل في جهاد سانغ. قيل: إنما سمي بذلك؛ لأن ملائكة الرحمة تشهده، فهو شهيد بمعنى مشهود. وقيل: لأن الله وملائكته شهود له في الجنة. وقيل: لأنه ممن استشهد يوم القيامة مع النبي في الأمم الخالية. وقيل: لأنه لم يمت كأنه شاهد أي: حاضر. أو القيامة بشهادة الحق في الله حتى قتل، أو لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة وغيره لا يشهدا إلى يوم القيامة، فهو فعيل بمعنى فاعل «منه».

(٢) تهذيب الأحكام ٦: ١٦٧، بحار الأنوار ٦٤: ٥٣، تفسير نور الثقلين ٥: ٢٤٤ ح ٧٦.

(٣) بحار الأنوار ٦٤: ٥٣، المحاسن ص ١٦٣ - ١٦٤ ح ١١٥.

في الثغور يقول: ويلهم ما يصنعون بهذا؟ يتعجلون قتلة الدنيا وقتلة الآخرة، والله ما الشهيد^(١) إلا شيعتنا وإن ماتوا على فرسهم^(٢).

وفيه: عنه عليه السلام: ما يضرّ رجلاً من شيعتنا أية ميتة مات، أو أكله سبع، أو أحرق بالنار، أو خنق^(٣)، أو قتل، هو والله شهيد^(٤).

وفي كتاب الخصال للصدوق عليه السلام: فيما علم أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - أصحابه من الأربعمائة باب ممّا يصلح للمسلم في دينه ودنياه: ما من الشيعة عبد يقارف أمراً نهيناه عنه، فيموت حتّى يبلي ببلية تمخّص بها عن ذنوبه: إمّا في مال، وإمّا في ولد، وإمّا في نفس حتّى يلقي الله وما له ذنب، إنّه ليبقى عليه الشيء من ذنوبه، فيشدّد عليه عند موته. الميت من شيعتنا شهيد صدق بأمرنا وأحبّ فينا وأبغض فينا، يريد بذلك الله عزّ وجلّ يؤمن بالله وبرسوله، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٥).

والأخبار في ذلك أكثر من أن يحصى، وفيما نقلناه من الصحاح والحسان والموتقات كفاية إن شاء الله العزيز.

بشارة فيها إشارة إلى شمة ما أعدّ للشهداء من الثواب، ومنه يستفاد ثواب من مات وهو يقول بهذا الأمر.

قال الشيخ الجليل الطبرسي ثقة الإسلام - طاب مثواه - في ذيل كريمة: ﴿وَلَا

(١) في المصدر: الشهداء.

(٢) المحاسن ص ١٦٤ ح ١١٨، تهذيب الأحكام ٦: ١٢٥.

(٣) في المصدر: أو غرق.

(٤) المحاسن ص ١٦٤ ح ١١٩.

(٥) الخصال ص ٦٣٥ - ٦٣٦.

تَحَسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤﴾ وما روي من الأخبار في ثواب الشهداء أكثر من أن يحصى، أعلاها إسناداً ما رواه علي بن موسى الرضا، عن آبائه، عن الحسين بن علي صلوات الله عليهم .

قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب الناس ويحضهم على الجهاد، إذ قام إليه شاب، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن فضل الغزاة في سبيل الله تعالى .

فقال: كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وآله على ناقته الغضباء، ونحن منقلبون في غزوة ذات السلاسل، فسألته عما سألتني، فقال: إنَّ الغزاة إذا هموا بالغزوة كتب الله لهم براءة من النار، فإذا تجهّزوا لغزوهم باهى الله بهم الملائكة .

وإذا ودّعهم أهلهم ^(١) بكت عليهم الحيطان والبيوتات، ويخرجون من الذنوب كما يخرج الحيّة من سلخها، ويوكّل الله عزّ وجلّ بكلّ رجل منهم أربعين ملكاً يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ولا يعمل بحسنة إلاّ ضعفت، ويكتب له كلّ يوم عبادة ألف رجل يعبدون الله ألف سنة، كلّ سنة ثلاثمائة وستون يوماً، اليوم مثل عمر الدنيا .

وإذا صاروا بحضرة عدوّهم، انقطع علم أهل الدنيا عن ثواب الله إياهم، وإذا برزوا لعدوّهم، وأشرعت الأسنة، وفوّقت السهام، وتقدّم الرجل إلى الرجل، حفّتهم الملائكة بأجنحتها يدعون الله بالنصر والتثبيت، فينادي منادٍ تحت ظلال السيوف، فتكون الطعنة والضربة على الشهيد أهون من شرب الماء البارد في اليوم الصائف .

(١) في المصدر: أهلهم .

وإذا زال الشهيد عن فرسه بطعنة أو ضربة، لم يصل إلى الأرض حتى يبعث الله إليه زوجته من الحور العين، فتبشّره بما أعدّ الله له من الكرامة .

فإذا وصل إلى الأرض تقول له: مرحباً بالروح الطيب^(١) الذي أخرج من البدن الطيب، أبشر، فإنّ لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويقول الله عزّ وجلّ: أنا خليفته في أهله، من أرضاهم فقد أرضاني، ومن أسخطهم فقد أسخطني .

ويجعل الله روحه في حواصل طير خضر تسرح في الجنّة حيث تشاء، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل ذهب معلقة بالعرش، ويعطى الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس، سلوك كلّ غرفة ما بين صنعاء والشام، يملأ نورها ما بين الخافقين، في كلّ غرفة سبعون باباً، على كلّ باب سبعون مصراعاً من ذهب، على كلّ باب ستون مثله، في كلّ غرفة سبعون خيمة، في كلّ خيمة سبعون سريراً من ذهب قوائهما الدرّ والزبرجد، مرمولة بقضبان الزمرد، على كلّ سرير أربعون فراشاً، غلظة كلّ فراش أربعون ذراعاً، على كلّ فراش زوجة من الحور العين عرباً أتراباً .

قال: أخبرني يا أمير المؤمنين عن العروبة .

قال: هي الغنجة^(٢) الرضية الشهية لها سبعون ألف وصيف وسبعون ألف وصيفة، صفراء نجلاء^(٣) بيض الوجوه، عليهنّ تيجان اللؤلؤ، على رقابهم المناديل،

(١) في المصدر: الطيبة .

(٢) الغنج في الجارية تكسر وتذلل «منه» .

(٣) في المصدر: صفر الحلبي . يقال: عين نجلاء أي: واسعة «منه» .

بأيديهم الأكورة^(١) والأباريق، فإذا كان يوم القيامة، فوالذي نفسي بيده لو كان الأنبياء على طريقهم لترحلوا^(٢) إليهم لما يرون من بهائمهم حتى يأتوا إلى موائد من الجواهر، فيقعدون عليها، ويشفع الرجل في سبعين ألفاً من أهل بيته وجيرانه، حتى أن الجارين يتخاصمان أيهم أقرب جواراً، فيقعدون معي ومع إبراهيم على مائدة الخلد، فينظرون إلى الله عز وجل في كل يوم بكرة وعشياً^(٣).

فهذا ثواب من مات على حب آل محمد ﷺ.

تنبيه :

لعل الوجه في أن الميت على هذا الأمر يموت شهيداً، أنه لما كانت في نياتهم نصرة أئمتهم والشهادة بين أيديهم، لما يوجبونه من فرض طاعتهم، ولما يقتضيه خلوص مودتهم، أثابهم الله بنياتهم ثواب الشهداء، فإن الله واسع كريم، يعطي بالنيات ما يعطي بالصلحات.

كما ورد بذلك روايات كثيرة، أوردناها في جامع الشتات عند شرح قوله ﷺ «نية المؤمن خير من عمله»^(٤)، وكذلك في شرحنا على الأربعين.

منها: ما روي عن الرضا ﷺ أنه قال: إذا كان يوم القيامة أوقف المؤمن بين يديه، فيكون هو الذي يتولّى حسابه، فيعرض عليه عمله فينظر في صحيفته، فأول ما يرى سيئاته، فيتغير لذلك لونه، وترتعش فرائصه، وتفزع نفسه، ثم يرى

(١) في المصدر: الأكوبة.

(٢) في المصدر: لترحلوا.

(٣) مجمع البيان ١: ٥٣٨.

(٤) عوالي اللثالي ١: ٣٧ و ٤٠٦، أصول الكافي ٢: ٨٤ ح ٢.

حسنا ته، فتقرّ عينه، وتسرّ نفسه، وتنزح روحه .

ثمّ ينظر إلى ما أعطاه الله من الثواب، فيشتدّ فرحه، ثمّ يقول الله للملائكة: هلمّوا إلى الصحف التي فيها الأعمال التي لم يعملوها، قال: فيقرأونها فيقولون: وعزّتك إنك لتعلم إننا لم نعمل منها شيئاً، فيقول: صدقتم نويتموها فكتبنا لكم، ثمّ يثابون (١).

والسرّ فيه أنّه لما كان راغباً إليه مشتاقاً له مريداً فعله، ولم يمكنه ذلك، وكان الله عالماً بنيه وما في سريره، أثابه بذلك ما كان يشبهه على فعله .

وفي رواية أبي هاشم، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: إنّما خلد أهل النار في النار؛ لأنّ نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنّما خلد أهل الجنّة في الجنّة؛ لأنّ نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ (٢) قال: على نيته (٣).

وفي صحيحة أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ العبد المؤمن الفقير ليقول: يا ربّ ارزقني حتّى أفعل كذا وكذا من البرّ ووجوه الخير، فإذا علم الله ذلك منه بصدق نيته، كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله، إنّ الله واسع كريم (٤). ويؤيد هذا الوجه قول الصادق عليه السلام في غير واحد من الأخبار: من مات منتظراً

(١) بحار الأنوار ٧: ٢٨٩ ح ٧ عن تفسير القمي ٢: ٢٦ .

(٢) سورة الإسراء: ٨٤ .

(٣) أصول الكافي ٢: ٨٥ ح ٥ .

(٤) أصول الكافي ٢: ٨٥ ح ٣ .

لأمرنا، كان كمن زاحم القائم في فسطاطه هكذا، وضمّ سبّابتيه^(١).
وفي رواية صحيحة عن الرضا^{عليه السلام} مثله، وزاد: ولا أقول هكذا، وجمع بين
السبّابة والوسطى، فإنّ هذا أطول من هذه^(٢).

ويمكن أن يكون الوجه فيه: أنّ الشيعة لا ينفكّون عن محاربة الشيطان
وأوليائه التي هي أشدّ من محاربة الكفّار بمراتب. وأمّا من خالفهم، فإنّ الشيطان
قد فرغ منهم وهم أولياؤه.

تصديق ذلك: ما رواه يعقوب بن شعيب في الصحيح، قال: قال أبو عبد الله^{عليه السلام}:
من أشدّ الناس عليكم؟ قال: قلت: جعلت فداك كلّ. قال: أتدري ممّا^(٣) ذاك يا
يعقوب؟ قال: قلت: لا أدري جعلت فداك. قال: إنّ إبليس دعاهم فأجابوه،
وأمرهم فأطاعوه، ودعاكم فلم تجيبوه، وأمركم فلم تطيعوه، فأغرى بكم الناس^(٤)

أي: عامّة المخالفين. ويظهر منه كمال عداوتهم للشيعة، كما يظهر ممّا رواه
عبدالله بن بكير، عن زرارة، قال: شهد أبو كريمة الأزدي ومحمّد بن مسلم الثقفى
عند شريك بشهادة، وكان قاضياً من قبل العامّة، ومعاصراً لأبي حنيفة، فنظر في
وجوههما ملياً، ثمّ قال: جعفران فاطميان.

فبكيا، فقال لهما: وما يبكيكما؟ قالوا: نسبتنا إلى قوم لا يرضون بأمثالنا أن

(١) كمال الدين ص ٣٣٨ ح ١١، وص ٦٤٤.

(٢) فروع الكافي ٥: ٢٢.

(٣) في الكافي: ممّ.

(٤) الروضة من الكافي ٨: ١٤١ ح ١٠٥.

يكونوا من إخوانهم لما يرون من سخف ورعنا، ونسبتنا إلى رجل لا يرضى بأمثلنا أن يكونوا من شيعته، فإن تفضّل وقبلنا فله المنّ علينا والفضل فينا، فتبسّم شريك، ثم قال: إذا كانت الرجال فليكن أمثالكما، يا وليد أجزهما هذه المرّة، فحججنا، فخبّرنا أبا عبدالله عليه السلام بالقصة، فقال: ما لشريك شركه الله يوم القيامة بشركين (١) من نار (٢).

هذا، ويدلّ أيضاً على ما قلناه من أنّ الشيطان قد فرغ منهم وهم أولياؤه، صحيحة (٣) زرارة، قال: قلت له: قوله عزّ وجلّ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ثمّ لَا تَبِيّنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٤﴾ قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: يا زرارة إنه إنما صمد لك ولأصحابك، فأما الآخرون فقد فرغ منهم (٥).

وعنهم عليهم السلام: إنّ المراد بـ«عبادي» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (٦) نحن وشيعتنا (٧).

وإنّ المراد بالسلطنة هي السلطنة على دينهم، وهذا ممّا يقتضيه لفظ السلطان

(١) الشرك بالتحريك حباله الصائد «منه».

(٢) إختيار معرفة الرجال ١: ٣٨٤ - ٣٨٥ ح ٢٧٤.

(٣) هذا الحديث مذکور في روضة الكافي، ومروي عن ابن محبوب، عن حنّان، وعلي ابن رناب، عن زرارة «منه».

(٤) سورة الأعراف: ١٦ - ١٧.

(٥) الروضة من الكافي ٨: ١٤٥ ح ١١٨.

(٦) سورة الحجر: ٤٢.

(٧) الروضة من الكافي ٨: ٣٦ ح ٦.

أيضاً؛ إذ لا سلطنة لمن لا يطاع في كلِّ ما أمر ونهى أو جلّه .
فالكفّار ومن يحذو حذوهم لمّا أطاعوه في ترك الإيمان الذي عليه مدار النجاة، وهو شرط سائر الأعمال، فقد أطاعوه في جلِّ ما أمر به بل في كلّه، فله عليهم سلطان، بخلاف أهل الإيمان، فإنّهم لمّا لم يطيعوه أصلاً، أو أطاعوه في حقائر الأمور بعد أن خالفوه في جلائلها، فلا سلطان له عليهم .

الفصل الخامس

[الطاعات والعبادات إنّما تقبل من الشيعة لا غير]

روى الصدوق بإسناده المعتبر، عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال لنا علي بن الحسين صلوات الله عليهما: أيّ البقاع أفضل؟ فقلت^(١): الله ورسوله أعلم، فقال: أما أنّ أفضل البقاع بين الركن والمقام، ولو أنّ رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان، ثمّ لقي الله عزّ وجلّ بغير ولا يتنا لم ينفعه ذلك شيئاً^(٢) .

وفي صحيحة عبد الحميد بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي: يا أبا محمّد والله لو أنّ إبليس سجد لله عزّ ذكره بعد المعصية والتكبّر عمر الدنيا، ما نفعه ذلك ولا قبله الله عزّ وجلّ ما لم يسجد لآدم، كما أمره الله عزّ وجلّ أن يسجد له، وكذلك هذه الأمة العاصية المغتوية^(٣) بعد نبينا، وبعد تركهم الإمام الذي نصبه بينهم لهم، فلن يقبل الله لهم عملاً، ولن يرفع لهم حسنة، حتّى يأتوا من حيث

(١) في الفقيه: فقلنا .

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٤٥ ح ٢٣١٣ .

(٣) في الكافي: المفتونة .

أمرهم، ويتولّوا الإمام الذي أمروا بولايته، ويدخلوا من الباب الذي فتحه الله ورسوله لهم^(١).

وفي كتاب جامع الأخبار: في حديث طويل: فلما كان بعد ثلاثة، أي: من يوم الغدير، وجلس النبي ﷺ مجلسه، أتى رجل من بني مخزوم يسمّى عمر بن عتبة - وفي خبر آخر: حارث بن نعمان الفهري - فقال: يا محمّد أسألك عن ثلاث مسائل، فقال: سل عمّا بدالك .

وساق الحديث إلى أن قال: قال: فأخبرني عن هذا الرجل، يعني: علي بن أبي طالب، وقولك فيه «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» إلى آخره أمنك أم من ربك؟

قال: الوحي إليّ من الله [والسفير جبرئيل]^(٢) والمؤذنّ أنا، وما أذنت إلا ما أمر ربّي، فرفع المخزومي أو الفهري رأسه إلى السماء، فقال: اللهمّ إن كان محمّداً صادقاً فيما يقول، فأرسل عليّ شواظاً من نار، وولّني مغضباً .

فوالله ما سار غير بعيد حتّى أظله سحابة سوداء، فأرعدت وأبرقت فأصعقت، فأصابته الصاعقة، فاحترقته النار، فهبط جبرئيل عليه وهو يقول: اقرأ يا محمّد: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَعِ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ والسائل عمر المخزومي .

فقال النبي ﷺ لأصحابه: رأيتم؟ قالوا: نعم، قال: وسمعتهم؟ قالوا: نعم، فقال: طوبى لمن والاه، والويل لمن عاداه، وكأني أنظر إلى علي وشيعته يوم القيامة

(١) الروضة من الكافي ٨: ٢٧١ .

(٢) الزيادة من المصدر .

يزفون على نبيوق^(١) بين رياض الجنة، شباب متوجون مكحولون، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، قد أيدوا برضوان من الله أكبر، ذلك هو الفوز العظيم، حتى سكنوا حظيرة القدس من جوار رب العالمين، ولهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون، وتقول لهم الملائكة: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار^(٢).

وفي طريق العامة: عن أبي أمامة الباهلي، قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى، وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعلي فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجى، ومن زاع هوي، ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام، ثم ألف عام، ثم ألف عام، حتى يصير كالشئ البالي، ثم لم يدرك محبتنا، كبه الله على منخريه في النار، ثم تلا: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٣).

وهذه الآية تدل على فضائل محبيهم أكثر مما يتصور؛ لأنه تعالى جعل مودتهم أجر الرسالة، والأجر على قدر العمل، فكما أن حقوق رسالته ﷺ لا تتناهى، فكذا ثمرة مودتهم لا يعد ولا يحصى، وظاهر أن المودة والمحبة بشرائطها لا تحصل إلا للشيعة.

يصدق ذلك: ما في صحيحة إسماعيل الجعفي، قال: قلت: لأبي جعفر ﷺ: رجل

(١) في المصدر: نوق.

(٢) جامع الأخبار للشعيري ص ١١ - ١٢.

(٣) كفاية الطالب للكنجي ص ١٧٨، وميزان الاعتدال ٢: ٣٢٨.

يحب أمير المؤمنين عليه السلام ولا يتبرأ من عدوه، ويقول: هو أحب إليّ ممّن خالفه، قال: هذا مخلط وهو عدو، فلا تصلّ خلفه ولا كرامة إلا أن تتقيه (١).

أي: هو يلبس عليكم أنه ليس من المعادين وهو منهم، أو أنه مخلط بين المحبة والعداوة. ويفهم منه أن المؤمن من يتبرأ من أعدائهم، بل التبرأ جزء منه، كيف لا وحبّ علي عليه السلام عبادة، والنظر إلى علي عليه السلام عبادة، ولا يقبل الله إيمان عبد إلا بموالاته وبالبراءة من أعدائه.

وفي رواية أخرى: من أراد أن يحيي حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل جنّة عدن التي غرسها الله بيده، فليتولّ علي بن أبي طالب، وليتولّ وليّه، وليعاد عدوّه، وليسلم للأوصياء من بعده (٢).

فأمر أولاً بمحبّته، ثمّ بمحبّة من يحبّه، وعداوة من يعاديه، إذ بذلك تتمّ المحبة وتخلص المودّة، ولعلّه لذلك قدّم هاتين القرينتين على التسليم للأوصياء، وفي ذلك تنبيه على أنّ محبّتهم الواجبة التي أمر الله بها وجعلها أجر الرسالة هي هذه، فكما يجب على كافة البرايا محبّتهم، يجب عليهم محبة أوليائهم وعداوة أعدائهم، كما وردت به روايات كثيرة.

وبالجملة لا تتمّ المحبة والمودّة إلا باستجماع مراتب الصداقة والاجتناب عمّا يوجب العداوة.

وفي روضة الكافي: عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: لو أنّ غير ولي علي عليه السلام أتى

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ٣٨٠ ح ١١١٧.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٥: ٢٢٠.

الفرات، وقد أشرف ماؤه على جنبيه وهو يزخ^(١) زخيخاً، فيناوله^(٢) بكفه وقال بسم الله، فلما فرغ قال: الحمد لله، كان دماً مسفوحاً، أو لحم خنزير^(٣).

الفصل السادس

[فوائد حبّ آل محمّد ﷺ وثمراته]

روي عن الحسن بن علي - صلوات الله عليهما - أنه قال: حبنا ليسا قط الذنوب من بني آدم، كما تساقط الريح الورقة من الشجر^(٤).

وفي رواية مكحول، عن أمير المؤمنين ﷺ في مقام تعداد مناقبه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا علي مثلك في أمّتي مثل قل هو الله، فمن أحبّ بقلبه فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومن أحبّ بقلبه وأعانك بلسانه، فكأنما قرأ ثلثي القرآن. ومن أحبّ بقلبه وأعانك بلسانه ونصرك بيده، فكأنما قرأ القرآن كلّ الحديث^(٥). هذا تمثيل حسن نزل فيه حبّه ﷺ قلباً منزلة قراءة قل هو الله أحد، وإعانتة لساناً منزلة قراءتها مرّة أخرى، ونصرتة يداً قراءتها أخرى، فصار كأنه قرأ القرآن كلّ، فإنّ قراءة هذه السورة مرّة واحدة تعادل لثلاث القرآن، كما ورد في روايات كثيرة أوردناها في تعليقاتنا على الأربعين.

(١) زخّه إذا دفعه في هدة، ومنه حديث النبي ﷺ «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من تخلف عنها زخّ في نار جهنّم» أي: دفع ورمي بها «منه».

(٢) في المصدر: فتناول.

(٣) الروضة من الكافي ٨: ١٦١ ح ١٦٣.

(٤) المحاسن ص ١٥٣، والخصال ص ٥٨٠.

(٥) أصول الكافي ٢: ٦٢١، نحوه. ومجمع البيان ٥: ٥٦١، وصحيح مسلم ١: ٥٥٦.

منها: رواية أبي الدرداء، عن النبي ﷺ أنه قال: أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ قال: قلت: يا رسول الله ومن يطق ذلك؟ قال: إقرؤوا قل هو الله أحد (١).

قيل: كأن المراد أنّ له أجراً مقدّراً يملكه القارئ من باب الاستحقاق، إلاّ أنّه تعالى يضاعف ثوابه من باب التفضّل بقدر أجر يستحقّه قارئ الثلث، وإن كان لقارئ الثلث أيضاً ثواباً مضاعفاً بمقتضى الوعد الصادق .

وبالجملة ثوابه مع التضعيف مثل أجر الثلث بدونه، وكذا ثوابه ثلاث مرّات معه مثل أجر ختمه بدونه، وإن كان ثواب الثلاث والختم بالتضعيف وبدونه أكثر من أجره باعتبار الاستحقاق بدونه .

وحيث لا يرد أنّ أجر مرّة كأجر الثلاث، وثلاث مرّات كأجر الختم، خلاف الإجماع والمنقول من أنّ أفضل الأعمال أحزمها، وأنّه لو كان كذلك لآثروا قراءته على قراءة الثلاث، ولكلّ طلباً للتسهيل .

واعلم أنّ مثل هذا الحديث رواه مسلم عن قتادة، أنّ النبي ﷺ قال: إنّ الله جزّأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل قل هو الله جزءاً من أجزاء القرآن (٢).

وعن أبي هريرة، أنّ النبي ﷺ قال: احشدوا، أي: اجتمعوا، فإنّي سأقرأ عليكم ثلث القرآن، فحشد من حشد، فقرأ قل هو الله أحد (٣).

وهم اختلفوا في توجيه ذلك، فقال بعضهم: إنّما كان ثلث القرآن؛ لأنّه ثلثه

(١) الروضة من الكافي ٨: ١٦١ ح ١٦٣ .

(٢) صحيح مسلم ١: ٥٥٦ ح ٢٦٠ .

(٣) صحيح مسلم ١: ٥٥٧ ح ٢٦١ .

أنحاء قصص وصفات وأحكام، وقل هو الله أحد مشتملة على الصفات، فهي ثلثة بهذا الاعتبار.

وقال بعضهم: ثواب قراءتها يعدل ثواب ثلث القرآن دون تضعيف، أي: يعدل ثواب ثلث ختمه ليس فيها قل هو الله أحد.

وقال بعضهم: إنما قال ذلك لرجل بعينه قصده.

وقيل: لمن ردّد قراءتها، فحصل له من قراءتها قراءة ثلث القرآن. ولا يخفى بعد هذين القولين وتنافيهما لحديث «احشدوا» لقراءته ﷺ مرة واحدة.

وقال بعضهم: معنى يعدل ثلث القرآن أن ما رتّب من الثواب على ختمه واحدة ثلثه لها وثلثاه لبقيتها، وليس معناه أن من قرأها وحدها يكون له مثل ثواب كل القرآن، ولو كان كذلك لآثر العلماء قراءتها على قراءة السور الطوال في الصلاة ولم يفعلوا.

وقد أجمعوا على أن من قرأها ثلاث مرّات لا يساوي في الأجر من أحسب الليل بختم القرآن، وهذا كالثواب المترتب على الصلاة أكثره للنية، وباقيه لغيرها من قيام وقعود وغيرهما، لحديث «نية المؤمن خير من عمله»^(١).

وفيه نظر؛ لأن الإجماع المذكور غير مسلم، بل من كرّرها ثلاثاً يكون له ثواب ختمه، كما ورد في رواياتنا، وعدم إثارة العلماء قراءتها على قراءة السور الطوال؛ لأن المطلوب الثواب والتدبّر والاتّعاظ واقتباس الأحكام.

وفي مناقب ابن المغازلي الشافعي: بإسناده إلى النمير^(٢) بن بشير، قال: قال

(١) عوالي اللئالي ١: ٣٧ و٤٠٦.

(٢) في المصدر: النعمان.

رسول الله ﷺ: مثل علي في هذه الأمة مثل قل هو الله أحد في القرآن (١).

وفيه: بإسناده إلى أبان بن فيروز، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنة إلا من كان معه كتاب ولاية علي بن أبي طالب (٢).

وفيه: بإسناده إلى الزهري، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: والله الذي لا إله إلا هو سمعت رسول الله ﷺ يقول: عنوان صحيفة المؤمن حبّ علي بن أبي طالب (٣).

وفي رواية المفضل بن عمر، قال: سألت أبا عبد الله ﷺ بما صار علي بن أبي طالب قسيم الجنة والنار؟ قال: لأنّ حبه إيمان وبغضه كفر، وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان، وخلقت النار لأهل الكفر، فهو قسيم الجنة والنار لهذه العلة، والجنة لا يدخلها إلا أهل محبته، والنار لا يدخلها إلا أهل بغضه.

قلت: يا ابن رسول الله فالأنبياء والأوصياء هل كانوا يحبّونه وأعداؤهم يبغضونه؟ فقال: نعم؛ لأنّه كان حبيب الله وحبيب رسوله، فلا يجوز أن لا يحبّه الأنبياء والأوصياء والمؤمنون من أمتهم، وأن لا يبغضه المخالفون لهم، فلا يدخل الجنة إلا من أحبّه من الأوّلين والآخريين، فهو إذن قسيم الجنة والنار (٤).

وفي الحديث المشهور: حبّ علي حسنة لا تضرّ معها سيئة (٥).
ولعلّ الوجه فيه ما قدّمناه من معنى المحبّة، فتذكّر.

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٦٩ - ٧٠.

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٢٤٢.

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٢٤٣.

(٤) علل الشرائع ص ١٦٢، إختصاراً.

(٥) ينابيع المودة ص ٣٠٠، والمناقب للخوارزمي ص ٣٥.

وفي الكافي: عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحب أن يحيى حياة تشبه حياة الأنبياء، ويموت ميتة تشبه ميتة الشهداء، ويسكن الجنان التي غرسها الرحمن، فليتولّ علياً، وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعده الحديث (١).

ولعلّ وجه الشبه بين الحياتين كونهم على الدين القويم، والصراف المستقيم، مضاعفي الحسنات، مغفوري السيئات، مستوجبين لأنواع الكرامات. وبين المماتين كونهم مبشرين بأنواع البشارات عند الموت والقبر والبعث، وكونهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله، الآية.

وفي روضة الكافي: عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل يزداد فيها كلّ يوم إحساناً، ورجل يتدارك منيته بالتوبة، وأنى له بالتوبة، فوالله لو سجد حتّى ينقطع عنقه ما قبل الله منه عمل إلاّ بولايتنا أهل البيت.

إلى أن قال: إنّي لأرجو النجاة لمن عرف حقنا من هذه الأمة إلا لأحد ثلاثة: صاحب سلطان جائر، وصاحب هوى، والفاسق المعلن، ثم تلا هذه الآية: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (٢).

ثمّ قال: يا حفص الحبّ أفضل من الخوف. ثمّ قال: والله ما أحبّ الله من أحبّ الدنيا والى غيرنا، ومن عرف حقنا وأحبنا فقد أحبّ الله تبارك وتعالى، فبكى رجل، فقال: أتبكي؟ لو أنّ أهل السماوات والأرض كلّهم اجتمعوا يتضرّعون إلى

(١) أصول الكافي ١: ٢٠٨ ح ٣.

(٢) سورة آل عمران: ٣١.

الله عزّ وجلّ أن ينجيك من النار ويدخلك الجنّة لم يشفعوا فيك الحديث (١).
 وروى صاحب الكشّاف بإسناده، قال: قال رسول الله ﷺ: من مات على حبّ
 آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة
 ثمّ منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّة كما تزفّ
 العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان
 إلى الجنّة.

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن
 مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل
 محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على
 بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة
 الجنّة (٢).

واعلم أنّ المحبّة على ضربين: ما ركز في الطبع من الميل الجبليّ إلى مشتهيات
 النفس الأمّارة بالسوء، وما جبل عليه العقل ونشأ من الإيمان والاعتقاد، ومن
 حبّ الله ورسله وملائكته وأوليائه، إلى غير ذلك من مقتضيات النفس المطمئنّة
 التي فطر الناس عليها.

وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (٣)
 وهذه المحبّة كما أنّها ناشئة عن الإيمان داعية إلى الاستسلام والانقياد، وهذا هو

(١) الروضة من الكافي ٨: ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) الكشّاف ٣: ٤٦٧.

(٣) سورة الحجرات: ٧.

المراد بمحبة آل محمد عليهم السلام.

ومنه يظهر سرّ إيجاب محبتهم ومودّتهم، فإنّها تدعو إلى التسليم، وهو إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنّات النعيم.

وسرّ جعلها أجر الرسالة ونبي لم يقبل أجراً على رسالته، وهو أنّ فائدة هذا الأجر وثمرته تعود إلى الأئمة، فالله سبحانه لما علم من اهتمامه عليه السلام بأمر أمته ورأفته ورحمته بهم، حتّى كادت نفسه النفيسة وروحه الشريفة أن تذهب حسرات عليهم، جعل ما يرجع نفعه إليهم أجراً للرسالة. ومن هنا علم أنّه ليس في الإسلام أنفع من محبتهم؛ إذ لو كان لكان أولى بأن يجعل أجر الرسالة ليعود نفعه إلى الأئمة. هذا، والمراد بـ«آله» عليهم السلام عند الخاصّة عترته الطاهرة من أهل العصمة صلوات الله عليهم، ولا وجه لتخصيص الشهيد الثاني في شرحه على اللمعة بأصحاب الكساء، وهم علي وفاطمة وابناهما الحسن والحسين عليهم السلام، ثمّ قال: ويطلق تغليباً على باقي الأئمة عليهم السلام.

وفي الحديث: لا تحلّ الصدقة لمحمّد وآل محمّد^(١).

وسئل الصادق عليه السلام من الآل، فقال: ذرية محمّد عليه السلام. فقيل له: من الأهل؟ فقال: الأئمة، فقيل له: قوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٢) قال: والله ما عني إلاّ ذريّته^(٣).

وفي معاني الأخبار: سئل عليه السلام من آل محمّد، فقال: ذريّته، فقيل: ومن أهل بيته؟

(١) بحار الأنوار ٤٤: ١١.

(٢) سورة غافر: ٤٦.

(٣) معاني الأخبار ص ٩٤، مع تفاوت يسير.

قال: الأئمة ﷺ، قيل: ومن عترته؟ قال: أصحاب العباء، قيل: فمن أمته؟ قال: المؤمنون (١).

وللعامة في آلِ ﷺ اختلافات، فقيل: آله أمته. وقيل: عشيرته. وقيل: من حرم عليه الزكاة من بني هاشم وعبدالمطلب.

وقال بعض العامة بعد قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (٢): ذكروا في معنى الآل اختلافاً كثيراً، وأنا أقول: آل محمد هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان مآل أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين ﷺ كان التعلق بينهم وبين رسول الله ﷺ أشدّ التعلقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل.

وأيضاً اختلف الناس في الآل، فقيل: هم الأقارب. وقيل: هم أمته، فإن حملناه على القرابة فهم الآل، وإن حملناه على الأمة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً آل، فثبت على جميع التقديرات أنهم آل. وأمّا غيرهم يدخلون تحت لفظ الآل؟ فمختلف فيه، فثبت على جميع التقديرات أنهم آل محمد ﷺ.

وروى صاحب الكشاف أنه لما نزلت هذه الآية، قيل: يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال: علي وفاطمة وابناهما (٣).

فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي ﷺ، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين لمزيد التعظيم، ويدلّ عليه وجوه:

(١) معاني الأخبار ص ٩٤ ح ٣.

(٢) سورة الشورى: ٢٣.

(٣) الكشاف ٣: ٤٦٧.

الأول: قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ووجه الاستدلال به ما سبق .

الثاني: لا شك أن النبي ﷺ كان يحب فاطمة، قال ﷺ: فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها^(١). وثبت بالنقل المتواتر عن محمد ﷺ أنه كان يحب علياً والحسن والحسين ﷺ، وإذا ثبت ذلك وجب أن يجب على كل الأمة مثله، لقوله «فاتبعوني لعلكم تفلحون» .

الثالث: أن الدعاء للآل منصب عظيم، وكذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلوات، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب. إنتهى .

والظاهر أن مراد صاحب الكشاف بالآل أحد المعنيين الأخيرين، لا ما ذكرناه أولاً، فإنه ناصبي لا يقول به .

وبالجملة المراد بالآل الذين يترتب على مودتهم ومحبتهم هذا النفع الذي لا يتصور فوقه نفع، وعلى مبغضهم هذا الضرر الذي لا يتصور فوقه ضرر، المعصومون من أهل بيته وعترته الهادون لأئمتهم، لا أممتهم، ولا مطلق قرابته وعشيرته .

كما يشير إلى ذلك صحيحة إسماعيل بن عبد الخالق، قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول لأبي جعفر الأحول وأنا أسمع: أتيت البصرة؟ فقال: نعم، قال: كيف رأيت مسارعة الناس إلى هذا الأمر ودخولهم فيه؟ قال: والله إنه لقليل ولقد فعلوا وإن ذلك لقليل، فقال: عليك بالأحداث، فإنهم أسرع إلى كل خير .

ثم قال: ما يقول أهل البصرة في هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ

في القُرْبَى قال: جعلت فداك إنهم يقولون: إنها لأقارب رسول الله ﷺ، قال: كذبوا إنما نزلت فينا خاصّة في أهل البيت في علي وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء ﷺ (١).

وما رواه الحكم بن عيينة، قال: بينا أنا مع أبي جعفر ﷺ والبيت غاصّ بأهله، إذ أقبل شيخ يتوكأ على عنزة له حتّى وقف على باب البيت، فقال: السلام عليك يا بن رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثمّ سكت.

فقال أبو جعفر ﷺ: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

ثمّ أقبل الشيخ بوجهه على أهل البيت، وقال: السلام عليكم، ثمّ سكت، حتّى أجابه القوم جميعاً وردّوا السلام. ثمّ أقبل بوجهه على أبي جعفر ﷺ، ثمّ قال: يا بن رسول الله أدنني منك جعلني الله فداك، فوالله إنّي لأحبّكم وأحبّ من يحبّكم، والله ما أحبّكم وأحبّ من يحبّكم بطمع في دنيا، وإنّي لأبغض عدوّكم وأبرأ منه، والله ما أبغضه وأبرأ منه لو تر كان بيني وبينه، والله لأحلّ حلالكم، وأحرّم حرامكم وأنظر أمركم، فهل ترجو لي جعلني الله فداك؟

فقال أبو جعفر ﷺ: إلّي إلّي حتّى أقعده إلى جنبه، ثمّ قال: أيّها الشيخ إنّ أبي ﷺ أتاه رجل فسأله عن مثل الذي سألتني عنه، فقال له أبي: إن تمت ترد عليّ رسول الله وعلى علي والحسن والحسين وعلى علي بن الحسين ﷺ، ويشلج قلبك، ويبرد فؤادك، وتقرّ عينك، وتستقبل بالروح والريحان مع الكرام الكاتبين، لو قد بلغت نفسك هاهنا، وأهوى بيده إلى حلقه، وإن تعش ترى ما يقرّ الله به عينك وتكون معنا في السنام الأعلى.

قال الشيخ: كيف قلت يا أبا جعفر؟ فأعاد عليه، فقال الشيخ: الله أكبر، يا أبا جعفر إن أنا مت أرد عليّ رسول الله، وعليّ علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين، وتقرّ عيني، ويثليج قلبي، ويبرد فؤادي، وأستقبل بالروح والريحان مع الكرام الكاتبين لو قد بلغت نفسي هاهنا، وإن أعش أرى ما يقرّ الله به عيني فأكون معكم في السنام الأعلى.

ثمّ أقبل الشيخ ينتحب وينشج هاهاها حتى لصق بالأرض، وأقبل أهل البيت ينتحبون وينشجون لما يرون من حال الشيخ، وأقبل أبو جعفر عليه السلام يمسح باصبعه الدموع من حماليق عينيه ويرفضها.

ثمّ رفع الشيخ رأسه، فقال لأبي جعفر عليه السلام: يا ابن رسول الله ناولني يدك جعلني الله فداك، فناوله يده، فقبّلها ووضعها على عينيه وخدّه، ثمّ حسر عن بطنه وصدره، فوضع يده على بطنه وصدره، ثمّ قام فقال: السلام عليكم.

وأقبل أبو جعفر عليه السلام ينظر قفاه وهو مدبر، ثمّ أقبل بوجهه على القوم، فقال: من أحبّ أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة فلينظر إلى هذا، فقال الحكم بن عيينة: لم أرَ مأمّاً قطّ يشبه ذلك المجلس ^(١).

أقول: البيت غاصّ بأهله ممتلئ بهم .
والعزّة: بالتحريك أطول من العصي وأقصر من الرمح، وفيه زجّ كزجّه .
والموتور: من قتل له قتيلاً فلم يدرك بدمه، ويقال: وتره حقّه نقصه .
وثليج القلب، وبرد الفؤاد، وقرّة العين، كناية عن السرور والراحة. واستعير السنام لأعلى الشيء وذروته .

والنحيب والانتحاب: البكاء بصوت طويل .
والنشيح: صوت معه توجّع وبكاء .
وحملاق العين: بالكسر والضمّ باطن أجفانها .
وفي هذا الحديث من البشارة للشيعة ومحبي آل محمّد ما لا يخفى .

الفصل السابع

[شهادة أن لا إله إلا الله إنما تقبل من الشيعة لا غير]

روى أبو سعيد الخدري^(١)، قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً وعنده نفر من أصحابه فيهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إذ قال: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال رجلان من أصحابه: فنحن نقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: إنما يقبل شهادة أن لا إله إلا الله من هذا وشيعته الذين أخذ ربنا ميثاقهم الحديث^(٢) .
وفي رواية أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله رضي الله عنه، قال: يا أبان إذا قدمت الكوفة فارو هذا الحديث «من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً وجبت له الجنة» قال: قلت: إنّه يأتيني من كلّ صنف من الأصناف أفأروي لهم هذا الحديث؟ قال: نعم يا أبان، إنّه إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأوّلين والآخريين، فيسلب لا إله إلا الله منهم إلا من كان على هذا الأمر^(٣) .

فما رواه الجمهور في المتفق عليه، عن أبي ذرّ، عن رسول الله ﷺ، قال: ما من

(١) الخدرة بالضمّ حيّ من الأنصار، منهم أبو سعيد الخدري بضمّ معجمة الصحابي. وفي حديث علي بن الحسين رضي الله عنهما: أنّ أباسعيد كان من أصحاب رسول الله ﷺ وكان مستقيماً. وفي حديث أبي عبد الله رضي الله عنه: إنّ أباسعيد الخدري قد رزقه الله هذا الرأي «منه» .

(٢) بحار الأنوار ٢٣: ٨٤ و ٩٠: ٢٠٢ .

(٣) أصول الكافي ٢: ٥٢٠ ح ١ .

عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت: وإن زنا وإن سرق؟ قال: وإن زنا وإن سرق. قلت: وإن زنا وإن سرق؟ قال: وإن زنا وإن سرق. قلت: وإن زنا وإن سرق!! قال: وإن زنا وإن سرق على رغم أنف أبي ذرٍّ، وكان أبو ذرٍّ إذا حدّث بهذا، قال: وإن رغم أنف أبي ذرٍّ مقيد لا مطلق (١).

وروى الصدوق بإسناده عن الرضا، عن آبائه، عن النبي ﷺ، عن الله عزّ وجلّ: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي، ثم قال ﷺ: بشروطها وأنا من شروطها (٢).

وإسناده عنه، عن آبائه، عن النبي ﷺ، عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرئيل، عن اللوح، عن القلم، قال: يقول الله عزّ وجلّ: ولاية علي بن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي (٣).

فتأمل ذلك رحمك الله ليظهر لك سرّ قول أبي عبد الله الصادق ﷺ: ولاية علي لعلي أحب إليّ من ولادتي منه (٤). فإنّه تعالى جعل ولايته - صلوات الله عليه - معادلة للتوحيد وسوّى بينهما، ولا يكون ذلك إلا إذا كان أحدهما في قوّة الآخر.

ويدلّ على ذلك صريحاً رواية عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله ﷺ، قال: سمعته يقول: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم، من ادّعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أنّ لهما في

(١) راجع: عوالي اللئالي ١: ٣٤ و ٤١.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢: ١٣٥ ح ٤.

(٣) عيون أخبار الرضا ٢: ١٣٦.

(٤) بحار الأنوار ٣٩: ٢٩٩ ح ١٠٧.

الإسلام نصيباً^(١).

فإنّ هذا حديث صحيح صريح في أنّ أتباع أئمة الجور مثلهم في الضلالة والكفر، وما ذاك إلاّ لما فاتتهم من الولاية، وتعضده أخبار كثيرة .

منها: صحيحة الحسين بن نعيم الصحّاف، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾^(٢) فقال: عرف الله عزّ وجلّ إيمانهم بمولاتنا وكفرهم بها يوم أخذ عليهم الميثاق وهم ذرّ في صلب آدم عليه السلام^(٣).

وصحيحة عمرو بن أبي المقدام، عن جابر، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّما يعرف الله ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منّا أهل البيت، ومن لا يعرف الله عزّ وجلّ ولا يعرف الإمام منّا، فإنّما يعرف ويعبد غير الله^(٤).

وصحيحة هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال الله تبارك وتعالى: لأعدّبن كلّ رعية في الإسلام دانت بولاية كلّ إمام جائر ليس من الله، وإن كانت الرعية في أعمالها برّة تقيّة، ولأعفونّ عن كلّ رعية في الإسلام دانت بولاية كلّ إمام عادل من الله، وإن كانت الرعية في أنفسها ظالمة مسيئة^(٥).

وفي هذا الحديث الصحيح دلالة واضحة على أنّ الإمام لا بدّ وأن يكون منصوباً من الله، كما عليه الفرقة الناجية الشيعية، أعلى الله كعابهم على يباريهم .

وحسنة كليب بن معاوية الأسدي المعروف بالصيداوي، قال: سمعت

(١) الخصال ص ١٠٦ ح ٦٩ .

(٢) سورة التغابن: ٢ .

(٣) تفسير القميّ ٢: ٣٧١، وأصول الكافي ١: ٤٢٦ ح ٧٤ .

(٤) أصول الكافي ١: ١٨١ ح ٤ .

(٥) أصول الكافي ١: ٣٧٦ ح ٤ .

أبا عبد الله عليه السلام يقول: والله إنكم لعلى دين الله ودين ملائكته، فأعينوني بورع واجتهاد، فوالله ما يتقبل إلا منكم، فاتقوا الله، وكفوا ألسنتكم، وصلوا في مساجدهم، فإذا تميّز القوم فتميّزوا^(١).

وموثقة عمران بن ميثم، قال: دخلت أنا وعباية الأسدي على امرأة من بني أسد، يقال لها: حَبّابة الوالبيّة، فقال لها عباية: تدرين من هذا الشاب الذي معي؟ قالت: لا. قال لها: مه ابن أخيك ميثم، قالت: إي والله إي والله.

ثمّ قالت: ألا أحدثكم بحديث سمعته من أبي عبد الله الحسين بن علي صلوات الله عليهما؟ قلنا: بلى. قالت: سمعته يقول: نحن وشيعتنا على الفطرة التي بعث الله عليها محمداً عليه السلام وسائر الناس منها براء. كذا في كش.

وقال فيه: وكانت - يعني حَبّابة - أدركت أمير المؤمنين عليه السلام، وعاشت إلى زمن الرضا عليه السلام^(٢).

أقول: وروي عن حَبّابة الوالبيّة أنّها قالت: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في شرطة الخميس، ومعه درّة يضرب بها يّباع الجري والمارماهي والزمير والطافي، ويقول: يا يّباعي مسوخ بني إسرائيل وجند بني مروان، فقام إليه فرات بن أحنف، فقال له: يا أمير المؤمنين وما جند بني مروان؟ فقال له: قوم حلقوا اللحى، وقتلوا الشارب، فلم أر ناطقاً أحسن نطقاً منه.

ثمّ اتّبعته، فلم أزل أقفو أثره، حتّى قعد في رحبة المسجد، فقلت له: يا أمير المؤمنين ما دلالة الإمامة؟ فقال لي: ايتيني بتلك الحصاة، وأشار بيده إلى

(١) إختيار معرفة الرجال ٢: ٦٣١ ح ٦٢٨.

(٢) إختيار معرفة الرجال ١: ٣٣١-٣٣٢ ح ١٨٢.

حصاة، فأتيته بها فطبع فيها بخاتمه، ثم قال: يا حَبَّابَةُ إِذَا ادَّعَى مَدَّعِ الإِمَامَةَ فَقَدِرْ أَنْ يَطْبَعُ كَمَا رَأَيْتَ، فَاعْلَمِي أَنَّهُ إِمَامٌ مَفْتَرٌ الطَّاعَةَ، وَالْإِمَامَ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ .

قالت: ثمَّ انصرفت، حتَّى قبض أمير المؤمنين عليه السلام، فجنَّت إلى الحسن عليه السلام وهو في مجلس أمير المؤمنين عليه السلام، والناس يسألونه، فقال لي: يا حَبَّابَةُ الْوَالِيَةُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا مَوْلَايَ، فَقَالَ: هَاتِ مَا مَعَكَ؟ قَالَتْ: فَأَعْطَيْتَهُ الْحِصَاةَ، فَطْبَعُ فِيهَا كَمَا طْبَعُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام .

قالت: ثمَّ أتيت الحسين عليه السلام وهو في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، فقربَّ ورحَّب، ثمَّ قال لي: إِنَّ فِي الدَّلَالَةِ دَلِيلًا عَلَى مَا تَرِيدِينَ، أَتُرِيدِينَ دَلَالََةَ الإِمَامَةِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا سَيِّدِي. فَقَالَ: هَاتِ مَا مَعَكَ، فَنَاوَلْتَهُ الْحِصَاةَ، فَطْبَعُ فِيهَا .

قالت: ثمَّ أتيت علي بن الحسين عليه السلام، وقد بلغ بي الكبر إلى أن أُعْيِيْتُ (١)، فأنا أَعَدُّ يَوْمُئِذٍ مِائَةً وَثَلَاثَةَ عَشْرَ سَنَةً، فَرَأَيْتَهُ رَاكِعًا وَسَاجِدًا مَشْغُولًا بِالْعِبَادَةِ، فَيَسْتَمِنُ مِنَ الدَّلَالَةِ، فَأَوْمِئِي إِلَيَّ بِالسَّبَابَةِ، فَعَادَ إِلَيَّ شَبَابِي .

قالت: فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي كَمْ مَضَى مِنَ الدُّنْيَا وَكَمْ بَقِيَ؟ قَالَ: أَمَّا مَا مَضَى فَنَعَمْ، وَأَمَّا مَا بَقِيَ فَلَا. قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ لِي: هَاتِ مَا مَعَكَ، فَأَعْطَيْتَهُ الْحِصَاةَ، فَطْبَعُ لِي فِيهَا . ثُمَّ لَقَيْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام فَطْبَعُ لِي فِيهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَطْبَعُ لِي فِيهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عليه السلام فَطْبَعُ لِي فِيهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ الرِّضَا عليه السلام فَطْبَعُ لِي فِيهَا، ثُمَّ عَاشَتْ حَبَّابَةُ بَعْدَ ذَلِكَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، عَلَى مَا ذَكَرَهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ هَمَّامٍ (٢) .

(١) في الكافي: أرعشت .

(٢) أصول الكافي ١: ٣٤٦-٣٤٧، وفي آخره: محمَّد بن هشام .

ولنرجع إلى ما كنا فيه، فنقول: ومما تعضده أيضاً مجهولة صالح بن ميثم، قال: دخلت أنا وعباية الأسدي علي حباة الوالدية، فقال لها: هذا ابن أخيك ميثم. قالت: ابن أخي والله حقاً، ألا أحدثكم بحديث عن الحسين بن علي عليه السلام، فقلت: بلى. فقالت: دخلت عليه عليه السلام وسلمت، فردّ السلام ورحّب، ثمّ قال: ما بطّأتك عن زيارتنا والتسليم يا حباة؟ قلت: ما بطّأني إلاّ علة عرضت. قال: وما هي؟ قالت: فكشفت خماري عن برص.

قالت: فوضع يده على البرص ودعا، فلم يزل يدعو حتّى رفع يده، وقد كشف الله ذلك البرص. ثمّ قال: يا حباة ليس أحد على ملّة إبراهيم في هذه الأمّة الآن غيرنا وغير شيعتنا، ومن سواهم منها براء^(١).

وصحيحة محدّد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كلّ من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله، فسعيه غير مقبول، وهو ضالّ متحيّر، والله شائئ لأعماله، ومثله كمثل شاة ضلّت عن راعيها وقطيعها، فهجمت ذاهبة وجائئة يومها، فلما جنّ الليل بصرت بقطيع من غير راعيها، فحنّت إليها، وغرّت^(٢) بها، فصاح^(٣) بها الراعي ألحقي براعيك وقطيعك، فأنت تائهة متحيّرة عن راعيك وقطيعك، فهجمت ذعرة متحيّرة تائهة لا راعي لها يرشدها إلى مرعاها أو يردها، فيبناهي كذلك إذا اغتتم الذئب ضيعتها فأكلها.

(١) إختيار معرفة الرجال ١: ٣٣٢ ح ١٨٣.

(٢) في الكافي: واغترت.

(٣) في الكافي: واغترت بها، فباتت معها في مريضها، فلما أن ساق الراعي قطيعه أنكرت راعيها وقطيعها، فهجمت متحيّرة تطلب راعيها وقطيعها، فبصرت بنغم مع راعيها، فحنّت إليها واغترت بها، فصاح... الخ.

وكذلك والله يا محمد من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله عز وجل ظاهراً عادلاً أصبح ضالاً تائهاً، وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق .

واعلم يا محمد إنّ أئمة الجور وأتباعهم لمعزلون عن دين الله قد ضلّوا وأضلّوا، فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون ممّا كسبوا على شيء وذلك هو الضلال البعيد^(١) .

قال في النهاية: كفر النفاق هو أن يقرّ بلسانه ولا يعتقد بقلبه^(٢) .

وفيه إيماء إلى أنّ عدم معرفة الإمام يشمل إنكاره ظاهراً وباطناً، وإنكاره باطناً فقط. وأمّا العكس وهو إنكاره ظاهراً فقط، فالظاهر أنّه داخل في المعرفة، إلا أن يكون ذلك الانكار مستنداً إلى الحسد، فإنّه أيضاً كفر، كمن عرف حقّ علي عليه السلام وأنكره ظاهراً حسداً وعناداً .

ثمّ لما كان للكفر معانٍ، منها الكفر بالله واليوم الآخر، وهو إنكار أصل الإيمان، ومنها الضلال والارتداد، وهو الخروج عن طريق الحقّ بعد الدخول فيه وتركه بعد طلبه .

وذكر عليه السلام النفاق بعد الكفر في قوله «مات ميتة كفر ونفاق» لئنبه على أن كفرهم ليس كفراً ظاهراً كسائر أصناف الكفّار، بل كفر مكتوم ككفر المنافقين، فهذا الإسلام الظاهر يحقن دماءهم، ويحفظ فروجهم وأموالهم، ويحلّ ذبيحتهم، ويحصل التوارث بيننا وبينهم .

وبالجملة فهم يشاركون أهل الإيمان في الأحكام الدنيوية، ويفارقونهم في

(١) أصول الكافي ١: ١٨٣ - ١٨٤ .

(٢) نهاية ابن الأثير ٤: ١٨٦ .

الأحكام الأخروية، كما دلت عليه روايات :

منها: صحيحة حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: إن الإيمان ما استقرّ في القلب، وأفضى به إلى الله عزّ وجلّ، وصدّقه العمل بالطاعة والتسليم لأمره. والإسلام ما ظهر من قول أو فعل، وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلّها، وبه حقنت الدماء، وعليه جرت المواريث، وجاز النكاح .

إلى أن قال: قلت: فهل للمؤمن فضل على المسلم في شيء من الأحكام والحدود وغير ذلك؟ فقال: لا، هما يجريان في ذلك مجرىً واحداً، ولكن للمؤمن فضل على المسلم في أعمالهما وما يتقرّبان به إلى الله الحديث (١).

وحسنة الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: إن الإيمان يشارك الإسلام ولا يشاركه الإسلام، إن الإيمان ما قر في القلوب، والإسلام ما عليه المناكح والمواريث وحقن الدماء الحديث (٢).

وقريب منه موثقة سماعة (٣). ويظهر منها أن مرادهم عليهم السلام بأن مخالفينا لا نصيب لهم في الإسلام هو النصيب الأخروي .

وهذه الأخبار وما شاكلها حجّة على من ذهب من أصحابنا - رضوان الله عليهم - إلى عدم جواز مناكلتهم، أو عدم ثبوت التوارث بيننا وبينهم، بأن نرثهم ولا يرثونا، أو عدم جواز الصلاة عليهم، أو عدم استحلال ذبيحتهم، فإنّ هذه الأحكام تثبت لمن لم يكن على ظاهر الإسلام من أصناف الكفّار لا مطلق الكافر.

(١) أصول الكافي ٢: ٢٦ - ٢٧ ح ٥ .

(٢) أصول الكافي ٢: ٢٦ ح ٣ .

(٣) أصول الكافي ٢: ٢٥ ح ١ .

أقول: اختلف أصحابنا في من خالفونا في الإمامة، فمنهم من كفر بكفرهم، لدفعهم ما علم من الدين ضرورة، وهو النصّ الجلي على إمامة أمير المؤمنين علي - صلوات الله عليه - مع تواتره. وقال الآخرون منهم: إنهم فسقة. وهو الأقوى. ثم اختلفوا على أقوال:

الأول: أنهم مخلّدون في النار، لعدم استحقاقهم الجنة.

الثاني: أنهم يخرجون منها إليها.

الثالث: أنهم يخرجون منها لعدم كفرهم الموجب للخلود، ولا يدخلون الجنة لعدم إيمانهم المقتضي لاستحقاقهم الثواب.

والمسألة لا تخلو من إشكال، وظاهر أكثر الأخبار الواردة في الطرفين يؤيد الأول، فمنها ما صحّ واستفاض عند الفريقين: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»^(١).

الفصل الثامن

[الولاية أفضل من جميع ما بني عليه أركان الإسلام]

وروى عبد الحميد بن أبي العلاء في الصحيح، قال: دخلت المسجد الحرام، فرأيت مولى لأبي عبد الله عليه السلام، فملت إليه لأسأله عن أبي عبد الله عليه السلام، فإذا أنا بأبي عبد الله عليه السلام ساجداً، فانتظرت طويلاً فطال سجوده عليّ، فقامت وصليت ركعات وانصرفت وهو بعد ساجد، فسألت مولاه متى سجد؟ فقال: من قبل أن تأتينا.

(١) رواه الكليني في الروضة من الكافي ٨: ١٤٦، والصدوق في إكمال الدين ص ٤١٣ و

فلما سمع كلامي رفع رأسه، ثم قال: أبا محمد أدن مني، فدنوت منه، فسلمت عليه، فسمع صوتاً خلفه، فقال: ما هذه الأصوات المرتفعة؟ فقلت: هؤلاء قوم من المرجئة والقدرية والمعتزلة، فقال: إن القوم يريدوني فقم بنا، فقامت معه، فلما رأوه نهضوا نحوه، فقال لهم: كفوا أنفسكم عني ولا تؤذوني وتعرضوني للسلطان، فإني لست بمفتٍ لكم .

ثم أخذ بيدي وتركهم ومضى، فلما خرج من المسجد، قال لي: يا أبا محمد والله لو أن إبليس سجد لله عزّ ذكره بعد المعصية والتكبر عمر الدنيا ما نفعه ذلك ولا قبله الله عزّ وجلّ ما لم يسجد لآدم، كما أمره الله أن يسجد له، وكذلك هذه الأمة العاصية المفتونة بعد نبيها ﷺ، وبعد تركهم الإمام الذي نصبه نبيهم لهم، فلن يقبل الله تبارك وتعالى لهم عملاً، ولن ترفع لهم حسنة حتى يأتوا الله عزّ وجلّ من حيث أمرهم، ويتولّوا الإمام الذي أمروا بولايته، ويدخلوا من الباب الذي فتحه الله عزّ وجلّ ورسوله لهم .

يا أبا محمد إن الله افترض على أمة محمد ﷺ خمس فرائض: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحجّ، وولايتنا، فرخص لهم في أشياء من الفرائض (١) الأربعة، ولم يرخص لأحد من المسلمين في ترك وولايتنا، لا والله ما فيها رخصة (٢) .

(١) كقصر الصلاة وتركها لفاقد الطهورين على القول به وللجائض والنفساء، وترك كثير من أركانها في حال الضرورة والخوف والقتال، وترك الصيام في السفر والمرض والكبر، وترك الحجّ والزكاة مع عدم الاستطاعة والمال، ولم يرخص في ترك الولاية في حال من الأحوال «منه» .

أقول: هذه التعليقة مأخوذة بعينها من كتاب مرآة العقول ذيل الرواية المذكورة .

وروى زرارة في الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام، قال: بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية .

قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟

فقال: الولاية أفضل؛ لأنها مفتاحهنّ، والوالي هو الدليل عليهنّ .

قلت: ثمّ الذي يلي ذلك في الفضل؟

فقال: الصلاة، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الصلاة عمود دينكم .

قال: قلت: ثمّ الذي يليهما في الفضل، قال: الزكاة؛ لأنه قرنها بها وبدأ بالصلاة

قبلها، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الزكاة تذهب الذنوب .

قلت: والذي يليها في الفضل، قال: الحجّ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ

حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (١) وقال

رسول الله صلى الله عليه وآله: لحجّة مقبولة خير من عشرين صلاة نافلة، ومن طاف بهذا البيت

طوافاً أحصى فيه أسبوعه وأحسن ركعتيه غفر له، وقال في يوم عرفة ويوم

المزدلفة ما قال .

قلت: فماذا يتبعه؟ قال: الصوم، قلت: وما بال الصوم صار آخر ذلك أجمع؟

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصوم جنّة من النار .

ثمّ قال: إنّ أفضل الأشياء ماذا أنت فاتك لم تكن منه توبة دون أن ترجع إليه

فتؤدّيه بعينه، إنّ الصلاة والزكاة والحجّ والولاية ليس ينفع شيء مكانها دون

أدائها، وإنّ الصوم إذا فاتك وقصرت أو سافرت فيه أدّيت مكانه أيّاماً غيرها،

وجزيت ذلك الذنب بصدقة ولا قضاء عليك، وليس من تلك الأربعة شيء يجزيك

مكانه غيره .

قال: ثم قال: ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته، إن الله عزّ وجلّ يقول: «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا» (١).

أما لو أنّ رجلاً قام ليله، وصام نهاره، وتصدّق بجميع ماله، وحجّ جميع دهره، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله حقّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان، ثم قال: أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته (٢).

قوله «أولئك» إشارة إلى أهل الولاية وبشارة لهم، أي: هؤلاء هم الذين يتفضّل الله عليهم بالجنة؛ لكونهم على الدين القويم والطريق المستقيم، ولا يتوهّم أنّ غير المحسن منهم محروم من فضل الله ودخول الجنة؛ إذ القواطع دلّت على عدم خلود أهل الإيمان في النار، فمنها قوله تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» .

فإنّ الإيمان من أعظم أعمال الخير، فغير المحسن منهم - وهو الفاسق - مستحقّ للثواب، فإنّما أن يقدم على العقاب وهو باطل بالإجماع، أو يعكس وهو المطلوب، بل الآثار تظافرت والأخبار تعاضدت بأنّ أهل الولاية لا يدخلون النار، كما مرّت نبذة منها، وكفى على ذلك دليلاً قوله ﷺ: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجي، ومن تخلف عنها غرق» (٣).

(١) سورة النساء: ٨٠ .

(٢) أصول الكافي ٢: ١٨ - ١٩ ح ٥ .

(٣) تقدّم ذكر مصادر حديث السفينة، فراجع .

حافظ از دست مده صحبت آن كشتى نوح

ورنه طوفان حوادث ببرد بنيادت^(١)

وإنما لم يثبت لهم استحقاق الجنة؛ لأنهم وإن اجتهدوا في الطاعات لا يؤدّون شكر نعمة صغيرة من نعمه تعالى، فكيف بالنعمة العظام، وقد دلّت على ذلك روايات، والصحيفة الكاملة مملوءة من أمثال ذلك .

وقيل: إنّه إشارة إلى أنّ من يطع الرسول، وهو المؤمن العارف بحقّ الإمام. والمقصود أنّ المحسن منه، وهو من أطاعه بعد معرفته في أقواله وأعماله وأمره ونهيه، يدخله الله الجنة قبل الحساب بفضل رحمته. وأمّا المسيء منهم، فقد يناقشه في الحساب ويدخله الجنة بالرحمة والشفاعة، وقد يجري عليه الوعيد .

ويحتمل أن تكون إشارة إلى من لم يعرف الولاية والمحسن منه وهو الذي لم ينكر الولاية كما لم يعرفها وعمل بالخيرات، أعني: المستضعف يدخله الله الجنة بفضل رحمته، والحاصل أنّه إشارة إلى المستضعفين. والأوّل أظهر .

وفي قوله ﷺ «ويكون جميع أعماله بدلالته إليه» إشارة إلى سرّ إيجاب موالاة أولياء الله ومودّتهم، إذ بهم ينتظم أمور العبادة التي هي الغرض الأصلي من خلق الجنّ والإنس، وبها ينال الدرجات ويكتسب السعادات .

أقول: وفيها إشارة إلى ما يعاين المؤمن الموالي لمحمّد وأهل بيته عند موته، وما يفعل به ملك الموت في هذا الحال من الرفاقة، ويقول له من القول اللين، إلى أن يفارق روحه الشريف بدنه الطيّب، فيكون مع من يتولّاه في دار كرامة الله ومستقرّ رحمته .

قال رسول الله ﷺ: لا يزال المؤمن خائفاً من العاقبة، لا يتيقن الوصول إلى رضوان الله، حتى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له، وذلك أن ملك الموت يرد على المؤمن وهو في شدة علته وعظيم ضيق صدره بما يخلف من أمواله، ولما هو من اضطراب أحواله في معاملته وعياله، وقد بقيت في نفسه مرارتها وحسرتها، واقتطع دون أمانيه فلم ينلها .

فيقول له ملك الموت: مالك تجرع غصصك؟ قال: لا اضطراب أحوالي، واقتطاعك لي دون آمالي، فيقول له ملك الموت: وهل يحزن عاقل من فقد درهم زائف، واعتياض ألف ضعف الدنيا؟ فيقول: لا .

فيقول ملك الموت: أنظر فوقك، فينظر، فيرى درجات الجنة وقصورها التي يقصر دونها الأماني، فيقول ملك الموت: تلك منازلك ونعمك وأموالك وعيالك ومن كان من أهلك ها هنا وذريتك صالحاً فهم هناك، أفرضى به بدلاً بما هناك؟ فيقول: بلى والله .

فيقول: ثم انظر، فينظر، فيرى محمداً وعلياً والطيبين من آلها في أعلى عليين، فيقول: أو تراهم هؤلاء ساداتك وأئمتك هم هناك جلاسك وأناسك، أفما ترضى بهم بدلاً ممّا تفارق ها هنا؟ فيقول: بلى وربّي .

فذلك ما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ ممّا أمامكم من الأموال كفيتموها ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما تخلفونه من الذراري والعيال، فهذا الذي شاهدتموه في الجنان بدل منهم ﴿وَأَبشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(١) هذه منازلكم، وهؤلاء ساداتكم

وَأَنَا سَكَمٌ وَجَلَّاسِكُمْ (١).

وفي الكافي: عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: جعلت فداك قوله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ (٢) فقال: من أكرمه الله بولايتنا فقد جاز العقبة، ونحن تلك العقبة التي من اقتحمها نجى.

قال: فسكت، فقال لي: فهلاً أفيديك حرفاً خيراً لك من الدنيا وما فيها؟ قلت: بلى جعلت فداك. قال: قوله ﴿فَكَ رَقَبَةٍ﴾ ثم قال: الناس كلهم عبيد النار غيرك وأصحابك، فإن الله فكّ رقابكم من النار بولايتنا أهل البيت (٣).

وفي الكافي: عن سدير الصيرفي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك يا بن رسول الله هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: لا والله إنه إذا أتاه ملك الموت ليقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول له ملك الموت: يا وليّ الله لا تجزع، فوالذي بعث محمداً لأنا أبرّك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك افتح عينيك فانظر. قال: ويمثّل له رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام، فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة رفقاؤك.

قال: فيفتح عينه فينظر، فينادي روحه منادٍ من قبل ربّ العزة، فيقول: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّتَةُ﴾ إلى محمّد وأهل بيته ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾ بالولاية ﴿مَرْضِيَةً﴾ بالثواب ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ يعني: محمداً وأهل بيته ﴿وَادْخُلِي

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) سورة البلد: ١١.

(٣) أصول الكافي ١: ٤٣٠ - ٤٣١ ح ٨٨.

جَنَّتِي ﴿ فما من شيء أحب إليه من استلال روحه والحقق بالمنادي (١) .
 ظاهر هذا الحديث الشريف يدلّ على أنّ حضور النبي والأئمة صلوات الله عليهم عند الموت، كما وردت به الأخبار المستفيضة، وقد اشتهر بين الشيعة غاية الاشتهار، إنّما يكون بخلق الله تعالى لكلّ منهم مثلاً بصورته، وهذه الأمثلة يكلمون الموتى ويبشرونهم من قبلهم ﷺ، كما ورد في بعض أخبار آخر أيضاً بلفظ التمثيل .

وقد قيل فيه وجوه أخر طوينا الكشح عنها؛ لكونها خارجة عن وضع الرسالة، وصلى الله على محمد وآله النبالة .

ومن غير ما روي أنّ السيّد (٢) بن محمد الشاعر كان ممّن يشرب النبيذ، فلما

(١) فروع الكافي ٣: ١٢٧ - ١٢٨ .

(٢) واعلم أنّ السيّد إسماعيل بن محمد الحميري ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة والشأن، من شعراء أهل البيت ﷺ، وقد أطنب ابن شهر آشوب في ذكره، وهو القائل «لأُمّ عمرو باللوى مربع» كما أشرنا إليه سالفاً .

وعن الشيخ المفيد ﷺ، قال: كان الانحراف شائعاً في حمير - يعني: قبيلة السيّد الحميري - عن أمير المؤمنين عليه السلام فاشياً، فقد روي في الأخبار أنّ داخلاً دخل على السيّد عليه السلام في غرفة له، فقال السيّد عليه السلام: لقد لعن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الغرفة كذا وكذا سنة، وكان والذي يلغناؤه في كلّ يوم وليلة كذا وكذا مرّة .

إلى أن قال: لكن الرحمة غاصت عليّ غلوصاً فاستنقذتني . وبما نقلناه يعلم ضعف ما جاء فيه من القدح مع إمكان تأويله .

وفي حديث فضيل الرّسان وقد أنشد قصيدة «لأُمّ عمرو» بحضرة الصادق عليه السلام، فلما فرغ من الانشاد، قال له: من قال هذا الشعر؟ قال: السيّد بن محمد الحميري، فقال: رحمه

حضره الموت اسودّ وجهه وأزرقّت عيناه وعطش كبده، فقال: هكذا يفعل بأوليائكم يا أمير المؤمنين، قال: فايضّ وجهه كأنه القمر ليلة البدر، فأنشأ يقول:

أحبّ الذي من مات من أهل ودّه تلقّاه بالبشرى لدى الموت يضحك
ومن مات يهوي غيره من عدوّه فليس له إلّا إلى النار مسلك
أبا حسن أفديك نفسي وأسرّتي ومالي وما أصبحت في الأرض أملك
أبا حسن إنّي بفضلك عارف وإنّي بحبل من هواك الممسك
وأنت وصي المصطفى وابن عمّه فإنّا نعادي مبغضيك ونترك
ولاح لحاني في علي وحزبه فقلت لحاك الله إنك أعفك
مواليك ناج مؤمن بيّن الهدى وقاليك معروف الضلالة مشرك^(١)

لحاني أي: نازعني وخاصمني، من لاحتته إذا نازعته .

ورجل أعفك، أي: الأحمق من سبق كلامه فكره، وهو من لا يتأمل عند النطق هل الكلام صواب أم لا؟ فيتكلّم به من غفلة .

والوجه فيه ظاهر؛ لأنّ المخاصمة في علي عليه السلام وحزبه والمنازعة فيهم إنّما ينشأ من الجهل والغفلة، وإلّا فالعارف بفضلهم والمتذكّر قدرهم لا ينازع فيهم أحداً، بل يواليهم ويحبّهم ويسلم منهم .

فأقول: اللهمّ تبني علي ولايتهم ومودّتهم، واجعلني ممّن ينتظم في سلك

⇒ الله تعالى. قال: فقلت: إنّي رأيتَه يشرب النبيذ، فقال: رحمه الله، فقلت: إنّي رأيتَه يشرب نبيذ الرستاق. قال: يعني الخمر؟ قلت: نعم، قال: رحمه الله، وما ذلك على الله أن يغفر لمحّب علي «منه» .

(١) بحار الأنوار ٤٧: ٣١١، إختيار معرفة الرجال ٢: ٥٧١، والغدير ٢: ٢٧٤ .

أحبتهم بحقك عليهم وبحقهم عليك .

ومن هنا نقطع الكلام حامداً لله على الاتمام، ومصلياً على رسوله وآله البررة الكرام .

شرعت في تأليفه غرة شهر الله المعظم سنة خمس وخمسين ومائة بعد الألف من الهجرة النبوية المصطفوية، عليه وعلى المصطفين من ذريته ألف ألف تحية .
وفرغت من تسويده ونظمه وترتيبه أواخر الشوال مع الإقبال من شهور السنة الماضية، وكان ذلك من فضل الله ومن نعمه السابعة لدينا، فحمداً له، ثم حمداً له أولاً وآخرأ .

وفرغت من استنساخ الكتاب تحقيقاً وتصحيحاً وتعليقاً عليه في يوم عيد الفطر سنة ألف وأربعمائة وعشرة هجرية على يد العبد الفقير السيد مهدي الرجائي في بلدة قم المقدسة حرم أهل البيت وعش آل محمد عليهم السلام .

وتمّ مراجعته ثانياً في يوم الأربعاء (٢٠ - شوال - ١٤٢٦ هـ) والحمد لله رب العالمين .

سلسلة آثار المحقق الخواجه جوي

٢

ذريعة النجاة من مرالك
توجه بعد المات

للعلامة المحقق محمد اسماعيل المازندراني الخواجه جوي

المؤلف سنة ١١٧٣ هـ

تحقيق
السيد مهدي الربابي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله على آلائه، وأشكره على جزييل نعمائه، وأصلي على أشرف أنبيائه
محمد وعلى آله المعصومين .

وبعد ذلك، أقول: وأنا العبد الذئب الكئيب الذليل الجاني إسماعيل بن الحسين
بن محمد رضا بن علاء الدين محمد المازندراني :

إنهم لما اختلفوا في أن مولانا وإماننا أمير المؤمنين وسيد الوصيين - صلوات
الله عليه وعلى ذريته الطيبين - هل هو أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين ما خلا
محمد خاتم النبيين - صلى الله عليه وآله الطاهرين - من غير تفصيل أم هو أفضل
من بعضهم دون بعض؟ وإن حكم باقي الأئمة من ولده عليه السلام هل هو هذا الحكم أم
هذا أمر مختص به صلوات الله عليه وعليهم أجمعين؟

أردت أن أكتب في هذا الباب - بعون الله الملك الوهاب - ما يكون تنبيه
الغافلين، وإرشاد الضالين، راجياً من الله رب العالمين أن يجعل ذلك ذريعة
لنجاتي يوم الدين .

ولذلك سمّيته بـ«ذريعة النجاة من مهالك تتوجّه بعد الممات» لأنّي أذكر في
هذه الرسالة نبذاً من فضائل علي وأوصيائه النبالة (١) عليه السلام .

(١) النبيل بالفتح: الكبار من الإبل والصغار، وهو من الأضداد، والمراد هنا المعنى الأول،
أي: الكبار بقريئة المقام «منه» .

وقد قال سيّد البشر على ما ورد في الخبر: إنّ الله تعالى جعل لأخي علي فضائل لا تحصى كثرة، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرّراً بها، غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ومن كتب فضيلة من فضائله، لم تزل الملائكة يستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله، غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى كتاب من فضائله، غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر^(١).

ونحن بحمد الله خالق البشر نكتب هذا الكتاب حتّى نكون مصداقاً لتمام ما ذكر في هذا الحديث من غير شكّ ولا ارتياب .

فنقول: إنّ عدد الأنبياء ﷺ مائة وأربعة وعشرون ألف نبي. وقيل: مائتان وعشرون ألف نبي. والحقّ الأوّل لما سيجيء .

فمنهم المرسلون، وعدّتهم ثلاثمائة وثلاثة عشر نبياً، وهم أفضل ممّن عداهم من سائر الأنبياء. وأولوا العزم منهم خمسة. وقيل: ستة. والحقّ الأوّل، وهم أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين .

ففي معاني الأخبار: في حديث طويل، عن أبي ذرّ، قلت: يا رسول الله كم النبيون؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرين^(٢) ألف نبي. قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً. قلت: من كان أوّل الأنبياء؟ قال: آدم. قلت: وكان من الأنبياء المرسل^(٣)؟ قال: نعم خلقه تعالى بيده ونفخ فيه من روحه .

(١) كفاية الطالب للكنجي ص ١٢٣، والمناقب للخوارزمي ص ٢ .

(٢) في المصدر: وعشرون .

(٣) في المصدر: مرسلأ .

ثم قال: يا أباذرّ أربعة من الأنبياء سريانين: آدم، وشيث، واخنوخ وهو إدريس وهو أول من خطّ بالقلم، ونوح. وأربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيك محمّد. وأول نبي من بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى، وستمائة نبي الحديث (١).

وفي الكافي: عن الصادق ﷺ: سادة النبيين والمرسلين خمسة، وهم أولوا العزم من الرسل، وعليهم دارت الوحي: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد ﷺ (٢).

وفي رواية قيل: كيف صاروا أولوا العزم؟ قال: لأنّ نوحاً بعث بكتاب وشريعة، وكلّ من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه، حتّى جاء إبراهيم بالصحف وبغزيمة ترك كتاب نوح لا كفرأ به، وكلّ نبي جاء بعد إبراهيم أخذ بشريعة إبراهيم ومنهاجه وبالصحف، حتّى جاء موسى بالتوراة وبشريعته ومنهاجه وبغزيمة (٣) ترك الصحف.

وكلّ نبي جاء بعد موسى أخذ بالتوراة ومنهاجه، حتّى جاء المسيح بالإنجيل

(١) معاني الأخبار ص ٣٣٣.

(٢) أصول الكافي ١: ١٧٥ ح ٤.

(٣) الغزيمة في اللغة المشقّة، من العزم، ومن قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ وسُمّي هؤلاء الرسل ﷺ أولي العزم؛ لتأكّد قصدهم في إظهار الحقّ والهدى. وأمّا بحسب الاصطلاح، فهي عبارة عمّا جاز فعله، لا مع قيام المقتضي للمنع، كالصلوات الخمس ونحوها، ويقابلها الرخصة المفسّرة في اللغة بالتيسير والتسهيل، ومنه قولهم رخص السعر إذا سهل الشراء. وفي الاصطلاح بما جاز فعله مع قيام المقتضي للمنع، كتناول الميتة، فإنّ جوازه مقترن بما يقتضي المنع منه، وهو سبب تحريم الميتة «منه».

٣٢٦..... ذريعة النجاة من مهالك تتوجّه بعد الممات

وبعزيمة ترك شريعة موسى ومنهاجه، فكلّ نبي جاء بعد المسيح أخذ شريعته ومنهاجه .

حتّى جاء محمّد بالقرآن وبشريعته ومنهاجه، فحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فهو لاء أولوا العزم من الرسل ﷺ (١) .

ولا شك أنّ محمداً ﷺ أفضل من سائرهم بلا خلاف، مع ما ورد من قوله ﷺ: «آدم ومن دونه تحت لوائي» (٢) .

وقوله: «أنا سيّد ولد آدم ولا فخر» (٣) (٤) .

وقوله: «أنا سيّد من خلق الله عزّ وجلّ، وأنا خير من جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وحملة العرش وجميع الملائكة المقرّبين وأنبيائه المرسلين» الحديث (٥) .

وقوله تعالى: «خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي» (٦) .

(١) المحاسن للبرقي ١: ٤٢ برقم: ٩٦٣ .

(٢) بحار الأنوار ١٦: ٤٠٢ عن المناقب لابن شهر آشوب .

(٣) عوالي اللآلي ٤: ١٢١ ح ١٩٦ .

(٤) قاله إخباراً عمّا أكرمه الله به من الفضل والسؤدد، وتحديثاً بنعمة الله عنده، وإعلاماً لأئمته ليكون إيمانهم به على حسبه وموجبه، لهذا أتبعه بقوله «ولا فخر» أي: إنّ هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله لم أنلها من قبل نفسي ولا حصلت بها بقولي، فليس لي أن أفتخر بها «منه» .

(٥) بحار الأنوار ١٦: ٣٦٣ و ٢٦ و ٣٤٢ و ٣٦: ٢٥٥ و ٥٧: ٣٠٤ .

(٦) لم أعثر عليه في مظانّه .

وقوله تعالى: «لولاك لما خلقت الأفلاك» (١).

غرض توحي وجود جهان همه ورنه لما يكون في الكون كايين لولاك إلى غير ذلك من الأخبار، وسيجيء طرف منها إن شاء الله تعالى .
وأما علي بن أبي طالب - عليه صلوات الله الملك الغالب - فقيل: إنه أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين ما عدا محمد، صلوات الله عليه وآله وعليهم أجمعين .
وقيل: ما عدا الخمسة .

والحقّ الأوّل؛ لأنّه مساوٍ لمحمد ﷺ لقوله تعالى: ﴿أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ (٢) وكان محمد ﷺ أفضل، ومساوي أفضل أفضل قطعاً .

وذلك أنّهم أجمعوا عن آخرهم على أنّ المراد بالنفس هنا علي عليه السلام؛ لأنّه ليس المراد به نفسه ﷺ؛ لأنّ أحداً لا يدعو نفسه كما لا يأمر نفسه .

وليس المراد به فاطمة والحسين عليهما السلام؛ لأنّهم أدرجوا في قوله تعالى: ﴿أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ فلا بدّ وأن يكون شخصاً آخر غير نفسه ﷺ، وغير فاطمة والحسين عليهما السلام، وليس غير علي عليه السلام بالإجماع، فتعيّن أن يكون هو علي عليه السلام، والاتّحاد محال، فلم يبق إلّا المساواة .

ولمّا كان مساوياً له ﷺ في جميع الصفات والكمالات بحيث يكون بمنزلة نفسه النفيسة وروحه الشريفة، فكلّ ما ثبت له ﷺ يثبت له عليه السلام من غير زيادة ولا نقصان، إلّا أنّه نبي وهو ولي، فيكون أفضل من جميع الأنبياء عليهما السلام، وذلك هو المطلوب .

(١) بحار الأنوار ١٦: ٤٠٥ .

(٢) سورة آل عمران: ٦١ .

به حسن وخلق و وفاگر بیار ما نرسد تورا در این سخن انکار کار ما نرسد
 هزار نقد به بازار کائنات آرند یکی به سگّه صاحب عبا ما نرسد
 هزار نقش بر آید ز کلک صنع یکی به دل پذیری نقش و نگار ما نرسد
 وأيضاً الفضائل: إِمّا نفسانية، أو بدنية، أو خارجية. وعلى التقديرين الأولين:
 فإمّا أن تكون متعلّقة بالشخص نفسه، أو بغيره. وأمير المؤمنين عليه السلام قد جمع الكلّ .
 أمّا فضائله النفسانية المتعلّقة به، كعلمه وزهده وكرمه وحلمه إلى غير ذلك، فهي
 أشهر من أن يخفى. والمتعلّقة بغيره كذلك؛ لظهور العلوم عنه واستفادة غيره منه.
 وكذا فضائله البدنية، كالعبادة والشجاعة والبرّ والصدقة .

وأما الخارجية، فكالنسب ولم يلحقه فيه أحد، لقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله
 وتزويجه إِيّاه كريمته سيّدة النساء. وقوله عليه السلام: «نحن أهل بيت لا يقاس بنا
 أحد»^(١) وكان أولاده عليهم السلام أشرف الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد أبيهم، كما سيحيى
 بيانه إن شاء الله تعالى .

وعن حذيفة بن اليمان، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسين بن علي عليه السلام،
 وقال: أيّها الناس هذا الحسين بن علي ألا فاعرفوه وفضّلوه، فوالله لجدّه أكرم على
 الله من جدّ يوسف بن يعقوب عليه السلام، هذا الحسين بن علي بن أبي طالب في الجنّة،
 وجدّته في الجنّة، وأمّه في الجنّة، وأبوه في الجنّة، وعمّته في الجنّة، وخاله في
 الجنّة، وخالته في الجنّة، وأخوه في الجنّة، وهو في الجنّة، ومحبّوهم في الجنّة،
 ومحبّوا محبّيهم في الجنّة^(٢) .

(١) بحار الأنوار ٢٢: ٤٠٦ و ٢٦: ٢٦٩ و ٤٦: ٢٧٨ و ٦٥: ٤٥ .

(٢) إحقاق الحقّ ١١: ٢٨٢ عن المناقب لابن المغازلي .

وعنه أيضاً قال: بئس عند النبي ﷺ ذات ليلة، فرأيت عنده شخصاً، فقال لي: هل رأيت؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: هذا ملك لم ينزل إليّ منذ بعثت، أتاني من الله فبشّرني أنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة (١).

والأخبار في ذلك كثيرة، وكان محمّد ابن الحنفية فاضلاً عالماً حتّى ادّعى قوم فيه الإمامة. ولم يكن لأحد من الأنبياء المتقدّمة ما كان له ﷺ، فيكون هو أفضل منهم جميعاً عليهم السلام، وهو المطلوب.

وهل هو ﷺ أفضل من سائر الأئمة من ولده عليهم السلام؟ الحقّ نعم، لما في التهذيب عن أبي وهب القصري، قال: دخلت المدينة، فأتيت أبا عبد الله عليه السلام، فقلت له: جعلت فداك أتيتك ولم أزر قبر أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: بئسما صنعت لولا أنّك من شيعتنا ما نظرت إليك، ألا تزور من يزوره الله مع الملائكة، ويوره الأنبياء، ويوره المؤمنون. قلت: جعلت فداك ما علمت ذلك، قال: فاعلم أنّ أمير المؤمنين أفضل من الأئمة كلّهم، وله ثواب أعمالهم، وعلى قدر أعمالهم فضّلوا (٢).

وفيه أنّ معنى الأفضل عند الله هو الأكثر ثواباً عنده، فليكن ذلك على ذكر منك. وفي الفقيه: عن الرضا عليه السلام، أنّه قال: من زار قبر أبي بeggاد كان كمن زار قبر رسول الله وقبر أمير المؤمنين، إلّا أنّ لرسول الله وأمير المؤمنين عليهما وآلهما السلام فضلها (٣).

وفي الوافي: عن الكافي في أبواب الموارث، في باب علّة تفضيل الرجال،

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٢٩٢.

(٢) تهذيب الأحكام ٦: ٢٠ ح ٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٨٢ ح ٣١٧٩.

٣٣٠..... ذريعة النجاة من مهالك تتوجّه بعد الممات

عن أبي محمد عليه السلام: ما بال المرأة المسكينة الضعيفة تأخذ سهماً واحداً وتأخذ الرجل سهمين؟ فقال أبو محمد عليه السلام: إنّ المرأة ليس عليها جهاد ولا نفقة، ولا عليها معقلة، إنّما ذلك على الرجال .

فقلت في نفسي: قد كان قيل لي: إنّ ابن أبي العوجاء سأل أبا عبد الله عليه السلام عن هذه المسألة، فأجاب بهذا الجواب، فأقبل أبو محمد عليه السلام عليّ، فقال: نعم هذه المسألة مسألة ابن أبي العوجاء، والجواب منّا واحد إذا كان معنى المسألة واحداً، يجري لآخرنا مثل ما جرى لأؤلّنا، وأؤلّنا وآخرنا في العلم سواء، ولرسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام فضلهما (١) .

وفي مجمع البيان: في ذيل كريمة: «وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» (٢) عن يزيد بن معاوية، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّه قال: إيانا عني، وعلي عليه السلام وأؤلّنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله (٣) .

وفي الجمع بين الصحاح الستّة: عن عبد الله بن عباس، في حديث طويل قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وساق الكلام إلى أن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معشر الناس هل أدلكم على خير الناس أباً وأمّاً؟ قالوا: بلى يا رسول الله .

قال: عليكم بالحسن والحسين، فإنّ أباهما علي بن أبي طالب، وهو خير منهما، شابّ راقب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ذو المنقبة في الإسلام، وأمّهما فاطمة

(١) فروع الكافي ٧: ٨٥ ح ٢ .

(٢) سورة الرعد: ٤٣ .

(٣) مجمع البيان ٣: ٣٠١ .

بنت رسول الله وسيّدة نساء أهل الجَنَّة الحديث وطوله (١).

وأما الحسن والحسين عليهما السلام، فلا خلاف بيننا في مساواتهما لأولي العزم، والحقّ تفضيلهما عليهم - صلوات الله عليهم - ولا شكّ في تفضيلهما على الأئمّة التسعة عليهم السلام من جهات شتّى.

وهل الحسن أفضل من الحسين عليه السلام؟ الحقّ المساواة؛ للحديث الوارد فيهما من الفضل سواء، إلا أنّ الحسن أكبر من الحسين عليه السلام (٢).

ولكن يعارضه ما رواه الصدوق عليه السلام في كتاب كمال الدين وتمام النعمة، قال: حدّثنا محمّد بن إبراهيم بن إسحاق عليه السلام، قال: أخبرنا أحمد بن محمّد الهمداني، قال: حدّثنا علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه، عن هشام بن سالم، قال: قلت للصادق جعفر بن محمّد عليه السلام: الحسن أفضل أم الحسين؟

فقال: الحسن أفضل من الحسين عليه السلام.

قلت: فكيف صارت الإمامة من بعد الحسين عليه السلام في عقبه دون ولد

الحسين عليه السلام؟

فقال: إنّ الله تبارك وتعالى لم يرد بذلك إلاّ أن يجعل (٣) سنّة موسى وهارون جارية في الحسن والحسين عليهما السلام. ألا ترى إنّهما كانا شريكين في النبوة، كما كان الحسن والحسين عليهما السلام شريكين في الإمامة، وإنّ الله عزّ وجلّ جعل النبوة في ولد

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٣٠٢، ومقتل الحسين للخوارزمي ص ١١١، ومجمع الزوائد

٩: ١٨٤.

(٢) بحار الأنوار ٢٥: ٢٥٨.

(٣) في المصدر: إنّ الله تبارك وتعالى أحبّ أن يجعل.

هارون، ولم يجعلها في ولد موسى، وإن كان موسى أفضل من هارون (١).

والجمع بينهما يحتاج إلى تكلف بعيد، فتأمل .

عن أبي هريرة، قال: رأيت رسول الله ﷺ يمضّ لعاب الحسن والحسين، كما يمضّ الرجل التمرة (٢).

وعن أسامة بن زيد، قلت: يا رسول الله ما هذا الذي أنت مشتمل عليه، فإذا هو حسن وحسين على ركبتيه، فقال: هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إنك تعلم أنني أحبهما فأحبهما ثلاث مرّات (٣).

وعن جابر، قال: دخلت على النبي ﷺ وعلى ظهره الحسن والحسين ﷺ، وهو يقول: نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما (٤).

وفي حديث طويل مذكور في معاني الأخبار، مروى عن الصادق ﷺ، قال: وحمل الحسن والحسين ﷺ يوم حظيرة بني النجّار، فلما قال له بعض أصحابه: ناولني أحدهما يا رسول الله، قال: نعم الحاملان ونعم الراكبان وأبوهما خير منهما (٥).

وفي رواية أنه ﷺ حمل الحسن، وحمل جبرئيل ﷺ الحسين، ولهذا قال: نعم الحاملان (٦).

(١) كمال الدين ص ٤١٦ ح ٩ .

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٢٨٤ .

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٤) بحار الأنوار ٤٣: ٢٨٥ .

(٥) معاني الأخبار ص ٣٥١ .

(٦) بحار الأنوار ٤٣: ٣١٦ .

وروى صاحب كتاب نهاية الطلب وغاية السؤال للحنبلي، بإسناده إلى ابن عباس، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وعلى فخذة الأيسر ابنه إبراهيم، وعلى فخذة الأيمن الحسين عليه السلام، وهو يقبل هذا تارةً وذاك أخرى، إذ هبط جبرئيل عليه السلام، فقال: يا محمد إن الله تعالى يقرأ عليك السلام، وهو يقول: لست أجمعهما لك، فأقد أحدهما لصاحبه، فنظر عليه السلام إلى ابنه إبراهيم وبكى، ونظر إلى الحسين وبكى.

ثم قال: إن إبراهيم أمه أمة إن مات لم يحزن عليه غيري، وأمّ الحسين فاطمة وأبوه علي ابن عمي ولحمي ودمي، ومتى مات حزنت عليه ابنتي وحزن ابن عمي وحزنت أنا، أوثر حزني على حزنهما بقض إبراهيم، فقد فديت الحسين به، فقضى بعد ثلاث، وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا رأى الحسين عليه السلام مقبلاً قبله وضمه إلى صدره ورشف ثناياه، وقال: فديت من فديته بابني إبراهيم^(١).

وقد قال صلى الله عليه وآله: حسين مني وأنا من حسين^(٢).

إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في ذلك الباب.

وهل الأنمة التسعة عليهم السلام من ذرية الحسين عليه السلام مساوٍ لأولي العزم أو أفضل أو أنقص؟ الحقّ تفضيلهم عليهم عليهم السلام.

وهل محمد بن الحسن صاحب العصر والزمان وخليفة الله في بلاده وعباده - عليه صلوات الله الملك المئان - أفضل من الثمانية المذكورة؟ قيل: نعم، للحديث. ولأنه يمكن أن يقال: إن أعماله الموجبة للمثوبات أكثر بطول زمانه عليه السلام، ولا يعني بالأفضل إلا أكثر الثواب، والله أعلم بالصواب.

(١) إحقاق الحقّ عنه ١١: ٣١٦.

(٢) مسند أحمد ٤: ١٧٢، سنن ابن ماجه ١: ٦٤، صحيح الترمذي ١٣: ١٩٥.

فصل

[تساوي الأئمة عليهم السلام في أمر الإمامة]

وليعلم أنّه لا تفاوت بينهم عليهم السلام في الأمور المتعلقة بأمر الإمامة والخلافة .
 كما يدلّ عليه ما في الفقيه: عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، أنّه قال:
 للإمام علامات: يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأحلم الناس،
 وأشجع الناس، وأسخى الناس، وأعبد الناس، ويولد مختوناً، ويكون مطهراً .
 ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه، ولا يكون له ظلّ، وإذا وقع على
 الأرض من بطن أمّه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادتين، ولا يحتلم، وتنام
 عينه ولا ينام قلبه، ويكون محدثاً .

ويستوي عليه درع رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يرى له بول ولا غائط؛ لأنّ الله عزّ وجلّ
 وكّل الأرض بابتلاع ما يخرج منه، ويكون رائحته أطيب من رائحة المسك،
 ويكون أولى الناس منهم بأنفسهم، وأشفق عليهم من آبائهم وأمهاتهم .
 ويكون أشدّ الناس تواضعاً لله عزّ وجلّ، ويكون آخذ الناس بما يأمر به، وأكفّ
 الناس عمّا ينهي عنه، ويكون دعاؤه مستجاباً، حتّى أنّه لو دعا على صخرة
 لانشقّت بنصفين .

ويكون عنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه ذو الفقار، ويكون عنده صحيفة يكون
 فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة، وصحيفة فيها أسماء أعدائه إلى يوم القيامة .
 ويكون عنده الجامعة، وهي صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها جميع ما يحتاج
 إليه ولد آدم، ويكون عنده الجفر الأكبر والأصغر: إهاب ماعز وإهاب كبش، وفيها
 جميع العلوم حتّى أَرش الخدش، وحتّى الجلدَة ونصف الجلدَة وثلث الجلدَة،

ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام (١).

فكلّ ما دلّ عليه هذا الحديث لا تفاوت بينهم عليهم السلام فيه، وإمّا التفاوت في أمور غير هذا، فلا تغفل.

فعن الصادق عليه السلام: نحن شجرة طيبة، برأنا الله من طينة واحدة، فضلنا من الله، وعلمنا من عند الله، ونحن أمناؤه على خلقه، والدعاة إلى دينه، والحجاب فيما بينه وبين خلقه. ثمّ قال: خلقنا واحد، وعلمنا واحد، وفضلنا واحد، وكلّنا واحد عند الله.

وفي رواية أخرى: ونحن شيء واحد (٢).

وفي الكافي: عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليهما السلام، قال: قال لي: نحن في العلم والشجاعة سواء، وفي العطايا على قدر ما نؤمر (٣).

وفيه: عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: نحن في الأمر والفهم والحلال والحرام نجري مجرى واحد، فأما رسول الله وعلي فلهما فضلها (٤).

وفيه: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن الأئمة هل يجرون في الأمر والطاعة مجرى واحد؟ قال: نعم (٥).

وفيه: عن معمر بن خلّاد، قال: سألت رجل فارسي أبا الحسن عليه السلام، فقال: طاعتك مفروضة؟ فقال: نعم، قال: مثل طاعة علي بن أبي طالب صلوات الله عليه؟ فقال:

(١) من لا يحضره الفقيه ٤: ٤١٨ - ٤١٩.

(٢) بحار الأنوار ٢٥: ٣٦٣ و ٣٦: ٣٩٩.

(٣) أصول الكافي ١: ٢٧٥ ح ٢.

(٤) أصول الكافي ١: ٢٧٥ ح ٣.

(٥) أصول الكافي ١: ١٨٧ ح ٩.

نعم (١).

فصل

[تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء]

ومما يدلّ على أنّهم عليهم السلام أفضل من الأنبياء المتقدّمين من أولي العزم وغيرهم من آدم إلى خاتم النبيين، مساواتهم لهم في العصمة وما يتبعها، وعمل هؤلاء أفضل من عمل أولئك، فيلزم كونهم أفضل منهم؛ لأنّ معنى الأفضل هو الأكثر ثواباً كما مرّ.

وإنّما قلنا إنّ عمل الأئمة عليهم السلام أفضل؛ لأنّ عمل أولئك تبليغ غير تبليغ، والثاني قول وفعل واعتقاد، وعمل الأئمة عليهم السلام كذلك، فالأئمة والأنبياء المتقدّمون قد اشتركوا في التبليغ والإيصال؛ لأنّ كلّاً منهم يبلغ بواسطة، أمّا الأنبياء فبواسطة جبرئيل عليه السلام، وأمّا الأئمة فبواسطة النبي وجبرئيل عليه السلام، لكن تبليغ الأئمة أفضل من تبليغ الأنبياء المتقدّمين من حيث الوصلة، لتساويهم مع جبرئيل، ومحمّد المصطفى صلى الله عليه وآله أفضل من جبرئيل ومن سائر الملائكة عليهم السلام.

ومن حيث المبلغ إليه، فهم يبلغون إلى أمة محمّد، وأولئك يبلغون إلى أممهم، وأمة محمّد صلى الله عليه وآله أفضل؛ لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (٢) ومن حيث المبلغ؛ لأنّه دين الإسلام، وهو أفضل من باقي الأديان.

وأما القول والفعل والاعتقاد، فهم مشتركون في الأصول المشتركة بين الأنبياء، كالتوحيد ومعرفة الله تعالى، والباقي يتعلّق بالإسلام، وهو أفضل من سائر الأديان

(١) أصول الكافي ١: ١٨٧ ح ٨.

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

كما تقدّم، فعلم أنّهم أكمل، فيكون ثوابهم أكثر، فيلزم أفضليتهم، وهو المطلوب .
 دليل آخر: قوله عليه السلام: «علماء أمتي كأنبيا بني إسرائيل»^(١) والأئمة عليهم السلام أفضل من الباقي من علماء الأئمة، فيلزم كونهم أفضل من المساوي للعلماء، وهم أنبياء بني إسرائيل، هكذا استدلل سيّدنا فخر الملة والدين العلامة بهذا الحديث على ذلك المطلب بعد ما سئل عنه .

وفيه مناقشة؛ لأنّ أنبياء بني إسرائيل ليس بلازم أن يكونوا بأسرهم من أولي العزم، بل منهم من كان مبعوثاً على نفسه، ومنهم من كان مبعوثاً على أهل بيته، ومنهم من كان مبعوثاً على أهل قريته، فلا يلزم من مساواة علماء الأئمة هؤلاء الأنبياء إلّا كون الأئمة عليهم السلام أفضل من هؤلاء من أولي العزم منهم، وإلّا الكلام فيه، كما مرّ في بيان محلّ النزاع .

على أنّه يحتمل أن يكون المراد بعلماء الأئمة عليهم السلام، كما يشهد له الحديث المروي عنهم عليهم السلام: «نحن العلماء وشيعتنا المتعلّمون»^(٢) فلا يتم الاستدلال به على أفضليتهم عليهم السلام، بل إنّما يلزم منه على هذا التقدير: إمّا المساواة، أو كونهم عليهم السلام دونهم في الفضل لمكان التشبيه .

وعلى تقدير تماميته، فإنّما يدلّ على كونهم أفضل من أنبياء بني إسرائيل، والمدعى أعمّ منه، وهو بصدد إثباته ولم يثبت؛ لكون الدليل أخصّ منه، فالأولى في الاستدلال عليه التمسك بما ذكرناه، وبما روي عنه عليه السلام في حديث طويل،

(١) عوالي اللئالي ٤: ٧٧ ح ٦٧، وفي رواية: علماء أمتي خير من أنبياء بني إسرائيل

«منه» .

(٢) أصول الكافي ١: ٣٤ وبحار الأنوار ١: ١٨٦ و ١٩٤ .

٣٣٨..... ذريعة النجاة من مهالك تتوجّه بعد الممات

حيث يقول: فإنّي أفتخر يوم القيامة بعلماء أمّتي، فأقول علماء أمّتي كسائر الأنبياء قبلي (١).

وأما المناقشة المشتركة بين هذا الحديث والذي استدلّ به قدّس روحه، فمندفعة بأنّ المراد بالعلماء أعمّ من الأئمة عليهم السلام؛ لكونه جمعاً مضافاً مفيداً للعموم، ولدلالة تتمّة الحديث الذي نقلناه عنه، حيث يقول ﷺ: ألا فافتدوا بالعلماء خذوا منهم ما صفا ودعوا منهم ما كدر، ألا وإنّ الله يغفر للعالم يوم القيامة سبعمائة ذنب ما لم يغفر للجاهل ذنباً واحداً (٢). وكذلك سائر العبادات المذكورة في هذا الحديث يدلّ عليه، فارجع إليه .

وأما ما يتوهّم من أنّه لا يلزم من الحديثين المذكورين مساواة العلماء الأنبياء؛ لأنّ المشبّه به أقوى، فلا يلزم كونهم عليهم السلام أفضل منهم بل غاية المساواة، فيمكن دفعه بالتأمل، فتأمل .

دليل آخر: روى محمّد بن بابويه - رحمة الله عليه - في العلل، بإسناده عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: ما خلق الله خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي .

قال علي عليه السلام: قلت: يا رسول الله فأنت أفضل أو جبرئيل؟ فقال: يا علي إنّ الله تبارك وتعالى فضّل الأنبياء المرسلين عليّ ملائكته المقرّبين، وفضّلني عليّ جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك، وإنّ الملائكة لخدّمانا .

(١) جامع الأخبار ص ٣٨ .

(٢) أصول الكافي ١: ٤٧ وبحار الأنوار ٢: ٢٧ و ٧٥: ١٩٣ .

وساق الحديث وطوله إلى أن قال: ولأوصيائك أوجبت كرامتي، ولشيعتهم أوجبت ثوابي، قلت: يا رب من أوصيائي؟ فنوديت: يا محمد أوصياؤك المكتوبون على ساق عرشي، فنظرت وأنا بين يدي ربي جلّ جلاله إلى ساق العرش، فرأيت اثنا عشر نوراً في كلّ نور سطر أخضر عليه اسم وصي من أوصيائي، أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم مهدي أمّتي .

فقلت: يا رب هؤلاء أوصيائي من بعدي؟ فنوديت: يا محمد هؤلاء أوليائي وأحبائي وأصفيائي وحججي بعدك على برّيتي، وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك الحديث (١) .

وهو غني عن الشرح والبيان، ولكن في متنه شيء يختلج في الجنان، وهو أنّ قول علي إمام الإنس والجان عليه صلوات الله الملك المئان «قلت: يا رسول الله فأنت أفضل أو جبرئيل» بعد قوله «ما خلق الله خلقاً أفضل مني» شيء عجيب وأمر غريب، بعيد صدور مثله عن ذلك الجنب الذي هو أعلم من كلّ أولي الألباب؛ لأنه عليه السلام قد نفى في ضمن هذه العبارة أفضلية جبرئيل وغيره منه، فكيف يتفرّع هذا السؤال عليها؟

بل غاية ما يمكن أن يسأل بعد هذا الكلام مع رعاية ما وقع هو فيه من المقام أن يقال: فأنت أفضل من جبرئيل عليه السلام أم هو مساوٍ لك يا خير الأنام؟ بل هذا السؤال أيضاً بعيد ممّن هو من أولي الأفهام، فضلاً عن أن يصدر من مصدر الأفهام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنه يجعل أفضل قبل تسلّط النفي عليه مجرى من الزيادة عرفاً؛ لأنّ نفي الزيادة لا يلائم مقام الفخر والمدح،

فبيقى أصل الفضل بحاله .

وتوجّه النبي إلى فضل غيره مقيساً إلى فضله ﷺ: إما بالمساواة، أو بكونه
دونه، القياس بكونه دونه لا يناسب المقام، فيرجع المعنى إلى ما خلق الله خلقاً
فضله كفضلي، فانتفى المساواة والزيادة بالطريق الأولى لما اقتضاه المقام .

ولا يبعد يقصد بنفي المساواة نفي الزيادة أيضاً؛ لأنّ الزائد على شيء ما
يساويه مع زيادة، فيصحّ أن يقصد به عرفاً نفي المساواة مطلقاً ولو في ضمن الزائد
أيضاً، فيحصل من ذلك أنّ فضل كلّ أحد دون فضله ﷺ، وذلك كمال التمدّح
والفخر .

وحينئذ فليس المقام مقام السؤال أصلاً، ولا سيّما إذا كان السائل هو علي
أمير المؤمنين عليه السلام .

ونظير هذا السؤال ما روي عن أبي جعفر عليه السلام، أنّه قال: إنّ الله عزّ وجلّ جمع
لمحمّد ﷺ سنن النبيين من آدم وهلمّ جرّاً إلى محمّد ﷺ .

قيل: وما تلك السنن ؟

قال: علم النبيين بأسره، وإنّ رسول الله ﷺ صير ذلك كلّهُ عند أمير المؤمنين عليه السلام .

فقال له رجل: يا بن رسول الله فأمر المؤمنين أعلم أم بعض النبيين ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: اسمعوا ما يقول، إنّ الله يفتح مسامع من يشاء، إنّي حدّثته إنّ
الله جمع لمحمّد ﷺ علم النبيين، وإنّه جعل ذلك كلّهُ عند أمير المؤمنين، وهو
يسألني أهو أعلم أم بعض النبيين (١) .

والذي يخطر بخاطري الفاتر وذهنِي القاصر أنّ عبارة الحديث كانت في

الأصل هكذا: قلت: يا رسول الله فأنت أفضل من جبرئيل. والغلط إنّما نشأ من الرواة أو النسخ، وعلى هذا فلا قدح في متن الحديث أصلاً.

وذلك لأنه ﷺ لما نفى الأفضلية عن غيره، فالكلام يحتمل الوجهين: أحدهما أن يكون غيره مساوياً له ﷺ في الفضل، والثاني: أن يكون دونه في الفضيلة، فلذلك استفهم علي عليه السلام، فقال: يا رسول الله أنت أفضل من جبرئيل، بأن يكون فضله دون فضلك أم هو مساوٍ لك في الفضيلة.

وإنّما ترك هذا الشقّ رعاية للأدب، واحترازاً عن نسبة التسوية إليه ﷺ، مع ما فيه من الاختصار المطلوب في المقام، وعلى هذا فالسؤال في مقامه ولا يرد عليه شيء.

وأما الحديث التجريد وغيره، فهو أمر يتسامح عنه في كثير من المقامات والمحاورات، فتأمل.

دليل آخر: روى حميد المغربي، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: أنا سيّد الأوّلين والآخريّن، وأنت يا علي سيّد الخلائق من بعدي، أولنا كآخرنا (١).

ولا يذهب عليك أنّ المراد بلفظة «البعء» الواردة في هذا الحديث وأمثاله، البعدية الرتبة لا البعدية الزمانية، وهذا مثل ما قالوا في قوله تعالى: «وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي» (٢).

وقوله ﷺ «أولنا كآخرنا» أي: أولنا في السيادة كآخرنا فيها، فهو يدلّ على أنّ

(١) بحار الأنوار ٢٥: ٣٦٠ ح ١٧.

(٢) سورة ص: ٣٥.

٣٤٢..... ذريعة النجاة من مهالك تتوجّه بعد الممات

سائر الأئمة من ولده عليه السلام أيضاً سادات الخلائق أجمعين من الأولين والآخرين، فهم أفضل منهم، ومنهم أولي العزم من الرسل عليهم السلام.

والظاهر يقتضي أن يقول: آخراً كأولنا، وإنما أتى بخلاف مقتضى الظاهر دفعاً لما يتوهم من أن آخرهم عليهم السلام لكونه بعيداً في سلسلة الوجود عنه عليه السلام، فلعله يكون أنقص منهم في السيادة، فقال: ليس الأمر على ما يتوهم، بل لا فرق بيننا في السيادة أولنا وآخرنا فيها سواء، بل آخراً فيها أتمّ وأكمل من أولنا.

والحاصل أن هذا تشبيه مقلوب يعود الغرض منه إلى المشبه به، وهو أن يجعل الناقص في وجه الشبه مشبهاً به قصداً إلى ادّعائه أنه أزيد وأتمّ من المشبه في وجه التشبيه، كقوله:

وبدا الصبح كأنّ غرّته وجه الخليفة حين يمتدح
فإنّه قصد إيهام أنّ وجه الخليفة أتمّ من الصباح في الوضوح والصباء، هكذا يخطر بالبال في حلّ هذا المقام، والله أعلم بحقيقة الحال.

دليل آخر: وهو ما روي في الكافي، بإسناده أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لأبي بكر يوماً: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ وأشهد أنّ رسول الله مات شهيداً، والله ليأتينك فأيقن إذا جاءك، فإنّ الشيطان لا يتمثل به، فأخذ علي عليه السلام بيد أبي بكر فأراه النبي عليه السلام، فقال له: يا أبا بكر آمن بعلي وبأحد عشر من ولده، إنهم مثلي إلا النبوة، وتب إلى الله ممّا في يدك، فإنّه لا حقّ لك فيه، قال: ثمّ ذهب فلم ير^(١).

وجه الدلالة ظاهر، فإنّهم عليهم السلام لما كانوا مثله عليه السلام في جميع ما له من الصفات

والكمالات النفسانية والبدنية وغيرها إلا النبوة المستنناة في الحديث، وهو ﷺ أفضل ممّا سوى الله كما قد عرفته، يلزم منه كونهم عليهم السلام أيضاً أفضل منه من غير تفصيل، وذلك هو المطلوب، والحمد لله .

دليل آخر: في الكافي، عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الأئمة بمنزلة رسول الله ﷺ إلا أنّهم ليسوا بأنبياء، ولا يحلّ لهم من النساء ما يحلّ للنبي، فأما ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله ﷺ (١).
وجه الدلالة قريب ممّا مرّ في الدليل السابق .

دليل آخر: وهو ما روي في الفصل الأوّل من الباب الثاني، من كتاب جامع الأخبار، بإسناده عن معمر بن راشد، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: أتى يهودي إلى النبي، فقام بين يديه يحدّ النظر إليه .

فقال: يا يهودي ما حاجتك ؟

قال: أنت أفضل من موسى بن عمران النبي الذي كلمه الله تعالى وحمل (٢) عليه التوراة والعصا وقلق البحر وأظّله بالغمام ؟

فقال له النبي ﷺ: إنّه يكره للعبد أن يزكّي نفسه، ولكن أقول: إنّ آدم عليه السلام لمّا أصاب الخطيئة كانت توبته أنّه قال: اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمد وآل محمد أن تغفر لي (٣) خطيئتي، فغفرها الله له .

وإنّ نوحاً لمّا ركب في السفينة وخاف الغرق، قال: اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمد

(١) أصول الكافي ١: ٢٧٠ ح ٧ .

(٢) في المصدر: وأنزل .

(٣) في المصدر: لما غفرت لي .

وآل محمد أن تنجيني (١) من الغرق، فنجّاه الله تعالى منه .

وإن إبراهيم عليه السلام لما ألقى في النار، قال: اللهم إني أسألك بحقّ محمد وآل محمد أن تنجيني منها، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً .

وإن موسى عليه السلام لما ألقى عصاه فأوجس في نفسه خيفة، قال: اللهم إني أسألك بحقّ محمد وآل محمد أن آمنتني منها، فقال الله عزّ وجلّ: لا تخف إنك أنت الأعلى .

يا يهودي إن موسى لو أدركني، ثم لم يؤمن بي وبنبوتي ما نفعه إيمانه شيئاً ولا نفعه النبوة. يا يهودي ومن ذريته المهدي إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته فقدّمه وصلّى خلفه (٢) .

وهو بين غني عن البيان .

دليل آخر: في الكافي، عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (٣) قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، ولم يكن مع أحد ممّن مضى غير محمد صلى الله عليه وآله، وهو مع الأئمة يسدّدهم، وليس كلّ ما طلب وجد (٤) .

دليل آخر: فيه أيضاً، عن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى يقول: استكمال حجّتي على الأشقياء من

(١) في المصدر: لما أنجيتني .

(٢) جامع الأخبار للشعيري ص ٨ - ٩ .

(٣) سورة الإسراء: ٨٧ .

(٤) أصول الكافي ١: ٢٧٣ ح ٤ .

أُمتك من ترك ولاية علي ووالى أعداءه، وأنكر فضله وفضل الأوصياء من بعده، فإنّ فضلك فضلهم، وطاعتك طاعتهم، وحقّك حقّهم، ومعصيتك معصيتهم، وهم الأئمة الهداة من بعدك، جرى فيهم روحك، وروحك ما جرى فيك من ربّك، وهم عترتك من طينتك ولحمك ودمك .

وقد أجرى الله عزّ وجلّ فيهم سنّتك وسنّة الأنبياء قبلك، وهم خزّاني عليّ علمي من بعدك، حقّ لقد اصطفتيتهم وانتجبتهم وأخلصتهم وارتضيتهم، ونجى من أحبّهم ووالاهم وسلّم لفضلهم، ولقد أتاني جبرئيل عليه السلام بأسمائهم وأسماء آبائهم وأحبّائهم والمسلمين لفضلهم (١) .

وهو كما ترى غني عن الشرح والبيان، والحمد لله الملك المتّان .

دليل آخر: عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الرحمن قبل أن يخلق عرشه بأربع عشر ألف عام، فلم نزل نتمحّض في النور، حتّى إذا وصلنا في حضرة العظمة في ثمانين ألف سنة، ثمّ خلق الله الخلائق من نورنا، فنحن صنائع الله، والخلق كلّهم صنائع لنا (٢) .

وعن الصادق عليه السلام، قال: نحن صنائع الله، والناس بعد صنائع لنا (٣) .

وجه الدلالة ظاهر، فإنّ من الخلائق والناس أولي العزم من الرسل، فكانوا صنائع لهم عليه السلام، ولا استراب في أنّ الصانع أشرف وأفضل من المصنوع، ولعلّه إشارة إلى أنّهم عليه السلام كانوا وسائط وعللاً غائية لايجاد العالم، كما يدلّ عليه أوّل ما

(١) أصول الكافي ١: ٢٠٨ - ٢٠٩ ح ٤ .

(٢) إحقاق الحقّ ٥: ٢٤٦ .

(٣) بحار الأنوار ٣٣: ٥٧ .

خلق الله نوري أو روحي، ولولاك لما خلقت الأفلاك، و خلقت الأشياء لأجلك
وخلقتك لأجلي .

وقول الصادق عليه السلام: إنا خلقنا أنواراً، و خلقت شيعتنا من شعاع ذلك النور^(١) .

فأول ما خلق الله من نور عظمته، وبه أقام السماوات والأرضين وما فيهنّ وما
بينهنّ من الخيرات، ولأجله ألبس الجميع حلّة الوجود، وبوساطته فتح أبواب
الكرم والوجود، ولولاه لكن جميعاً في ظلمة العدم، ولأغلقت دونهنّ أبواب النعم
نوره عليه السلام، ثمّ تشعبت منه أنوار أوصيائه المعصومين، ثمّ أرواح الأنبياء من
المرسلين، ثمّ خلقت من شعاعها أرواح شيعتهم من الأوّلين والآخريين .

ونقل أنّ الله خلق شجرة ولها أغصان فسماها شجرة اليقين، ثمّ خلق نور
محمّد عليه السلام في حجاب من درّة بيضاء مثله كمثل الطاووس ووضع عليّ تلك
الشجرة، فسبح الله تعالى عليها مقدار سبعين ألف سنة، ثمّ خلق مرآة الحياء فوضع
باستقباله، فلمّا نظر الطاووس فيها رأى صورته أحسن صورة وأزين هيئة،
فاستحيا من الله تعالى، فسجد خمس مرّات، فصارت علينا تلك السجدة فرضاً
موقّتاً، فأمر الله تعالى خمس صلوات عليّ محمّد وأمتّه .

فالله تعالى نظر إلى ذلك النور، فغرق حياءً من الله تعالى، فمن عرق رأسه خلق
الله الملائكة، ومن عرق وجهه خلق العرش والكرسي واللوحة والقلم والشمس
والقمر والحجاب والكواكب وما كان في السماء، ومن عرق صدره خلق الأنبياء
والمرسلين والعلماء والشهداء والصالحين، ومن عرق ظهره خلق بيت المعمور
والكعبة وبيت المقدس ومواضع مساجد الدنيا، ومن عرق حاجبيه خلق أمتّه من

المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، ومن عرق أذنيه خلق أرواح اليهود والنصارى والمجوس وما أشبه ذلك، ومن عرق رجله خلق الأرض من المغرب إلى المشرق وما فيهما .

ثم قال الله تعالى: أنظر أمامك يا نور محمد، فنظر فرأى من أمامه نوراً، ومن ورائه نوراً، وعن يمينه نوراً، وعن يساره نوراً، وهم علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، سبحوا الله سبعين ألف سنة، ثم خلق نور الأنبياء من نور محمد، ثم نظر ذلك النور إلى ذلك النور فخلق أرواحهم، فقالوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله. الخبر وطوله (١).

ويؤيده: ما روي عنه عليه السلام أنه قال: يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا الحوآء ولا الخلق ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض (٢).

عن أخطب خوارزم من علماء الجمهور، عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله عليه السلام: لما خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه من روحه عطس، فقال: الحمد لله، فأوحى الله تعالى إليه: حمدني عبدي، وعزّتي وجلالي لولا عبدان أريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك .

قال: إلهي فيكونان مّني .

قال: نعم يا آدم، ارفع رأسك وانظر، فرفع رأسه، فإذا مكتوب على العرش «لا إله إلا الله، محمد رسول الله نبي الرحمة، وعلي مقيم الحجّة» من عرف حقّ علي زكي وطاب، ومن أنكر حقّه لعن وخاب، أقسمت بعزّتي أن أدخل الجنة من أطاعه

(١) لم أعر عليه في مظانّه .

(٢) إحقاق الحقّ ٥: ٩٢، بحار الأنوار ٢٥: ١٩ .

وإن عصاني، وأقسمت بعزّي أن أدخل النار من عصاه وإن أطاعني (١).

دليل آخر: في الكافي، عن أبي حمزة، قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: إنّ الله خلق محمّداً وعلياً وأحد عشر من ولده من نور عظمته، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره ليعبدونه قبل خلق الخلق، يسبّحون الله ويقدّسونه، وهم الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله (٢).

دليل آخر: في كتاب المناقب لابن شهر آشوب، وفي حديث أبي حمزة الثمالي، أنّه دخل عبد الله بن عمر على زين العابدين عليه السلام، وقال: يا بن الحسين أنت الذي تقول: إنّ يونس بن متى إنّما لقي من الحوت ما لقي لأنّه عرضت عليه ولاية جدّي، فتوقّف عندها.

قال: بلى تُكلتك أمك.

قال: فأرني آية ذلك إن كنت من الصادقين، فأمر بشدّ عينيه بعصابة وعيني بعصابة، ثمّ أمر بعد ساعة بفتح أعيننا، فإذا نحن على شاطئ البحر تضرب أمواجه. فقال ابن عمر: يا سيّدي دمي في رقبتك، الله الله في نفسي، قال: هنيئة وأريه إن كنت من الصادقين، ثمّ قال: يا أيّتها الحوت، قال: فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم، وهو يقول: لبيك لبيك يا ولي الله، فقال: من أنت؟ قال: حوت يونس يا سيّدي، قال: أنبئنا بالخبر.

قال: يا سيّدي إنّ الله تعالى لم يبعث نبياً من آدم إلى أن صار جدك محمّداً إلّا وقد عرض عليه ولايتكم أهل البيت، فمن قبلها من الأنبياء سلم وتخلّص، ومن

(١) المناقب للخوارزمي ص ٢٥٢ ط تبريز.

(٢) أصول الكافي ١: ٥٣٠ - ٥٣١.

تخلّف عنها وتتعتع في حملها لقي ما لقي آدم من المصيبة، وما لقي نوح من العرق، وما لقي إبراهيم من النار، وما لقي يوسف من الجبّ، وما لقي أيّوب من البلاء، وما لقي داود من الخطيئة إلى أن بعث الله يونس، فأوحى إليه أن يا يونس تولّ أمير المؤمنين عليه السلام الحديث (١).

دليل آخر: روى في الكافي، بإسناده عن عمران بن إسحاق الزعفراني، عن محمد بن مروان، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سمعته يقول: إنّ الله خلقنا من نور عظمته، ثمّ صورّ خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين، لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا، وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة، ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيباً إلاّ للأنبياء، فلذلك صرنا نحن وهم: الناس، وسائر الناس همج للنار وإلى النار (٢).

أراد بالناس أوّلاً الناس بحقيقة الإنسانية، وثانياً ما يطلق على الإنسان العام. وهذا الخبر كما ترى - والله الحمد - يدلّ على فضلهم على الأنبياء عليهم السلام فضلاً ظاهراً وكماً باهراً، بل يدلّ على مساواة شيعتهم الأنبياء، وهو كذلك على ما دلّت عليه الأخبار الكثيرة.

دليل آخر: فيه أيضاً: عن الصادق عليه السلام، قال: ما من نبي جاء قطّ إلاّ بمعرفة حقنا، وتفضيلنا على من سوانا (٣).

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ١٣٨ - ١٣٩.

(٢) أصول الكافي ١: ٣٨٩ ح ٢.

(٣) أصول الكافي ١: ٤٣٧ ح ٤.

وعنه عليه السلام: ولا يتنا ولاية الله التي لم يبعث نبي قط إلا بها (١).

دليل آخر: عنه عليه السلام: إن موسى عليه السلام سأل ربه عزّ وجلّ، فقال: يا ربّ اجعلني من أمة محمد عليه السلام، فأوحى الله إليه: يا موسى إنك لن تصل إلى ذلك (٢).

وجه الدلالة: إن موسى عليه السلام مع كونه من أولي العزم سأل الله عزّ وجلّ أن يجعله من أمة عليه السلام؛ لكونهم خير أمة أخرجت للناس، فلو كان أفضل من أمته لم يسأل ذلك، ولم يتمنّ أن ينحطّ عن درجته إلى أن يكون ممّن دونه، وإنّما قال ذلك ليصير ممّن هو أفضل منه، فيزداد محلاً إلى محلّه، وفضلاً إلى فضله.

ولا شكّ أنّ أمتنا عليها السلام أفضل من علماء أمته عليه السلام - كما مرّ - فضلاً عن غيرهم، فيلزم منه كونهم أفضل من موسى عليه السلام، وهو مستلزم لكونهم عليهم السلام أفضل من سائر أولي العزم أيضاً، وإلا يلزم خرق إجماع المركّب؛ إذ لا قائل بالفصل في هذا المقام، والحمد لله الملك المنان.

دليل آخر: عن الفضيل بن يسار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ في علي عليه السلام سنّة ألف نبي من الأنبياء، وإنّ العلم الذي نزل مع آدم لم يرفع، وما مات عالم فذهب علمه، والعلم يتوارث (٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام، أنّه قال: قال رسول الله عليه السلام: إنّ أوّل وصي كان عليّ وجه الأرض هبة الله بن آدم، وما من نبي مضى إلاّ وله وصي، وكان جميع الأنبياء مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي، منهم خمسة أولي العزم: نوح، وإبراهيم،

(١) أصول الكافي ١: ٤٣٧ ح ٣.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢: ٣١-٣٢.

(٣) أصول الكافي ١: ٢٢٢ ح ٤.

وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ، وإنّ علي بن أبي طالب عليه السلام كان هبة الله لمحمد، وورث علم الأوصياء وعلم من كان قبله، أما أنّ محمداً ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين الحديث (١).

وعن أبي عبدالله عليه السلام: إنّ سليمان ورث داود، وإنّ محمداً ورث سليمان، وإنّا ورثنا محمداً، وإنّ عندنا علم التوراة والإنجيل والزبور، وتبيان ما في الألواح. قلت: إنّ هذا هو العلم؟ قال: ليس هذا هو العلم، إنّ العلم الذي يحدث يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة (٢).

وعن أبي بصير، عنه عليه السلام، قال: قال لي: يا أبا محمد إنّ الله عزّ وجلّ لم يعط الأنبياء شيئاً إلّا وقد أعطاه محمداً، وقد أعطى محمداً جميع ما أُعطي الأنبياء، وعندنا الصحف التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (٣) قلت: جعلت فداك هي الألواح؟ قال: نعم (٤).

فإذا كان عندهم عليهم السلام جميع ما أعطاه الله الأنبياء من آدم وهلمّ جرّاً إلى محمّد، وكانوا مع ذلك أعظمهم منهم جميعاً لكونهم وارثي علومهم، وما عندهم ولهم بأسرها، فيكون كلّ منهم أفضل من كلّ منهم ومن المجموع من حيث هو أيضاً. لأنّ ما وجد في كلّ منهم وفي المجموع من حيث هو موجود في كلّ منهم عليهم السلام مع شيء زائد، وهو الكمالات والمزايا المختصّة بهم التي لم توجد في غيرهم.

(١) أصول الكافي ١: ٢٢٤ ح ٢.

(٢) أصول الكافي ١: ٢٢٤ - ٢٢٥ ح ٣.

(٣) سورة الأعلى: ١٩.

(٤) أصول الكافي ١: ٢٢٥ ح ٥.

والدليل على ذلك كله هو الروايات التي هي العمدة في ذلك الباب .

فعن الصادق عليه السلام: اجعلوا لنا رباً نؤوب إليه، ثم قولوا في فضلنا ما شئتم (١) .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: نزلونا عن الربوبية، ثم قولوا في فضلنا ما شئتم، فإنّ البحر لا ينزف، وسرّ الغيب لا يعرف، وكلمة الله لا يعرف (٢) .

وعنه عليه السلام: ولقد أعطيت خصلاً ما سبقني إليها أحد قبلي: علّمت المنايا والبلايا، والأنساب، وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عني، أبشّر بإذن الله، أوّدي عنه، كلّ ذلك من الله مكّني فيه بعلمه (٣) .

إلى غير ذلك ممّا هو مذكور في الكافي، ومروي عنهم عليهم السلام .

دليل آخر: في الكافي، عن الصادق عليه السلام، قال: ما جاء به عليّ آخذه، وما نهى عنه أنتهي عنه، جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد صلى الله عليه وآله، ولمحمد الفضل على جميع ما خلق الله .

ثم ساق الكلام إلى أن قال عليه السلام: كان أمير المؤمنين باب الله الذي لا يؤتى إلاّ منه، وسيله الذي من سلك بغيره يهلك (٤)، وكذلك يجري لأنّمة الهدى واحد بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجّته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى (٥) .

وجه الدلالة: إنّ قوله عليه السلام «جرى له من الفضل» يريد مساواتهما في الفضيلة

(١) بحار الأنوار ٢٥: ٢٨٣ .

(٢) بحار الأنوار ٢٥: ٢٧٠ و ٢٦: ١ .

(٣) أصول الكافي ١: ١٩٧ .

(٤) في الكافي: هلك .

(٥) أصول الكافي ١: ١٩٦ ح ١ .

العلمية والعملية والكمالات النفسانية، فيكون ذلك مصداق قوله تعالى: ﴿أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ أو في الفضل على الغير والإحسان إليه. ولمحمد صلى الله عليه وآله الفضل على جميع الخلق، فلعلي عليه السلام أيضاً الفضل على جميعهم قضاءً لحق المساواة .
 أو المراد أن له صلى الله عليه وآله الفضل على جميع الخلائق حتى علي عليه السلام أيضاً، رعاية لحق الأستاذ والإرشاد والتعليم، وكذا الكلام في سائر الأئمة عليهم السلام، بشهادة قوله «وكذلك يجري لأئمة الهدى» الحديث .

فصل

عن مرزوم، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال الله تبارك وتعالى: يا محمد إني خلقتك وعلياً نوراً - يعني: روحاً - بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تنزل تهللني وتمجّدني، ثم جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة، فكانت تمجّدني وتقديسني وتهللني، ثم قسّمتهما ثنتين، وقسّمت الثنتين بثنتين، فصارت أربعة: محمد واحد، وعلي واحد، والحسن والحسين ثنتين، ثم خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحاً بلا بدن، ثم مسحنا بيمينه، فأفضى نوره فينا^(١) .

وجه الدلالة: إن المراد بجعلهما واحدة :

إمّا بأن جعلهما متعلقين ببدن واحد نوراني برزخي بعد ما كانتا بلا بدن، كما يشعر به خبر جابر بن يزيد الجعفي، فيكون ذلك مصداق قوله تعالى: ﴿أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^(٢) وما تقرّر في مقرّره من حديث تساوي النفوس مع الأبدان .

(١) أصول الكافي ١: ٤٤٠ ح ٣ .

(٢) سورة آل عمران: ٦١ .

ويشعر به قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ (١) فإنّما هو في الأبدان العنصرية والأجسام المحفوفة بالكثافات الهولانية في العوالم الشهودية الخلقية الناسوتية، لا في الأبدان النورية البرزخية في العوالم الآمرية الملكوتية اللاهوتية .

وإنّما بأن يكون ذلك كناية عن شدّة ارتباطها معنوياً، فكأنّهما جعلتا واحدة . ويؤيّد: ما رواه أحمد بن حنبل، في مسنده، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم بعرفات وعليّ تجاهه: أدن منّي يا عليّ، خلقت أنا وأنت من شجرة واحدة، فأنا أصلها وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلّق بغصن منها أدخله الله الجنّة (٢) .

وعن ابن عبّاس، قال: كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ، فأقبل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ: مرحباً بمن خلق قبل أبيه آدم بأربعين ألف عام، فقلنا: يا رسول الله أكان الابن قبل الأب؟ فقال: نعم إنّ الله خلقتني وعلياً نوراً واحداً قبل خلق آدم بهذه المدّة، ثمّ قسّمه نصفين، ثمّ خلق الأشياء من نوري ونور عليّ، ثمّ جعلنا عن يمين العرش، ثمّ خلق الملائكة وسبّحنا فسبّحت الملائكة، وكبرنا فكبروا، فكلّ شيء سبح الله وكبر، فإنّ ذلك من تعليمي وتعليم عليّ (٣) . وعليّ أيّ تقدير من التقديرين المذكورين تدلّ دلالة ظاهرة على ما نحن بصدد إثباته، فتفكّر تعرف .

(١) سورة الأحزاب: ٤ .

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٢٩٧ .

(٣) بحار الأنوار ٢٥: ٢٤ .

دليل آخر: قوله ﷺ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيئته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى علي عليه السلام (١).

وجه الدلالة: إنه أوجب مساواته للأنبياء في معظم صفاتهم، ولا ريب أن من هو مستجمع لعمدة صفات أولئك يكون أفضل من كل منهم.

وبالجملة لا كلام لأحد من المخالف والمؤلف في عموم مناقبه، ووفور فضائله، واتصافه بالكمالات النفسانية والبدنية: من العلم، والسخاوة، والشجاعة، وحسن الخلق، والحلم، ومزيد القوة، وشدة البأس، والنصب والتعب في الله، إلى غير ذلك من الصفات والكمالات المذكورة في الكتب المبسطة.

فلما كانت تلك الصفات بأجمعها موجودة فيه، ولا توجد في غيره إلا بعض منها، كان هو أكثر ثواباً منهم، وأكرم عند الله، ولا نعني بالأفضل إلا ذلك كما مرّ غير مرة.

دليل آخر: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (٢).

وجه الدلالة: إنه روى الحافظ أبو نعيم، بإسناده إلى ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية، قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: هم أنت وشيعتك تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضباناً مقمحين (٣).

(١) بحار الأنوار ٣٩: ٣٩، إحقاق الحق ١٥: ٦١٢.

(٢) سورة البينة: ٧.

(٣) إحقاق الحق ٣: ٢٩١.

فلما كان خير البرية وجب أن يكون هو الأفضل من كلّ البرية إلّا من أخرجه الدليل، وهو النبي ﷺ، ويبقى الباقي بحاله لعدم المعارض .

دليل آخر بل أدلة أخرى: عن ابن عباس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لَمَّا أُسْرِي بِي إِلَى السَّمَاءِ مَا مَرَرْتُ بِمَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا وَيَسْأَلُنِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ اسْمَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي السَّمَاوَاتِ أَشْهَرُ مِنْ اسْمِي .

فلَمَّا بَلَغْتَ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةَ نَظَرْتُ إِلَى مَلِكِ الْمَوْتِ، فَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا إِلَّا وَأَنَا أَقْبَضُ رُوحَهُ إِلَّا أَنْتَ وَعَلِيٌّ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ يَقْبِضُ رُوحَيْكُمَا، وَجَزَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ إِذَا أَنَا بَعْلِي بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَقْفًا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَقُلْتُ: يَا عَلِيُّ سَبَقْتَنِي، فَقَالَ جَبْرَائِيلُ: مِنْ هَذَا الَّذِي تَكَلَّمَهُ يَا مُحَمَّدُ؟ فَقُلْتُ: هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

فقال: يا محمد ليس هذا علي بن أبي طالب، ولكنّه ملك من الملائكة خلقه الله عليّ صورة علي بن أبي طالب، فحنّ الملائكة المقربون كلّما اشتقنا إلى وجه علي ابن أبي طالب زرنا هذا الملك لكرامة علي بن أبي طالب على الله سبحانه (١) .

وهذا الحديث مذكور أيضاً في كتب المخالفين، مع تغيير وتفاوت وزيادة ونقصان، حيث إنهم رووا عن النبي ﷺ أنّه قال: مررت ليلة المعراج بقوم شرّ (٢) أشدّاقهم، فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء يقطعون الناس بالغيبة، قال:

(١) بحار الأنوار ١٨: ٣٠٠.

(٢) في النهاية: في حديث الرّوياً «فشرّ شدّته إلى قفاه» أي: تشقّقه وتقطّعه. وفيها في حديث الرّوياً أيضاً «فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا» أي: ضحوا واستغاثوا، والضوضاء أصوات الناس وغلبتهم وهي مصدر. إنتهى «منه» .

ومررت بقوم وقد ضوضوا، فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الكفار .
 قال: ثم عدلنا عن ذلك الطريق، فلما انتهينا إلى السماء الرابعة رأيت علي
 يصلي، فقلت لجبرئيل: يا جبرئيل هذا علي قد سبقنا، قال: لا، ليس هذا علي،
 قلت: فمن هو؟ قال: إن الملائكة المقربين والملائكة الكروبيين لما سمعت فضائل
 علي وسمعت قولك فيه «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»
 اشتاقت إلى علي، فخلق الله عز وجل لها ملكاً على صورة علي، فإذا اشتاقت إلى
 علي جاءت إلى ذلك الملك، فكانت قد رأت علياً (١).

ولا يخفى على المتأمل الصادق دلالته أولاً وآخرأً على أية طريق أخذ على
 فضله عليه السلام على غيره جميعاً .

ومنه حديث الطائر المشوي المروي عن أنس بن مالك، حيث رفع رسول
 الله صلى الله عليه وآله يديه، وقال: اللهم ائني بأحب خلقك يأكل معي من هذا الطائر الحديث (٢).
 فإنه يدل على أنه عليه السلام أفضل من جميع ما خلقه الله عز وجل، وخرج النبي صلى الله عليه وآله
 بالإجماع والنصوص المتواترة، ودلت على فضله الأخبار المستفيضة الدالة على
 مباهاة الله به عليه السلام ليلة المبيت ويوم أحد، وقوله جبرئيل عليه السلام «أنا منكما» وسيجيء
 إن شاء الله تعالى .

دليل آخر: روى ابن عبد البر وغيره من السنة في قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ
 أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ قال: إن النبي صلى الله عليه وآله ليلة أسري به جمع الله بينه وبين
 الأنبياء، ثم قال له: سلهم يا محمد على ماذا بعثتم؟ فقالوا: بعثنا على شهادة أن لا

(١) بحار الأنوار ٣٩: ٩٧ .

(٢) الطرائف ص ٧٢، بحار الأنوار ١٠: ٤٣١ و ٣١: ٣٥٠ و ٣٨: ٣٥٦ .

إله إلا الله، وعلى الإقرار بنبوّتك، والولاية لعلي بن أبي طالب (١).

وعن الكاظم عليه السلام، قال: ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، وما بعث الله رسولاً إلا بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله ووصية علي عليه السلام (٢).

دليل آخر: قول النبي صلى الله عليه وآله: لضربة علي يوم الخندق خير من عبادة الثقلين (٣). وإذا كان المراد بالأفضل الأكثر ثواباً، فهذا الحديث كافٍ في الدلالة على أفضليته عليه السلام من الثقلين، ومنهم الأنبياء ثم أولي العزم، وخرج النبي صلى الله عليه وآله منهم لما سبق، وبقي الباقي بحاله، لانتفاء المعارض كما سبق.

قال ربيعة السعدي: أتيت حذيفة بن اليمان، فقلت: يا أبا عبد الله إنا نتحدّث عن علي عليه السلام ومناقبه، فيقول أهل البصرة: إنكم لتفرّطون في علي عليه السلام، فهل تحدّثني بحديث؟ فقال حذيفة: والذي نفسي بيده لو وضع جميع أعمال أصحاب محمد صلى الله عليه وآله (٤) في كفة الميزان منذ بعثه الله إلى يوم القيامة، ووضع عمل علي في الكفة الأخرى، لرجّح عمله على جميع أعمالهم.

فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد.

فقال حذيفة: يا لكع وكيف لا يحمل وأين كان لأبي بكر وعمر وجميع أصحاب محمد مقاومة عمرو بن عبد ودّ وقد دعا إلى المبارزة، فأحجم الناس كلّهم ما خلا علياً، فإنّه نزل إليه فقتله، والذي نفس حذيفة بيده لعمله في ذلك اليوم أعظم أجراً

(١) إحقاق الحقّ ٣: ١٤٤ - ١٤٥ عنه.

(٢) أصول الكافي ١: ٤٣٧ ح ٢.

(٣) المناقب للخوارزمي ص ١٠٤، الطرائف ص ٦٠، بحار الأنوار ٣٩: ١.

(٤) في بعض النسخ: أمة محمد صلى الله عليه وآله.

من عمل أصحاب محمد عليهم السلام إلى يوم القيامة (١).

دليل آخر: وهو ما روي عن أبي ذرّ، قال: نظر النبي إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: خير الأوّلين والآخريّن من أهل السماوات والأرضين، هذا سيّد الصديقين، وسيّد الوصيين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، إذا كان يوم القيامة جاء عليّ ناقة من نوق الجنّة، قد أضاءت القيامة من نورها، عليّ رأسه تاج مرصّع بالزبرجد والياقوت، فيقول الملائكة: هذا ملك مقرّب، ويقول النبيون: هذا نبي مرسل.

فينادي منادٍ من بطنان العرش: هذا الصديق الأكبر، هذا وصي حبيب الله ربّ العالمين، هذا علي بن أبي طالب، فيجيء حتّى يقف عليّ متن جهنّم، فيخرج منها من يحبّ، ويأتي أبواب الجنّة، فيدخل فيها أولياءه بغير حساب (٢).

دليل آخر: عن عمّار بن ياسر، عن أبيه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: إنّ حافظي علي بن أبي طالب ليفتخران عليّ جميع الحفظة لكنينوتهما مع علي، وذلك أنّهما لم يصعدا إلى الله عزّ وجلّ بشيء يسخطه الله تبارك وتعالى (٣).

وجه الدلالة: إنّ حافظيه عليهم السلام إنّما يفتخران عليّ جميع الحفظة لكونه أكثر ثواباً من غيره جميعاً، إلاّ النبي صلى الله عليه وآله لما مرّ، فلمّا كان أكثر ثواباً كان أفضل منهم؛ لأنّنا لا نعني بالأفضل إلاّ من كان ثوابه أكثر من ثواب غيره، كما مرّ مراراً، قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٤).

(١) بحار الأنوار ٣: ٣٩.

(٢) بحار الأنوار ٢٧: ٣١٥، وإحقاق الحقّ ٤: ٤٩٨ - ٤٩٩.

(٣) بحار الأنوار ٣٨: ٦٥، تاريخ بغداد ١٤: ٤٩.

(٤) سورة الحجرات: ١٣.

٣٦٠..... ذريعة النجاة من مهالك تتوجّه بعد الممات

دليل آخر: عنه عليه السلام: يا علي إنك سيّد المرسلين، ويعسوب الدين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين (١).

وروى الخوارزمي عن ابن عباس، قال: نظر النبي عليه السلام إلى علي عليه السلام، فقال: أنت سيّد في الدنيا وسيّد في الآخرة، من أحبّك فقد أحبّني، وحبيبي حبيب الله عزّ وجلّ، وعدوك عدوّي، وعدوّي عدوّ الله عزّ وجلّ، ويل لمن أبغضك من بعدي (٢).

وعن أخطب بن محمّد، قال: قال رسول الله عليه السلام: لما كان ليلة أسري بي إلى السماء، فإذا قصر أحمر ياقوته تلاًلاً، فأوحى ربّي في علي: إنه سيّد المسلمين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين (٣).

وعن أسعد بن زرارة، قال: قال رسول الله عليه السلام: انتهيت ليلة أسري بي إلى سدرة المنتهى، فأوحى ربّي في علي ثلاثاً: إنه إمام المتّقين، وسيّد المسلمين، وقائد الغرّ المحجّلين إلى جنّات النعيم (٤).

وجه الدلالة: إنّ السيّد معناه الملك، ويقال لملك القوم: سيّد وقد سادهم. وقيل لقيس بن عاصم: بم سدت قومك؟ قال: يبذل الندى، وكفّ الأذى، وقصر المولى. وقال النبي عليه السلام: علي سيّد العرب، فقالت عائشة: يا رسول الله أأنت سيّد العرب؟ فقال: أنا سيّد ولد آدم وعلي سيّد العرب، فقالت: يا رسول الله وما السيّد؟

(١) بحار الأنوار ٦٥: ١٥٤، وإحقاق الحق ٢٠: ٣١٧.

(٢) المناقب للخوارزمي ص ١٢٨.

(٣) المناقب للخوارزمي ص ٢٢٩.

(٤) إحقاق الحق ٢٠: ٤١٦.

فقال: من افترض طاعته كما افترض طاعتي. هكذا أورد ابن فهد في أواخر عدة الداعي في فصل شرح فيه أسماء الله تعالى^(١).

فعلى هذا الحديث السيد هو الملك المفترض الطاعة، ولما كان علي عليه السلام على ما يدلّ عليه الأحاديث السالفة سيّد المرسلين والمسلمين في الدنيا والآخرة، افترضت عليهم طاعته، كما افترضت عليهم طاعة الرسول، وإذا افترضت عليهم طاعته كان هو أفضل منهم، وإلا يلزم تفضيل المفضول على الفاضل، وترجيح المرجوح على الراجح، وهو قبيح عقلاً ونقلًا ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٢).

دليل آخر: وهو قول علي عليه السلام: والله لو كسرت لي الوسادة، ثمّ جلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الانجيل بانجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، والله ما نزلت من آية في برّ أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو ليل أو نهار إلا أنا أعلم في من نزلت وفي أيّ شيء نزلت^(٣).

ثمّ وجه الدلالة من الحديث المذكور أنه عليه السلام لما كان أعلم من غيره كما يلزم منه إلا النبي صلى الله عليه وآله - لما مرّ ولما سيجيء - كان أفضل؛ لقوله جلّ وعزّ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤) الآية وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

(١) عدة الداعي ص ٣٠٥.

(٢) سورة يونس: ٣٥.

(٣) بحار الأنوار ٣٥: ٣٩١، إحقاق الحق ١٧: ٤٦١.

(٤) سورة الزمر: ٩.

مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴿١﴾ ويدلّ على كونه ﷺ أعلم من غيره إلا من استثنى. وقد عرفت قوّة حدسه، وشدّة ملازمته للرسول ﷺ؛ لأنّه في صغره كان في حجره، وفي كبره كان ختناً له يدخله في كلّ وقت، وقد سدّ أبواب كلّ من كانوا في المسجد إلا بابه، وكثرة استفادته منه؛ لأنّ النبي ﷺ كان في غاية الحرص على تعليمه وإرشاده (٢)، وقد قال حين نزل قوله تعالى: ﴿وَتَعْبَهَا أُذُنٌ وَأَعْيَةٌ﴾ (٣) اللهم اجعلها أذن علي، وقال ﷺ: ما نسيت بعد ذلك شيئاً (٤).

وقال: علّمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم فانفتح من كلّ باب ألف باب (٥). وعن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر ﷺ يقول: نزل جبرئيل ﷺ على محمد ﷺ برمانتين من الجنّة، فلقبه علي ﷺ، فقال: ما هاتان الرمانتان اللتان في يدك؟ فقال: أمّا هذه فالنبوّة ليس لك فيها نصيب، وأمّا هذه فالعلم، ثمّ فلحقها رسول الله ﷺ بنصفين فأعطاه نصفها، وأخذ رسول الله ﷺ نصفها.

(١) سورة المجادلة: ١١.

(٢) والحاصل أنّه ﷺ كان في غاية الذكاء والفتانة، شديد الحرص على العلم، عظيم الملازمة لرسول الله ﷺ ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاراً، من صغره إلى حين مفارقتة، وهو إكمال أشخاص أكثر علماً وفضلاً، ومن المعلوم بالضرورة أنّ مثل هذه الملازمة لهذا المعلّم الكامل مع شدّة حرص المعلّم على التعليم والمتعلّم على التعلّم، فإنّ التلميذ يكون في غاية الكمال ونهاية العلم والإفضال، وهذا برهان قطعي لا يمكن الخلاف فيه إلا لمن يعاند الحقّ ويذهب حيث يشاء ﴿قَدَرَهُمْ يَخَوْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُيْلَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ «منه».

(٣) سورة الحاقّة: ١٢.

(٤) إحقاق الحقّ ٣: ١٤٩.

(٥) إحقاق الحقّ ٤: ٣٤٢ و ٦: ٤٠ - ٤٥.

ثم قال: أنت شريكى فيه وأنا شريكك فيه، قال: فلم يعلم والله رسول الله حرقاً ممّا علّمه الله عزّ وجلّ إلاّ وقد علّمه علياً عليهما وآلهما السلام، ثمّ انتهى العلم إلينا، ثمّ وضع يده على صدره (١).

وهاهنا أدلّة أخرى أعرضنا عن ذكرها خوف الإطالة، مع كوننا كاتبين لهذه الرسالة على سبيل العجالة، وصلى الله على خير خلقه سيّدنا محمّد وآله النبالة.

فصل

في ذكر نبذ من الأدلّة الدالّة على كونهم عليهم السلام

أفضل من الملائكة المقربين

بعد أن ثبت كونهم أفضل من الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وإن كان ذلك من لوازم ما قد سبق من الأخبار السابقة والأدلة السالفة، لكننا نذكر جملة أخرى منها تأكيداً لمبانيها، وتشبيهاً لمعانيها، لما فيه من التصريح بما قد علم ضمناً.

فنقول: قد ورد في حديث طويل، عن النبي عليه وآله السلام: إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عزّ وجلّ عبودية، ولآدم إكراماً وطاعة، لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة؟ وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون (٢).

سجود آدم خاكي از آن شد بر ملك واجب

که بودش بر جبین مهر علی بن ابی طالب

(١) أصول الكافي ١: ٢٦٣ ح ٣.

(٢) بحار الأنوار ١١: ١٤٠ عن العيون.

ملك در سجدهٔ آدم زمين بوس تو نيت كرد

که در طور تو چیزی یافت بیش از حد انسانی

ثمّ لا يخفى أنّ هذا الحديث صريح في أنّ المأمور به كان سجود كرامة وتعظيم لا سجود تحية وزيارة، كما يدلّ عليه أيضاً إباء إبليس معللاً بأنّه خير من آدم لكونه من نار وآدم من طين .

فما يقال: يجوز أن يكون الأمر بسجدة آدم للتحية والزيارة لا للتعظيم والتكريم، وزيارة الفاضل للمفضول جائزة، فلم يفهم من أمر الله تعالى الملائكة بسجدة آدم أفضليته من الملائكة. مدفوع .

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لمّا أُسري برسول الله صلى الله عليه وآله، وحضرت الصلاة، أذن جبرئيل وأقام الصلاة، فقال: يا محمد تقدّم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: تقدّم يا جبرئيل، فقال: إنّنا لا نتقدّم على الآدميين منذ أمرنا بالسجود لآدم (١).

وعن الباقر عليه السلام: إنّ في السماء لسبعين صفّاً من الملائكة لو أجمع أهل الأرض كلّهم يحصون عدد كلّ صفّ منهم ما أحصوه، وإنّهم ليدنون بولايتنا (٢).

وعن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لمّا كان يوم أحد انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، حتّى لم يبق معه إلّا عليّ وأبودجانة سمّاك بن خرشة، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: يا أبادجانة أما ترى قومك؟ قال: بلى. قال: ألحق بقومك .

وساق الكلام إلى أن قال عليه السلام: حتّى انكسر سيفه - يعني: عليّاً عليه السلام - فجاء إلى

(١) علل الشرائع ص ٨ ح ٤، بحار الأنوار ٢٦: ٣٣٨ و ٨١: ١٦٨ .

(٢) أصول الكافي ١: ٤٣٧، بحار الأنوار ٢٦: ٣٣٩ .

النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله إنَّ الرجل يقاتل بسلاحه وقد انكسر سيفي، فأعطاه سيفه ذو الفقار، فما زال يدفع به عن رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أثر وأنكر، فنزل عليه جبرئيل، وقال: يا محمد إنَّ هذه لهي المواساة من علي لك .

فقال النبي صلى الله عليه وآله: إنَّه منِّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما، وسمعوا دويًّا من السماء: لا سيف إلاَّ ذو الفقار ولا فتى إلاَّ علي (١).

فقول جبرئيل «وأنا منكما» تمنِّي منه لأن يكون منهما، فلو كان أفضل منهما لم يقل ذلك .

دليل آخر: ما سبق في ذيل حديث موسى على نبينا وآله وعليه السلام .
وأما قول الزمخشري في ذيل كريمة: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٢) الآية: وناهيك بهذا دليلاً على مباينة منزلة جبرئيل عليه السلام لمنزلة أفضل الإنس محمد صلى الله عليه وآله إذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما، وقايست بين قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ وبين قوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ (٣).

فمدفوع، بأنَّ هذا الكلام ممَّا اقتضاه هذا المقام؛ لأنَّ المشركين لمَّا بهتوا رسول الله صلى الله عليه وآله، ورموه بالجنون ونسبوه إليه، وقالوا: إنَّ الذي جاء به ممَّا ألقاه إليه الشيطان، كما يلقي نظائره إلى الكهنة، ردَّ الله سبحانه عليهم بأنَّ صاحبكم الذي يدعوكم إلى الله وطاعته ليس بجنون، وإنَّ القرآن الذي جاءكم به ليس بقول

(١) علل الشرائع ص ٧ ح ٣، بحار الأنوار ٢٠: ٧٠.

(٢) سورة الحاقة: ٤٠، والتكوير: ١٩.

(٣) الكشاف ٤: ٢٢٥.

شيطان ألقاه إليه كما زعمتم، بل هو قول رسول كريم، إلى آخر ما وصفه به .
 وهذا لا يدلّ على انحطاط درجته ﷺ عن درجته ﷺ كما لا يخفى، مع أنّه معارض بمثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١) وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٢) خرج من آلهمما غير الأنبياء بالإجماع، فيكون آدم ونوح وجميع الأنبياء مصطفين على العالمين ومنهم الملائكة؛ إذ لا مخصّص لهم من العالمين، ولا جهة لتفسيره بالكثير من المخلوقات .

وبالجملة أدلّة المعتزلة قاصرة، وحججهم داحضة، فالحقّ في تلك المسألة ما ذهب إليه الأشاعرة من أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة، ولهذا اختاره شيخ المحقّقين نصير الملّة والدين الطوسي قدّس الله روحه القدّوسي (٣) .
 هذا، وفي كلام له ﷺ: ولقد أقرّرت لي جميع الملائكة والروح بمثل ما أقرّوا لمحمّد ﷺ (٤) .

وعن عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبد الله ﷺ، فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين ﷺ: إنّ الله عزّ وجلّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم (٥) .

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧ .

(٢) سورة آل عمران: ٣٣ .

(٣) تجريد الاعتقاد ص ٢١٧ .

(٤) أصول الكافي ١: ١٩٧، بحار الأنوار ٢٥: ٣٥٢ .

(٥) علل الشرائع ص ٤، بحار الأنوار ٥٧: ٢٩٩ .

والحاصل أن للبشر أموراً مضادة للقوة العقلية، وشواغل من الطاعات العملية، كالشهوة والغضب، وسائر الحاجات الشاغلة، والموانع الخارجة والداخلية، ومواظبته على العبادات وتحصيل الكمالات بالقهر والغلبة على ما يصاده القوة العقلية، يكون أشقّ وأبلغ في استحقاق الثواب .

ولذلك ورد في الخبر: أفضل الأعمال أحزمها^(١). ولا معنى للأفضلية سوى زيادة استحقاق الكرامة والثواب في يوم يكون فيه إلى الله المرجع والمآب .

فصل

[مناقب أهل البيت عليهم السلام في أخبار العامة]

وإذ قد بلغ الكلام إلى هذا المقام، فلنذكر نبذاً آخر من الأحاديث التي روتها العامة، ممّا تدلّ على فضلهم عليهم السلام على غيرهم فضلاً ظاهراً باهراً، ومع ذلك هؤلاء الكفار الفجّار الأشرار ينكرون فضلهم وإمامتهم، ويقدمون بل يفضلون عليهم من ليست لهم درجة الكناسة، فضلاً عن أن يكون لهم رتبة الإمامة والخلافة، ولا سيّما علي بن أبي طالب عليه السلام الذي نزلت فيه النصوص الظاهرة والآيات الباهرة الدالة على استحقاقه للإمامة والخلافة .

از رتبه صوری خلافت مقصود جز عرض کمال اسد الله نبود
صفری دو سه کز فتاد بیش الفی پیداست که رتبه کدامین افزود
فلو نظر المخالفون لأهل البيت بعقول صحيحة وقلوب سليمة إلى حال علي
ابن أبي طالب عليه السلام، لعلموا قطعاً أنه لو لم ينصّ النبي صلى الله عليه وآله عليه بالخلافة، لكانت ذاته
الظاهرة، وصفاته الباهرة، ومناقبه العالية، ومذاهبه الشافية، قاضية بأنّها نصوص

صريحة عليه بالخلافة .

ولقد بلغت خصائصه إلى أن التبس على جمّ غفير وجمع كثير من العقلاء، واعتقدوا أنه فاطر الأرض والسماء، وخالق الأموات والأحياء .

وقيل: هو إله معبود، أو عبد محمود .

لو أنّ المرتضى أبدى محلّه لأضحى الناس طرّاً سجّداً له كفى في فضل مولانا علي وقوع الشكّ فيه أنّه الله ومات الشافعي وليس يدري علي ربّه أم ربّه الله .

قال الجاحظ وهو أعظم الناس عداوة لأمير المؤمنين عليه السلام، بعد كلام طويل في بيان قوله عليه السلام «نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد»^(١): فأما علي فلو أوردنا لأيامه الشريفة، ومقاماته الكريمة، ومناقبه السنية، لأفينا في ذلك الطوامير الطوال، العرق صحيح، والشأن عظيم، والعمل جسيم، والعلم كثير، والبيان عجيب، واللسان خطيب، والصدر رحيب، فأخلاقه وفق أعرافه، وحديثه يشهد لقديمه^(٢). هذا قول عدّوه .

ونعم ما قال ابن الجوزي بعد ما سئل عن فضائله عليه السلام: ما أقول في رجل كتمت أحباؤه فضائله خوفاً وفرقاً، وكتمت أعداؤه فضائله بغياً وحسداً، وظهر ما بين الكتمين ما ملأ الخافقين .

با كبريای قدر تو مكر مخالفان

چون معجزات و سحر و کليم است و سامری

(١) إحقاق الحقّ ٩: ٣٠٤ و ٣٧٨ و ١٨: ٤٤٣ .

(٢) كشف الغمّة ١: ٣٠، وكشف اليقين ص ١٩٣ ونهج الحق ص ٢٥٣ .

سئل خليل بن أحمد ما الدليل على أن علياً إمام الكل؟ قال: احتياج الكل إليه، واستغناؤه عن الكل دليل على أنه إمام الكل.

وقال عمر بن الخطّاب: عقلت النساء، فلا يلدن مثل علي، فليس لمستثنٍ أن يقول إلاّ أنّه، ولا لمستدرِك أن يقول لكنّه.

تعريف علي به گفتگو ممکن نیست گنجایش بحر در سبو ممکن نیست من ذات علي به واجبی نشناسم اما دانم که مثل او ممکن نیست

وفي كتاب المناقب: عن الحارث، قال: بلغنا أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان في جمع من أصحابه، فقال: أريكم آدم في علمه، ونوحاً في فهمه، وإبراهيم في خلته، فلم يكن بأسرع من أن طلع علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال أبو بكر: يا رسول الله أقست رجلاً بثلاثة من الأنبياء يخ بخ بهذا الرجل، من هو يا رسول الله؟ قال النبي صلى الله عليه وآله: ألا تعرفه يا أبابكر؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أبو الحسن علي بن أبي طالب. فقال أبو بكر: يخ بخ لك يا أبا الحسن، وأين مثلك يا أبا الحسن (١).

وقال بعض الشعراء وقد لاموه في تركه مدح علي عليه السلام:

لا تلمني في ترك مدح علي أنا أدري بالأمر منك وأخبر
إنّ أهل السماء والأرض في العجز سواء عن حصر أوصاف قنبر
آن که اورا بر امير المؤمنين دانی امير کافرم گر کفش قنبر می تواند داشتن
وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو أنّ الرياض أقلام، والبحر مداد، والجنّ حساب، والإنس كتاب، ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب (٢).

(١) المناقب للخوارزمي ص ٥٣.

(٢) إحقاق الحقّ ٤: ٣٩٠ و ١٥: ٦٠٩ - ٦١٠ و ٩: ٦٤٢.

۳۷۰..... ذریعة النجاة من مهالك تتوجّه بعد الممات

کتاب فضل تورا آب بحر کافی نیست که ترکی سرانگشت و صفحه بشمارى
ونعم ما قال العارف الرومي :

رومی نشد از سرّ علی کس آگاه زآن سان که نشد کس آگه از سرّ اله
یک ممکن این همه صفات واجب لا حول ولا قوّة الا بالله
وروی أحمد بن حنبل في مسنده، قال: قال رسول الله ﷺ: كنت أنا وعلي بن
أبي طالب نوراً بين يدي الله من قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق
آدم قسم ذلك النور جزئين، فجزء أنا وجزء علي (۱).

وفي حديث آخر، عن ابن المغازلي الشافعي: فلما خلق آدم ركب ذلك النور
في صلبه، فلم نزل في نور واحد حتى افترقنا في صلب عبدالمطلب، ففي النبوة
وفي علي الخلافة (۲).

پیدا نبود از گل آدم نشان هنوز کایزد به عرش نام علی آشکار کرد
عنه ﷺ: خلقت أنا وعلي من نور واحد (۳).

ومن هنا ترى الحكيم السنائي يقول :

هر دو یک قبله و خرشان دو هر دو یک روح و کالبدشان دو
هر دو یک درّ و یک صدف بودند هر دو پیرایه شرف بودند
دو رونده چو اخترگردون دو برادر چه موسی و هارون
وروی الخوارزمي المسمّى عندهم صدر الأئمة موقّق بن أحمد المالکي في

(۱) لسان المیزان: ۶، ۳۷۷، والمناقب للخوارزمي ص ۴۶ .

(۲) المناقب لابن المغازلي ص ۸۹ .

(۳) ینابيع المودّة ص ۲۵۶ .

كتابه، بإسناده عن أبي سليمان راعي رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: سمعته يقول: ليلة أُسري بي إلى السماء، قال لي الجليل جلّ جلاله: ﴿أَمَنَّ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ فقلت: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ قال: صدقت يا محمّد من خلّفت في أمّتك؟ قلت: خيرها، قال: علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم يا ربّ .

قال: يا محمّد إنّي أطّلت على الأرض أطّلاعة فاخترتك منها، فشققت لك إسماً من أسمائي، فلا أذكر في موضع إلاّ ذكرت معي، فأنا المحمود وأنت محمّد. ثمّ أطّلت الثانية، فاخترت منها علياً، فشققت له إسماً من أسمائي، فأنا الأعلى وهو علي .

يا محمّد إنّي خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ولده من نور من نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات والأرض، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الكافرين .

يا محمّد لو أنّ عبداً من عبيدي عبدني حتّى ينقطع، أو يصير كالشنّ^(١) البالي، ثمّ أتاني جاحداً لولايتكم، ما عفوت له حتّى يقرّ بولايتكم .

يا محمّد تحبّ أن تراهم؟ قلت: نعم يا ربّ، فقال: إنّفت عن يمين العرش، فالفتت فإذا بعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمّد بن علي، وجعفر بن محمّد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمّد بن علي، وعلي بن محمّد، والحسن بن علي، والمهدي في صحاح^(٢) من نور قيام يصلّون

(١) قال في النهاية: فيه «إنّه أمر بالماء ففرس في الشنان» الشنان: الأسقية الخلقة، واحدها شنّ وشنّة، وهي أشدّ تبريداً للماء من الجدّ «منه» .
(٢) أي: في نور رقيق «منه» .

وهو في وسطهم - يعني: المهدي - كأنه كوكب دري .

وقال: يا محمد هؤلاء الحجج، وهو الثائر من عترتك، بعزّتي وجلالي إنّه الحجّة الواجبة لأوليائي، والمنتقم من أعدائي (١).

وبالإسناد عن سعيد بن بشير، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا واردكم على الحوض، وأنت يا علي الساقى، والحسن الذائد، والحسين الأمر، وعلي بن الحسين الفارط، ومحمد بن علي الناصر، وجعفر بن محمد السائق، وموسى بن جعفر محصي المحييين والمبغضين وقامع المناقين، وعلي بن موسى مزين المؤمنين، ومحمد بن علي منزل أهل الجنّة في درجاتهم، وعلي بن محمد خطيب شيعته ومزوّجهم حور العين، والحسن بن علي سراج أهل الجنّة يستضيؤون به، والهادي المهدي شفيعهم يوم القيامة حيث لا يأذن الله إلا لمن يشاء ويرضى (٢).

وأمثال هذه الروايات الدالّة على فضائلهم وإمامتهم عليهم السلام كثيرة في صحاحهم السنّة، وقد مرّ نبذ منها في الأبواب السالفة، وذكرنا نبذاً آخر منها في تعليقاتنا وشرحنا على دعاء الصباح مع أحاديث واردة في طريقنا، وأشبعنا الكلام فيهما مع ذكر أبيات عربية وفارسية واردة في الطريقتين معاً، فمن أراد الاطلاع عليهما فليرجع إليهما، وإلى الله المرجع والمآب .

وصلّى الله على محمد وعترته الأطياب ما تعاقبت الأيام، وتناوبت الأعوام، وما خطرت الأوهام، وتدبّرت الأفهام، وبقي الأنام .

(١) ينابيع المودّة عنه ٣: ١٦٠ ط بيروت، وبحار الأنوار: ٣٦: ٢٦٢ .

(٢) بحار الأنوار ٣٦: ٢٧٠ .

فصل

[مناقب فاطمة الزهراء عليها السلام]

وأما فاطمة الزهراء وسيّدة النساء - صلوات الله وسلامه عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها - فقد ورد في شأنها العزيز: إنّها سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخريين (١).

وفي صحيح محمّد بن إسماعيل البخاري في مناقبها عليها السلام، قال النبي صلى الله عليه وآله: فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة (٢).

وفيه أيضاً: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها فقد أغضبني (٣).

وفي صحيح مسلم، بإسناده عن المسور بن مخرمة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها (٤).

وفيه أيضاً: عن مسروق، عن عائشة، قالت: كنّ أزواج رسول الله عنده لم يغادر منهنّ واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله شيئاً، فلمّا رآها رحّب بها، فقال: مرحباً بابنتي، وأجلسها عن يمينه أو عن شماله الحديث (٥).

وفي الجمع بين الصحاح الستّة لرزين العبدري، بإسناده، قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله سارّ

(١) من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٧٢، تهذيب الأحكام ٦: ١٠، بحار الأنوار ٤٣: ٤٧.

(٢) صحيح البخاري ٤: ٢٠٣.

(٣) صحيح البخاري ٥: ٢١ و ٢٩.

(٤) صحيح مسلم ٤: ١٩٠٣.

(٥) صحيح مسلم ٤: ١٩٠٤.

٣٧٤..... ذريعة النجاة من مهالك تتوجّه بعد الممات

فاطمة وقال لها: ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء العالمين، أو سيّدة نساء هذه الأُمَّة (١).

وفيه: في باب مناقب فاطمة عليها السلام بإسناده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة (٢).

وفيه أيضاً: عن عائشة، قالت: ما رأيت أحداً كان أشبه سماً برسول الله من فاطمة (٣).

وقد رووا جميعاً أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: يا فاطمة إنّ الله تعالى يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك (٤).

وفي الجمع بين الصحيحين: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دخل على ابنته فاطمة، وقبّل رأسها ونحرها، وقال: أين ابن عمّك؟ قالت: في المسجد، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد، فوجد رداءه قد سقط عن ظهره، وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح عن ظهره التراب، ويقول: اجلس أبا تراب مرّتين (٥).

وفي مسند أحمد بن حنبل: إنّ النبي صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن والحسين وقال: من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة (٦).

وعن الحسن البصري، قال: «المشكاة» فاطمة «والمصباح» الحسن والحسين

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٢: ٩٤.

(٢) صحيح الترمذي ١٣: ١٩٧.

(٣) صحيح الترمذي ١٣: ٢٤٩.

(٤) مستدرک الصحيحين للحاكم ٣: ١٥٣.

(٥) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٤ - ١٨٧٥.

(٦) مسند أحمد بن حنبل ١: ٧٧.

الزجاجة « كأنها كوكب دري » قالت: كانت فاطمة كوكباً درياً بين نساء العالمين « يوقد من شجرة مباركة » قال: الشجرة المباركة إبراهيم « لا شرقية ولا غربية » لا يهودية ولا نصرانية « يكاد زيتها يضيء » قال: يكاد العلم أن ينطق منها « ولو لم تمسسه نار نور على نور » قال: إمام بعد إمام « يهدي الله لنوره من يشاء » قال: يهدي الله لولايتنا من يشاء (١).

وعن أبي هريرة، قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: يا رسول الله أيهما أحب إليك أنا أم فاطمة؟ قال: فاطمة أحب (٢) إليّ منك، وأنت أعزّ عليّ منها، وكأني بك وأنت عليّ حوضي تذود عنه الناس، وإنّ عليه الأباريق مثل عدد نجوم السماوات، وإني وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيلاً وجعفرأ في الجنة إخواناً عليّ سرر متقابلين، وأنت معي وشيعتك في الجنة، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِخْوَانًا عَلِيٍّ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ» (٣) لا ينظر أحدهم في قفاه صاحبه (٤).

وأيضاً عن أبي هريرة، قال: رأى النبي علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم (٥).

وروي عن مجاهد، قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله وهو آخذ بيد فاطمة عليها السلام: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٣١٧.

(٢) هذا الحديث ينافي حديث الطير.

(٣) سورة الحجر: ٤٧.

(٤) مقتل الحسين للخوارزمي ص ٦٨.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٤٤٤.

وروحى التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله (١).
 وروى الأصمغ بن نباتة، عن أبي أيوب الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا
 كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم ينادي منادٍ من
 بطنان العرش: إن الله جلّ جلاله يقول: نكسوا رؤوسكم، وغضوا أبصاركم، فإن
 هذه بنت محمد تريد أن تمرّ على الصراط (٢).

وفي مسند أحمد بن حنبل، عن حذيفة بن اليمان، قال: سألتني أمي متى عهدك
 بالنبي ﷺ؟ فقلت لها: منذ كذا وكذا، ذكرت مدّة طويلة، فنالت مني وسبّنتي، فقلت
 لها: دعيني فإنّي آتي النبي ﷺ وأصلي معه المغرب، ثم لا أدعه حتّى يستغفر لي
 ولك.

قال: فأتيت النبي ﷺ، فصلّيت معه المغرب والعشاء، ثمّ انقلبت ﷺ من صلاته
 فتبعته، فعرض له في طريقه عارض فناجاه، ثمّ ذهب فتبعته فسمع مشي خلفه،
 فقال: من هذا؟ فقلت: حذيفة، فقال: ما لك؟ فحدّثته بحديث أمي، فقال: غفر الله
 لك ولأمك.

ثمّ قال: أما رأيت العارض الذي عرض لي؟ فقلت: بلى يا رسول الله. قال: هو
 ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قطّ قبل هذه الليلة. استأذن ربّه في أن يسلم
 عليّ، ويبشّرني أنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وأنّ فاطمة سيّدة
 نساء العالمين (٣).

(١) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ ص ١٢٨.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ص ٥٥، والفصول المهمّة ص ١٢٩.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٣٩١.

وروى أخطب خوارزم من كبار السنّة بإسناده عن جابر، قال: لما تزوّج علي فاطمة، زوّجه الله إيّاها من فوق سبع سماوات، وكان الخاطب جبرئيل، وكان ميكائيل وإسرافيل وسبعين ألفاً من الملائكة شهوداً، فأوحى الله تعالى إلى شجرة طوبى أن أنثري ما فيك من الدرّ والجوهر، ففعلت، وأوحى الله تعالى إلى الحور العين: أن ألقطن، فلقطن، فهنّ يتهادين بينهنّ إلى يوم القيامة (١).

وروى الزمخشري، وكان أشدّ الناس عداوة لأهل البيت عليهم السلام، بإسناده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة بهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلمها نور بصري، والأئمّة من ولدها أمناء ربّي، وحبل ممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم بهم نجى، ومن تخلف عنهم هوى (٢).

وعن ابن عباس أنّه قال: لما زفّ النبي صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام كان النبي صلى الله عليه وآله قدّامها، وجبرئيل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك من ورائها، يسبّحون الله ويقدّسونه حتّى يطلع الفجر (٣).

فانظر أيّها العاقل الرشيد وصاحب الرأي السديد، كيف يروي الجمهور عدّة الروايات، ثمّ يظلمونها ويأخذون حقّها، ويكسرون ضلعها، ويجهضون ولدها من بطنها، فليحذر المقلّد من اتّباع هؤلاء؛ لأنّ أخذ كلامهم باطل قطعاً؛ لأنّهم: إمّا أن يصدّقوا في أمثال هذه الروايات، فيجب العدول عنهم. وإمّا أن يكذبوا، فلا يجوز التعويل على شيء من رواياتهم البتّة.

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٣٤٣.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ص ٥٩.

(٣) تاريخ بغداد ٥: ٧، ومقتل الحسين للخوارزمي ص ٦٦.

هذا، وورد في طريقنا أنّها عليها السلام كانت معصومة، صدّيقة، شهيدة، رضية، مرضية، فاضلة، زكية، حورية، إنسية، تقية، نقية، محدثة، عليمّة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: فاطمة بضعة منّي، فمن سرّها فقد سرّني، ومن جفّاها فقد جفاني، ومن آذاها فقد آذاني، ومن وصلها فقد وصلني، ومن قطعها فقد قطعني (١).

وكانت صلوات الله عليها روحه التي بين جنبيه، كما قال عليه السلام (٢).

وفي الكافي: عن علي بن جعفر، عن أخيه أبي الحسن عليه السلام، قال: إنّ فاطمة عليها السلام صدّيقة شهيدة، وإنّ بنات الأنبياء لا يطمئن (٣).

وعن المفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: من غسل فاطمة عليها السلام؟ قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام، وكأني استعظمت ذلك من قوله، فقال: كأنك ضقت بما أخبرتك. قال: فقلت: قد كان ذاك جعلت فداك؟ قال: فقال: لا تضيفنّ، فإنّها صدّيقة ولم يكن يغسلها إلاّ صدّيق، ألا علمت أنّ مريم لم يغسلها إلاّ عيسى (٤).

وعنه عليه السلام، قال: إنّ فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان يأتيها جبرئيل عليه السلام فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في

(١) بحار الأنوار ٢١: ٢٧٩ و ٢٣: ٢٣٤ و ٢٧: ٦٢ و ٢٩: ٢١٢ و ٣٣٦ و ٣٧: ٦٦ و ٣٧: ٦٨ و ٨٤ و ٤٣: ٢٣ و ٢٤ و ٣٩ و ٥٤ وغيرها.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٧٢، وتهذيب الأحكام ٦: ١٠ و بحار الأنوار ٩٧: ١٩٥.

(٣) أصول الكافي ١: ٤٥٨ ح ٢.

(٤) أصول الكافي ١: ٤٥٩ ح ٤.

ذريتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك (١).

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: لما ولدت فاطمة عليها السلام أوحى الله إلي ملك، فأنطق به لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم فسماها فاطمة، ثم قال: إنني فطمتك بالعلم، وفطمتك من الطمث. ثم قال أبو جعفر عليه السلام: والله لقد فطمها الله بالعلم وعن الطمث في الميثاق (٢).

وأمثال هذه الأخبار الدالة على فضلها وعلو درجتها وسمو مكانها - صلوات الله عليها - عند الله وعند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كثيرة في طريقنا، وفي طريق المخالفين لنا، لكن الاستدلال بها وبنظائرها على أفضليتها من أولي العزم عليهم السلام مشكل جداً (٣).

ولم أجد إلى الآن في الأخبار ما يدل على ذلك المطلب دلالة صريحة يمكن الاستدلال به عليه. نعم يمكن أن يتمسك في إثباته بحديث مرآزم عن أبي عبدالله عليه السلام السابق ذكره. وبحديث أبي سليمان الراعي المذكور في الفصل السابق.

وبحديث رواه في الكافي، بإسناده عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سمعته يقول: لولا أن الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين عليه السلام لفاطمة عليها السلام ما كان لها كفواً على ظهر الأرض من آدم فمن دونه (٤).

وبحديث رواه أيضاً في الكافي، بإسناده عن علي بن جعفر، قال: سمعت

(١) أصول الكافي ١: ٤٥٨ ح ١.

(٢) أصول الكافي ١: ٤٦٠ ح ٦.

(٣) لا شك في أفضليتها على جميع أولي العزم، كما لا يخفى على المتأمل.

(٤) أصول الكافي ١: ٤٦١ ح ١٠.

٣٨٠..... ذريعة النجاة من مهالك تتوجّه بعد الممات

أبا الحسن عليه السلام يقول: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس إذ دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجهاً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: حبيبي جبرئيل لم أرك في مثل هذه الصورة. قال الملك: لست بجبرئيل، يا محمد بعثني الله عزوجل أن أزوج النور من النور. قال من ممّن؟ قال: فاطمة من علي الحديث (١).

وبما رواه في حديث مرفوع إلى جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن الله عزوجل خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين من نور واحد الحديث (٢).

وبما روى الحديث الفقيه ابن المغازلي الشافعي، بإسناده عن ابن عباس، قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، قال: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ألا تتوب عليّ، فتاب عليه (٣).

وجه التمسك بهذا الحديث أنّها عليها السلام لو لم تكن مساوية لهم عليهم السلام، أو كان هناك من الأنبياء أو غيرهم من هو أفضل منها، لتوسّل آدم عليه السلام في استجابة الدعاء إليه دونها عليها السلام؛ لأنّه في موضع الفاقة والحاجة، فهذا الحديث بهذا الوجه يدلّ على أنّها عليها السلام أفضل منهم، وبذلك يثبت المطلوب، ولكن الكلام بعد محلّ تأمل (٤).

ثمّ إنّي وجدت في عرض تصفّحي وتتبعي في الأخبار بعد فراغي عن تأليف هذه الرسالة بتسع سنين في المجلّد العاشر من كتاب بحار الأنوار من مؤلّفات

(١) أصول الكافي ١: ٤٦٠ - ٤٦١ ح ٨.

(٢) راجع إحقاق الحقّ ٥: ٢٥٤ و ٦: ٤٤٣.

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٦٣.

(٤) ليس في المقام بعد إيراد هذه الأحاديث تأمل.

مولانا الملا محمد باقر بن محمد تقى المجلسي، أنه قال بعد أن روى عن يونس بن
 ظبيان، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة،
 والصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمرضية، والمحدثة،
 والزهراء، ثم قال عليه السلام: أتدري أي شيء تفسير فاطمة؟ قلت: أخبرني يا سيدي،
 قال: فطمت من الشر. قال: ثم قال: لولا أن أمير المؤمنين عليه السلام تزوجها لما كان لها
 كفواً إلى يوم القيامة على وجه الأرض آدم فمن دونه .

يمكن أن يستدل به على كون علي وفاطمة عليهما السلام أشرف من سائر أولي العزم
 سوى نبينا صلى الله عليهم أجمعين .

ثم قال: لا يقال: لا يدل على فضلها على نوح وإبراهيم عليهما السلام، لاحتمال كون
 عدم كونهما كفوين لكونهما من أجدادها .

لأننا نقول: ذكر آدم عليه السلام يدل على أن المراد عدم كونهم أكفأها، مع قطع النظر عن
 الموانع الأخر. على أنه يمكن أن يتشبهت بعدم القول بالفصل .

نعم يمكن أن يناقش في دلالة على فضل فاطمة عليها السلام عليهم، بأنه يمكن أن
 يشترط في الكفاءة كون الزوج أفضل، ولا يبعد ذلك من متفاهم العرف (١). والله
 يعلم إنتهى كلامه أعلى الله في الجنة مقامه .

والاحتياط في الدين يوجب التوقف إلى أن تبدو حجة يمكن التمسك بها على
 إثبات هذا المطلب؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (٢).

وهذه الأخبار المسفورة لا تنفيذ فيما نحن فيه علماً ولا ظناً متآخماً له كما لا

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٠-١١ .

(٢) سورة الإسراء: ٣٦ .

يخفى، فكيف يحكم حكماً يقينياً قطعياً أو ظنياً عليه والحال هذه ؟

فالتوقّف عندي بعد في محلّه؛ لأنّ التوقّف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات، فأسأل الله أن يفتح لنا من عنده باباً واسعاً وعلماً نافعاً تتمتع به في هذه المسألة وما يضاهاها من المسائل المشتبهة علينا، إنّه سميع قريب مجيب، يجيب دعوة الداع إذا دعاه، ويكشف سوء عن المضطرّ إذا ناداه، وهو بذلك جدير، وعلى كلّ شيء قدير .

وصلّى الله على محمّد خاتم الأنبياء، وآله البررة الأتقياء، وعلى عترته النجباء صلاة مقرونة بالتمام والنماء باقية بلا فناء وانقضاء .

وقد وقع الفراغ من مشقّة مشقه ضحوة الثلاثاء من الخامس من الثالث من شهور سنة مائة وأربعين وسبعة بعد الألف من الهجرة النبوية على هاجرها وآله ألف سلام وتحية .

وتمّ استنساخ وتصحيح هذه الرسالة في (٢٧) ذي القعدة سنة (١٤١٠) هـ في مشهد مولانا الرضا عليه السلام على يد العبد السيّد مهدي الرجائي عفي عنه .

وتمّ مراجعتها ثانياً في يوم الجمعة (٢٢ - شوال - ١٤٢٦) والحمد لله ربّ العالمين .

سلسلة آثار المحقق الخواجوي

٣

الفوائد

في فضل تعظيم الفاطميين

للعلامة المحقق محمد إسماعيل المازندراني الخواجوي

المؤلف سنة ١١٧٣ هـ

تدقيق
السيد مهدي البرقاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي صَيَّرَ قلوبنا مصفّاة بمودّة الذين جعل مودّتهم أجراً للرسالة، رسالة أشرف الرسل مرشد السبل، عليه سلام الله وعلى آله وعترته النبالة .
وبعد: فإنّي حين ما كنت ناظراً في الكتاب الموسوم بـ«اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية» وجدت فيه في أواخر مباحث الإمامة كلاماً ورد بهذه العبارة: فائدة: يجب تعظيم الذرّية النبوية العلوية ومودّتهم؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (١) ولقوله ﷺ: أكرموا صالحهم لله وطالهم لأجلي (٢). وقوله ﷺ: أربعة أنا شفيع لهم يوم القيامة: المكرم لذريّتي، والساعي لهم في حوائجهم، والباذل ماله لهم، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه (٣). إنتهى كلامه رفع مقامه (٤).

فأحببت أن أبسطه بسطاً، تكون فائدته به أتمّ، وعائدته منه أعمّ، وأن أدرج في خلاله فوائد ينجرّ إليها الكلام ويقتضيها المقام، بعون الله الملك العلام .

(١) سورة الشورى: ٢٣ .

(٢) فضائل السادات للسيد محمّد أشرف ص ٢٧٧ .

(٣) الخصال: ص ١٩٦ .

(٤) اللوامع الإلهية ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .

فناسب أن نسميه لذلك بـ«الفوائد» ولاحتوائه على ضروب أخرى من العوائد .

فأقول قبل الخوض في المقصود، وبعد الاستعانة من الملك المعبود، وأنا العبد الآنس بربه الجليل محمد بن الحسين بن محمد رضا المشتهر بإسماعيل سقاهم الله برحمته من السلسيل، كأساً كان مزاجها من الزنجبيل: كفى في فضل الذرية العلوية الفاطمية وشرفهم، أنهم جعلوا بذلك النسب بمثابة العلماء الذين هم وريثة الأنبياء، في أن النظر إليهم عبادة .

كما دل عليه خبر رواه في عيون الأخبار، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: النظر إلى ذريتنا عبادة. فقيل له: يا بن رسول الله النظر إلى الأئمة منكم عبادة، أو النظر إلى جميع ذرية النبي صلى الله عليه وآله؟ قال صلى الله عليه وآله: بل النظر إلى جميع ذرية النبي صلى الله عليه وآله عبادة، ما لم يفارقوا منهاجه، ولم يتلوثوا بالمعاصي (١).

ولعل هذا الكلام منه عليه السلام احتراز عن أمثال محمد وإبراهيم ابني عبدالله بن الحسن بن علي عليهما السلام وغيرهما [فإنهما خرجا ودعوا الإمامة بغير حق منه] (٢) ممن خرج عن أهل هذا البيت، وصدر منه مخالفة الأئمة عليهم السلام، بل الإهانة بهم والإضرار لهم حتى إن إبراهيم ومحمد أكفرا بالله جهرة - كما في الكافي (٣) - وحسباً بأباعدالله عليه السلام، وقتلا إسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وكان شيخاً كبيراً عالماً ورعاً .

(١) عيون أخبار الرضا ٢: ٥١ ح ١٩٦ .

(٢) الزيادة من «ن» .

(٣) راجع أصول الكافي ١: ٣٥٦-٣٦٦، والروضة من الكافي ٨: ٣٩٥ ح ٥٩٤ .

فمن صدر ما يدلّ على كفره وخروجه عن ربة الإسلام، أو تلوّته بالمعاصي ومخالفة الأئمة عليهم السلام، فهو خارج عن هذا الباب بدليل العقل والنقل من السنة والكتاب، فعمومات الأخبار مخصوصة بغيرهم .

يدلّ عليه ما رواه في أصول الكافي، بسنده إلى سليمان بن خالد، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سألته عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (١) فقال: أي شيء تقولون أنتم؟ قلت: نقول: إنها في الفاطميين، قال: ليس حيث تذهب، ليس يدخل في هذا من أشار بسيفه، ودعا الناس إلى خلاف، فقلت: فأيّ شيء الظالم لنفسه؟ قال: الجالس في بيته لا يعرف حقّ الإمام، والمقتصد العارف بحقّ الإمام، والسابق بالخيرات الإمام (٢).

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي: عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن هذه الآية، قال: أي شيء تقول؟ قلت: أقول: إنها خاصّة لولد فاطمة .

فقال عليه السلام: أمّا من سلّ سيفه ودعا الناس إلى نفسه إلى الضلال من ولد فاطمة وغيرهم، فليس بداخل في هذه الآية، قلت: من يدخل فيها؟ قال: الظالم لنفسه الذي لا يدعو الناس إلى ضلال ولا هدى، والمقتصد ممّن أهل البيت هو العارف حقّ الإمام، والسابق بالخيرات هو الإمام (٣).

وفي أصول الكافي: عن أحمد بن عمر، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن هذه الآية، فقال: ولد فاطمة عليها السلام، والسابق بالخيرات الإمام، والمقتصد العارف

(١) سورة فاطر: ٢٩ .

(٢) أصول الكافي ١: ٢١٤ - ٢١٥ .

(٣) الاحتجاج ٢: ١٣٨ - ١٣٩ .

بالإمام، والظالم لنفسه الذي لا يعرف الإمام (١).

وفي بصائر الدرجات: عن سورة بن كليب، عن أبي جعفر عليه السلام، قال في هذه الآية: السابق بالخيرات الإمام، فهي في ولد علي وفاطمة عليهما السلام (٢).

وفي كتاب سعد السعود لابن طاووس رحمته الله: يقول علي بن طاووس رحمته الله: وجدت كثيراً من الأخبار - وقد ذكرت بعضها في كتاب البهجة لثمرة المهجة - متضمنة أن قوله جلّ جلاله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ أن المراد بهذه الآية جميع ذرية النبي صلى الله عليه وآله، وإن الظالم لنفسه هو الجاهل بإمام زمانه، والمقتصد هو العارف به، والسابق بالخيرات هو إمام الوقت عليه السلام (٣). ثم أسنده إلى الإمام عليه السلام بأسانيد متعددة وكتب متفرقة.

وفي كتاب معاني الأخبار: عن أبي حمزة الثمالي، قال: كنت جالساً في المسجد الحرام مع أبي جعفر عليه السلام إذ أتاه رجلان من أهل البصرة، فقالا له: يا بن رسول الله إنا نريد أن نسألك عن مسألة، فقال لهما: سلا عما أحببنا، قالوا: أخبرنا عن قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ إلى آخر الآيتين، قال: نزلت فينا أهل البيت.

قال أبو حمزة: فقلت: بأبي أنت وأمي فمن الظالم لنفسه؟ قال: من استوت حسناته وسيئاته من أهل البيت، فهو الظالم لنفسه، فقلت: المقتصد منكم، قال:

(١) أصول الكافي ١: ٢١٥ ح ٣.

(٢) بصائر الدرجات ص ٤٥ ح ٣.

(٣) سعد السعود ص ٧٩.

العابد لله في الحاليين حتى يأتيه اليقين، فقلت: ومن السابق منكم بالخيرات؟ قال: من دعا والله إلى سبيل ربه، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ولم يكن للمضلين عضداً، ولا للخائنين خصيماً، ولم يرض بحكم الفاسقين إلا من خاف على نفسه ودينه ولم يجد أعواناً^(١).

وفي الخرائج والجرائح: عن الحسن بن راشد، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا حسن إن فاطمة لعظمتها على الله حرم الله ذريتها على النار، وفيهم نزلت هذه الآية. وأما الظالم لنفسه، فهو الذي لا يعرف حق الإمام، والمقتصد العارف بحق الإمام، والسابق بالخيرات هو الإمام^(٢).

وفيه: عن أبي محمد العسكري عليه السلام، قال أبوهاشم: إنّه سأله عن هذه الآية، قال: كلهم من آل محمد ﷺ الظالم لنفسه الذي لا يقرّ بالإمام، والمقتصد العارف بالإمام، والسابق بالخيرات الإمام^(٣).

وفي كتاب المناقب لابن شهر آشوب: قال الصادق عليه السلام في هذه الآية: نزلت في حقنا وحق ذريتنا خاصة.

وفي رواية عنه وعن أبيه عليه السلام: هي لنا خاصة وإيانا عني.

وفي رواية أبي الجارود: هم آل محمد ﷺ^(٤).

وفي مجمع البيان: عن زياد بن المنذر، عن أبي جعفر عليه السلام: أما الظالم لنفسه منا،

(١) معاني الأخبار ص ١٠٥ ح ٣.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ٢٨١.

(٣) الخرائج والجرائح ٢: ٦٨٧.

(٤) بحار الأنوار عن المناقب ٢٣: ٢٢٢ - ٢٢٣ ح ٢٨ - ٣٠.

فمن عمل صالحاً وآخر سيئاً، والمقتصد هو المتعبّد المجتهد، وأمّا السابق فعلي والحسن والحسين عليهما السلام ومن قتل من آل محمّد شهيداً^(١).

وفيه: عن أبي الدرداء، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في الآية: أمّا السابق فيدخل الجنّة بغير حساب، وأمّا المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً، وأمّا الظالم نفسه فيحسب في المقام ثمّ يدخل الجنّة، فهم الذين قالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن^(٢).

وفيه: عن ميسر بن عبدالعزيز، عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، قال: الظالم لنفسه منّا من لا يعرف حقّ الإمام، والمقتصد منّا من يعرف حقّ الإمام، والسابق بالخيرات هو الإمام، فهؤلاء كلّهم مغفور لهم^(٣).

فحصل من مجموعها أنّ أهل بيته وذريته عليهم السلام على أصناف أربعة: ثلاثة منهم مغفور لهم، وقسم واحد منهم وهم الذين سلّوا الأسياف وخالفوا الأسلاف وخرجوا بذلك عن ربة الإسلام؛ لمخالفتهم الأئمّة عليهم السلام غير مغفور لهم، فهم خارجون عن هذا الكتاب، كما دلّت عليه الأخبار السابقة في الكتاب.

ولكن ورد في بعضها النهي عن التعرّض لحالهم، فالتوقّف في أمرهم، وعدم الجرأة على قدحهم ومدحهم، طريق الاحتياط، فخذ الحائط لديك لتكون فيه على يقينك.

(١) مجمع البيان ٤: ٤٠٩.

(٢) مجمع البيان ٤: ٤٠٨.

(٣) مجمع البيان ٤: ٤٠٩.

فائدة نفعها عائدة :

دلّت الأخبار السابقة على أنّ «آل محمّد» و«أهل بيته» و«ذريته» قد يطلق على غير المعصومين منهم، بل على الظالمين الغير المقرّين بإمام زمانهم وغيرهم من ظلمة أهل هذا البيت، فإنّهم باعتبار أولاهم إليه ﷺ يسمّون بالآل، وباعتبار انتسابهم إليه ﷺ بولادتهم منه ﷺ يسمّون ذريته وأهل بيته .

ولكن فيها إشكال من وجه آخر، فإنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه وحقّه، وأنّه منصوب من قبل الله مفترض طاعته ولم يقرّ بذلك، مات ميتة جاهلية، فكيف يكون مغفوراً له حتّى يدخل الجنّة؟ ويقول: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن .

فالظالم في تفسير «الظالم لنفسه» هو الذي أشار بقوله «من استوت حسناته وسيئاته منّا أهل البيت فهو الظالم لنفسه» وبقوله «من عمل صالحاً وآخر سيئاً فهو الظالم لنفسه» وبقوله «من لا يدعو منّا الناس إلى ضلال وهدى فهو الظالم لنفسه» وهو الداخل في الآية، ويكون مغفوراً له .

واحتمال أن يكون الجاهل منهم بإمام زمانه خارجاً عن عموم الحديث المشهور المذكور في غاية البعد، فتأمل .

فإنّ الكليني في الأصول - بعد أن قال: باب في من عرف الحقّ من أهل البيت ومن أنكر - روى بسنده إلى أحمد بن عمر الحلال، قال: قلت لأبي الحسن ﷺ: أخبرني عمّن عانك ولم يعرف حقك من ولد فاطمة ﷺ، هو وسائر الناس سواء في العقاب؟ فقال: كان علي بن الحسين ﷺ يقول: عليهم ضعفا العقاب (١) .

وفيه: بسند صحيح عن ابن أبي بصير أو نصر، قال: سألت الرضا ﷺ، قلت:

(١) أصول الكافي ١: ٣٧٧ ح ٢ .

الجاحد منكم ومن غيركم سواء؟ فقال: الجاحد منّا له ذنبان، والمحسن منّا له حسنتان (١).

وفيه: عن علي بن إسماعيل الميثمي، عن ربيعي بن عبدالله، قال: قال لي عبدالرحمن بن أبي عبدالله: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: المنكر لهذا الأمر من بني هاشم وغيرهم سواء؟ فقال لي: لا تقل المنكر، ولكن قل الجاحد من بني هاشم وغيرهم. قال أبو الحسن: ففكرت فيه، فذكرت قول الله عزّ وجلّ في إخوة يوسف: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٢).

أبو الحسن كنية [علي بن] إسماعيل الميثمي، تفكّر في الفرق بين الإنكار والجد، فذكر الآية، فعرف أنّ الإنكار ما يكون بغير علم ومعرفة، لوقوعه في مقابل (٣) المعرفة، وعرف بذلك أنّ الجحود إنكار مع علم ومعرفة.

وبالجملة السابق والمقتصد منهم يجب تعظيمهم وتكريمهم لله بمقتضى الأمر؛ لأنّهم من الصالحين.

وأما الظالم منهم لنفسه، فإن أريد به من استوت حسناته وسيئاته بعد عرفانه بإمام زمانه، أو من عمل صالحاً وآخر سيئاً، وبذلك دخل في الطالحين، وإن كان من المغفورين لهم، يجب إكرامه وإعظامه لأجل رسول الله صلى الله عليه وآله كما أمر به.

وإن أريد به الجاهل بإمام زمانه ومن لا يعرف حقّه، فلا يجب بل لا يجوز إكرامه ولا إعانتة ومحبّته إلى غير ذلك لا لله ولا لرسوله؛ لأنّه بذلك صار عدواً

(١) أصول الكافي ١: ٣٧٨ ح ٤.

(٢) أصول الكافي ١: ٣٧٧ - ٣٧٨.

(٣) في النسختين: مقابلة.

لهما، فيجب إهانتته ومبغضته، وإن كان من فرق الشيعة الإمامية، فتأمل .

فصل

قال في جامع الأخبار^(١): الفصل السادس في إكرام أولاد النبي ﷺ .

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (٢) .

قال: وقال رسول الله ﷺ: حَقَّتْ شَفَاعَتِي لِمَنْ أَعَانَ ذَرِّيَتِي بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَمَالِهِ (٣) .

قال: قال ابن بابويه: قال رسول الله ﷺ: إذا قمت المقام المحمود تشفّعت في أصحاب الكبائر من أمّتي، فيشفّعني الله لهم، والله لا تشفّعت في من آذى ذرّيتي (٤) .

أقول: لعلّ ذكره في هذا الفصل باعتبار أنّ كَفَّ الأذى عنهم نوع إكرام لهم، أو عدم إكرامهم نوع أذية لهم، فيجب إكرامهم تحرّزاً عن تأذّيهم المفضي إلى الحرمان من شفاعته ﷺ .

وفيه من المبالغة والتأكيد في المنع والنهي عن إيذائهم وإهانتهم ما لا يخفى، حيث جعل المؤذي لهم محروماً من شفاعته، وأكّده باليمين .

ويفهم منه أنّ إيذاء ذرّيته فوق كلّ كبيرة؛ لأنّه تضمّن أن يشفع لأهل الكبائر من أمّته، ووعدّه الصدق والحقّ، ولا يخلفه الله ما وعده في قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ

(١) جاء هذا الفصل في الفصل الواحد والمائة من جامع الأخبار المعروف للقسيري .

(٢) سورة الشورى: ٢٣ .

(٣) جامع الأخبار للقسيري ص ٣٩٣ برقم: ١٠٩٥ .

(٤) أمالي الشيخ الصدوق ص ٣٧٠ برقم: ٤٦٢ .

رَبُّكَ فَتَرَضَى ﴿١﴾ وقد أقسم بالله أن لا يشفع في من آذى ذرّيته، فيكون محروماً من شفاعته، والمحروم هو الكافر .

والأمر في معاشرتهم ومخالطتهم مشكل، وخاصّة إذا كانت السيّدة زوجة غير السيّد، فإنّ معاشرتها مدّة العمر على وجه لا يلزم منه إيذاؤها كأنّها من الممتنعات عادةً، وإنّي والله لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما زوجت سيّدة قطّ، ولكن وقع ما وقع، والله غفور رحيم .

ثمّ قال متّصلاً بما نقلنا عنه: وقال أيضاً في الأمالي: قال رسول الله ﷺ: من وصل أحداً من أهل بيتي في دار هذه الدنيا بقيراط، أكافيه (٢) يوم القيامة بقنطار (٣).

والمراد بأهل بيته في أمثال هذا المقام ما عرفته في ذيل الفائدة السابقة، فتذكّر. ثمّ قال: وقال ﷺ: أكرموا أولادي، وأحسنوا آدابي (٤).

وقال ﷺ: أكرموا أولادي الصالحون لله والطالحون لي (٥).

أقول: هذان وما سبقهما من أحاديث الذرّية وغيرها، تدلّ على أنّ ولد بنت وإن نزل ولد حقيقة منسوب إلى الجدّ بالولادة منه وأنه من صلبه؛ لأنّ ذرّية الرجل ولده ونسله وما أنشأه الله من صلبه، وسيأتي لذلك كلام منقّح إن شاء الله .

ثمّ قال ﷺ: روي عن الصادق ﷺ أنه قال: لا تخالطنّ أحداً من العلويين، فإنّك

(١) سورة الضحى: ٥ .

(٢) في الأمالي: كافيته .

(٣) أمالي الشيخ الصدوق ص ٤٨٣ برقم: ٦٥٤ .

(٤) جامع الأخبار ص ٣٩٣ برقم: ١٠٩٧ .

(٥) جامع الأخبار ص ٣٩٣ برقم: ١٠٩٨ .

إن خالطتهم مقتّ الجميع، ولكن أحببتهم بقلبك، ولكن محبتك من بعيد (١).
نقلت الفصل بتمامه إلّا حديثاً سبق نقله .

أقول: صدق سيّدنا الصادق عليه السلام في قوله عليه السلام «إنّ مخالطتهم توجب مقتهم جميعاً» فإنّ فيهم من يتعاطى القبائح ويرتكب الفضائح .

كما يدلّ عليه ما رواه الصدوق في عيون الأخبار، بسند صحيح عن أبيه، عن عبدالله بن جعفر الحميري، عن الريّان بن الصلت، قال: جاء قوم بخراسان إلى الرضا عليه السلام، فقالوا: إنّ قوماً من أهل بيتك يتعاطون أموراً قبيحة فلو نهيتهم عنها، فقال: لا أفعل، فقيل: لم؟ قال: لأنّي سمعت أبي يقول: النصيحة خشنة (٢) .

فاختلاط هؤلاء المتعاطين القبائح يوجب مقتهم؛ لأنّ أقلّ مراتب النهي عن المنكر وجوب الانكار القلبي، بل هو من مقتضى الإيمان، والغالب في أفراد الإنسان أنّهم إذا رأوا منكراً صدر عن واحد من أهل الطوائف يقيسونهم عليه وينسبونهم إليه، ثمّ يمقتونهم جميعاً، وهذا باب فيهم معروف .

فإنّهم يعيرون مثلاً أهل العلم جميعاً بعيب من ليس منهم في الحقيقة، وإنّما يشبه بهم لغرض تولد من مرض ملك قلبه، فمن لم يعرف الصالحين من العلوية واختلط بطالح منهم يقيسهم عليه ويمقتهم جميعاً، ومن هنا نشأ قول شاعرهم بالفارسية :
بهر مجمع كه كردند جمع سادات فسادات فسادات فسادات
أقول: وأيضاً فإنّ اختلاطهم مع مراماتهم كما ينبغي: إمّا متعذّر، أو متعسّر فيوجب أذاهم وأذيتهم، والعياذ بالله يوجب الحرمان من شفاعته عليه السلام كما سبق،

(١) جامع الأخبار ص ٣٩٣ - ٣٩٤ برقم: ١٠٩٩ .

(٢) عيون الأخبار ١: ٢٩٠ ح ٣٨ .

وإذا كانت النصيحة خشنة، توجب أذاهم، وتورث سقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فما ظنك بعد ذلك أيها الغافل بغيرها .

وإذا كانت الحال على ذلك المنوال، فالبعد عنهم كما هو المأمور به، وترك اختلاطهم كما هو منهي عنه مع محبتهم قلباً أدنى إلى الصواب عن اختلاطهم مع مقت الجميع، فإن مقتهم صالحين كانوا أم طالحين ينافي ما أمرنا من محبتهم قلباً ولساناً، الصالحين منهم لله، والطالحين لرسول الله ﷺ، فالأولى البعد والمحبة، ومن هنا تراهم يقولون بالفارسية: دورى و دوستى .

فصل

[فضيلة مودة أهل البيت ﷺ]

في الفصول المهمة في معرفة الأئمة: عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر ﷺ، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول الله ﷺ: من أراد التوسّل إليّ، وأن يكون له عندي يد أشفع بها يوم القيامة، فليصل أهل بيتي، ويدخل السرور عليهم^(١) .

وقد عرفت أنّ المراد بأهل بيته ﷺ في أمثال هذا المقام ذريته، وبنصره ما فيه أيضاً عن أبي سعيد: أهل بيتي والأنصار كرائمي^(٢) وعيني، إقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم^(٣) .

وفيه: عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: لا يؤمن عبد حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه، وتكون عترتي أحبّ إليه من عترته، ويكون

(١) الفصول المهمة لابن الصبّاغ ص ٢٧ .

(٢) في المصدر: والأنصار هم كرشي. أقول: والكرش بمعنى العيال .

(٣) الفصول المهمة ص ٢٧ .

أهلي أحبّ إليه من أهله (١).

وفيه: عن علي عليه السلام، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من لم يعرف حقّ عترتي والأَنْصار والعرب، فهو لأحد ثلاث: إمّا منافق، وإمّا زنية، وإمّا امرئ حملته أمّه في غير طهر (٢).

وفيه: وروي عن عمر بن الخطاب، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قام فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتي لا تنفع، إنّ كلّ سبب ونسب وصهر منقطع يوم القيامة إلاّ سببي ونسبي وصهري، قال عمر: فبلمّا سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله أحببت أن يكون بيني وبينه سبب ونسب وصهر، فخطبت إلى علي ابنته أمّ كلثوم من فاطمة بنت محمّد فزوّجنيها (٣).

أقول: هذا عليّ خلاف ما سبق في الفصل السابق، فإنّه يدلّ على حسن تزويج السيّدة العلوية الفاطمية، وفوائد كثيرة الدنيوية والأخروية المترتبة عليه، ولكن بشرط أن تكون معاشرتها عليّ وجه لا يلزم منها أذيتها، وإلاّ لزم منه الحرمان من شفاعته صلى الله عليه وآله كما سبق، فيكون من مقولة دفع الفاسد بالأفسد.

ويمكن دفعه باسترضائها وإسقاطها حقّها، ولكن الخبر الدالّ على حرمان شفاعته صلى الله عليه وآله بأذيتهم مطلق. فلعلّ الوجه في تركه الشفاعة في من آذاهم، أن آذاهم يستلزم آذاه صلى الله عليه وآله؛ لأنهم من أولاده وأحفاده وذريّاته، فمن إسقاطهم حقّهم لا يلزم سقوط حقّه صلى الله عليه وآله، فلعلّه يثمر الحرمان من شفاعته، فتأمل.

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) الفصول المهمّة ص ٢٨ - ٢٩.

وفي هذا الحديث كسوابقه دلالة على أنّ بنت البنت بنت حقيقة منسوبة إلى جدّها، إنّ من تزوّجها يصير صهراً ويتحقّق بينهما المصاهرة، وما يترتّب عليها من القرابة والسبب والنسب .

فمن لم يكن سيّداً علويّاً فاطميّاً وتزوّج بسيدة علوية فاطمية على اختيارها ثمّ مات وهو مؤمن، فهذا السبب والصهر والقرابة تنفعه يوم القيامة .

وهنا كلّها منتفية. أمّا الأوّل، فلأنّها كانت جنيّة من أهل نجران أمرها أمير المؤمنين عليه السلام، فتمثّلت على مثال أمّ كلثوم، وكانت تحته مدّة حياته، وكان يرى منها أحياناً أموراً غريبة، وكان يقول: هذا من سحر بني هاشم، إلى أن قتل، فأخذت الجنيّة إرثها ورجعت إلى أهلها .

يدلّ عليه ما رواه المفيد مرفوعاً إلى عمر بن أذينة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ الناس يحتجّون علينا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام تزوّج فلاناً ابنته أمّ كلثوم، وكان عليه السلام متكناً فجلس وقال: أتقبلون أنّ عليّاً أنكح فلاناً ابنته؟ إنّ قوماً يزعمون ذلك ما يهتدون إلى سواء السبيل ولا الرشاد .

ثمّ صفق بيده وقال: سبحان الله ما كان أمير المؤمنين أن يحول بينه وبينها، كذبوا لم يكن ما قالوا، إنّ فلاناً خطب إلى علي عليه السلام ابنته أمّ كلثوم فأبى، فقال للعبّاس: لئن لم يزوّجني لأتزعنّ منك السقاية وزمزم، فأتى العبّاس عليّاً فكلّمه فأبى عليه، فألح العبّاس .

فلما رأى أمير المؤمنين عليه السلام مشقة كلام الرجل على العبّاس، فإنّه سيفعل معه ما قال، أرسل إلى جنيّة من أهل نجران يهودية يقال لها: سحيقة بنت جريرية، فأمرها فتمثّلت في مثال أمّ كلثوم، وحجبت الأبصار عن أمّ كلثوم بها، وبعث بها إلى الرجل، فلم تزل عنده حتّى أنّه استراب بها يوماً، فقال: ما في الأرض أهل بيت

أسحر من بني هاشم، ثم أراد أن يظهر للناس فقتل، فأخذت الميراث وانصرفت إلى نجران، فأظهر أمير المؤمنين عليه السلام أم كلثوم (١).

وأما الثاني، فلما رواه في الكافي، بسند حسن على المشهور، وصحيح على ما تقرّر عندنا، عن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام في تزويج أم كلثوم، فقال: إن ذلك فرج غصبناه (٢).

وفيه: في صحيحة هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: لما خطب إليه، قال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّها صبية، قال: فلقى العباس فقال له: ما لي؟ أبي بأس؟ قال: وما ذاك؟ قال: خطبت إلى ابن أخيك فردني، أما والله لأعورنّ زمزم، ولا أدع لكم مكرومة إلاّ هدمتها، ولأقيمّن عليه شاهدين بأنّه سرق ولأقطعنّ يمينه، فأتى العباس فأخبره وسأله أن يجعل الأمر إليه، فجعله إليه (٣).

قيل: لا منافاة بين هذين الخبرين وما شاكلهما، مثل موثقة معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سألته عن المرأة المتوفّي عنها زوجها أتعدّ في بيتها أو حيث شاءت؟ قال: بل حيث شاءت، إنّ علياً عليه السلام لما توفّي عمر أتى أم كلثوم فانطلق بها إلى بيته (٤).

وصحيحة سليمان بن خالد، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن امرأة توفّي زوجها أين تعدّ في بيت زوجها تعدّ أو حيث شاءت؟ قال: بل حيث شاءت، ثم قال: إنّ

(١) بحار الأنوار ٤٢: ٨٨ ح ١٦.

(٢) فروع الكافي ٥: ٣٤٦ ح ١.

(٣) فروع الكافي ٥: ٣٤٦ ح ٢.

(٤) فروع الكافي ٦: ١١٥ ح ١.

عليّاً عليه السلام لما مات عمر أتى أمّ كلثوم، فأخذ بيدها فانطلق بها إلى بيته (١).

وبين ما سبق من الخبر الجنيّة؛ لأنّهم - صلوات الله عليهم - كانوا يتّقون من غلاة الشيعة، وكان هذا من الأسرار، ولم يكن أكثر أصحابهم قابلين لها.

أقول: وفي كون زرارة بن أعين، وهشام بن سالم، ومعاوية بن عمّار، وسليمان ابن خالد، وأمّثالهم من أصحابهم، غير قابلين لحفظ الأسرار، وكون عمر بن أذينة قابلاً لها نظر لا يخفى، والأمر في الاشاعة والاذاعة وعدمها مشترك، فتأمل.

وقيل: يمكن أن يكون الاستدلال في هذين الخبرين بفعله عليه السلام ظاهراً؛ لأنّ عدم كونها أمّ كلثوم لم يكن معلوماً للناس، ولم يكن يفعل ما يشنّعه الناس عليه، وعدم تشنيع الصحابة عليه أيضاً دليل عليه، ولو كان ذلك لنقل.

أقول: وفيه أيضاً نظر؛ إذ ليس في صحيحة زرارة وهشام استدلال بفعله عليه السلام، بل مجرد نقل ابتدائي منه عليه السلام، متعلّق بكيفية ما وقع من تزويج أمّ كلثوم.

والأظهر ترجيح ما دلّ من الأخبار الصحيحة على أنّه عليه السلام زوّجه أمّ كلثوم، ولكنّه كان فيه مجبوراً مظلوماً خائفاً عن التهمة وقطع اليمين وهدم المكرمة ونزع الزمزم والسقاية، أو ثوران الفساد والفتنة في صورة الامتناع والمدافعة، كما كان مظلوماً في غضب أصل الحقّ، وكان مأموراً من الله ورسوله بالصبر والمداراة معهم في ذلك وأمّثاله، وليس هذا بأوّل قارورة كسرت في الإسلام.

وأما الثالث، فباتّفاق أهل البيت وعلماهم، ويدلّ عليه قوله عليه السلام: يا عمر إنك لن تؤمن أبداً.

فصل

[المراد من الذرية في الأخبار]

صريح الخبر^(١) المنقول سابقاً يدلّ على أنّ المراد بالذرية هنا مطلق السيّد العلوي الفاطمي، والظاهر أنّ هذا مراد صاحب اللوامع، حيث صدرّ الفصل بالفائدة؛ إذ لو كان مراده بهم الأئمة المشهورين من ذريته عليهم السلام لم يكن كلامه هذا موضع إفادة؛ إذ لا خلاف فينا في وجوب تعظيمهم ومودّتهم عليهم السلام؛ لأنّه من الإيمان، ولما سبق من الآية؛ لأنّها فيهم، كما دلّت عليه أخبار.

منها: ما في محاسن البرقي، ومثله في أصول الكافي، عن عبدالله بن عجلان، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قال: هم الأئمة عليهم السلام.^(٢)

ومنها: رواية إسماعيل بن عبد الخالق، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ما يقول أهل البصرة في هذه الآية؟ قلت: جعلت فداك إنهم يقولون: إنّها لأقارب رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: كذبوا إنّها نزلت فينا خاصّة في أهل البيت في علي وفاطمة والحسن والحسين وأصحاب الكساء عليهم السلام.^(٣)

ومنها: ما رواه زاذان، عن علي عليه السلام، قال: فينا في آل حم آية لا يحفظ مودّتنا إلا كلّ مؤمن، ثمّ قرأ الآية^(٤).

(١) وهو قوله عليه السلام «الصالحون لله والطالحون لي» «منه».

(٢) أصول الكافي ١: ٤١٣ ح ٧.

(٣) قرب الاسناد ص ٦١، والروضة من الكافي ٨: ٩٣ ح ٦٦.

(٤) بحار الأنوار ٢٣: ٢٣٠.

والإي هذا أشار الكميّ في قوله :

وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منّا تقي ومعرب^(١) والأخبار في ذلك بلغت أو كادت أن تبلغ حدّ التواتر، وفي أكثرها تصريح بأنّ المراد بالقربى الذين أمر الله بمودّتهم هم الأئمّة، أو الأعمّ منهم ومن فاطمة عليها السلام، خلافاً لبعض أصحابنا حيث أقحم فيهم العباس بن عبدالمطلب. وهو منه غريب، وسيأتي الإشارة إليه إن شاء الله .

فإن قلت: إستدلال صاحب اللوامع بالآية على وجوب تعظيم الذريّة ومودّتهم يفيد أنّ مراده بهم الصالحون منهم بل المعصومون؛ لأنّها نزلت فيهم كما سبق، واحتجاجه بالرواية ينافره؛ لأنّها تعمّ الصالحين منهم والطالحين، فكيف التوفيق؟ قلت: ظاهر بعض الأخبار يفيد شمول الآيّة لسائر الذريّة العلوية الفاطمية، فلعلّه عليه السلام أشار في كلامه هذا إليه، مثل ما في مجمع البيان، بإسناده إلى ابن عباس، قال: لمّا نزلت هذه الآيّة، قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودّتهم؟ قال: علي وفاطمة ولدها^(٢) .

وفي عيون الأخبار: وولدهما^(٣) .

وفي الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: وروى الإمام أبوالحسين البغوي في تفسيره، يرفعه بسنده إلى ابن عباس، قال: لمّا نزلت قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا

(١) مجمع البيان ٥: ٢٨ .

(٢) مجمع البيان ٥: ٢٨ .

(٣) بحار الأنوار ٢٣: ٢٢٩ و ٢٤١ .

بمودتهم؟ قال: فاطمة وعلي وبناهما^(١).

والظاهر أنّ هذا مراد صاحب جامع الأخبار أيضاً حيث عقد الفصل بإكرام أولاد النبي ﷺ، ثم استدلّ عليه بالآية والروايات الظاهرة بل الصريحة في العموم، فمراده في هذا الفصل بالذرية والأولاد وأهل البيت مطلق الفاطميين ذكوراً وإناثاً من الذكور والاناث صالحين منهم والطلحين منهم، إلا من استثناه الدليل.

أقول: ونظير ما نقله صاحب اللوامع أخيراً، ما رواه الصدوق في عيون الأخبار في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار النادرة في فنون شتى، عن دعبل بن علي الخزاعي، قال: حدّثني أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي من بعدي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عند اضطرارهم إليه، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه^(٢).

ولعلّ وجه دلالته على ما ادّعاء من وجوب إكرام الذرية مطلقاً إلا ما أخرجه الدليل، أنّ إكرامهم على ما دلّ عليه الخبر من موجبات الشفاعة يوم القيامة، وهي تدفع الضرر عن المشفوع له، ودفعه مهما أمكن واجب، فإكرامهم الموجب لدفعه واجب، فتأمل.

وفي الفقيه: عنه عليه السلام: إني شافع يوم القيامة لأربعة أصناف لو جاؤوا بذنوب أهل الدنيا: رجل نصر ذريتي، ورجل بذل ماله لذريتي عند الضيق، ورجل أحبّ

(١) الفصول المهمة ص ٢٩.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٥٣ - ٢٥٤.

ذريتي باللسان والقلب، ورجل سعى في حوائج ذريتي إذا طردوا أو شردوا^(١).
أقول: فطوبى لمن جمع بين هذه الخصال، فنصر ذريته، وبذل ماله لهم، وأحبهم بقلبه ولسانه، وسعى في حوائجهم قضيت له أم لم تقض، إذا فرّقوا من أوطانهم، أو من الأبواب بالمنع من حقوقهم، فإنّه إذا خرج من الدنيا وهو مؤمن يكون مع محمّد ﷺ وأهل بيته في الوسيلة حيث لا يحجب عنهم، والله لكل خير متعان .
فهذه الأخبار وما شابهها يدلّ على أنّ المراد بالذرية هذا مطلق السيّد العلوي الفاطمي، فإنّ ذرية الرجل ولده ونسله، كما في القاموس^(٢)، وتفسير البيضاوي^(٣).

وفي نهاية ابن الأثير: الذرية اسم يجمع نسل الإنسان من ذكر وأنثى^(٤).
وقال أبو عبيدة: ذرهم أنشأهم وخلقهم، وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَذُرُّكُمْ﴾ يخلقكم، وكأنّ ذرية الرجل هم خلق الله عزّ وجلّ منه ومن نسله ومن أنشأه الله من صلبه. إنتهى .

فتعمّ كلّ من يضاف إليه بالولادة السورية، من قبل الأب كانوا^(٥) أو الأمّ، ولذلك كانوا يطلقون على ساداتنا أئمة المعصومين - سلام الله عليهم أجمعين - ذرية رسول الله ﷺ .

قال أبو بصير: قلت يوماً للباقر عليه السلام: أنتم ذرية رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قلت:

(١) من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٥ برقم: ١٧٢٦ .

(٢) القاموس المحيط ٢: ٣٤ .

(٣) تفسير البيضاوي ١: ١١١ .

(٤) نهاية ابن الأثير ٢: ١٥٧ .

(٥) في «ن»: كان .

ورسول الله ﷺ وارث الأنبياء جميعهم؟ قال: وارث جميع علومهم، قلت: وأنتم ورثتم جميع علوم رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، الحديث (١).
وبالجملة فإنّ الراجح عندنا أنّ ولد البنت وولد حقيقة، كما تشهد به الأخبار، وخاصة أخبار الباقر والصادق والكاظم وابنه الرضا عليهم السلام، واستدلّاهم بالآيات البينات .

فصل

[تحقيق حول أنّ ولد البنت وولد حقيقة]

لما كان لتحقيق هذه المسألة مدخل عظيم فيما قصدنا بيانه، فلا علينا أن نحققها ونفصلها، لتمييز به الذرية المشتبهة عن غيرهم، وفيه من الفوائد الدينية والدنيوية ما لا يخفى .

فنقول: إنهم اختلفوا في أنّ ولد البنت وولد حقيقة أم لا؟ وفرّعوا عليه مسائل:
منها: إستحقاق الخمس وحرمة الزكاة .

ومنها: أنّ من أوصى بمال لولد فاطمة عليها السلام هل تدخل فيهم أولاد بناتها؟ وكذا لو وقف على ولدها .

فالأكثر على عدم كونه ولداً حقيقة، واستدلّوا عليه بشعر شاعر، وحديث مرسل، واستعمال أهل العرف .

وخالفهم السيّد المرتضى^(٢)، واستدلّ عليه بأنّه لا خلاف بين الأمة في أنّ

(١) بحار الأنوار ٤٦: ٢٤٩ .

(٢) رسائل الشريف المرتضى ٤: ٣٢٨ .

لظاهر قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ (١) حرّم علينا بنات أولادنا، فلو لم تكن بنت البنت بنتاً على الحقيقة لما دخلت تحت هذه الآية .

قال: وممّا يدلّ على أنّ ولد البنت يطلق عليها اسم الولد على الحقيقة أنّه لا خلاف في تسمية الحسن والحسين عليهما السلام بأنهما إنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّما يفضّلان بذلك ويمدحان، ولا فضيلة ولا مدح في وصف مجاز مستعار، فثبت أنّه حقيقة .

قال: وما زالت العرب في الجاهلية تنسب الولد إلى جدّه أماً في موضع مدح أو ذمّ، ولا يتناكرون ذلك، ولا يحتشمون منه، وقد كان الصادق أبو عبد الله عليه السلام يقال له أبداً: أنت ابن الصديق؛ لأنّه أمّه بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر. سمّي صديقاً لأنّه بايع علياً بالبراءة من الأوّل والثاني (٢) .

وقال له عليه السلام يوماً: أبسط يدك أبايعك، قال: أوّما فعلت؟ قال: بلى، فبسط يده، فقال: أشهد أنّك مفترض طاعتك، وأنّ أبي في النار (٣) .

وقال الصادق عليه السلام: أتته النجابة من قبل أمّه أسماء بنت عميس لا من قبل أبيه (٤). هذا، ثمّ قال عليه السلام: ولا خلاف بين الأئمة في أنّ عيسى عليه السلام من بني آدم وولده، وإنّما ينسب إليه بالأُمّ دون الأبوة. ثمّ اعترض على نفسه، فقال: إن قيل: إنّ اسم الولد يجري على ولد البنات مجازاً، وليس كلّ شيء استعمال في غيره يكون حقيقة .

قلت: الظاهر من الاستعمال الحقيقة، وعلى من ادّعى المجاز الدلالة. إلى هنا كلامه .

(١) سورة النساء: ٢٣ .

(٢) إختيار معرفة الرجال ١: ٢٨٢ ح ١١٤ و ١١٥ .

(٣) إختيار معرفة الرجال ١: ٢٨٢ ح ١١٣ .

(٤) نفس المصدر .

فإن قلت: قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾^(١) دليل المجاز، فإنه يدل على نفي أبوته لمطلق الرجال، ومنهم الحسنان ومن تناسل منهما .
 قلت: ليس كذلك الأمر؛ لأنه نزل في زيد بن حارثة عتيق رسول الله ﷺ، فإنه أعتقه ثم تبناه، حتى قيل له: ولد محمد ﷺ، فلما تزوج بزینب بنت جحش وكانت تحت زيد قال المنافقون: تزوج محمدًا امرأة ابنته وهو ينهي الناس عنه، فنزل: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ قال البغوي: أي ليس أبا أحد من رجالكم الذين لم يلدهم .

أقول: فلا يرد النقض بأبنائه الذين ولدهم فإنهم كانوا من رجاله لا من رجالهم .
 قال في مجمع البيان: ولما تزوج ﷺ بزینب بنت جحش، قال الناس: إنَّ محمدًا تزوج امرأة ابنه، فقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ الذين لم يلدهم . وفي هذا بيان أنه ليس بأب لزيد فتحرم عليه زوجته، فإنَّ تحريم زوجة الابن متعلِّق بثبوت النسب، فمن لا نسب له فلا حرمة لامراته .

ولهذا أشار إليهم، فقال: ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ وقد ولد له ﷺ أولاد ذكور: إبراهيم، والقاسم، والطيب، والمطهر، فكان أباهم . وقد صحَّ أنه ﷺ قال للحسن ﷺ: ابني هذا سيد . وقال ﷺ أيضاً للحسن والحسين ﷺ: إنَّ ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا . وقال ﷺ: كلُّ بني بنت ينسبون إلى أبيهم إلا أولاد فاطمة فإنِّي أنا أبوهم^(٢) إلى هنا كلامه^(٣) .

(١) سورة الأحزاب: ٤٠ .

(٢) مجمع البيان ٤: ٣٦١ .

(٣) راجع: بحار الأنوار ١٦: ٣٠٦ .

وهو صريح أنّ أولاد فاطمة ذكوراً كانوا أم إناثاً من الذكور والاناث، بواسطة أو بلا واسطة، فإنهم ينسبون إلى رسول الله ﷺ بالولادة منه؛ لصدق أولاد فاطمة عليهم؛ لأننا لو فرضنا أنّها ﷺ كانت في حلية الحياة لم يصلح لابن بنتها أن ينكحها؛ لثبوت النسب بينهما لأنّها جدّته، فيكون من أولاد رسول الله ﷺ وذريته لصلبه، فيكون سيّداً هاشمياً.

وهو الظاهر من كلام الشيخ الطبرسي رحمه الله المنقول عنه آنفاً، فإنّه يفيد أنّه وافق السيّد ﷺ في أنّ ولد البنت ولد حقيقة ونعم الوفاق، كذلك يفعل الرجل البصير. هذا. قيل: ويتوجّه على السيّد أنّ الاستعمال كما يوجد في الحقيقة، كذا يوجد في المجاز، فلا دلالة على أحدهما بخصوصه، وقولهم إنّ الأصل في الاستعمال الحقيقة إنّما هو إذا لم يستلزم ذلك الاشتراك، فالمجاز خير منه.

أقول: لمّا كان سيّدنا المرتضى رحمه الله غير عامل بأخبار الآحاد وإن كانت صحيحة، قائلاً بأنّها لا تفيد علماً ولا عملاً، احتاج في إثبات هذا المطلب إلى هذا النوع من الاستدلال، وإلا فلا حاجة له إليه، لتظافر الأخبار الصحيحة الصريحة فيه، كما ستقف على نبذة منها إن شاء الله:

ومع قطع النظر عن ذلك، فدلّل الأوّل قوي متين لا يرد عليه حديث المجاز؛ لأنّ بنت بنت لولم تكن بنتاً على الحقيقة لما اقتضت الآية تحريمها على الجدّ؛ لأنّ الولد المجازي ليس بولد، لصحة السلب، كما هو من علامات المجاز.

وكذا دليله الثاني والرابع؛ لأنّ في التزام كون عيسى بن مريم ﷺ من بني آدم وولده مجازاً، وكذا في التزام عدم حصول مدح ولا فضيلة للحسنين ﷺ، بل لسائر ساداتنا أئمة المعصومين - سلام الله عليهم أجمعين - في خطابهم بابن رسول الله، كما كان شائعاً في السلف والخلف في مقام التعظيم والتكريم، وورد منه في

الزيارات والروايات ما لا تحيطه دائرة الحدّ والعدّ؛ إذ لا فضيلة ولا مدح ولا تعظيم في وصف مجاز، كوصف زيد بحسن غلامه، وجالس السفينة بسرعة حركتها، ما لا يخفى؛ إذ هو خلاف الواقع والإجماع.

وكذا الكلام في تسميتهم عليهم السلام بل تسمية غيرهم من السادات العلوية الفاطمية بذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله في مقام التعظيم والمدح؛ لأنّ ذرّية الرجل - كما عرفت - أولاده وأحفاده من صلبه، وعلى ما التزموه ليسوا بأولاده ونسله حقيقة، وقد سبق أن لا مدح ولا فضيلة توجب تعظيماً في وصف مستعار، فيلزم منه أن يكون توصيفهم بهذه الأوصاف الشريفة عدم الفائدة، كتوصيف زيد بأوصاف غيره، واللازم كالملزوم باطل.

وأيضاً يلزم منه عدم استحقاق من أكرم أو نصر أو أحبّ إلى غير ذلك سيّداً علوياً فاطمياً، أو غيره من السادات المنتسبين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل البنات ما وعده من الشفاعة في يوم القيامة؛ لأنّه إنّما وعدها من أكرم مثلاً ذرّيته حقيقة، وهؤلاء حينئذ ليسوا من ذرّيته حقيقة؛ لأنّ من علامات المجاز صحّة السلب كما أوّمانا إليه، ولا ذرّية له إلّا من قبل البنات؛ لأنّه ما كان أباً أحد من رجالكم.

ولا ينتقض عمومه بكونه أباً للطاهر والمطهر والقاسم وإبراهيم؛ لأنّهم لم يبلغوا مبلغ الرجال، ولذلك قيل: أراد بقوله: «مِنْ رِجَالِكُمْ» البالغين من رجال ذلك الوقت، ولم يكن أحد من أبنائه رجلاً في ذلك الوقت، وإذا ثبت أن لا ذرّية له إلّا من قبل البنات، وهم على ما ظنّوه ذا ذرّية مجازاً، فيلزم منه أن يكون تلك الأخبار وما شاكلها عديمة الفائدة؛ لعدم ذرّية له حقيقة حتّى يستحقّ من نصرهم مثلاً شفاعته يوم القيامة، فتأمّل.

والفاضل العلامّة في المختلف - بعد نقله حجّة السيّد عليه السلام بأنّ الأصل في الاطلاق

الحقيقة - قال: والجواب المنع من اقتضاء الاطلاق الحقيقة مطلقاً، بل إذا لم يعارضه معارض (١).

فإن أراد به الرواية المرسله، فهي لإرسالها لا تصلح للمعارضة، وإن أراد استعمال العرف كما يفسره (٢) به قوله: لنا إنه إنما يصدق الانتساب حقيقة إذا كان من جهة الأب عرفاً، فلا يقال، تميمي إلا لمن انتسب إلى تميم بالأب (٣).

فهذا الحصر غير مسلم عند السيد، كيف لا؟ وقد قال: وما زالت العرب في الجاهلية تنسب الولد إلى جدّه - إلى قوله - يقال له أبداً: أنت ابن الصديق. فإذا صح أن يقال لمن هو من أبناء تميم: تميمي من غير فرق .

فإن قيل: إنّ الأوّل يقال على المجاز ولا يلزم الاشتراك .

قلنا: لزومه هنا ممنوع، كما سيأتي سنده .

ومن الغرائب أن الفاضل العلامة اعترف في بعض فوائده بأنّ الشريف العلوي الفاطمي من نسل رسول الله ﷺ، والنسل هو الولد، كما في القاموس وغيره، ولا ولد ولا ذرية له ﷺ إلا من قبل البنات، وهنا قد أنكر ذلك وجعله من المجاز .

قال ﷺ في جواب من سأله عن الشريف العلوي الفاطمي، هل يجوز له أن يقول عن نفسه: هذا جلد رسول الله ﷺ، هذا جلد فاطمة ؑ، هذا جلد علي ؑ أم لا يجوز ذلك؟ فإنّ تلك الجلود الطاهرة معصومة مطهّرة: إن قصد بذلك التجوّز بأنّه

(١) مختلف الشيعة ٣: ٣٣٣ طبع مؤسسة النشر الاسلامي .

(٢) في «ن»: يفيد .

(٣) مختلف الشيعة ٣: ٣٣٢ .

قصد أنه جلد يكون من نسل رسول الله ﷺ فلا بأس، وإن قصد الحقيقة فلا (١).
وأغرب منه أن ينقل هذا عن الصادقين بطرق عديدة عدّة أخبار صحيحة
صرّحوا فيها بأنهم من بني رسول الله ﷺ حقيقة، واستدلّوا عليه بآيات بينات،
وسلم ذلك منهم خصومهم العارفون بالعرف واللغة بعد احتجاجهم عليهم، ومع
ذلك يقول قائل يتبعهم ويقلّدهم في أحكام الدين وما ورد في شريعة سيّد
المرسلين أنهم من أبنائه مجازاً، مصراً عليه بأن الانتساب الحقيقي إنّما يصدق
عرفاً إذا كان من جهة الأب، كأنه أعرف منهم بالعرف وأبصر باللغة، إنّ هذا الشيء
عجاب، فاعتبروا يا أولي الأبواب.

فصل

خلاصة الكلام في هذا المقام

إنّ أئمتنا المعصومين عليهم السلام قد أصروا وبالغوا في كونهم من بني رسول الله ﷺ من
قبل أمّهم فاطمة عليها السلام، واستدلّوا عليه في مقام الاحتجاج على منكري ذلك بآيات
وأثبتوه عليهم، وهو مشهور بين علمائنا عامّة، روه في كتبهم المشهورة بأسانيد
صحيحة ومعتبرة.

وما أنكره من الأئمة إلاّ بعض غاغة العامّة، وهم بعد الاحتجاج عليهم سلّموه
وأقرّوا به، بل استحسّنوه كما سيأتي، وذلك كافٍ في إثبات أنّ ولد البنت ولد حقيقة
منسوبة إلى الجدّ بالولادة منه لصلبه، فمن كانت أمّه هاشمية وإن كان أبوه غير
هاشمي، فهو هاشمي، يحلّ له الخمس، وتحرم عليه الزكاة، وتجري عليه بقية
أحكام الهاشميين.

وكذا الكلام في الذرية العلوية الفاطمية، وما ورد فيهم من الخصائص والمزايا وسائر الأحكام، من غير فرق بين المنتسبين منهم إليهم عليهم السلام من قبل الأب والأم. والعجب من أكثر أصحابنا أنهم قلّدوا الشيخ في منعه من أمّه هاشمية وأبوه غير هاشمي من الخمس، فتمسّكوا فيما ادّعوه برواية مرسلّة، وعملوا بمضمونها، وتركوا العمل بمضامين صحيح الأخبار الدالّة على أنّ المنتسب بالهاشم بالأمّ هاشمي، ولا يظهر لهم على ذلك باعث سوى استعمال اللغة وقول الشاعر:

بنونا بنو أبناتنا وبناتنا بنوهنّ أبناء الرجال الأبعاد
ومنهم من جعل هذا مؤيداً لذلك لا دليلاً عليه، فانحصر الدليل في استعمال أهل العرف.

وهذا مع ما فيه من النظر السابق، لا ينهض حجة بعد ورود تلك الروايات وما سيأتي من الدلالات، وها أنا ذا آخذ الآن بعون الله تعالى في نقلها وبيانها.

فصل

[الأخبار الدالّة على أنّ ولد البنت ولد حقيقة]

في الكافي: عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم - والسند صحيح عندهم - عن أحدهما عليهما السلام، أنّه قال: لو لم يحرم على الناس أزواج النبي صلى الله عليه وآله لقوله عزّ وجلّ: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا﴾ (١) حرمن على الحسن والحسين عليهما السلام لقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تُنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (٢) ولا

(١) سورة الأحزاب: ٥٣.

(٢) سورة النساء: ٢٢.

يصلح الرجل أن ينكح امرأة جدّه (١).

أقول: الاستدلال به على كون الاستعمال حقيقة شرعاً أو لغة، بأنه دلّ على أنّ أب الأمّ أب حقيقة؛ إذ لولا ذلك لما اقتضت الآية تحريم زوجة الجدّ على ولد البنت، فيكون ولد البنت ولد حقيقة للتضايّف بينهما، ولذلك كان سيّد الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام يخاطب جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله بـ «يا أبتاه» وكان جدّه يخاطبه بـ «يا بني» كما في الأخبار.

منها: ما رواه الكليني، وكذا الشيخ الصدوق، في الموثق، عن عثمان بن عيسى، عن المعلّى بن المسيّب، عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبتاه ما جزاء من زارك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بني من زارني حيّاً أو ميتاً، أو زار أباك، أو زار أخاك، أو زارك، كان حقّاً عليّ أن أزوره يوم القيامة، وأخلصه من ذنوبه (٢).

وفي التهذيب: عن علي بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: بينا الحسين عليه السلام قاعد في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم إذ رفع رأسه إليه، فقال: يا أبة ما لمن أتاك بعد وفاتك زائراً لا يريد إلّا زيارتك؟ فقال: يا بني من أتاني بعد وفاتي زائراً لا يريد إلّا زيارتي فله الجنة الحديث (٣).

وفيه: عن بعض أصحابنا، قال: تقدّم أبو الحسن الأوّل عليه السلام إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله.

(١) فروع الكافي ٥: ٤٢٠ ح ١.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٧٧، فروع الكافي ٤: ٥٤٨.

(٣) تهذيب الأحكام ٦: ٢١ ح ٥.

وقال: السلام عليك يا أبة الحديث (١).

وسأيتي في الروضة، عن عبدالصمد بن بشير، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال أبو الجارود ما يقولون لكم في الحسن والحسين عليهما السلام؟ قلت: ينكرون علينا أنهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: أي شيء احتججتهم عليهم؟ قلت: احتججنا عليهم بقول الله عز وجل في عيسى بن مريم عليها السلام: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى ﴿٢﴾ فجعل عيسى بن مريم عليها السلام من ذرية نوح عليها السلام.

قال: فأبي شيء قالوا لكم؟

قلت: قالوا: قد يكون ولد الإبنة من الولد ولا يكون من الصلب.

قال: فأبي شيء احتججتهم عليهم؟

قلت: احتججنا عليهم بقول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ (٣).

قال: فأبي شيء قالوا؟

قلت: قالوا: قد يكون في كلام العرب أبناء رجل وآخر يقول أبناؤنا.

أقول: فحملوا الآية على المجاز، وفيه أن مدار الاستدلال على أن الأصل في الاطلاق الحقيقة، فالحمل على المجاز يحتاج إلى الدليل، كما مرّ في كلام

(١) تهذيب الأحكام ٦: ٦ - ٧.

(٢) سورة الأنعام: ٨٤ - ٨٥.

(٣) سورة آل عمران: ٦١.

المرتضى عليه السلام، ولكن لما كان الخصم عنوداً لم يتعرض سيّدنا باقر العلوم عليه السلام لذلك، بل استدللّ بآية لا يمكنه حملها على المجاز.

حيث قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: يا أبا الجارود لا تينكها من كتاب الله تعالى إنهما من صلب رسول الله صلى الله عليه وآله لا يردها إلا الكافر.
قلت: وأين ذلك جعلت فداك؟

قال: من حيث قال الله عزّ وجلّ: ﴿حَرِّمْتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ﴾ الآية، إلى أن انتهى إلى قوله تعالى: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ (١) فسلمهم يا أبا الجارود هل كان يحلّ لرسول الله صلى الله عليه وآله نكاح حليلتيهما؟ فإن قالوا: نعم، كذبوا وفجروا، وإن قالوا: لا، فهما أبناء لصلبه (٢).

دلّت الرواية على أنّ ولد البنت ولد حقيقة؛ إذ لولا ذلك لما اقتضت الآية تحريم زوجته على الجدّ، فيكون أب الأمّ أباً حقيقة للتضايّف بينهما.

قال بعض الأفاضل: وهذا الحديث الشريف الوارد في حديث أبي الجارود ممّا يدلّ على أنّ ولد البنت ولد حقيقة، وبمعناه من الأحاديث كثير، وهو غير بعيد، وإنّما صرفنا الولد فيما يقع في الوقف ونحوه إلى الولد خاصّة دون ولد الولد من حيث العرف وإن خالف اللغة، إذ هو الحكم في مثله.

وقال في موضع آخر بعد أن نقل عن بعض علمائنا أنّه قال: ظاهر ما جاء من قولهم «فقلت: يا بن رسول الله» يفيد أنّ ولد البنت ولد حقيقة، كما يشهد بذلك الأخبار، وذهب إليه السيّد عليه السلام.

(١) سورة النساء: ٢٣.

(٢) الروضة من الكافي ٨: ٣١٧-٣١٨ ح ٥٠١.

وأنا أقول: لا بعد في كون ولد الولد ولداً حقيقة لغة، وإن خالفه العرف، فما وقع في الوقف ونحوه بلفظ «ولدي» لا يتناول ولد الولد حكمه؛ إذ العرف يحكم في مثله دون اللغة انتهى.

فائدة

حصل من الروایتين: إنَّ حليلة كلِّ من الجدِّ الأمِّي وولد البنت لا تحلُّ لآخر، وما ذاك إلاَّ لكون أب الأمِّ أباً حقيقة، وكون ولد البنت ولداً حقيقة، أو الولد المجازي - كما مرَّ غير مرَّة - ليس بولد لصحة السلب، فمع قطع النظر عن التضاييف بينهما يثبت المطلوب، وهو أنَّ ولد البنت منسوب إلى الجدِّ بالولادة منه فيكون لصلبه.

فكيف لا يكون كذلك؟ وقد ورد في كثير من الأخبار أنَّ ولد ابنته وإن نزل يكون بضعة من جدِّه وبعضاً منه.

منها: ما رواه الصدوق في الموثق كالصحيح، عن الحسن بن علي بن فضال، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، أنه قال له رجل من أهل خراسان: يا بن رسول الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام كأنه يقول لي: كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بضعتي، واستحفظتم وديعتي، وغيب في تراكم نجمي، فقال له الرضا عليه السلام: أنا المدفون في أرضكم، وأنا بضعة من نبيكم، وأنا الوديعه والنجم الحديث ^(١).

ولا يقال البضعة إلاَّ للولد الصلبي، كما في قوله صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة مني ^(٢).

(١) من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٨٤ برقم: ٣١٩١.

(٢) بحار الأنوار ٢١: ٢٧٩ و ٢٣: ١٤٣. ٢٣٤ و ٢٧: ٦٢، وهو حديث متواتر بين

الفريقين، رواه جمع من أعلام الفريقين في كتبهم المناقب، فراجع.

وعن أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستدفن بضعة مني بخراسان، ما زارها مكروب إلا نَفَسَ الله كربه، ولا مذنب إلا غفر الله له ذنوبه (١).
وروت أمّ الفضل بنت الحارث (٢)، أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: يا رسول الله رأيت البارحة حلمًا منكراً، قال: وما هو؟ قالت: رأيت كأنه قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: خيراً رأيت تلد فاطمة عليها السلام غلاماً ويكون في حجرك. فولدت فاطمة عليها السلام الحسين عليه السلام، قالت: فكان في حجري، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخلت به عليه، فوضعت في حجره، ثم حانت مني النفاتة، فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله تدمعان، فقلت: بأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: أتاني جبرئيل، فأخبرني أن أمتي سيقتل ابني هذا، وأتاني بتربة من تربته حمراء (٣).

وهذا الاستدلال من الإمام عليه السلام مبني على تسليم الخصم، بل اتفاق العلماء على دخول أولاد الأولاد مطلقاً تحت هذه الآية، كما صرّح به أكثر المفسرين.
قال الرازي: اتفقوا على أن هذه الآية تقتضي تحريم حليّة ولد الولد على الجدّ، وهذا يدلّ على أن ولد الولد يطلق عليه أنه من صلب الجدّ. وفيه دلالة على أن ولد الولد منسوب إلى الجدّ بالولادة (٤).

قال البيضاوي: «من أصلا بكم» إحتراز عن المتبئين لا عن أبناء الولد (٥).

(١) من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٨٣ برقم: ٣١٨٧.

(٢) في النسختين: العباس.

(٣) بحار الأنوار ٤: ٤٤ - ٢٣٨ - ٢٣٩ عن الإرشاد.

(٤) التفسير الكبير للرازي ٩: ٣٥.

(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي ١: ٢٦٧.

أقول: وذلك أنّ المتبئين ليس بابن علي الحقيقة؛ لأنّه من صلب من تنبّاه، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ (١) والداعي هو الذي تنبّاه الإنسان، بخلاف أبناء الولد، فإنّهم أبناء لجدهم علي الحقيقة؛ لأنّهم من صلبه، فجاز انتسابهم إليه بالولادة، ولا يكون ذلك محرّماً شرعاً، ولا داخلاً تحت ما وردت السنّة بالنهي عنه في قوله ﷺ «من انتسب إليّ غير أبيه، أو انتهى إليّ غير مواليه، فعليه لعنة الله» (٢) وذلك أنّ الجدّ أحد الأبوين .

وبالجملة نسبة الولد إلى والده، أو إلى والدته، أو إلى من ولد عليّ فراشه، والولد أعمّ من أن يكون بواسطة أو بلا واسطة، ولهذا ينتسب الإنسان بجميع أشخاصه إلى آدم أبي البشر، فيقال له: ابن آدم وولده، سواء في ذلك انتسابهم إليه بالأب أو الأمّ، كما في عيسى بن مريم ﷺ .

ثمّ كيف ينكر فقيه تفقه في هذه الأخبار كون ولد البنت ولداً حقيقياً صلياً حاملاً لها عليّ ضرب من المجاز؟ وهي بأعليّ صوتها تنادي عليّ خلافة، حيث صرح فيها بأنّ الولد لابنته ابن جدّه لصلبه، وهل كان لكونهم ﷺ من أبنائه ﷺ عليّ المجاز منكرأ يحتاج إلى احتجاج عليه بآيات ودلالات؟ وهل كان لإثبات ذلك فائدة تفيدهم أو تزيدهم فضلاً وشرفاً، حتّى تجشّموا لإثباته بإقامة دلائل قائمين عليّ ساق جدّهم، وذلك في عدّة أخبار :

منها: ما قد سبق .

ومنها: ما في عيون الأخبار، في جمل من أخبار موسى بن جعفر ﷺ مع

(١) سورة الأحزاب: ٤ .

(٢) كنز العمال ٦: ١٩٣ برقم: ١٥٣٠٩ .

هارون الرشيد، قال عليه السلام بعد كلام طويل نأخذ منه بقدر الحاجة، ثم قال أي الرشيد: لِمَ جَوِّزْتُمُ لِلْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ أَنْ يَنْسَبُوا إِلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقُولُوا لَكُمْ: يَا بَنِي رَسُولِ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ بَنُو عَلِيٍّ، وَإِنَّمَا يَنْسَبُ الْمَرْءُ إِلَى أَبِيهِ، وَفَاطِمَةُ إِنَّمَا هِيَ وَعَاءُ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَدِّكُمْ مِنْ أُمَّكُمْ .

أقول: حاصل كلام هارون يرجع إلى ما قالوا في الدليل على المشهور من أن الانتساب الحقيقي إنما يصدق إذا كان من جهة الأب عرفاً، فلا يقال حارثي إلا لمن انتسب إلى حارث بالأب .

وحاصل كلام الإمام عليه السلام يرجع إلى منع هذا الحصر، وإثبات أن ولد البنت ينسب إلى الجدّ بالولادة منه، ولذا حرم عليه نكاح ابنته، ولا وجه له سوى النسب؛ إذ لا مصاهرة هنا، ولا رضاع، ولا غيرهما من أسباب التحريم، وهو ظاهر .

وإلى هذا أشار عليه السلام بقوله: فقلت: يا أمير المؤمنين لو أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نشر، فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه؟ فقال: سبحان الله ولم لا أجيبه بل أفخر على العرب والعجم وقريش بذلك، فقلت له: لكنّه لا يخطب إليّ ولا أزوجه، فقال: ولم؟ فقلت: لأنّه ولدني ولم يلدك، فقال: أحسنت يا موسى^(١) .

فائدة

هذا صريح في أن أولاد البنت وإن نزلوا أولاد حقيقة، بدليل تحريم المزوجة بينهم وبين الجدّ، فهم من ذريته وعقبه؛ لأنّ ذرية الرجل - كما سبقت - ولده ونسله، والعقب الولد، وولد البنت كما في القاموس^(٢) وهو بإطلاقه يشمل الذكر والأنثى من الذكور والأنثى .

(١) عيون أخبار عليه السلام ١: ٨٣ - ٨٤ .

(٢) القاموس المحيط ٢: ٣٤ .

ومنه يظهر أن سؤال هارون الرشيد - كما سيأتي - إنما نشأ من سوء فهمه وجهله بلسان قومه، فإنهم لما أسلم أنه ﷺ ممن ولده النبي ﷺ، لزمه أن يسلم أنه من ذريته وعقبه، فكيف يسأل بعد ذلك عنه ويطالب عليه الحجّة؟ كما نقل عنه الإمام ﷺ متصلاً بكلامه السابق ذكره بقوله :

ثم قال: كيف قلت: إنا ذرية النبي ﷺ والنبي ﷺ لم يعقب، وإنما العقب للذكر لا للأُنثى، وأنتم ولد الإبنة، ولا يكون لها عقب .

فقلت: أسألك بحقّ القرابة والقبر ومن فيه إلّا ما أعفيتني عن هذه المسألة .

فقال: لا أو تخبرني بحجّتكم فيه يا ولد علي، وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم، كذا أنهي إليّ، ولست أعفيك في كلّ ما أسألك عنه حتّى تأتيني فيه بحجّة من كتاب الله تعالى، وأنتم تدعون معشر ولد علي على أنه لا يسقط عنكم منه شيء لا ألف ولا واو وتأويله عندكم، واحتججتم عليه بقوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١) واستغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم^(٢) .

أقول: قول هارون هذا شبيه بقول قريش إن محمداً لا عقب له، يموت فنستريح ويندرس دينه؛ إذ لا يقوم مقامه من يدعو إليه فينقطع أمره، فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ﴾ إلى قوله ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ قال مجاهد: الأبتَر الذي لا عقب له، وهو جواب لقول قريش. ثم قال: فانظر كيف انتشر دينه وعلا أمره وكثرت ذريته حتّى صار نسبه أكثر من كلّ نسب^(٣) .

(١) سورة الأنعام: ٣٨ .

(٢) عيون الأخبار ١: ٨٤ .

(٣) التبيان للشيخ الطوسي ١٠: ٤١٨ .

أقول: لا ذرية له ولا عقب ولا نسب إلا من قبل البنات؛ لأنه ما كان أبا أحد من رجالكم، فيظهر منه أن أولاد البنت ذرية وعقب، وفيه دلالة على أن ولد الولد منسوب إلى الجدّ بالولادة، وإلا لم تكن السورة جواباً لقول القریش ولا ردّاً عليهم، وهو ظاهر.

ومن الغريب أن هارون هنا أنكر كونهم عليهم السلام من بني رسول الله ﷺ، وقد أقرّ في موضع آخر وشهد بأنه ﷺ أبوهم حقاً، ويلزم منه للتضايّف أن يكونوا (١) بنيه حقاً، ولعلّ هذا كان منه بعد ذلك، أو كان هو واقفاً وعالمياً بأنهم بنو رسول الله ﷺ وهو أبوهم حقاً، لكن أراد الوقوف على دليله، أو كان غرضه امتحان سيّدنا أبي الحسن الأوّل عليه السلام، واختبار فضله وعلمه.

وأما الذي يدلّ على أنّه كان عارفاً ببنوتهم له وأبوته لهم، فهو الذي رواه في التهذيب، عن بعض أصحابنا، قال: حضرت أبا الحسن الأوّل عليه السلام وهارون وعيسى ابن جعفر وجعفر بن يحيى بالمدينة، وقد جاؤوا إلى قبر النبي ﷺ، فقال هارون لأبي الحسن عليه السلام: تقدّم، فأبى، فتقدّم هارون فسلم فقام ناحية، فقال عيسى لأبي الحسن عليه السلام: تقدّم، فأبى، فتقدّم عيسى فسلم ووقف مع هارون، فقال جعفر لأبي الحسن عليه السلام: تقدّم، فأبى، فتقدّم جعفر فسلم ووقف مع هارون.

وتقدّم أبو الحسن عليه السلام، فقال: السلام عليك يا أبة، أسأل الله الذي اصطفاك واجتباك وهداك وهدى بك أن يصلّي عليك، فقال هارون لعيسى: سمعت ما قال؟ قال: نعم، فقال هارون: أشهد أنّه أبوه حقاً (٢).

(١) في «ن» يكون.

(٢) تهذيب الأحكام ٦: ٦ - ٧.

هذا، ونعود إلى نقل ما أجابه الإمام عليه السلام، فقال: قلت: تأذن لي في الجواب، فقال: هات، فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ﴾ (١) من أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟ فقال: ليس لعيسى أب، فقلت: إنما ألحقناه بذراري الأنبياء من طريق مريم، وكذلك ألحقنا بذراري النبي صلى الله عليه وآله من قبل أمنا فاطمة عليها السلام، أزيدك يا أمير المؤمنين؟ قال: هات .

قلت: قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (٢) ولم يدع أحد أنه أدخل مع النبي صلى الله عليه وآله تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلا علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فكان تأويل قوله عز وجل: ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ الحسن والحسين عليهم السلام ﴿وَنِسَاءَنَا﴾ فاطمة عليها السلام ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ علي ابن أبي طالب عليه السلام الحديث (٣) .

ويرجع حاصله إلى منع حصر الذرية في الذكر، وإثبات أنها كما تكون للذكر كذلك تكون للأنتى؛ لأن عيسى عليه السلام قد عدّ من ذرية نوح عليه السلام لا من جهة الذكر؛ إذ ليس له أب كما اعترف به، بل من جهة الأنتى وهي أمه مريم، وكذلك الحسنان عليهم السلام قد عدّا من أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وذريته لا من جهة أبيهما علي عليه السلام، بل من جهة أمهما فاطمة عليها السلام .

(١) سورة الأنعام: ٨٤ - ٨٥ .

(٢) سورة آل عمران: ٦١ .

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٨٤ - ٨٥ .

فهذان الآيتان دلّتا على أنّ عقب الرجل كما يكون من طريق إبنه وهو الذكر، كذلك يكون من طريق ابنته وهي الأنتى، فبطل الحصر، وثبت المدعى .
ومنه يستبين أنّ حديث المجاز كما يدّعونه في المشهور ممّا لا معنى له؛ لأنّ هارون لم يطالبه للحجّة على كونهم عليه السلام من أبنائه وذريّاته على المجاز، والإمام عليه السلام لم يستدلّ بالآيتين على إثبات ذلك المعنى المجازي؛ إذ لا فائدة فيه ولا منكر له حتّى يحتاج في إثباته إلى تجسّم دليل، وهو ظاهر .

فصل

[الإستدلال بالروايات على المدعى]

في عيون الأخبار: بسند صحيح هكذا: حدّثنا علي بن الحسين بن شاذويه المؤدّب، وجعفر بن محمّد بن مسرور رضي الله عنهما، قالوا: حدّثنا محمّد بن عبدالله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن الريّان بن الصلت، قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو الحديث .

وليس في سنده من لم يصرّحوا بتوثيقه إلاّ علي وجعفر، وهما من مشايخ الإجازة، فلا يضرّ الجهل بحالهما، مع أنّ الترضية عندهم عدل التوثيق، على ما صرّح به بعض متأخري أصحابنا .

ومع قطع النظر عن ذلك، فكتاب ابن الصلت المذكور فيه هذا الحديث كان معروفاً مشهوراً في عهد الصدوق، وإنّما ذكر سنده إليه تيمناً، ولمجرّد الاتّصال من غير حاجة إليه .

قال الشيخ الجليل النجاشي في كتابه: الريّان بن الصلت الأشعري القميّ أبو علي، روى عن الرضا عليه السلام، كان ثقة صدوقاً. ذكر أنّ له كتاباً جمع فيه كلام الرضا عليه السلام في الفرق بين الآل والأئمة .

قال أبو عبدالله الحسين بن عبيدالله عليه السلام: أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى، قال: حدّثنا عبدالله بن جعفر، عن الريّان بن الصلت بالكتاب (١).

وهذا السند أيضاً صحيح، فصَحَّ وثبت أنّ هذا الحديث صحيح سنداً.

وأما المتن، فهو قول الرضا عليه السلام بعد كلام طويل: وأما العاشرة، فقول الله تعالى في آية التحريم: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ (٢) الآية إلى آخرها، فأخبروني هل تصلح إبنتي أو إبنة إبني وما تناسل من صليبي لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يتزوجها لو كان حياً؟ قالوا: لا، قال: فأخبروني هل كانت إبنة أحدكم تصلح له أن يتزوجها لو كان حياً؟ قالوا: نعم.

قال: ففي هذا بيان لأنّي أنا من آله، ولستم أنتم من آله، ولو كنتم من آله لحرّم عليكم بناتكم، كما حرّم عليه بناتي؛ لأنّي من آله وأنتم من أمّته، فهذا فرق بين الآل والأئمة؛ لأنّ الآل منه، والأئمة إذا لم تكن من الآل فليست منه، فهذه العاشرة. وأما الحادي عشر، فقول الله تعالى في سورة المؤمن، حكاية عن قول رجل مؤمن من آل فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٣) تمام الآية، فكان ابن خال فرعون، فنسبه إلى فرعون بنسبه، ولم يصفه إليه بدينه، كذلك خصّصنا نحن، إذ كنّا من آل رسول الله صلى الله عليه وآله بولادتنا منه، وعمّنا الناس بالدين، فهذا فرق بين الآل

(١) رجال النجاشي ص ١٦٥ برقم: ٤٣٧.

(٢) سورة النساء: ٢٣.

(٣) سورة غافر: ٢٨.

والأمة إلى هنا كلامه ﷺ (١).

وهذا نصّ بالباب، كما لا يخفى على أولي الألباب، وهو يهدي إلى الطريق الصواب.

فائدة

نقل في مجمع البيان عن السدي ومقاتل، أنهما قالوا: إن مؤمن آل فرعون كان ابن عمّه (٢).

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي ﷺ: عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل يذكر فيه حزقيل، وإن قوم فرعون وشوا (٣) به إلى فرعون، وقالوا: إن حزقيل يدعو إلى مخالفتك، ويعين أعداءك إلى مضادتك.

فقال لهم فرعون: ابن عمّي، وخليفتي على ملكي، وولي عهدي، إن كان قد فعل ما قلت، فقد استحقّ العذاب على كفره نعمتي، فإن كنتم عليه كاذبين فقد استحققتم أشدّ العذاب لا يشارككم الدخول في مسأته، فجاء بحزقيل وجاء بهم فكاشفوه، فقالوا: أنت تجحد ربوبية فرعون الملك وتكفر نعمائه؟

فقال حزقيل: أيها الملك هل جرّبت عليّ كذباً قطّ؟ قال: لا، قال: فسلمهم من ربّهم؟ قالوا: فرعون، ومن خالفكم؟ قالوا: فرعون، قال: ومن رازقكم الكافل لمعائشكم والدافع عنكم مكارهكم؟ قالوا: فرعون.

قال حزقيل: أيها الملك فأشهدك وكلّ من حضرك أنّ ربّهم هو ربّي، وخالفهم

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٢٨ - ٢٤٠.

(٢) مجمع البيان ٤: ٥٢١.

(٣) وشياً ووشاية به إلى الملك: نمّ عليه وسعى به.

هو خالقي، ورازقهم هو رازقي، ومصالح معائشهم هو مصالح معائشي، لا ربّ لي ولا رازق غير ربّهم وخالقهم ورازقهم، وأشهدك ومن حضرك أنّ كلّ ربّ وخالق ورازق سوى ربّهم وخالقهم ورازقهم، فأنا بريء منه ومن ربوبيته وكافر بالهيته . يقول حزقيل هذا وهو يعلم أنّ ربّهم هو الله ربّي، ولم يقل إنّ الذي قالوا هم إنّه ربّهم هو ربّي، وخفي هذا المعنى على فرعون ومن حضره، وتوهّموا أنّه يقول: فرعون ربّي وخالقي ورازقي .

فقال فرعون لهم: يا رجال السوء، ويا طلاب الفساد في ملكي، ومريدي الفتنة بيني وبين ابن عمّي، وهو عضدي، أنتم المستحقّون لعذابي، لإرادتكم فساد أمري، وإهلاك ابن عمّي .

ثمّ أمر بالأوتاد، فجعل في ساق كلّ واحد منهم وتد، وفي عضده وتد، وفي صدره وتد، وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشقّوا بها لحومهم من أبدانهم، فذلك ما قال الله تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكَّرُوا﴾ (١) وكان سبب لهلاكهم لما وشوا به إلى فرعون ليهلكوه ﴿وَوَاقٍ بِأَلٍ فِرْعَوْنَ سَوْءِ الْعَذَابِ﴾ وهم الذين وشوا بحزقيل إليه لمّا أوتد فيهم الأوتاد، ومشط عن أبدانهم لحومهم بالأمشاط (٢) .

أقول: من حفر بئراً لأخيه فقد وقع فيه، ثمّ إنّ الجمع بين هذا وذاك دونه خرط القتاد، والظاهر ترجيحه لصحّة سنده، والله يعلم .

تنبيه :

في قوله ﷺ «وما تناسل من صليبي» دلالة على أنّ جميع طبقات السادات

(١) سورة غافر: ٤٥ .

(٢) الاحتجاج ٢: ١٣١ - ١٣٢ .

العلوية الفاطمية بالغاً ما بلغ إلى انقراض الدنيا من أولاد رسول الله ﷺ لصلبه، ذكوراً كانوا أم إناثاً من الذكور أو الإناث، ولذلك ورد في كثير من الأخبار والآثار إطلاق أولاد رسول الله ﷺ على غير المعصومين منهم .

منها: ما نقله الصدوق في عيون الأخبار، حيث قال: الباب التاسع ذكر من قتله الرشيد من أولاد رسول الله ﷺ بعد قتله موسى بن جعفر عليه السلام، ونقل ما فعل حميد بن قحطبة، وإفطاره في شهر رمضان، واغتراره فيه بقتله ستين نفساً من أولاد رسول الله ﷺ بأمر هارون الرشيد .

وساق الكلام إلى أن قال: قال ابن قحطبة: فبقي شيخ منهم عليه شعر، فقال لي: تبتاً لك يا ميشوم، أي عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدنا رسول الله ﷺ وقد قتلت من أولاده ستين نفساً قد ولّدهم علي وفاطمة عليه السلام، قال ابن قحطبة: فإذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستين نفساً من أولاد رسول الله ﷺ، فما ينفعني صومي وصلاتي (١) .

وفي هذا الخبر أشياء حذفناها .

وبالجملة إطلاق ولد رسول الله ﷺ على بني فاطمة عليه السلام كان شائعاً في السلف وذابحاً في الخلف، حتى لا يفهم من ابن رسول الله ﷺ إلا ذلك. وكذا في قوله عليه السلام «بولادتنا منه» تصريح بأن أولاد البنت وإن نزلوا ينسبون إلى الجدّ بالولادة منه . والمخاطبون بهذا الكلام الصادر من الإمام عليه السلام كانوا علماء من أهل الإنصاف، ومن فصحاء العرب، وما أنكر ذلك عليه أحد منهم، وهذا يشيّد أركان ما قال المرتضى في الدليل الثالث: وما زالت العرب في الجاهلية تنسب الولد إلى جدّه: إمّا في موضع مدح، أو ذمّ، فتأمل .

فصل

[ما يدلّ من الأخبار أيضاً على المدعى]

ومما يدلّ على أنّ ولد البنت ولد حقيقة، أنّه لا خلاف في تسميتهم عليه السلام بعترّة رسول الله صلى الله عليه وآله، كما هو المصرّح في قوله صلى الله عليه وآله «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي»^(١) وفي قوله «يلي رجل من عترتي اسمه اسمي»^(٢).

وغيرهما من الأخبار الكثيرة. والعترّة عليّ ما صرّح به ابن الأعرابي وغيره من علماء اللغة: ولد الرجل وذريّته من صلبه.

قال ابن الأعرابي: ولذلك سمّيت ذريّة محمّد صلى الله عليه وآله من عليّ وفاطمة عليهما السلام عترّة محمّد صلى الله عليه وآله انتهى^(٣).

وفي فروع الكافي: عن علي بن بلال، قال: لقي هشام بن الحكم بعض الخوارج، فقال: يا هشام ما تقول في العجم؟ يجوز أن يتزوّجوا في العرب؟ قال: نعم، قال: فالعرب يتزوّجوا من قريش؟ قال: نعم، قال: فقريش يتزوّج في بني هاشم؟ قال: نعم، قال: عمّن أخذت هذا؟ قال: عن جعفر بن محمّد عليه السلام، يقول: أتتكافئ دماءكم ولا تتكافئ فروجهم.

قال: فخرج الخارجي حتّى أتى أبا عبد الله عليه السلام، فقال: إني لقيت هشاماً، فسألته عن كذا، فأخبرني بكذا، وذكر أنّه سمعه منك، قال: نعم قد قلت ذلك، فقال

(١) بحار الأنوار ٢: ٩٩ و ١٠: ١٥٩ و ٢٢: ٣١١ و ٢٣: ١٠٧، وهو حديث متواتر بين

الفريقين، رواه جمع من أعلام الفريقين.

(٢) بحار الأنوار ٢٨: ٢٢٥ و ٣٦: ٣٣٠ و ٥١: ٧٤.

(٣) مجمع البحرين ٣: ٣٩٥ عنه.

الخارجي: فها أنا إذا قد جئتكم مخاطباً .

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إنك لكفو في دينك^(١)، وحسبك في قومك، ولكن الله عز وجل صاننا عن الصدقة، وهي أوساخ أيدي الناس، فنكره أن نشرك فيما فضلنا الله تعالى به من لم يجعل الله له مثل ما جعل لنا، فقام الخارجي وهو يقول: بالله ما رأيت رجلاً مثله قط، ردني والله أقبح ردّ، وما خرج من قول صاحبه^(٢) .

وهذا ظاهر فيما ذهب إليه المرتضى عليه السلام من حرمة الصدقة على أولاد بنات بني هاشم، أي: لا تفعل ذلك، فيحصل ولد، فتحرم عليه الصدقة، فيصير شريكنا، مع أنه من جهة الأب لم يجعل الله له ما جعل لنا. وهذا يدل على مرجوحية نكاح الهاشمية بغير الهاشمي .

ونقل عن ابن الجنيد أنه اعتبر في من حرّم عليهم الصدقة ألا يتزوج فيهم إلا منهم؛ لئلا يستحلّ بذلك الصدقة من حرمت عليه إذا كان الولد منسوباً إلى من لا تحلّ له الصدقة، ونقل عنه أنه احتجّ بهذه الرواية، وفيها احتمالات أخر بعيدة فتأمل .

فصل

[الدليل العقلي على أن ولد البنت ولد حقيقة]

هذا ما دلّ عليه النقل، وأمّا العقل فيدلّ على أن نسبة الولد إلى أمّه وجدّه الأُمّي في السيادة وغيرها من الألقاب، أولى من نسبته إلى أبيه وجدّه الأبوي .
وذلك أنا إن قلنا: إن مني الذكر لا يصير جزءاً من الجنين، فحينئذ يكون بدن

(١) في المصدر: دمك .

(٢) فروع الكافي ٥: ٣٤٥ ح ٥ .

المولود بكله متكوّناً من مني الأمّ، كاللبن ودم الطمث .

وإن قلنا: إنّه يصير جزءاً منه إلّا أن يكون كالأنفحة ومني الأمّ كاللبن، فلا شكّ أنّ مادّة الأمّ أكثر. ثمّ ذلك المتكوّن إنّما ينمي بالدم الذي ينفصل عن الأمّ .

فعلى جميع التقادير أكثر الأجزاء التي منها يولد الجنين منفصل عن الأمّ، وذلك يقتضي أن تكون مشابهة الولد للأُمّ خلقاً وخلقاً أكثر من مشابهة الأب، ولهذا قال ﷺ: «الولد الحلال يشبه بالخال» وقال: اختاروا لنطفكم فإنّ الخال أحد الضجيعين. كذا في الكافي (١).

ولهذا السبب كان الحسنان ﷺ أشبه الناس برسول الله ﷺ، على ما ورد في الطرفين .

ففي صحيح البخاري، وفي مسند أبي بكر، عن عقبة بن الحارث، قال: صلّيتُ أبو بكر العصر، ثمّ خرج يمشي ومعه علي، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان، فحملة علي عاتقه، وقال :

بأبي شبيهه النبي ليس شبيهاً بعلي

وعلي يضحك (٢).

وعن أنس بن مالك، قال: أتني عبيدالله بن زياد برأس الحسين ﷺ، فجعله في طشت، فجعل ينكت ثنايا الحسين ﷺ، فكان في حسنه شيباً، فقال أنس: كان

(١) فروع الكافي ٥: ٣٣٢ ح ٢ .

(٢) صحيح البخاري ٤: ٢٢٧، مسند أحمد ١: ٨، وترجمة الإمام الحسن ﷺ لابن عساكر

أشبههم برسول الله ﷺ، وكان مخضوباً بالوسمة (١).

وعنه أيضاً، قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي، قال: وأخذ علي يقول حسن من أشبه برسول الله ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه به فيما كان أسفل من ذلك (٢).

فإن قلت: كما يجوز انتسابه إلى الأمّ، فيقال: إنّه سيّد، كذلك يجوز انتسابه إلى الأب، فيقال: إنّه عامي، والنسبتان متكافأتان، فنسبته إلى أحدهما دون الآخر لا بدّ له من مرجّح .

قلت: نسبته في ذلك إلى الأمّ أولى من نسبته إلى الأب .

أما أولاً، فلأنّها لسيادتها أشرف من الأب، ونسبة الولد إلى أشرف أبويه أولى .
وأما ثانياً، فلما عرفت من أنّ بدن الجنين: إمّا متكوّن بكّله من مني الأمّ ودم الطمث، أو بأكثر أجزائه، وذلك يقتضي ترجيح نسبته إليها تغليباً لجانب الأكثر على الأقلّ وترجيحاً له عليه .

وأما ثالثاً، فلأنّ في العرف ينسب إلى الولد في موضع التقليل ما هو أشرف من طرفي النقيضين، فيقال لمن أمّه من سلسلة الشاه دون أبيه: شاه زاده، فينسبونه إلى ما هو أشرف وأدخل في تعظيمه، وهذا أقرب إلى الأدب عقلاً ونقلاً .

وأما رابعاً، فلأنّا إنّما صرنا إلى ذلك، وقلنا: إنّه سيّد، تبعاً للأخبار، حيث صرّح فيها بنسبة الولد إلى جدّه الأمّي بالولادة، وإنّه من صلبه حقيقة، وهي الفارق

(١) العمدة لابن بطريق ص ٣٩٦ و ٤٠١ و ٤٠٤، وكشف الغمّة ٢: ١١، وبحار الأنوار

٤٥: ١١٨ و ١٥٤ .

(٢) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام لابن عساكر ص ٣٣ .

والعمدة في هذا الباب، والله أعلم بالصواب .

ويجب أن تعلم مع ما قد عرفت أن الحكماء والأطباء اتفقوا على أن مني الذكر فيه قوة عاقدة، واختلفوا في أنه هل فيه قوة منعقدة حتى يصير جزءاً من بدن الجنين أو لا حتى لا يصير جزءاً منه؟ فالحكماء أنكروها، مستدلين عليه بأن مني الرجل فيه قوة عاقدة لا يكون فاعلاً وقابلاً .

فصل

[تزييف دليل المشهور]

ومما قرّرنا ظهر وهن ما احتجّوا به على المشهور من استعمال أهل اللغة، وقول الكاظم عليه السلام في رسالة حمّاد بن عيسى: ومن كانت أمّه من هاشم وأبوه من سائر قريش، فإنّ الصدقات تحلّ له، وليس له من الخمس شيء؛ لأنّ الله يقول: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ (١).

أما الأوّل، فظاهر .

وأما الثاني، فلا رساله، والمراسيل مطلقاً لا اعتماد عليها، ولا تركن النفس شيئاً قليلاً إليه، كما فصلناه في بعض رسائلنا .

وكيف يصحّ هذا الخبر عنه عليه السلام؟ وهو في كلامه المنقول عنه سابقاً قد احتجّ على هارون، وأثبت عليه كون ولد البنت ولداً حقيقة منسوباً إلى جدّه بالولادة، ولذلك لا تحلّ له ابنته، ولا يجوز له تزويجه بها، وبذلك أثبت كونه من بني رسول الله صلى الله عليه وآله وذريته .

ومثله احتجّ ابنه الرضا عليه السلام، ونسب نفسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالولادة منه، ولذلك

حرمت ابنته وابنة ابنه وما تناسل من صلبه عليه، وبذلك يفرق بين الآل والأمة .
وأما الآية، فيمكن أن يكون الوجه فيها أن الآباء لما كانوا أشهر من الأمهات
غالباً، أمر الله تعالى أن ينسب الولد إليهم، ليمتازوا بذلك عن أولاد غيرهم، ولا
يختلط أنسابهم ولا مواريتهم، وهذا لا ينفي نسبة ولد البنت إلى جدّه بالولادة
وكونه من صلبه، كيف؟ وهو خلاف الواقع؛ لعدم الفرق بين ولد الابن والبنت في
ذلك، فكما أن ولده ولد الجدّ بالولادة، فكذا ولدها، بل هو أولى بالانتساب إليها
بالولادة .

روى في عيون الأخبار، بسنده المتّصل إلى زيد بن علي بن الحسين، عن
أبيه عليه، قال: قال رسول الله ﷺ: كيف تهلك أمة أنا وعلي وأحد عشر من ولدي
من السعداء أولها، والمسيح بن مريم آخرها، ولكن يهلك بين ذلك من لست منه
وليس مني (١) .

وفيه: عن سليم بن قيس، قال: سمعت عبد الله بن جعفر الطيّار يقول: كنّا عند
معاوية، والحسن والحسين عليه، وعبد الله بن عباس، وعمر بن أبي سلمة، وأسامة
ابن زيد يذكر حديثاً جرى بينه وبينه .

وإنّه قال لمعاوية بن أبي سفيان: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّي أولى
بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ أخي علي بن أبي طالب أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا
استشهد فابني الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ ابني الحسين أولى
بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابني علي بن الحسين أولى بالمؤمنين من
أنفسهم وستدركه يا علي، ثمّ ابني محمّد بن علي الباقر أولى بالمؤمنين من أنفسهم

وستدرکه یا عبدالله، وتکمله اثنا عشر إماماً تسعة من ولد الحسين الحديث (١).
 وأما حديث المجاز، فقد عرفت حاله.
 وبالجملة لا دليل للمشهور يعتمد إليه، أو يمال ميلاً ما إليه، بل هو من مقولة
 المقدّمة القائلة: ربّ مشهور لا أصل له.

[نقل كلام صاحب مجمع الفائدة في المسألة]

قال الفاضل الأردبيلي في شرحه على الإرشاد: إن الله يقول: ﴿ادْعُوهُمْ
 لِآبَائِهِمْ﴾ دليل المذهب المشهور بين الأصحاب، ونقل ذلك في المنتهى عن
 الجمهور أيضاً، فتأمل؛ لأنّ المشهور عندهم أنّ الحسينين عليهما السلام سيّدان لأنهما
 ولداه عليهما السلام (٢).

أقول: ومما اتّفق أهل الصحاح على إيراده، وتطابقوا على صحّة إسناده، ما
 رواه الحافظ عبدالعزيز مرفوعاً إلى أبي سفيان، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبل
 على الناس مرّة، وعلى الحسن بن علي مرّة أخرى، يقول: إنّ ابني هذا سيّد، ولعلّ
 الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين (٣).

وعن الحافظ أبي نعيم، فيما أورده في حديثه، عن أبي بكرة، قال: كان النبي صلى الله عليه وآله
 يصلّي بنا، فيجيء الحسن وهو ساجد، وهو إذ ذاك صغير، فيجيء فيجلس على
 ظهره، ومرّة على رقبته، فيرفعه النبي صلى الله عليه وآله رفعاً رفيقاً، فلما فرغ من الصلاة، قالوا:
 يا رسول الله إنّنا رأيناك تصنع بهذا الصبي شيئاً ما رأيناك تصنعه بأحد، فقال: إنّ هذا

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٤٧ - ٤٨.

(٢) مجمع الفائدة ٤: ١٨٨.

(٣) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام لابن عساكر ص ١٢٥ - ١٣٢.

ريحاني، وإنّ ابني هذا سيّد، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين^(١).
ثمّ قال ﷺ متّصلاً بما سبق: ودليل السيّد على عدم الاشتراط، أنّ النسبة إلى الأمّ
يكفي في آية المباهلة «وأبناءنا».

قال في مجمع البيان: أجمع المفسّرون على أنّ المراد بأبنائنا الحسن
والحسين ﷺ، قال أبو بكر الرازي: هذا يدلّ على أنّ الحسن والحسين ﷺ إنا
رسول الله ﷺ، وإنّ ولد الإبنة ولد حقيقة^(٢).

أقول: كما أنّ هذا يدلّ على ذلك، كذلك يدلّ عليه ما في عيون الأخبار، عن
علي بن الحسين ﷺ، قال: حدّثني أسماء بنت عميس، قالت: قبلت جدّتك
بالحسن والحسين ﷺ، فلمّا ولد الحسن جاء النبي ﷺ، فقال: يا أسماء هاتي ابني،
فدفعته إليه، ثمّ قال لعليّ ﷺ: بأيّ شيء سمّيت ابني؟ قال: ما كنت أسبقك باسمه
يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: ولا أسبق أنا باسمه ربّي عزّوجلّ، ثمّ أهبط جبرئيل،
فقال: يا محمّد العليّ الأعلى يقرؤك السلام ويقول: عليّ منك بمنزلة هارون من
موسى، ولا نبيّ بعدك، سمّ إنيك هذا باسم ابن هارون، قال النبي ﷺ: وما اسم ابن
هارون؟ قال: شبر، قال النبي ﷺ: لساني عربيّ، قال جبرئيل: سمّه الحسن.

فلمّا كان بعد حول ولد الحسين ﷺ وجاءني النبي ﷺ، فقال: يا أسماء هلّميّ
ابني، فدفعته إليه، فوضعه في حجره، ثمّ قال لعليّ ﷺ: أيّ شيء سمّيت ابني؟ قال:
ما كنت أسبقك باسمه يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: ولا أسبق باسمه ربّي عزّوجلّ،
ثمّ أهبط جبرئيل، فقال: يا محمّد العليّ الأعلى يقرؤك السلام ويقول لك: عليّ

(١) ترجمة الإمام الحسن ﷺ لابن عساكر ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) مجمع الفائدة ٤: ١٨٨.

منك كهارون من موسى، سمّ إينك هذا باسم ابن هارون، قال النبي ﷺ: وما اسم ابن هارون؟ قال: شبير، قال النبي ﷺ: لساني عربي، قال جبرئيل: سمّه الحسين (١).

وفي هذا الحديث أشياء حذفناها وأخذنا منه موضع الحاجة .

أقول: فالكتاب والسنة وهما أصلان أصيلان يدلّان على أنّهما إينا رسول الله ﷺ، وإنّ ولد الإبنة ولد حقيقة، فالقول بالمجاز المخالف لهما لا يلتفت إليه، ولا يعتدّ عليه .

ثمّ قال ﷺ: وكذا الآيات والأخبار الدالّة على أحكام الإرث والنكاح، بل ظاهر آية الخمس وأكثر أخباره، وكذا كلامهم في أحكام الإرث وغيره يدلّ على إطلاقه (٢).

أقول: وذلك لأنّهم أجمعوا على أنّ أولاد الأولاد يقومون مقامهم، ويرثون جدّهم مطلقاً، وإن كان أبواه موجودين، فإنّهم يقاسمونهما، ولا خلاف فيه فيما علمناه إلّا من الصدوق ﷺ، فإنّه شرط في توريثهم عدم الأبوين، تعويلاً على رواية قاصرة .

وهذا الخلاف لا يضرّنا في هذا المقام، فإنّ ولد الولد لولم يكن ولد حقيقة منسوباً إلى الجدّ بالولادة منه، لما قام مقام ولده الصلبي في مقام الإرث، وفي مقاسمة الأبوين، إلى غير ذلك، وهو ظاهر .

ثمّ قال ﷺ متصلاً بما سبق: وقوله ﷺ للحسينين ﷺ: «هذان ولداي» وقوله

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ ٢: ٢٥ - ٢٦ .

(٢) مجمع الفائدة ٤: ١٨٨ .

للحسين عليه السلام «ابني هذا إمام» وغير ذلك من الأخبار والآثار الدالة على إطلاق ولد رسول الله صلى الله عليه وآله على بني فاطمة عليها السلام، حتى أنه لا يفهم من ابن رسول الله إلا ذلك، وهو ظاهر (١).

أقول: قد سبقت نبذة من تلك الأخبار، ومنها قول سيّد الأبرار عليه السلام في حديث طويل: يا علي أنت وصيي وأبو ولدي (٢).

ومنها: ما في التهذيب، عن الرضا عليه السلام، قيل له: ما لمن زار قبر أبيك؟ قال: زره، فقلت: أي شيء فيه من الفضل؟ قال: فيه من الفضل كفضل والده يعني رسول الله صلى الله عليه وآله (٣).

ومنها: ما ورد في الزيارات: وارحم تقلبي على قبر ابن رسولك (٤).

وقوله: السلام على ملائكة الله وزوّار قبر ابن نبي الله (٥).

وبالجملة الأخبار الواردة في ذلك لا تحصيها السنة العدّ، ولا تحيطها دائرة الحدّ.

وأما الآثار، فمنها: ما رواه محمّد بن إسماعيل البخاري والترمذي في صحيحهما، مرفوعاً إلى ابن عمر، أنه سأله رجل عن دم البعوض، فقال: من أنت؟ قال: رجل من أهل العراق، فقال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا

(١) نفس المصدر .

(٢) بحار الأنوار ٢٢: ٥٠٢ و ٢٤: ٧٥ و ٣٨: ١٠٢ و ١٢٩ و ٣٠٧ و ٣٩: ٩٣ و ٤٢: ١٩٠ .

(٣) تهذيب الأحكام ٦: ٨٢ ح ٤ .

(٤) كتاب المزار ص ١٩٧ .

(٥) فروع الكافي ٤: ٥٧٥، بحار الأنوار ٩٨: ١٥١ و ١٧٥ و ١٧٧ .

ابن النبي، وسمعت النبي ﷺ يقول: هما ريحانتي من الدنيا^(١).
وروي أنه سأله عن المحرم يقتل الذباب، فقال: يا أهل العراق تسألون عن قتل
الذباب، وقد قتلتم ابن رسول الله ﷺ، وذكر الحديث^(٢).

ثم قال ﷺ متصلاً بما نقلناه عنه: وكذا في تحريم نكاح البنات، فإنه معلوم إرادة
تحريم بنت البنت، وكذا بنت الزوجة، وكذا تحريم حلل الأبناء، فإنه لا شك في
تحريم حلل الحسينين ﷺ على رسول الله ﷺ. وكذا في الغير، وقد علم ﷺ
الإستدلال بهذا في الرواية على منكري كونهما ﷺ ابني رسول الله ﷺ، والأصل
الحقيقة، ولا يلزم الاشتراك اللفظي، حتى يقال: إن المجاز خير من الاشتراك،
لا احتمال كون الولد والابن مثلاً موضوعاً لمن يحصل من ماء الشخص مطلقاً،
مذكراً كان أو مؤنثاً، بواسطة أو بلا واسطة، ذكراً كان أو أنثى، من الذكر أو الأنثى،
كما هو الظاهر^(٣).

أقول: من الأصول المقررة عندهم أن الشارع إذا خاطب بلفظ، فإن كان له
حقيقة شرعية حمل عليها، وإلا وجب حمله على الحقيقة العرفية، وإن لم تكن له
في العرف حقيقة، رجع فيه إلى الحقيقة اللغوية.

وهنا قد دلت الآيات والروايات على أن لفظ الولد والابن ونحوهما موضوع
في الشرع لمعنى يعم الأولاد والبنات والبنين حقيقة، فيكون ولد البنت ولداً حقيقة
منسوب إلى الجد بالولادة منه، فيكون من صلبه.

(١) إحقاق الحق ١٩: ٢٦٣.

(٢) إحقاق الحق ١٩: ٢٦٣.

(٣) مجمع الفائدة ٤: ١٨٩.

فكما يصحّ أن يقال لولد الإبن إذا كان من بني تميم: تميمي، كذلك يصحّ ذلك لولد الإبنة من غير فرق بينهما شرعاً، ولذلك لما فرّق العامّة بينهما عرفاً أو لغة، ونفوا به كون بني فاطمة من أبناء رسول الله ﷺ، احتجّ عليهم أئمتنا عليهم السلام بآيات دلّت على عدم الفرق، وأثبتوا به كونهم من أبنائه لصلبه.

ثمّ قال ﷺ: ولو وقف على أولاده، أو نذر لهم مثلاً، يدخلون مطلقاً؛ لعدم الفرق بين ولد الابن والبنت (١).

أقول: وذلك أنّ ولد الإبن كما حصل منه ومن الأجنبيّة، كذلك ولد البنت حصل منها ومن الأجنبي، فلكلّ منهما مدخل في حصوله، بل للبنت أكثر دخلاً فيه؛ لما سبق من أنّ أكثر الأجزاء التي منها يتولّد الجنين منفصلة عن الأمّ، فكما يكون ولد الإبن من الصلب، وتصحّ نسبته إلى الجدّ بالولادة منه، كذلك يكون ولد البنت من الصلب، وتصحّ نسبته إليه بالولادة من غير فرق، فمن ادّعاه فعليه إيدأؤه.

ثمّ قال ﷺ متّصلاً بما سبق: وعموم أدلّة الزكاة معارض بعموم أدلّة الخمس، وكذا الأخبار مخصّصة بما مرّ من المخصّصات بغير بني هاشم، والأخبار معارضة بمثلها، والكثرة ليست بحجّة، والتبادر غير مسلّم، وإن سلم فهو في الولد بلا واسطة معارض بكثرة التداول والاطلاق، فلا يدلّ على كونه حقيقة فيه، وبالجملة لا فرق بين أولاد الإبن وأولاد البنت في ذلك، فتأمّل. وكذا حجّية الشعر، ومع التسليم محمول على الكثرة، والأولى المبالغة، بل فيه إشعار بمقصود السيّد، فتأمّل (٢).

أقول: لعلّ وجه الإشعار أنّ الشاعر كما أضاف البنين إلى أبنائه، كذلك أضافهم

(١) مجمع الفائدة: ٤: ١٨٩.

(٢) مجمع الفائدة: ٤: ١٨٩.

إلى بناته، فكما أن بني الأبناء بنون، فكذلك بني البنات بنون من غير فرق، فمن ادّعاه حتى الشاعر فعليه بيان الفارق، هذا مع احتمال كون الشاعر مقلداً لمذهب المشهور، فشره هذا لا حجة فيه، كما قالوا نظير ذلك في قوله :

إنّ الكلام لفي الفؤاد وإنّما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً
من احتمال كونه تابعاً لمذهب الأشاعرة في قولهم بالكلام النفساني، وكيف يلتفت العاقل إلى قول الشاعر ويتبعه فيه، مع وجدانه النصّ الصريح في خلافه المنقول عن الصادقين عليهما السلام، نعم الشعراء يتبعهم الغاؤون، وإنّهم في كلّ واحد يهيمنون .

ثمّ قال عليه السلام: والرواية غير صحيحة، بل ضعيفة من وجوه (١).

أقول: ما عرفت لضعفها سنداً إلّا وجهاً واحداً، هو إرسالها؛ لأنّها مذكورة في الكافي، في باب الفياء وتفسير الخمس وما يجب فيه، في حديث طويل، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن بعض أصحابنا، عن العبد الصالح عليه السلام، قال: الخمس من خمسة أشياء، وساق الحديث وطوله (٢).

ولعله عليه السلام عرف وجوهاً لضعفها من وجه آخر، كمتنها، ومعارضتها بالأخبار الصحيحة الصريحة في خلافها، ونحو ذلك، وهو أعرف بما قال .

ثمّ قال متّصلاً بما سبق: وقد يقال في الآية: الآباء أعمّ، ومع ذلك ما تدلّ على المنع، ومعلوم عدم المنع والتحريم، بل يمكن أيضاً أنّه أولى في الذكر حتّى يعلم

(١) مجمع الفائدة ٤: ١٨٩ .

(٢) أصول الكافي ١: ٥٣٩ ح ٤ .

كونه ابن مَنْ، أو غير ذلك، مثل عدم تضييع^(١). إلى هنا كلامه ﷺ.

ومنه يظهر وهن قول الشيخ زين الدين في شرح الشرائع^(٢)، ومثله في شرح اللمعة، في مقام الاستدلال على المذهب المشهور، وردّ مذهب السيّد ﷺ: ويدلّ على اشتراط الانتساب إلى هاشم بالأب استعمال أهل اللغة، وما خالفه يحمل على المجاز؛ لأنّه خير من الاشتراك، وفي الرواية عن الكاظم ﷺ ما يدلّ عليه.

وقول المرتضى ﷺ يستحقّ الخمس المنتسب إلى هاشم ولو بالأُمّ، استناداً إلى قوله ﷺ في الحسينين ﷺ «هذان إناي إمامان» والأصل في الاطلاق الحقيقة. ممنوع، بل هو أعمّ منها ومن المجاز، خصوصاً مع وجود المعارض^(٣).

لأنّ قولهم «الأصل في الاطلاق الحقيقة» من المسلّمات فيهم غير مدافع، إلّا في صورة استلزامه الاشتراك، وقد مضى عدم استلزامه له هنا.

ومن الغريب أنّه ﷺ مع إنكاره حجّية المرسل مطلقاً، وإصراره عليه في شرح دراية الحديث، جعله هنا دليلاً على الاشتراط المذكور، وهو معارض بما سبق من حديث الكاظم ﷺ، واحتجاجه على هارون، وإثباته عليه كون ولد البنت ولداً حقيقة.

وبالجملة المعارض على ما أشرنا إليه ضعيف جداً، على أنّ استدلالنا على ذلك المطلب مبني على كون الإطلاق حقيقة شرعاً أو لغة، وذلك لوجود آيات وروايات دالة على أنّ ولد البنت ولد صليبي منسوب إلى جدّه بالولادة من صلبه،

(١) مجمع الفائدة ٤: ١٩٠.

(٢) مسالك الأفهام ١: ٤٧٠.

(٣) شرح اللمعة ٢: ٨٠-٨٢.

ولا حاجة بنا إلى إثبات كونه من الحقائق اللغوية، وهذا ظاهر.

أقول: وقد استبان ممّا قرّرناه أنّ مذهب السيّد في هذه المسألة سيّد المذهبين، وأنّه في غاية القوّة والمتانة، وأنّه ينبغي أن يكون عليه العمل والفتوى، وأنّ أولاد السيّدة العلوية الفاطمية لسادات، يحلّ لهم الخمس، ويحرم عليهم الزكاة إلّا في صورة الاضطرار، كما في غيرهم من السادات الهاشميين، وأنّ من أكرمهم أو نصرهم إلى غير ذلك ممّا سبق ذكره يستحقّ الشفاعة الموعودة يوم القيامة.

وبالجملة لا فرق بين أولاد السيّد والسيّدة العلوية الفاطمية في شيء من الأحكام، والحمد لله العليّ العلّام، والصلاة على محمّد وآله الكرام عليهم السلام.

فصل

[فضل إكرام الفاطميين]

ولنعد إلى ما كنّا فيه بالأصالة، فنقول: في عيون الأخبار، بسنده المتّصل إلى سيّد الأبرار عليه السلام، أنّه قال: أربعة أنا شفيع لهم يوم القيامة وإن آتوني بذنوب أهل الأرض: معين أهل بيتي، والقاضي لهم حوائجهم عندما اضطرّوا إليه، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه، والدافع المكروه عنهم بيده^(١).

والظاهر أنّ المراد بأهل البيت هنا ذرّيته من الحسين عليه السلام وأولادهما، والأعمّ من الأولاد^(٢) ممّن انتسب إليه عليه السلام بالأب، أو الأعمّ من الأمّ، بقريّة ما سبق في أوائل الرسالة من الأخبار.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٥٩ ح ١٧.

(٢) والأعمّ من أولاد فاطمة - خ ل.

وقوله ﷺ في الحديث السابق ذكره: «أكرموا صالحهم لله وطالهم لأجلي» (١) يدلّ على أنّ المراد بالذرية هنا ما يعمّ الأئمة المشهورين ﷺ وغيرهم من أولادهم وأحفادهم ما تعاقبوا وتناسلوا، كما علم ممّا نقلناه في تضاعيف البحث من أنّ أولاد الأولاد بالأغما ما بلغ أولاداً.

وفي القاموس: أكرمه وكرّمه عظّمه ونزّهه (٢).

فيعمّ تواضعهم في المجالس والقيام لهم، ورفعهم إلى أعلى المجلس وصدرة، والإقبال عليهم، والخطاب معهم على طريق الأدب، كسيّدنا ونحو ذلك ممّا يشعر عرفاً على التعظيم والتكريم.

فمن فعل ذلك بهم نال شفاعته ﷺ إذا كان غرضه بذلك امتثال أمره ﷺ، وكونهم من المنتسبين إليه، مع قطع النظر عن غناهم ودنياهم إن كانوا أغنياء ومن أهل الدنيا، كما يتفق ذلك فيهم، فإنّ تواضعهم وإكرامهم من هذه الحيثية لا يزيد المتواضع إلاّ بعداً عن مقام الشفاعة؛ لأنّ من تواضع غنياً لغناه ذهب ثلثا دينه.

وبالجملة إكرامهم من حيث إنّهم ينسبون (٣) إلى تلك الحضرة العلية وإن لم يكونوا منها، كما في بعض المشهورين بالسيادة مع عدم العلم، بل الظنّ بصحة نسبهم، يورث شفاعته ﷺ؛ لأنّه كريم وعد الشفاعة على إكرامهم، والكريم إذا وعد وفاً.

فإن قلت: من الظاهر أنّه ﷺ لا يشفع لغير المؤمنين من أمّته، فعموم هذا الوعد

(١) فضائل السادات للسيد محمّد أشرف ص ٢٧٧.

(٢) القاموس المحيط ٤: ١٧٠.

(٣) في «ن»: منسوبون.

مخصوص بهم، وشفاعته لهم واجبة عليه، لظاهر قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) أمره بالاستغفار لهم، فإن كان للوجوب فلا يتركه للعصمة (٢)، وإن كان للندب فكذلك؛ لرفعة منزلته وعظيم شفقتة بالمؤمنين من أمته، كما أخبر الله سبحانه عنه بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٣) واستغفاره لا يرد، لقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (٤) وأيضاً فإن قوله: «ادّخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» (٥) صريح في أنه يشفع لهم مطلقاً، فما وجه هذا الوعد المعلق على فعل هذه الأفعال بالنسبة إلى ذريته على وجه العموم أو خصوص الآل؟

قلت: الشفاعة على ضربين: طلب زيادة المنافع للمؤمنين المستحقين للثواب، وإسقاط المضار عنهم، والآية والرواية دلّتا على وجوب الشفاعة أو استحبابها بالمعنى الثاني، فيمكن أن يكون المراد بالشفاعة الموعودة المعلقة على فعل هذه الأفعال هو الشفاعة بالمعنى الأول، أو هو والمعنى الثاني معاً، أو لا مانع من الجمع بينهما بالنسبة إلى بعض المؤمنين، وخاصة بالنسبة إلى مكرمي ذريته وناصريهم وباذلي مالهم لهم، والساعين في حوائجهم، ومحبتهم قلباً ولساناً، بل الشفاعة الكذائية واقعة .

كما يدلّ عليه قول الصادق عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نادى نادياً أيها الخلائق

(١) سورة محمد ﷺ: ١٩ .

(٢) في «ن»: لعصمته .

(٣) سورة التوبة: ١٢٨ .

(٤) سورة الضحى: ٥ .

(٥) بحار الأنوار ٨: ٣٧ ح ١٢ .

انصتوا، فإنَّ محمّد يكلمكم، فينصت الخلائق، فيقوم النبي ﷺ، فيقول: يا معشر الخلائق من كانت له عندي يد أو منّة أو معروف فليقم حتّى أكافئه؟ فيقولون: بآبائنا وأمّهاتنا وأيّ يد وأيّ منّة وأيّ معروف لنا؟ بل اليد والمنّة والمعروف لله ولرسوله على جميع الخلائق.

فيقول لهم: بلى من آوى أحداً من أهل بيتي، أو برّهم، أو كساهم من عرى، أو أشبع جايعهم، فليقم حتّى أكافئه؟ فيقوم أناس قد فعلوا ذلك، فيأتي النداء من عند الله تعالى: يا محمّد يا حبيبي قد جعلت مكافأتهم إليك، فأسكنهم من الجنة حيث شئت، قال: فليسكنهم في الوسيلة حيث لا يحجبون من محمّد وأهل بيته ﷺ (١).
والظاهر أنّ المراد بأهل البيت هنا أيضاً ما سبق في أوان هذا الفصل، فتذكّر.

ولعلّ هذا وما شاكلة كان باعث ما نقل عن العالم الرّبّاني محمّد صالح المازندراني أنّه كان ذات يوم مشغلاً بالتأليف، وكان في داره طائفة من صبيان بعض السادات يلعبون بمحضره، فكان كلّما قربوا إليه ومروا عليه في أثناء لعبهم قام لهم تواضعاً وتكريماً.

فإن قلت: هذا على تقدير صحّة الرواية وثبوتها في محلّه بالاضافة إلى صالحين من ذرّيته وغير البالغين منهم، وأمّا بالنسبة إلى الطالحين كما في الخبر فالأمر فيهم مشكل.

لقول سيّدنا أمير المؤمنين ﷺ: إنّ أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به، ثمّ تلا: **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ**

المؤمنين ﴿^(١) ثم قال: إن ولي محمد ﷺ من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإن عدوّ محمد ﷺ من عصى الله وإن قربت قرابته^(٢) .

أقول: ومن هنا صار العبد الحبشي خيراً من السيّد القرشي طاعة وعصيانياً لله ولرسوله .

فصل

[حلّ الإشكال في إكرام الطالح من أهل البيت]

الإشكال أنّ الطالح ضدّ الصالح، والصالح قيل: من هو الخالص من كلّ فساد. وقيل: هو المقيم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق الناس .

وكذا قال الزجاج في معاني القرآن: الصالح هو الذي يؤدّي ما افترض الله عليه، ويؤدّي الناس حقوقهم، فضده التارك لذلك كلّه يكون عاصياً لله .

وقد ظهر أنّ العاصي عدوّ لله ولرسوله، فمن كان من الذريّة النبوية عاصياً لله فهو عدوّ محمد ﷺ وإن قربت قرابته، فيكون واجب الاستخفاف والاهانة، فكيف صار واجب التعظيم والإعانة؟

وبالجملة أنّ الطالح والعاصي كائناً من كان لا قدر له عند الله وعند رسوله، بل هو عدوّ لهما، كما ظهر ممّا سبق نقله من نهج البلاغة، فكيف يأمر رسول الله ﷺ بإكرامه وإعزازه^(٣) وهو عدوّ له؟

فمتن الخبر يحكم ببطلانه، وما أحسن الكذب إذا دلّ على نفسه، وحينئذ فلا بدّ:

(١) سورة آل عمران: ٦٨ .

(٢) نهج البلاغة ص ٤٨٤ رقم الحديث: ٩٦، بحار الأنوار ٦٤: ٢٥ و ٦٥: ٨٣ و ٦٨: ١٨٩ .

(٣) في «ن»: وإعظامه .

إمّا من تخصيص الذرّيّة، أو من تأويل الطاعة والعصيان إلى الكفر والإيمان، وهو بعيد .

قلت: هذا إمّا يرد أن لو كان أمره ﷺ بإكرامهم من حيث إنهم طالحون، ولا كذلك الأمر، بل إمّا أمر بإكرامهم من حيث إنهم منسوبون إليه ومن ذرّيته مع قطع النظر عن طاحتهم. فإكرامهم بهذا الاعتبار يؤول إلى إكرامه ﷺ؛ لأنّ إكرام الولد بما هو ولد إكرام والده، كما قالوا في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾^(١) فنحن مأمورون بإكرامهم من هذه الحيثية لا من حيث إنهم طالحون، ولا محذور فيه بعد ملاحظة الحيثية وإصلاح النية .

وهذا كقوله «أكرموا الضيف ولو كان كافراً» فإنّ الكافر من حيث إنّه كافر عدوّ، وإن لم يكن أهلاً للإكرام، إلّا أنّه من حيث إنّه ضيف كان أهلاً له، وباختلاف الحيثيات تختلف الشرعيات، ولولاه لبطلت الشرائع .

فصل

[عدم شمول إكرام ذرّيّة الفاطمي لغيره]

فإن قلت: هل السيّد العقيلي والجعفري والعلوي الغير الفاطمي حكمهم كحكم الفاطمي في وجوب الإكرام وما يترتب عليه أم لا؟

قلت: لا؛ لأنّ الأمر بالإكرام والوعد عليه بالشفاعة يوم القيامة إمّا ورد في شأن ذرّيته ﷺ، وهؤلاء المذكورون ليسوا من ذرّيته ولا من القربى الذين أمر الله بمودّتهم، كما دلّت عليه الأخبار، وصرّح به الأخبار .

نعم قال يحيى بن الحسين في أوائل كتابه المعمول في الإمامة: وهذان الفضلان يدلان على أن العباس بن عبدالمطلب من أولي القربى الذين أمر الله تعالى بمودّتهم .

يدلّ عليه ما ذكره الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قال: بإسناده إلى العباس، فقال العباس بن عبدالمطلب: يا رسول الله ما بال القرشي يلقي بعضهم بعضاً بوجه تكاد تتساءل من الودّ ويلقونا بوجه قاطبة؟ فقال رسول الله ﷺ: أو يفعلون ذلك؟ قال العباس: نعم والذي بعثك بالحقّ، فقال رسول الله ﷺ: والذي بعثني بالحقّ لا يؤمنون حتّى يحبّونكم لي (١) . فأدخل العباس في من لا يثبت الإيمان إلّا بمحبّتهم، وهم أولوا القربى الذين أمر الله بمودّتهم (٢) .

أقول: كيف يكون العباس من القربى وممن لا يثبت الإيمان إلّا بمحبّته؟ وقد نزلت فيه آيات تدلّ على ذمّه كلياً، منها: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٣) وقوله: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُضْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾ (٤) وقوله: ﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ (٥) وبالجملة فيه ذمّ كلي، كما يظهر لمن راجع كتاب الرجال، وتصفّح في معرفة الأحوال . ثمّ قال: ومن ذلك ما رواه الثعلبي أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ

(١) بحار الأنوار ٢٧: ١٤١ .

(٢) العمدة لابن البطريق ص ٦ .

(٣) سورة الإسراء: ٧٢ .

(٤) سورة هود: ٣٤ .

(٥) سورة الحج: ١٣ .

رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى ۖ يعني: من أموال الكفار وأهل القرى ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ (١) قرابة النبي ﷺ، وهم: علي، وآل العباس، وآل جعفر، وآل عقيل، ولا يشرك بهم غيرهم (٢).

وهذا وجه صحيح يطرد على الصحة؛ لأنه موافق لمذهب آل محمد ﷺ، ويدل عليه ما هو مذكور عندهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ (٣) لأنَّ مستحقَّ الخمس عندهم آل علي وآل العباس وآل جعفر وآل عقيل، ولا يشرك بهم غيرهم.

ويدلُّ على صحة ذلك أيضاً: ما رواه عبدالله بن الحارث، عن العباس بن عبدالمطلب، قال: قلت: يا رسول الله ما لنا ولقريش إذا تلاقوا تلاقوا بوجوه مستبشرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك؟ قال: فغضب النبي ﷺ، ثم قال: والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتَّى يحبَّكم الله ورسوله، فأدخل العباس في جملة من لا يدخل قلب الرجل الإيمان إلاَّ بمحبَّتهم (٤) إلى هنا كلامه.

وفيه إنَّ هذه الطرق كلُّها تنتهي إلى العباس، وفيه شهادة لنفسه وتزكية له بجعله من الذين لا يدخل قلب رجل الإيمان إلاَّ بمحبَّتهم، وهذه دعوى مرتبة جليلة رفيعة لا يمكن إثباتها إلاَّ بشهادة جماعة من الموثقين والعدول، وخاصة إذا كان لها معارض يمنعها.

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) العمدة لابن بطريق ص ٦.

(٣) سورة الأنفال: ٤١.

(٤) العمدة لابن بطريق ص ٦.

وقد عرفت أنّ الوارد في طرق الخاصّة من الأخبار الكثيرة الصريحة الدلالات على أنّ المراد بالقربى الذين أمر الله بمودّتهم، ولا يدخل قلب الرجل الإيمان إلّا بمحبّتهم هم أصحاب الكساء، أو هم وسائر الأئمّة عليهم السلام. وقد سبقت نبذة من تلك الأخبار، ولها نظائر كثيرة الأفراد تطلب من مظانّها.

والظاهر أنّه عليه السلام كان في محلّ التقية، فنقل هذه عن طرق العامّة لإثبات مطلب كان في نظره يترتّب عليه فوائد دينية، وإلّا فهو من علمائنا الإمامية وله يد طولاء في أخبار الطرفين وقدم راسخة فيها، بعيد منه عدم الوقوف على هذه الأخبار الخاصّة الدالّة على اختصاص القربى الذين أمر الله بمودّتهم، وحثّ في كتابه على محبّتهم بآل الرسول وعترته عليهم السلام.

فصل

نفعها عائدة

الظاهر أنّ المراد بالمال الذي يثمر شفاعته يوم القيامة هو غير ما لهم من الخمس، بقريئة البذل وإضافة المال إلى البازل، فإنّ الخمس ليس من ماله بل هو من مالهم، كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُصْمَهُ﴾ (١) الآية، فافهمه.

تنبيه نبيه

إذا كان النبي - عليه وآله السلام ما بقي الركن والمقام - شفيحاً يوم القيامة لمن أكرم ذرّيته وإن كانوا طالحين، فبطريق أولى يكون شفيحاً لذرّيته المؤمنين.

يدلّ عليه ما في كتاب الفردوس، عن عبدالله بن عمر، عن النبي ﷺ، قال: أوّل من أشفع له يوم القيامة من أمّتي أهل بيتي، ثمّ الأقرب فالأقرب (١). وكذا إذا كان من له عليهم يد أو منّة أو معروف، ساكناً معه وأهل بيته ﷺ في الوسيلة حيث لا يحجب عنهم، فهم يكونون ساكنون معهم فيها كذلك بطريق أولى، فياليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

فصل فيه وصل

[شرف العلم والعلماء]

هذا الذي أسلفناه شرف يستتبعه النسب، وفوق هذا شرف يستلزمه الحسب يستفاد ممّا نقلنا سالفاً عن نهج البلاغة وفنون الفصاحة، وهو شرف العلم والعلماء، فإنّه فوق كلّ شرف في شريف في النسب.

حيث إنّهم لعلمهم بما جاء به الأنبياء صاروا أولى الناس بهم، وذلك أنّهم باقتباسهم مشكاة أنوارهم يؤولون إليهم مآلاً معنوياً روحانياً، وهم أولادهم الروحانيون، ولذلك يرثونهم إراثاً روحانياً وهو العلم.

وأما أولادهم وأحفادهم الصورية، فيؤولون إليهم مآلاً صورياً جسمانياً، ولا شك أنّ النسبة الأولى آكد من الثانية.

شير را بچه همی ماند بدو توبه پیغمبر چه می یابی بگو
في احتجاج الطبرسي: عن الحسن العسكري ﷺ، أنّه اتّصل بأبي الحسن علي
ابن محمّد العسكري ﷺ أنّ رجلاً من فقهاء الشيعة كلّم بعض النصاب، فأقحمه

بحجته حتى أبان عن فضيحته، فدخل على علي بن محمد عليه السلام، وفي صدر مجلسه دست عظيم منصوب، وهو قاعد خارج الدست، وبحضرته خلق من العلويين وبني هاشم، فما زال يرفعه حتى أجلسه في ذلك الدست وأقبل عليه، فاشتد ذلك على أولئك الأشراف، فأما العلويون فأجلوه من العتاب، وأما الهاشميون فقال له شيخهم: يا بن رسول الله هكذا ترفع عامياً على سادات بني هاشم من الطالبين والعباسيين .

فقال عليه السلام: إياكم وأن تكونوا من الذين قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ تَوَلَّوْا فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (١) أفترضون بكتاب الله حكماً؟ قالوا: بلى، قال: الله عز وجل قال: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢) فكيف تنكرون رفاعي لهذا لما رفعه الله؟ إن كسر هذا لفلان الناصب بحجج الله التي علّمه إياها لأفضل له من كل شرف في النسب (٣) .

وفي هذا الحديث شيء حذفناه، وفي قوله عليه السلام «لما رفعه الله» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (٤) وإنما اقتصر عليه السلام على تشريف العلم وتفضيله على مجرد الشرف في النسب؛ لأن تفاضل المعاتبين وتفاخرهم كان فيه، وإلا فلا شرف ولا كمال للإنسان أشرف وأكمل من

(١) سورة النساء: ٦ .

(٢) سورة الزمر: ٩ .

(٣) الاحتجاج ٢: ٤٥٤ .

(٤) سورة المجادلة: ١١ .

العلم وما علمه الله من البيان .

حتى أن شرف العالم إنما هو بعلمه، وإلا فلا شرف له من حيث ذاته، وإنما صار الإنسان شريف الذات لما أودعه الله فيه من استعداده له، فيظهر منه أن لا شرف له لذاته لولا استعداده للعلم .

ولهذا إذا أدخل به وأخذ في الأرض وأتبع هواه، صار كالأنعام بل أضل سبيلاً، ومعلوم أن ما به الشرف أشرف من الشريف، وبه يمتاز عن سائر الحيوانات والبهائم، وإلا فإذا هو هي .

وقد قيل في وجه التناسب بين هذه الآيات: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ المشتمل بعضها على خلق الإنسان من علق، وبعضها على تعليمه ما لم يعلم، أنه ﷺ ذكر حال الإنسان وهو كونه علقة، وهي بمكان من الخساسة، وآخر حاله وهو صيرورته عالماً، وهو كمال الرفعة والجلالة .

فكأنه سبحانه قال: كنت في أول أمرك في تلك المنزلة الخسيسة، ثم صرت في آخره في هذه الدرجة الشريفة النفيسة، ولعله لذلك كان علمه تعالى عين ذاته كي لا يلزم نقصه إذا قطع النظر عن علمه .

ولهذا السبب بعينه كان العالم بقدر علمه أشرف من الجاهل بقدر جهله، وكان للمعلم تقدم بالشرف على متعلمه، وهما متماثلان نوعاً .

وقد دلّ بعض الأفاضل المتأخرين في صدر كتابه المعمول في الأصول بطريق عقلي على أن العلم أشرف من جميع المعقولات والموجودات، وإن كان في استدلاله عليه على تقريره نظر وتأمل .

وبالجملة لا شرف فوق شرف العلم، فمن أوتي العلم فقد أوتي خيراً كثيراً، ولذا

أمر الله نبيّه وهو ربّ نوع الإنساني باستزادته في قوله عزّ من قائل: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١).

فأقول: اللهمّ اجعلني بفضلك من العالمين، واحشرنا مع أئمتي الطاهرين، صلواتك وتحياتك عليهم أجمعين، بحقك عليهم وبحقّهم عليك يا ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمّد وأهل بيته الطاهرين .

وتّم استنساخ وتصحيح هذه الرسالة الشريفة في (٤) صفر سنة (١٤١١) هـ في مشهد مولانا الرضا عليه السلام على يد العبد السيّد مهدي الرجائي عفي عنه .

وتّم مراجعتها ثانياً في (٢٥- شوال المكرّم - ١٤٢٦) والحمد لله ربّ العالمين .

سلسلة آثار المحقق الخواجه جوي

٤

رسالة

مبزة الفرقة الناجية عن غيرهم

للعلامة المحقق محمد إسماعيل المازندراني الخواجه جوي

المؤلف سنة ١١٧٣ هـ

تدقيق
السيد مهدي البرقاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نجّانا من النار، وجعلنا من أهل الجنة بولاية علي سيّد الأبرار
وسند الأخيار، والأئمة من بعده المعصومين الأطهار، صلوات الله وسلامه عليهم
ما بقيت الليل والنهار .

وبعد: فهذه رسالة مائزة بين الفرقة الناجية وغيرهم تميّز القشر من اللباب،
والماء من السراب، ألّفها في هذا الباب لمّا رأيت من فريقة من الأصحاب أنّهم لم
يفرّقوا بينهما، ويرجون النجاة لفرق الإسلام كلّهم واستحقاقهم الثواب، راجياً من
الله العزيز الوهّاب أن يجعلها ذخيرة لنا يوم يقوم الحساب بمحمّد وآله الطاهرين
الأطياب .

فأقول وأنا العبد الضعيف النحيف الفاني الجاني محمّد بن الحسين المشتهر
بإسماعيل المازندراني: اختلف أصحابنا في من خالفونا في الإمامة، فمنهم
من حكم بكفرهم؛ لدفعهم ما علم من الدين ضرورة، وهو النصّ الجلي على إمامة
أمير المؤمنين علي عليه السلام مع تواتره .

وقال الآخرون منهم وهم الأكثرون: إنهم فسقة، وهو الأقوى .

ثم اختلفوا على أقوال :

الأول: أنّهم مخلّدون في النار لعدم استحقاقهم الجنة .

الثاني: أنّهم يخرجون منها إليها .

الثالث: أنهم يخرجون منها لعدم كفرهم الموجب للخلود، ولا يدخلون الجنة لعدم إيمانهم المقتضي لاستحقاقهم الثواب .

الرابع: أن الجاهل المستضعف منهم يرجئ له الجنة وغيره من المخلدين في النار، وذلك لدلالة كثير من الأخبار على جواز دخوله الجنة، وهذا القول لا يخلو من قوة، لما فيه من الجمع بين الدليلين .

قيل: ومن الأخبار الدالة على نجاته، ما رواه ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني في روضة الكافي: عن حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد الكندي، عن غير واحد، عن أبان بن عثمان، عن الفضيل، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنَّ الناس لما صنعوا ما صنعوا إذ بايعوا أبا بكر لم يمنع أمير المؤمنين عليه السلام من أن يدعو إلى نفسه إلا نظراً للناس وتخوفاً عليهم أن يرتدوا عن الإسلام، فيعبدوا الأوثان، ولا يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، وكان الأحبَّ إليه أن يقرهم على ما صنعوا من أن يرتدوا عن جميع الإسلام، وإنما هلك الذين ركبوا ما ركبوا . فأما من لم يصنع ذلك ودخل فيما دخل فيه الناس على غير علم ولا عداوة لأمر المؤمنين عليه السلام، فإنَّ ذلك لا يكفره ولا يخرجه عن الإسلام، فلذلك كنتم علي عليه السلام أمره وبايع مكرهاً حيث لم يجد أعواناً^(١) .

أقول: غاية ما دلَّ عليه هذا الخبر أنَّ الجاهل بهذا الأمر الذي ليس بعدوِّه عليه السلام لا يخرج بذلك عن الإسلام، بل هو مسلم محقون دمه محفوظ ماله حلال ذبيحته . وبالجملة فهو يشارك أهل الإيمان في الأحكام الدنيوية، ويفارقهم في الأحكام الأخروية، كما دلَّت عليه روايات أخر، ويفهم منه كفر غيره، وهو الداخل

فيما دخل فيه الناس على علم منه؛ لأنّه ركب ما ركبوا، وصنع ما صنعوا، وأنكر ما أنكروا من ضروريات الدين عناداً أو تقليداً .

وأما أنّه يدلّ على أنّ هذا الداخل على غير علم ولا عداوة فيما دخلوا فيه ممّن يستحقّ الثواب ويرجى له الجنّة، كما فهم منه بعض الأفاضل على ما سنشير إليه، فلا .

إلّا أن يقال: إنّ المراد بكفر الفرقة الأولى، وهلاكهم في النار، وخروجهم عن الإسلام، أنّهم هالكون في الآخرة مخلّدون، وهذا لا ينافي إسلامهم بحسب الظاهر، كما عليه أكثر الأصحاب، فيكون بعدم كفر مقابليهم وعدم خروجهم عن الإسلام أنّهم من أهل الثواب والنجاة، فتأمل .

واعلم أنّ المخالف: إمّا معاند وهو الذي يردّ الحقّ مع العلم به، وإمّا جاهل محض لم يعرف الحقّ، ولا عقل له يدلّه على وجوب التفتيش، أو له عقل دلّ عليه ولكنّه قصر ولم يفتّش، وإمّا عارف بالحقّ محبّ له ولكنّه لم يبرأ، وإمّا عدوّ معلن العداوة، وإمّا مقلّد مع معرفة الحقّ في الجملة .

والمعاند هالك، وكذا العدوّ والمقلّد، وإمّا الكلام في البواقي .

والى ذلك أشار الفاضل الأردبيلي رحمته بقوله: المخالف ^(١) الجاهل المحض الذي لم يعرف الحقّ بحيث لا يعدّ مقصراً لو وجد، أو عدّ مقصراً في الجملة حيث دلّ عقله على التفتيش، وما فعل لتقصير أو لجهل يرجى له دخول الجنّة في الجملة. ووجدت قريباً إلى هذا المعنى في بعض الأخبار، بل إنّه كلّ من لم يبرأ وليس بعدوّ

(١) في إطلاق المخالف عليه نظر «منه» .

لنا يرجى له الجنة، وليس ببعيد من كرم الله وكرمهم ﷺ (١).

أقول: الجاهل المحض الذي لم يعرف الحق ولا ينكره ضالّ، قصر في معرفته لعدم تفتيشه مع دلالة عقله على وجوبه وتمكّنه عليه، أم لم يقصر لجهله بوجوبه أو علمه به وعدم تمكّنه عليه، وأمره إلى الله يفعل به ما يشاء .

يدلّ عليه ما ورد عن الصادق عليه السلام: نحن الذين فرض الله طاعتنا، لا يسع الناس إلّا معرفتنا، ولا يعذر الناس بجهالتنا، من عرفنا كان مؤمناً، ومن أنكرنا كان كافراً، ومن لم يعرفنا ولا ينكرنا كان ضالّاً حتّى يرجع إلى الهدى الذي افترض الله من طاعتنا الواجبة، فإن يمت على ضلالته يفعل الله به ما يشاء (٢).

وبالجملة لا فرق بين أصناف أهل الخلاف؛ إذ المعتبر في الإيمان هو التصديق بكلّ واحد واحد منهم بأسمائهم وترتيبهم .

وبعضه قول رسول الله ﷺ فيهم: من أنكر واحداً منهم فقد أنكرني (٣).

وقول الرضا عليه السلام: من جحد حقّي كمن جحد حقّ آبائي (٤).

وقول الصادق عليه السلام وقد سئل عن الزيدي والمخالف: هما والله سواء، ولما روجع ثانياً، قال: لا فرق بين من أنكر آية من القرآن، وبين من أنكر آيات منه، وبين من أنكر نبياً من الأنبياء، وبين من أنكر كلّهم (٥).

نعم يستثنى المستضعفون منهم؛ لدلالة الأخبار على جواز دخولهم الجنة. وأمّا

(١) راجع: شرح الكافي للمولى صالح المازندراني ١٢: ٣٩٢.

(٢) أصول الكافي ١: ١٨٧ ح ١١.

(٣) كمال الدين ص ٤١٣ ح ١٣.

(٤) إختيار معرفة الرجال ٢: ٨٧٢ برقم: ١١٤٧، رجال العلامة الحلّي ص ٥٤.

(٥) إختيار معرفة الرجال ٢: ٤٩٥، والروضة من الكافي ٨: ٢٣٥ ح ٣١٤.

من لم يبرأ منهم وليس بعدو، فهو عدو ولا يرجى له الجنة .

تدلّ عليه صحيحة^(١) إسماعيل الجعفي، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: رجل يحب أمير المؤمنين عليه السلام ولا يبرأ من عدوه، ويقول: هو أحب إليّ ممّن خالفه، قال: هذا مخلّط وهو عدو، فلا تصلّ خلفه ولا كرامة إلاّ أن تتقيّه^(٢).

فإنّ الإمام عليه السلام قد حكم بأنّ من لا يبرأ من أعدائهم ويحبّهم وإن قال إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أحبّ إليه ممّن خالفه فهو عدو .

والفرق بينه وبين الجاهل المحض أنّه عرف الحقّ والباطل ولم يبرأ منه بل يحبّه، وقد ورد عنهم عليهم السلام أنّهم قالوا: لا يجتمع حبنا وحبّ أعدائنا في قلب واحد^(٣). فهذا في الحقيقة كاذب عدو ولا محبّ؛ لخلوّ قلبه عن حبّهم، كما هو صريح هذا الخبر .

ومن البيّن أنّ عدوّه عليه السلام لا يرجى له الجنة، بل هي محرّمة عليه؛ لقوله: «وعاد من عاداه»^(٤) ودعاؤه مستجابة، وعداوته تعالى إدخاله العدوّ النار .

والمراد بمن لا يعرف الحقّ من لا يعرف الولاية ممّن لا يعلن بعداوة أهل البيت عليهم السلام، كما في صحيحة معمر بن خلّاد، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: أدعو لوالدي إذا كانا لا يعرفان الحقّ؟ قال: ادع لهما وتصدّق عنهما، وإن كانا حين لا يعرفان الحقّ فدارهما، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله بعثني بالرحمة لا

(١) رواها الشيخ عن الحسين بن سعيد، عن النضر، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن إسماعيل هذا «منه» .

(٢) تهذيب الأحكام ٣: ٢٨ ح ٩ .

(٣) بحار الأنوار ٢٤: ٣١٨ و ٣١: ٥، تفسير المصمّي ٢: ١٧١ .

(٤) فقرة من خطبة الرسول صلى الله عليه وآله في يوم الغدير .

بالعقوق^(١).

وأما المعلن، فلا يجوز الدعاء له ولا التصدق؛ لأنه عدوٌّ ومن أصحاب النار، ولعلّ فائدة الدعاء والصدقة تعود إليه لا إلى والديه، أو يكون سبباً لتخفيف عذابهما، كما سنشير إليه .

هذا، وقال الفاضل الصالح المازندراني رحمته الله في شرحه على هذا الحديث: أقول: لعلّ مراده^(٢) ببعض الأخبار هذا الخبر^(٣)، إلاّ أنه ضعيف بالإرسال، مع أنّ الحسن واقفي وإن كان ثقة^(٤) .

أقول: الظاهر أنّ مراده ببعض الأخبار خبر ضريس الكناسي، عن الباقر عليه السلام المذكور في جنائز الكافي، حيث قال بعد كلام: قلت: أصلحك الله فما حال الموحّدين المقرّين بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولا يتكلمون؟

فقال: أمّا هؤلاء فإنّهم في حفرهم ولا يخرجون منها، فمن كان منهم له عمل صالح ولم يظهر منه عداوة، فإنّه يحدّ له خدّاً إلى الجنّة التي خلقها الله بالمغرب، فيدخل عليه منها الروح في حفرته إلى يوم القيامة، فيلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيئاته، فإنّما إلى الجنّة، وإنّما إلى النار، فهؤلاء موقوفون لأمر الله، وكذلك يفعل الله بالمستضعفين والبله والأطفال وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم

(١) أصول الكافي ٢: ١٥٩ ح ٨ .

(٢) أي: مراد الفاضل الأردبيلي «منه» .

(٣) يعني ما نقل عن الروضة «منه» .

(٤) شرح الكافي ١٢: ٣٩٢ .

الحديث (١).

فإنه صحيح صريح في أن الجاهل بهذا الأمر إذا لم يكن عدوًّا، فهو ممن يرجى له الجنة. ولا يبعد أن يراد بالمسلمين والمسلمات في كل موضع يطلب لهم المغفرة هؤلاء الموقوفون لأمر الله لا مطلقهم.

وإن كانوا معاندين، فإن حكمهم في الآخرة حكم سائر الكفار، وهم مخلدون في النار، كما أشار إليه الفاضل الأردبيلي متصلاً بما سبق نقله عنه بقوله:

وأما الذين يموتون على غير الإيمان، فالكافر منهم مخلد في النار، وعبادتهم غير مقبولة عند الله، ويحتمل حصول عوض له بسبب بعض الأفعال الحسنة من الله: إما في الدنيا، أو في الآخرة بتخفيف عقاب ما، كما قيل في من لم يستحق دخول الجنة والثواب فيها (٢).

أقول: مراده بغير المؤمنين من لا يقول بهذا الأمر من أهل القبلة، وبالكافر منهم المعلن بعداوة أهل البيت وهم النواصب، فإنهم كفار مخلدون في النار.

قال الباقر عليه السلام في حديث الكناسي متصلاً بما سبق: فأما النصاب من أهل القبلة، فإنهم يخذلهم خذ إلى النار التي خلقها الله في المشرق، فيدخل عليهم منها اللهب والشرر والدخان وفورة الحميم إلى يوم القيامة، ثم مصيرهم إلى الجحيم، ثم في النار يسجرون، ثم قيل لهم أينما كنتم تدعون من دون الله، أين إمامكم الذي اتخذتموه إماماً دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً (٣).

(١) فروع الكافي ٣: ٢٤٧.

(٢) راجع: شرح الكافي للفاضل المازندراني ١٢: ٣٩٢.

(٣) فروع الكافي ٣: ٢٤٧.

فإن قلت: كيف يجوز أن يحصل له عوض بتخفيف عقاب ما؟ مع ما تقرّر عندهم من وجوب خلوص العقاب من الشوائب ليكون أدخل في باب الزجر . قلت: يجوز ذلك بأن يسقط الله بالعوض جزء من عقابه يوازي ذلك العوض بحيث لا يظهر له التخفيف، بأن يفرق الناقص على الأوقات، فلا يحصل له سرور بالتخفيف، كذا ذكروه، وفيه نظر .

ثم قال ﷺ متصلاً بما سبق: وكذا من كان معانداً أو مقلداً للآباء، أو لمن تقدّمه من العلماء، مع معرفته للحقّ في الجملة، كما حكي عن بعض الفضلاء منهم: أن هذا حقّ، ولكن العلماء المتقدّمين هكذا كانوا^(١) .

أقول: بعيد من العاقل العارف بالحقّ أن يتركه ويتقلّد من تقدّمه إلا على وجه التقية والمداراة مع الخلق؛ لعدم تمكّنه من إظهار الحقّ والعمل بمقتضاه، كما نقل مثله عن سيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام أنه لما عمل بالحقّ في بعض موارد في زمن خلافته الظاهرة قالوا: وا عمراه فتركه عليه السلام^(٢)، إلا أن يكون ذلك العارف بالحقّ معانداً له، فيرجع إلى الأوّل .

والظاهر أنه إشارة إلى ما نقله الله في آيات أحكامه عن صاحب الكشّاف في باب الصلاة على النبي ﷺ أنه قال: فإن قلت: فما تقول في الصلاة على غيره؟ قلت: القياس يقتضي جواز الصلاة على كلّ مؤمن؛ لقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ وقوله: ﴿وَوَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾^(٣) وقوله: «اللهم صلّ

(١) شرح الكافي ١٢: ٣٩٢ .

(٢) تهذيب الأحكام ٣: ٧٠، بحار الأنوار ٣٤: ١٨١ .

(٣) سورة التوبة: ١٠٣ .

على آل أبي أوفى»^(١).

ولكن للعلماء تفصيلاً في ذلك، وهو أنها إن كانت على سبيل التسع، كقولك «صلى الله على النبي وآله» فلا كلام فيها. وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه؛ لأن ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله ﷺ، ولأنه يؤدّي إلى الاتهام بالرفض. ولا يخفى ما فيه، فإن ما ذكره برهان لا قياس، وإنّ البرهان من العقل والنقل كتاباً وسنة كما نقله^(٢).

أقول: ويمكن أن يكون مراده من القياس المنطقي المؤلف من اليقينيات، فيرجع إلى البرهان، لا القياس الفقهي، ويكون قوله «لقوله» دليل كلية الكبرى للصغرى للسهولة الحصول.

وصورة القياس هكذا: هذا مؤمن، وكل مؤمن يجوز الصلاة عليه. أما الصغرى فعلى ما هو المفروض. وأما الكبرى فلقوله «هو الذي» إلى آخره.

نعم يرد عليه أن العدول عن مقتضى البرهان، وبناء الأمر على تقليد العلماء السوء، لا ينبغي أن يكون من دأب العاقل العارف الفاضل، فإنه يدل على العصبية والعناد وردّ الحق بعد العلم به.

اللهم إلا أن يكون متقياً، كما يشعر به كلامه، حيث أجاب أولاً بالجواز مطلقاً، كما هو مقتضى البرهان، ثم نسب التفصيل إلى العلماء تمريراً له وإشعاراً بما ذكرنا، ولكن الظاهر من كلامه في مواضع من الكشاف وغيره أنه كان معانداً متعصباً شديد العصبية والعناد.

(١) سنن أبي داود ١: ٣٦٨.

(٢) زبدة البيان ص ٨٦ - ٨٧.

منها: ما ذكر في ذيل كريمة: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ (١) قالوا: وفيه دليل على بطلان قول الرافضة إن الإمام لا يخفى عليه شيء، ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه (٢).

ومنها: ما ذكر بعد كريمة: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٣) وهذا مما يردّ قول أهل الرجعة (٤). ثم ذكر ما يضحك منه الصبيان، ويستهزأ به النسوان، ولنا معه في تلك المواضع مباحثات شريفة ومناقضات لطيفة ليس هنا موضع ذكرها.

ثم قال ﷺ متصلاً بما سبق: وكذا من أطلع على الحقّ بالعقل والنقل متهاوناً في الدين ومتغافلاً عن الحقّ وعن التأمل فيه، لقلّة التقيّد به، وعدم اعتباره ذلك (٥).

أقول: الدليل عليه عقلي ونقلي، والمراد بالعقلي ما يدلّ على وجوب الإمام في كلّ عصر عند ختم النبوة، وعلى اعتبار العصمة فيه، ودالتهما على إمامتهم ﷺ إنّما هي بانضمام عدم عصمة غيرهم ممّن زعم الإمامة في شأنه، فلا يردّ أنّ العقل لا يستقلّ في تعيين أحد بالإمامة.

وبالجملة علماؤنا يشبتون إمامتهم على الترتيب، تارةً بأنّه ثبت بالتواتر، نصّ كلّ من السابق على من بعده، وأخرى بأنّه يجب في الإمام العصمة، وغيرهم ليسوا معصومين بالاتّفاق، وأخرى يقولون: إنّ الكمالات الجسمانية والفسانية موجودة

(١) سورة النمل: ٢٢.

(٢) الكشّاف ٣: ١٤٣.

(٣) سورة يس: ٣١.

(٤) الكشّاف ٣: ٣٢١.

(٥) شرح الكافي ١٢: ٣٩٢.

في كلّ واحد منهم، فهو أفضل أهل زمانه، فتعيّن هو للإمامة دون غيره .
وبما قرّرناه من وجود وجود الإمام في كلّ عصر، ظهر أنّ المكلف لا بدّ له من القول بما قاله الإمامية من وجود إمام زمانه، وكونه أحد الاثناعشر، إذ الأرض لا تخلو عن حجة الله على خلقه: إمّا ظاهر مشهور، أو خائف مغمور، لتلا تبطل حجج الله وبيّناته، فوجوده لطف، وتصرفه الظاهر لطف آخر، وعدمه من جهة العباد وسوء اختيارهم .

وأما قولهم لا نسلم أنّ وجوده بدون التصرف لطف، وما يقال من أنّ المكلف إذا اعتقد وجوده كان دائماً يخاف ظهوره وتصرفه فيمتنع عن القبائح .
ففيه أنّ مجرد الحكم بخلقه في وقت ما كافٍ في هذا، فإن ساكن القرية إذا انزجر عن القبائح خوفاً من حاكم من قبل السلطان مخفف في القرية بحيث لا أثر له، كذلك ينزجر خوفاً من حاكم علم أنّ السلطان يرسله إليها متى شاء .
وليس هذا خوفاً من المعدوم، بل من موجود مترقّب، كما أنّ خوف الأوّل من ظهور مترقّب فليس بشيء، إذ ذلك الموجود: إمّا معصوم، أو لا، والثاني باطل فيكون معصوماً، فإمّا أن يخبر عن الله من غير أمره به أو بأمره به، والأوّل باطل لأنّه كذب، فهو إمّا يأمر بأمره، فإمّا بلا واسطة بشر فيكون نبياً أو بواسطته، فظهر أنّ الإمام يجب أن يكون موجوداً معصوماً منصوفاً عليه من قبل بشر معصوم إلى أن ينتهي إلى صاحب الوحي .

ثمّ قال ﷺ متّصلاً بما سبق: وذلك أيضاً كثير، ولهذا نجد نقل العلماء والعظماء منهم حكايات وأخباراً دالّة على خلاف معتقدهم، مثل ما يروون من الأخبار في

الصحيح أن الأئمة إثناعشر (١).

أقول: ومن مكابراتهم أنهم ينكرون علي من يقول إن بعد نبئهم إثناعشر خليفة من قريش، وقد رووا في صحاحهم تصديق ما كذبوه وتحقيق ما أنكروه.

ففي الجمع بين الصحاح الستة بإسناده أن النبي ﷺ، قال: هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش (٢).

وفي صحيح أبي داود السجستاني، بإسناده إليه ﷺ، قال: لا يزال الدين ظاهراً حتى تقوم الساعة ويكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش (٣).

وفي صحيح مسلم بإسناده أن النبي ﷺ، قال يوم الجمعة عشية رجم الأسمي: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ويكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش (٤).

وهذه الروايات كلها دالة على خلافة الإثناعشر على أهل الدين إلى يوم الدين، فمن أبصر فلنفسه، ومن عمي فعليها.

ثم قال ﷺ: وما نقلوا في آية التطهير من حصر أهلها في آل العباء وآية المباهلة وخبر إني تارك فيكم الثقلين (٥).

(١) شرح الكافي ١٢: ٩٣٢.

(٢) العمدة لابن البطرق ص ٤٢٢ برقم: ٨٨٠ عنه.

(٣) العمدة لابن البطريق ص ٤٢٠ برقم: ٨٧٣.

(٤) راجع الروايات الواردة عن طريق العامة في ذلك إلى ملحقات إحقاق الحق ١٣: ١ -

٧٤، صحيح مسلم ٣: ١٤٥٣، والعمدة لابن البطريق ص ٤١٦ - ٤٢٢.

(٥) شرح الكافي ١٢: ٣٩٢.

[تحقيق حول آية التطهير]

أقول: ومن الغرائب أنهم مع ذلك النقل المفيد لحصر أهلها فيهم ينكرون إفادته ذلك الحصر، ولا يقبلون احتجاج من احتجّ بذلك على عصمتهم، وكون إجماعهم حجة مع وضوح الأمر وظهوره. وهذا عين العناد واللداد، وهو فوق تهاونهم في الدين، وتغافلهم عن الحقّ المبين .

فهذا قاضيهم البيضاوي يقول في تفسيره المشهور: وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما، لما روي أنّه خرج ذات غدوة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجلس، فأنت فاطمة فأدخلها فيه، ثمّ جاء علي فأدخله فيه، ثمّ جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ والاحتجاج بذلك على عصمتهم، وكون إجماعهم حجة، ضعيف؛ لأنّ التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها، والحديث يقتضي أنّهم أهل البيت لا أنّه ليس غيرهم^(١).

أقول: وأنت خير بأنّ ما ذكره ضعيف .
أمّا الأوّل، فلأنّ القرآن نزل على أسلوب لغة العرب، ومن عاداتهم أنّهم يذهبون من خطاب إلى خطاب، ثمّ يعودون إليه، فكون ما قبل الآية وما بعدها في أزواج النبي ﷺ لا ينافي كون وسطها فيهم، إذ الخروج من حكم إلى آخر في القرآن كثير جداً.

فكثير ما تنزل الآية أولها في شيء، وأوسطها في آخر، وآخرها في آخر، ولو أريد بالوسط النساء لقليل: عنكنّ ويظّهركنّ دون عنكنم ويظّهركم، فهذا قرينة على

(١) أنوار التنزيل في تفسير القرآن للبيضاوي ٢: ٢٧٢ .

المراد، والقول بالتغليب سيظهر ضعفه .

وأما الثاني، فلما قال أبو سعيد الخدري^(١)، وأنس بن مالك^(٢)، وواثلة بن الأسقع^(٣)، وعائشة^(٤)، وأم سلمة^(٥) من أن الآية مختصة برسول الله وعلي وفاطمة والحسين عليهم السلام .

وفي تفسير الثعلبي: عن أم سلمة، أن النبي صلى الله عليه وآله كان في بيتها، فأتته فاطمة ببرمة فيها حريرة، فقال لها: ادعي زوجك وابنيك، قالت: فجاء علي وحسن وحسين، فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الحريرة، وهو وهم على منام واحد له على دكان تحته كساء خيبري، قالت: وأنا في الحجرة أصلي، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ الآية، فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثم قال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وحامتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فأدخلت رأسي البيت وقلت: وأنا معكم يا رسول الله، قال: إنك إلى خير .

وبإسناده: قال مجمع: دخلت أمي علي عائشة، فسألته أمي رأيت خروجك يوم الجمل؟ قالت: إنها كانت قدراً من الله، فسألته عن علي، فقالت: تسأليني عن أحب الناس كان إلى رسول الله، وزوج أحب الناس كانت إلى رسول الله، لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً قد جمع رسول الله بتوب عليهم، ثم قال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وحامتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قالت: فقلت:

(١) جامع البيان للطبري ٢٢: ٦ .

(٢) مسند الحافظ أحمد بن حنبل ٣: ٢٥٩ .

(٣) مستدرک الحاكم ٢: ٤١٦ .

(٤) نظم درر السمطين ص ١٣٣ .

(٥) مسند الحافظ أحمد بن حنبل ٦: ٣٩٨ .

يا رسول الله أنا من أهلِكَ، قال: تنحّي إنك إلى خير^(١).

وروى الترمذي في الجامع، عن عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله ﷺ، قال: نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ في بيت أم سلمة، فدعا النبي فاطمة وحسناً وحسيناً، فجلبهم بكساء وعلي خلف ظهره، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: إنك على مكانك وأنت على خير^(٢).

وفي رواية شهر بن حوشب: فرفعت الكساء لأدخل تحته معهم، فجذبه من يدي، وقال: إنك على خير^(٣).

وفي رواية أخرى فقالت زينب: يا رسول الله ألا أدخل معكم؟ فقال رسول الله ﷺ: مكانك فإنك إلى خير إن شاء الله^(٤).

وفي صحيح أبي داود السجستاني وهو كتاب السنن، قالت أم سلمة: وأنا جالسة عند الباب، فقلت: يا رسول الله أأست من أهل البيت؟ فقال: إنك إلى خير، إنك من أزواج النبي^(٥).

فهذه الأخبار وأمثالها الكثيرة الواردة في طريق القاضي تقضي بكونهم المراد

(١) ملحقات إحقاق الحق ٩: ١٠ عن تفسير الثعلبي.

(٢) صحيح الترمذي ١٣: ٢٠٠.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٦: ٣٢٣، العمدة لابن البطريق ص ٣٣ برقم: ١٣.

(٤) العمدة لابن البطريق ص ٤٠ برقم: ٢٤.

(٥) راجع الروايات الواردة في ذلك عن طرق العامة إلى إحقاق الحق ٢: ٥٠١ - ٥٦٢ و

٣: ٥١٣ - ٥٣١ و ٩: ١ - ٦٩ و ١٤: ٤٠ - ١٠٥ و ١٨: ٣٥٩ - ٣٨٣، والعمدة لابن البطريق

بأهل البيت دون غيرهم من أزواج النبي ﷺ ونسائه المذكورات فيما قبل الآية وما بعدها .

وبالجملة ما ذكره واحتملوه من التغليب، وكون الآية تعليلاً لأمرهنّ ونهيهنّ على الاستئناف، ومن كون الحكم عاماً، وتخصيص الشيعة أهل البيت بهؤلاء والاحتجاج بذلك، وكون إجماعهم حجّة ضعيفاً إلى غير ذلك، إجتهد في مقابل النصّ الصحيح والبيان الصريح، فغير مسموع ذلك منهم، بل هو عين العناد واللداد الموجب للخلود في نار جهنّم، نعوذ بالله تعالى منها .

نعم لولا ورود تلك الروايات الصحيحة الصريحة من الطرفين في بيانها، لكان لما ذكره واحتملوه وجه .

وإذ قد ثبت أنّ المراد بأهل البيت في الآية هؤلاء المذكورون، ثبت أنّ إجماعهم بل قول كلّ منهم حجّة قاطعة؛ لأنّ إذهاب الرجس ووقوع التطهير ملزم عدم العصيان والمخالفة لأوامر الله ونواهيه، فوقوع الخطأ منهم مأمون، فالافتداء بهم والأخذ بقولهم وفعالهم دون من لم يؤمن ووقوعه منه وتطرّق الرجس إليه واجب .

ومن أعجب العجب أنّ هذا القاضي يقضي على خلاف ما ورد عليه من طرقة، فيذكر من الأخبار ما يقبل التأويل إلى ما يوافق دينه ومذهبه، ويترك ويتناسي ممّا هو ناصّ بالباب، ولعلّ عدوله عن طريق الصواب لعدم عثوره على الأخبار الواردة في الباب، أو لغفلته عنها، أو لتغافلها، أو لتقيته، أو لعصبيته وعناده، أو لأنّه اتّبع هواه فأضله الله على علم وختم على قلبه .

حتّى أنّه لم يتأمّل فيما رواه أيضاً، فإنّه أيضاً يفيد حصر أهل البيت في آل العباء لمن تأمّله، إذ لو كان أحد غيرهم داخلياً في أهل البيت المراد من الآية لما كان

لإدخالهم بخصوصهم في الكساء، ثم تلاوة الآية عليهم والسكوت عن غيرهم مدة العمر، وإلا لنقل هذا ولتمسكت به السنّة، كما نقل ذلك وتمسكت به الشيعة، وجهه، ففعله هذا وقوله ذلك برهانان وبيانان لأهل البيت .

فهو وإن كان عاماً مفهوماً إلا أنه خاصّ بياناً، وكيف يتصوّر منه ﷺ أن يسمّيهم خاصّة بأهل البيت عقيب نزول الآية ويسكت عن غيرهم ويهمله، وهو داخل فيهم في الحكم المذكور في الآية .

[تحقيق المقال حول آية المباهلة]

هذا، وأمّا آية المباهلة، فلما استدللّ بها نصير الملة والدين عليّ كونه سيّدنا أمير المؤمنين ﷺ أفضل الصحابة (١) .

قال القوشجي: ليس المراد به نفسه ﷺ؛ لأنّ أحداً لا يدعو نفسه، كما لا يأمر نفسه، وليس المراد به فاطمة والحسن والحسين، لأنّهم أدرجوا في قوله تعالى: ﴿أَبْنَاؤُنَا وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاءُ نَا وَنِسَاءُكُمْ﴾ (٢) فلا بدّ وأن يكون شخصاً آخر غير نفسه ﷺ وغير فاطمة والحسن والحسين، وليس غير عليّ بالإجماع، فتعيّن أن يكون علياً .

وبيان دلالاته عليّ كونه أفضل الصحابة، أنّ دعاءه للمباهلة يدلّ عليّ أنه في غاية الشفقة والمحبة لعلّي، وإلّا لقال المنافقون: إنّ الرسول لم يدع للمباهلة من يحبه ويحذر عليه من العذاب .

أقول: هذا حقّ، وأمّا استدلال أصحابنا بآية المباهلة عليّ كونه ﷺ مساوياً

(١) تجريد الاعتقاد ص ٢٦٧ .

(٢) سورة آل عمران: ٦١ .

للنبي ﷺ في الفضيلة والشرافة، وهو أشرف من سائر الأنبياء، فيكون مساويه كذلك، فباطل يرد عليه مفاسد وهم عنها غافلون .

قال آية الله العلامة التحرير الفهامة - رُوِّحَ اللهُ رُوحَهُ - في جواب من سأله عمَّا ورد أن آدم ونوحاً عليهما السلام ضجيعان لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام هل صحَّ ذلك ؟ هذا شيء مشهور، والاعتماد فيه على النقل، ومع ذلك فأبي فضيلة لأmir المؤمنين علي عليه السلام فيه؟ فإنَّ الشيعة استدلُّوا بالقرآن على أن أمير المؤمنين عليه السلام مساوياً للنبي ﷺ، لقوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ والمراد به علي عليه السلام، والاتِّحاد محال، فبقي أن يكون المراد المساواة، ولا شك أن محمداً ﷺ أشرف من غيره من الأنبياء، فيكون مساويه كذلك (١).

ولا يذهب عليك أن ما ذكره من مساواتهما - صلوات الله عليهما وآلهما - وقت نزول الآية، كما هو مقتضى دليله هذا، ينافيه ما روي عنه عليه السلام أن النبي ﷺ علمه عند وفاته ألف باب فتح من كلِّ باب ألف ألف؛ إذ المتعلِّم لا يكون مساوياً لمعلِّمه، ضرورة تقدِّمه عليه تقدُّماً بالشرف مع ما في تساويهما وقتئذ من ترجيح أحد المتساويين على الآخر على تقدير كون أحدهما رعية والآخر إماماً له .

والإلزام: إمَّا القول بالتشريك، أو عدم كونه حجّة عليه، وهو ينافي عموم رسالته، وكونه رحمة للعالمين، ومبعوثاً على الأسود والأبيض .

ثم إنَّ هنا إشكالاً آخر أقوى منه، وهو أنه عليه السلام عاش بعد النبي ﷺ بضعاً وثلاثين سنة، ولا شك أنه ازداد في هذه المدّة الطويلة علماً وفضلاً وكمالاً جسمانياً وروحانياً استحقَّ به الثواب، وإلّا لكان مغبوناً في هذه المدّة، بل كلٌّ من ساوئ

يوماه فهو مغبون .

وكيف لم يزد بعدة ﷺ فضلاً وثواباً، وغزواته مع القاسطين والناكثين والمارقين مشهورة، ومجاهداته في الله وعباداته في الكتب مسطورة، فعلى ما ذكره ﷺ مقلداً فيه السلف من غير أن يعمن النظر فيه وفيما فيه، يلزم أن يكون علي ﷺ أفضل من النبي ﷺ بمراتب، إذ لا يعنى بالأفضل هنا إلا أكثر ثواباً، وهو ﷺ على هذا الفرض أكثر منه ﷺ فضلاً وثواباً بمراتب شتى .

وهذا مع أنه ينافيه كونه ﷺ أشرف الموجودات وأفضل الكائنات، وقوله: «ما خلق الله خلقاً أفضل مني، ولا أكرم على الله مني» (١) وقوله: «أنا سيّد ولد آدم» (٢) وفي رواية أخرى: «أنا سيّد من خلق الله» (٣) .

وقوله في حديث آخر أورده الشيخ ابن فهد في العدة: علي سيّد العرب، فقيل: يا رسول الله ألسنت سيّد العرب؟ فقال: أنا سيّد ولد آدم، وعلي سيّد العرب: فقيل: وما السيّد؟ قال: من افترض طاعته كما افترضت طاعتي (٤) .

وقولهم ﷺ في الأدعية المأثورة عنهم: «وصلّى الله على خير خلقه سيّدنا محمّد وآله» (٥) .

وخاصّة قول علي ﷺ في خطبة يوم الغدير المذكورة في الكفعمي (٦): قرن

(١) بحار الأنوار ١٨: ٣٤٥ و ٢٦: ٣٣٥ و ٥٧: ٣٠٣ .

(٢) عوالي اللآلي ٤: ١٢١ .

(٣) بحار الأنوار ١٦: ٣٦٤ و ٢٦: ٣٤٢ و ٣٦: ٢٥٥ و ٥٧: ٣٠٤ .

(٤) عدة الداعي ص ٣٠٥ .

(٥) بحار الأنوار ٥٠: ٣١٧ و ٨٨: ٢٦ و ٩١: ٢٤٢ .

(٦) المصباح للكفعمي ص ٦٩٥ و ٧٥٢ .

الاعتراف بنبوته بالاعتراف بلاهوته، واختصه من تكريمه بما لم يلحقه فيه أحد من بريته، فهو أهل ذلك بخاصته وخلته (١).

وفي خطبة أخرى له ﷺ: «ألا وإن الوسيلة أعلى درجة الجنة، وذروة ذوائب الزلقة، ونهاية غاية الأمانة، لها ألف مرقة، ما بين المرقة إلى المرقة حضر الفرس الجواد مائة عام، ورسول الله قاعد عليها مرتد بريطين: ريطة من رحمة الله، وريطة من نور الله، عليه تاج النبوة، وإكليل الرسالة، قد أشرف بنوره المواقف، وأنا يومئذ على الدرجة الرفيعة وهي دون درجته، وعليّ ريطتان: ريطة من أرجوان النور، وريطة من كافور (٢).

قال في مجمع البحرين: وفي الحديث في وصف علي ﷺ في الجنة: «وعليه ريطتان: ريطة من أرجوان النور، وريطة من كافور» ومثله في وصف رسول الله ﷺ «مرتد بريطين» الريطة بالفتح: كلّ ملاءة إذا كانت قطعة واحدة وليست لفتين أي قطعيتين، والجمع رباط مثل كلبة وكلاب، وريط مثل تمر وتمر (٣).

وفي نهاية ابن الأثير: وقيل الريطة كلّ ثوب رقيق لين (٤).
مما لم يقل به أحد من المسلمين، وكيف يقول به مسلم؟ ودرجته باعترافه دون درجته، والمساواة في الفضيلة ملزوم المساواة في الدرجة بل هو هو، وكيف

(١) بحار الأنوار ٩٤: ١١٢.

(٢) الروضة من الكافي ٨: ٢٤ - ٢٥.

(٣) مجمع البحرين ٤: ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٤) نهاية ابن الأثير ٢: ٢٨٩.

يساويه أحد في الدرجة والفضيلة؟ وهو أول من تشرف بعناية الله، وصار مظهر جلاله وجماله. وقد تقرر في مقره أن أول خلق الله أشد مناسبة بذاته تعالى؛ إذ لا واسطة بينه وبين خالقه .

وأيضاً فإن أراد به أنه مساوٍ له مع وصفه بالنبوة، يلزم منه أن يكون نبياً مثله، وإن أراد به أنه مع قطع النظر عن ذلك مساوٍ له، فعلى تقدير التسليم لا يلزم منه ما ادّعاه؛ إذ لا يلزم من كونه ﷺ مع وصف النبوة وسائر الفضائل أفضل من أولي العزم كونه ﷺ بدون هذا الوصف أفضل منهم، كيف؟ ونبوته أشرف النبوات، ورسالته أكمل الرسالات، وما بلغ بذلك أحد مبلغه .

ألا يرى إلى ما رواه ثقة الإسلام في أصول الكافي، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر ﷺ، قال: نزل جبرئيل ﷺ على رسول الله ﷺ برمانتين من الجنة، فأعطاه إياهما، فأكل واحدة وكسر الأخرى نصفين، فأعطى علياً ﷺ نصفها فأكلها، فقال: يا علي أما الرمانة الأولى التي أكلتها فالنبوة ليس لك فيها شيء، وأما الأخرى فهو العلم فانت شريكي فيه (١).

فهذا حديث صحيح صريح في أن له ﷺ ربع ما له ﷺ، فإنه أكل من الرمانتين ثلاثة أرباعهما، وأكل علي ﷺ ربعاً منهما، ولعله ﷺ لذلك قال وقد سأله حبر من الأحبار بعد كلام أفاده في التوحيد، فنبى أنت؟: ويليك أنا عبد من عبيد محمد، كذا في التوحيد للصدوق ﷺ (٢).

(١) أصول الكافي ١: ٢٦٣ ح ١ .

(٢) التوحيد ص ١٧٤ ح ٣ .

ثم إن شئت أن تعرف شتان ما بينهما، فانظر إلى ما ورد في طريق العامة عن أبي هريرة، وتلقاه الخاصة بالقبول لورود مثله في طريقهم، قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ يوم فتح مكة: أما ترى هذا الصنم بأعلى الكعبة؟ فقال: بلى يا رسول الله، قال: فأحملك فتناوله، قال: بل أنا أحملك يا رسول الله، فقال: لو أن ربعة ومضر جهدوا أن يحملوا مني بضعة وأنا حي ما قدروا، ولكن قف يا علي، فضرب رسول الله ﷺ يديه على ساق علي فوق القرونس^(١)، ثم اقتلعه من الأرض، فرفعه حتى تبين بياض ابطيه الحديث^(٢).

هذا، ثم من البين أن ليس المراد بقوله ﴿وَأَنْفُسَكُمْ﴾ هم المتساوون في الدرجة والفضيلة؛ إذ لا فضل لهم عند الله جناح بعوضة، بل المراد به الذين كانوا من خاصة هؤلاء المخاطبين وبطانتهم ووليجتهم ومن أعزّة أهلهم وأحبّتهم عليهم الذين كانوا يخافون عليهم، ويحذرون من نزول العذاب بهم.

لأنّ ذلك هو مناط المباهلة، ومحطّ فائدتها، حيث يدلّ على وثوق المباهل وبقينه بحقيته، وبطلان طرف المقابل، فكذا قوله ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ من غير فصل، وكثيراً ما يعبر عن القريب النسبي بل عن المشتركين في ملة بالنفس، كقوله تعالى: ﴿فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٣) أي: ليقتل بعضكم بعضاً، أمر من لم يعبد العجل من قوم موسى أن يقتل من عبده.

(١) في المناقب: القرونس.

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٢٠٢.

(٣) سورة البقرة: ٥٤.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(١) أي: لا يقتل بعضكم بعضاً؛ لأنكم أهل دين واحد، فأنتم كنفس واحدة، صرح بذلك أهل التفسير، وعدوا منه قوله تعالى: ﴿فَسَلِمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾^(٢) وقد تطلق النفس على الجنس والنوع، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾^(٣) وقوله ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾^(٤) أي: من جنسهم، كما في مجمع البحرين^(٥).
وأمثال ذلك في كتاب الله العزيز غير عزيز، فيكون مجازاً من الكلام أريد به المبالغة، كما في حديث السفر: «وابدأ بعلف دابتك فإنها نفسك»^(٦) أي: كنفسك، فكما تحتفظ على نفسك فاحتفظ عليها.

ومثله «فاطمة بضعة مني، وهي قلبي، وهي روعي التي بين جنبي»^(٧) وقوله «عترتي من لحمي ودمي»^(٨) وأمثال ذلك، فكما لا يلزم في هذه الصور المساواة في الدرجة والفضيلة، فكذا هنا من غير فرق.

فيكون المراد بقوله «وأنفسنا» من هو بمنزلتها في وجوب رعايتها والمحافظة

(١) سورة النساء: ٢٩.

(٢) سورة النور: ٦١.

(٣) سورة التوبة: ١٢٨.

(٤) سورة آل عمران: ١٦٤.

(٥) مجمع البحرين ٤: ١١٣.

(٦) من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٩٦، ووسائل الشيعة ١١: ٤٤٠.

(٧) راجع: الروايات الواردة عن طرقهم إلى إحقاق الحق ١٠: ١٨٧ - ٢٢٨ و ١٩: ٧٥ -

عليها، كما أنّ المراد بقوله «وأنفسكم» كذلك. وهذا أمر ظاهر بقريته المقام، ولا يشتهه عليّ من له أدنى دربة بالكلام .

ويظهر منه خصوصية ﷺ برسول الله ﷺ، وكونه محبوباً له، فيدلّ عليّ فضيلته وفضيلة الذين أتى بهم الرسول إلى المباهلة، وعليّ أنهم أفضل من سائر الصحابة وأحبّ إلى رسول الله ﷺ منهم، كما أشار إليه صاحب التجريد، وإلا لقال المنافقون: إنّ الرسول لم يدع للمباهلة من يحبه ويحذر عليه من العذاب .
وأما أنّه يدلّ عليّ أنّه مساوٍ له في المرتبة والفضيلة والقرب من الله، فكلاً وحاشا! إذ لا دلالة له عليه بواحد من الدلالات .

ثمّ إنّني إلى الآن لم أر في كلام أحد من علماء الشيعة قديماً وحديثاً ممن له أدنى فطنة وأخذ فطانتها بيده ولم يقلّد فيه أحداً، أنّه استدلّ بهذه الآية على المساواة بينهما، إلّا في كلام الفاضلين آية الله العلامة، وابنه فخر المحققين وزين المدقّقين .

حيث قال في جواب من سأله عن مولانا أمير المؤمنين ﷺ هل هو أفضل من سائر الأنبياء ما خلا نبينا - صلوات الله عليهم - من غير تفصيل أم هو أفضل من بعضهم دون بعض؟ وما الحجّة في تفضيله عليهم؟ وهل يكون حكم باقي الأئمة ﷺ من ولده هذا الحكم أم لا؟:

هذا أمر مختصّ به - صلوات الله عليه - وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ أفضل من سائر الأنبياء غير النبي ﷺ، ودليله قوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ أجمع المفسّرون عليّ أنّ المراد بالنفس هنا عليّ ﷺ، والاتّحاد محال، فلم يبق إلّا المساواة، ومساوي الأفضل أفضل قطعاً، وظاهر أنّه في ذلك سلك مسلك أبيه من دون تأمل ولا تدبّر لحسن ظنّه به .

نعم نقل عن شيخنا الشهيد رحمته الله أنه قال: أولوا العزم من الرسل خمسة، وقيل: ستة. والحقّ الأوّل، وهم أفضل من سائر النبيين والمرسلين، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله عليهم، ولا شكّ أنّ محمداً أفضل من سائرهم بلا خلاف. وأمّا علي بن أبي طالب عليه السلام، فلا شكّ أنّه أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين ما عدا الخمسة .

وقال بعض العلماء بتفضيله عليهم ما عدا محمد عليه السلام؛ لأنّه مساوٍ له، لقوله ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ وكان محمد أفضل منهم، ومساوي الأفضل أفضل، إلى هنا كلامه طاب منامه .

ولا يخفى أنّ استثناءه الخمسة، ثمّ نسبته القول بتفضيله عليهم إلى بعض العلماء وظاهر أنّه أراد به الفاضلين، صريح في أنّه لا يقول بذلك، ولا يرضى بهذا الدليل، وأنّه ليس ممّا اتّفقت به الشيعة، كما هو ظاهر كلام العلامة رحمته الله .

وبالجملة لا يسوغ القول بأنّ علياً، أو واحداً من الأئمّة سلام الله عليهم، صار مثله ومساوياً له عليه السلام في وقت، ثمّ بقي ذلك المساوي ولو في آنٍ بعده، فإنّ بقاءه فيه مصدقاً بالله وبصفاته العليا وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر إلى غير ذلك، ونفسه ونومه فيه تسبيح وعبادة يستحقّ به الثواب؛ لأنّ نفس العالم تسبيح ونومه عبادة، ويلزم منه ما تقدّم .

واللازم باطل، فالملزوم مثله، وبدون المساواة في الفضيلة لا يتمّ التقريب، وهو كونه عليه السلام أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين؛ لكونه مساوياً للأفضل منهم، وهو خاتم النبيين صلوات الله عليهم أجمعين .

وأما ما ورد في بعض الأخبار من قوله ﷺ «إنهم مثلي»^(١) فالمراد به أنهم مثله في العصمة، وفرض الطاعة، والدلالة إلى الله، والهداية إليه وما شاكل ذلك، لا أنهم مثله في الدرجة والفضيلة ليلزم منه المساواة، فيلزم منه ما سبق، والمشبه لا يلزم أن يكون مثل المشبه به في كلّ الوجوه، وكيف يمكن القول بمساواتهم كلّهم له ﷺ؟ وهم مختلفون في المرتبة والفضيلة .

فأما الحسنان، فأبوهما خير منهما، وهما من التسعة، والحجة من الثمانية صلوات الله عليهم .

ثم لا حاجة في تفضيله ﷺ على الأنبياء ﷺ إلى القول بالمساواة، فإن له طرقاً عديدة أوضحناها في رسالة لنا مفردة مسّاة بـ«ذريعة النجاة»^(٢) معمولة لبيان أفضلية أئمتنا ﷺ من سائر الأنبياء ﷺ غير النبي ﷺ، قد أشبعنا الكلام فيها بما لا مزيد عليه، فيطلب من هناك، وبالله التوفيق .

[تحقيق حول حديث الثقلين]

وأما خبر «إني تارك فيكم الثقلين» فلا يخفى على من له قليل من الإنصاف ما فيه من التأكيد والحثّ البالغ في وجوب التمسك بأهل بيت الرسول وعترته الطاهرة وذريته المعصومة، وفي الأخذ بقولهم والعمل بمقتضاه، وإن من تمسك بهم وأخذ بقولهم نجى، ولن يضلّ أبداً ما تمسك بهم .

فإنهم العروة الوثقى، والأئمة الهدى، وتراجمه كتاب الله تعالى ووجهه وعيية علمه، فمن آمن بالله ورسوله وجب عليه الإيمان بهم والتمسك بقولهم وفعلهم،

(١) أصول الكافي ١: ٥٣٣، بحار الأنوار ٢٥: ٥١ و ٢٩: ٣٠ .

(٢) تقدّم في هذه المجموعة، فراجع .

والإقرار بكونهم خلفاء الرسول ﷺ، لتصريحه بذلك في قوله «خليفتين» .

والعجب كلّ العجب من الذين نقلوا مثل هذه الأخبار الصحيحة الصريحة، ثمّ كفروا به، ألا لعنة الله على الكافرين، ولنذكر نبذة من تلك الأخبار الواردة في طرق أولئك الفجّار .

فنقول: روى الثعلبي في تفسير كريمة: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (١) بأسانيد متعدّدة عن رسول الله ﷺ، قال: أيّها الناس قد تركت فيكم الثقلين خليفتين، إن أخذتم بهما لن تضلّوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض - أو قال: إلى الأرض - وعترتي أهل بيتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض (٢) .

وفي مسند أحمد بن حنبل: عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّي قد تركت فيكم ما إن تمسّكنم به لن تضلّوا بعدي الثقلين، وأحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض .

قال أبو نعيم: قال بعض أصحابنا عن الأعمش، قال: انظروني كيف تخلفوني فيهما (٣) .

وفي صحيح الترمذي: عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّي تارك

(١) سورة آل عمران: ١٠٣ .

(٢) إحقاق الحقّ عنه ٣: ٥٣٩، ١٤: ٣٨٤، والعمدة لابن البطريق ص ٧١ برقم: ٨٧ عنه .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٢٦، وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٥٨٥ برقم: ٩٩٠ .

وذخائر العقبى عنه ص ١٥، وكنز العمال ١: ٣٤٢ .

فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنيهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني في عترتي (١).

وهذا الحديث مذكور في الجمع بين الصحاح السنّة لرزين العبدي (٢).

وفي صحيح أبي داود السجستاني وهو كتاب السنن، وفي صحيح مسلم في موضعين، عن زيد بن أرقم (٣).

وفي مناقب الفقيه أبي الحسن علي بن المغازلي الواسطي، بإسناده المتّصل إلى زيد بن أرقم، قال: أقبل نبي الله من مكّة في حجة الوداع - وساق الحديث إلى أن قال: - قال: وإني فرطكم، وإنيكم تبعي، توشكون أن تردوا عليّ الحوض، فأسألکم حين تلقوني عن ثقلي كيف خلّفتموني فيهما؟

قال: فاعتلّ علينا ما ندرى ما الثقلان، حتّى قام رجل من الأنصار، فقال: بأبي أنت وأمي يا نبي الله ما الثقلان؟ فقال: الأكبر منهما كتاب الله سبب طرف بيد الله تعاليّ، وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به لا تزلّوا ولا تضلّوا، والأصغر منهما عترتي الحديث (٤).

وفي صحيح مسلم، والجمع بين الصحيحين، وفي صحيح الترمذي، والجمع بين الصحاح السنّة، وفي صحيح أبي داود السجستاني، عن زيد بن أرقم، قال: قام

(١) صحيح الترمذي ٥: ٦٦٣.

(٢) العمدة لابن البطريق ص ٧٢ برقم: ٨٩، ومستدرک الحاكم ٣: ١٤٨.

(٣) صحيح مسلم ٧: ١٢٢ - ١٢٣ باب فضائل علي عليه السلام.

(٤) المناقب لابن المغازلي ص ٢٣٤، و سنن الدارمي ٢: ٤٣١، ومستدرک الحاكم

٣: ١٠٩، و سنن البيهقي ١٠: ١١٣.

رسول الله ﷺ يوماً خطيباً - إلى أن قال - ثم قال: أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله العزيز واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي وكتاب الله، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض (١).

وبالجملة الأخبار الواردة في هذا المعنى من طرقهم الصحيحة الصريحة في كون أهل البيت حجة الله على خلقه بلسان نبيه يجب عليهم التمسك بهم والأخذ بقولهم دون غيرهم، وإلا لدلّ عليه نبي الله، كما دلّ عليهم أكثر من أن تحصي، وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله العزيز.

فإن قلت: إنه قد جعل كتاب الله أيضاً حجة وخليفة في أمته، فيصح التمسك به كما يصح التمسك بهم، ولذلك قيل: حسبنا كتاب الله.

قلت: هذا خبط نشأ من قلة التدبر وسوء التفكير في مضمون هذا الخبر؛ لأن علم الكتاب لما كان عندهم، ولذلك جعلهما صاحبين مقترنين لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض، لم يكن هو بانفراده حجة وخليفة في الأمة، بل لا بد له من مترجم ومفسر، وليس هو الأهم، كما يدلّ عليه هذا الخبر.

وصريح قول علي بن الحسين عليه السلام: اللهم إني أنزلته على نبيك محمد عليه السلام مجملاً، وأهمته علم عجائبه مكملاً، وورثتنا علمه مفسراً، وفضلتنا على من جهل

(١) صحيح مسلم ٧: ١٢٣، والإحقاق عن الجمع بين الصحيحين ٩: ٣٢٤، وصحيح

الترمذي ٥: ٦٦٣، وغيرها.

علمه، وقويتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله. الدعاء^(١).

[من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية]

ثم قال الفاضل الأردبيلي رحمته الله متصلاً بما سبق نقله عنه: وإِنَّه لا بدّ لكلّ زمان من إمام، وإِنَّه من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية^(٢).

أقول: وذلك لأنّ علماء الأُمَّة اتَّفَقوا على أنّ بعد النبي لا بدّ من إمام يعلم المسائل العلمية والعملية، ويروّج الأحكام الدينية والدينية، وهذا أمر لا يختصّ بزمان دون زمان، بل يعمّ الأزمنة بأسرها، كالحديث المذكور المشهور، فإنّه صريح في أنّه لا بدّ لكلّ زمان من إمام، حيث أضاف الإمام إلى زمان المكلف، فما دام التكليف لا بدّ من وجود إمام بعد إمام يجب عليه معرفته.

قال وحيد زمانه ميرزا محمّد طاهر رحمته الله^(٣) على ما نقل عنه: اعلم أنّ الملّيين من المسلمين مع اختلاف مذاهبهم اتَّفَقوا على صحّة ما نقل عن النبي صلّى الله عليه وآله، وهو قوله «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» ولا شكّ في أنّ هذا الحديث صريح في أنّ الجاهل بإمام زمانه كافر، ولا شكّ في أنّ علياً عليه السلام لم يبايع أبابكر مدّة، فعلى هذا يلزم أن لا تكون إمامة أبي بكر حقّاً، وإلّا لزم أن يكون علي وعباس وكلّ من تأخّر عن بيعته كافراً، ولم يقل به أحد، فثبت المطلوب.

أقول: فيه إنّ غاية ما يفهم منه أنّ موت الجاهل بإمام زمانه على تقدير بقائه

(١) الصحيفة السجّادية، دعاؤه عند ختم القرآن، برقم: ٤٢.

(٢) شرح الكافي ١٢: ٣٩٢.

(٣) هو العالم المحقّق المدقّق الملامّ محمّد طاهر الشيرازي القميّ، المتوفّي سنة (١٠٩٨).

صاحب كتاب الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين عليهم السلام، المطبوع بتحقيقي.

علیٰ هذا الجهل وموته عليه شبيه بموت الجاهلية، لا أن من تأخَّر عن بيعته برهة من الزمان، ولعلَّه كان لإجالة النظر وإطالة الفكر، ليظهر عليه صدقه وأهليته وحقيته في دعواه الإمامة، ثمَّ بايعه وعرفه حقَّ معرفته، ثمَّ مات علیٰ معرفته والإقرار بإمامته، يلزم منه أن يكون كافراً مدَّة حياته، أو يكون موته شبيهاً بموت الجاهلية حتَّى يلزم منه المطلوب .

كيف؟ وكثير من أصحاب عليٍّ لم يبايعوه مدَّة، ثمَّ بايعوه طوعاً أو كرهاً، ثمَّ استقاموا على الإقرار بإمامته وماتوا عليه، فيلزم بناءً علیٰ ما ذكره أن يكونوا كفَّاراً جهلاء محشورين بعد موتهم مع أهل الجاهلية، وظاهر أنَّه لم يقل به أحد .
والعجب أنَّه مع ثقب فهمه وجودة قريحته كيف تكلم بمثل هذا، وتفاجر في آخر دليبه بقوله: وهذا طريق أنيق في إثبات إمامة عليٍّ لم يذهب إليه أحد قد وفقنا الله به. مع ظهور بطلانه وفتور بنيانه .

[وجوب الإمام المعصوم في كلِّ عصر من الأعصار]

ثمَّ قال ﷺ: ثمَّ إنَّ الإمام الحقَّ في كلِّ عصر يجب أن يكون واحداً وإلاَّ يلزم تجويز حقيَّة النقيضين علیٰ تقدير اختلافهم، وهو ممتنع. وإذا لم يكن الإمام عبارة عن السلطان ومن يقتدئ به في الصلاة، ثبت أنَّ له معنى آخر يخصَّص به عمَّن يصدق عليه هذا اللفظ بحسب اللغة .

وليس للرعية سبيل إلى معرفته، فيجب بيانه وتعيينه على النبي، وتأخير البيان عن محلِّ الحاجة قبيح، والنبي ﷺ منزه عنه، فثبت أنَّه نصَّ علیٰ عليٍّ؛ إذ لم يدع أحد ادَّعاء نصَّه علیٰ غيره، فثبت المطلوب .

أقول: المقدِّمة الأولى مستدركة، وكان المناسب أن يقول بعد إبطال إمامة أبي بكر: ثمَّ إنَّ خلَّو الزمان عن الإمام باطل بإجماع الفريقين، وإذا لم يكن الإمام

عبارة عن السلطان إلى آخر ما ذكره .

على أنه يرد أيضاً أنهم فسروا الإمامة برئاسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي، فهم لا يجوزون تعدد الإمام، حقاً كان أم باطلاً في عصر من الأعصار، ليجتاج في نفيه إلى دليل، وفي إبطاله إلى حجة، ومنه يعلم أن للإمام معنى آخر غير متعارف اللغة، فهو أيضاً من المسلمات عندهم .

وأما أنه ليس للرعية سبيل إلى معرفته، فهو أول البحث وفي حيز المنع؛ لأن إجماع الأمة على أمر دليل على حقيقته، وهو سبيل المؤمنين المشار إليه في القرآن^(١) .

ولعله حاول أن يشير إلى وجوب عصمته، وأنها من الأمور الخفية التي لا يعلمها إلا عالم السرائر والضمائر، فيجب أن يكون منصوصاً، كما هو المشهور عندنا وإن لم يكن مسلماً عندهم، وإلا فبعد إثبات وجوب عصمته أو تسليمه لا حاجة في نفي إمامة أبي بكر وإثبات إمامة علي عليه السلام إلى تلك التطويلات .

بل يكفي مجرد أن يقال: إن الإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله: إما علي، أو أبو بكر، والثاني باطل، لعدم عصمته، فنبت عصمة علي عليه السلام، وإلا لزم عدم إمامته أيضاً، وهو يستلزم خلاف الإجماع المركب من الفريقين، فإذا كان معصوماً تعين إمامته، وهو المطلوب .

وأما ما ذكره من وجوب كون النبي منزهاً عن القبيح، فغير مسلم عندهم، كيف؟ وهم قد كتبتوا على ذلك تخطئة الأنبياء، وجوزوا فيهم الاجتهاد، فصوبوهم تارةً، وخطؤوهم أخرى .

وبالجملة دليhle هذا غير مسكت للخصم، بل هو دليل إقناعي عند الشيعة بعد تسليم أكثر مقدّماته، على أنّ مقدّماته من المشهورات عندهم، وقد ورد على أكثرها النصّ عن أئمّتهم، فكيف ساغ له دعوى التفرّد بذلك؟

هذا، وأمّا تأويل الإمام المذكور في الخبر المسطور بالكتاب العزيز، أو بصاحب الشوكة من ملوك الدنيا، عالماً كان أو جاهلاً، عادلاً كان أو فاسقاً، كما عليه مخالفونا، فمما لا وجه له أصلاً، وأية فائدة في معرفة الفاسق والجاهل؟ حتّى من لم يعرفهما يموت ميتة الجاهلية، وهما لا يصلحان للإمامة، وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته، ولا تجب طاعته، ولا يقبل خبره، ولا يقدم للصلاة، كما صرّح به مفسّروهم .

ومنهم الزمخشري^(١)، والبيضاوي^(٢) في ذيل كريمة: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٣) وإضافة الإمام إلى زمان ذلك الشخص ينفي كون المراد به الكتاب العزيز، وهو ظاهر .

[عدم حجّية القياس والإجماع في أمر الإمامة]

ثمّ قال الفاضل الأردبيلي رحمته الله متّصلاً بما سبق نقله عنه: وإنّ القياس في الأصول لا يجزئ، وإنّ الإجماع لا يكون حجّة إلا إذا كان له سند، وإنّ القياس له شرائط، وفيه الاختلافات الكثيرة والاعتراضات العظيمة، وكذلك في الإجماع .

ومع ذلك يسندون أصلهم وهو خلافة الأوّل إلى إجماع ما كان إلا في بعض من

(١) الكشاف ١: ٣٠٩ .

(٢) أنوار التنزيل في تفسير القرآن ١: ١١١ .

(٣) سورة البقرة: ١٢٤ .

في المدينة في ذلك الزمان، مسنداً إلى قياس بصلاة خلفه برضا عنه ﷺ، وأنه أمر أخروي، والدنيا أمر دنيوي فيرضاه أيضاً، مع أنهم صرّحوا في بابها بأنها رئاسة عامة في الدين والدنيا، مع تجويزهم الصلاة خلف كل فاسق وفاجر، ويتركون ما نقلوه من النصوص بسبب ذلك، مع نقلهم أنّ علياً عليه السلام ما بايع إلا بعد فوت فاطمة عليها السلام .

أقول: حاصل قياسهم أنّ النبي ﷺ لما رضي بإمامة أبي بكر وبالصلاة خلفه وهي أمر أخروي، يلزم منه أن يكون راضياً بإمامته وخلافته بطريق أولى؛ لأنها أمر دنيوي .

فردّد ذلك عليهم بأنه قياس معه فارق؛ لأنّ الإمامة الكبرى رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي، فلا بدّ أن يكون الخليفة عادلاً عارفاً بالأمر الدينية والدنيوية لينتظم به الدين والدنيا، بخلاف الإمامة الصغرى، وهي الإمامة في الصلاة، فإنّ الإمام فيها على اعتقادهم الفاسد ورأيهم الكاسد يجوز أن يكون فاسقاً فاجراً، فكيف يصحّ قياس أحدهما على الآخر؟

وإذا بطل سند الإجماع، ولا بدّ له من سند، وإلا لا يكون حجّة، فهو بالبطان أولى، مع أنّ الإجماع غير متحقّق فيه، لخلوّه عن أجلة الأصحاب وأساطين الدين، كصاحب الحقّ وأهله أمير المؤمنين وأولاده صلوات الله عليهم أجمعين، وكعمّه العباس وأبنائه وأسامة بن زيد والزيبر .

ومشاهير الصحابة الكبار، كسلمان، وأبي ذرّ، ومقداد، وعمّار، وحذيفة بن اليمان، وأبي بريدة الأسلمي، وأبي بن كعب، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وأبي الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف، وأخيه عثمان، وأبي أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وخالد بن سعيد، وسعد بن عباد، وقيس بن سعد،

إلى غير ذلك .

وقد ذكر قتيبة في كتابه ثمانية عشر رجلاً منهم، قال: وكانوا رافضة، وقد أخذوا عن بعضهم البيعة بوعيد وتهديد ولو بعد حين، وقد بقي بعضهم على إنكاره إلى يوم الدين .

وإذا لم يتحقق فيه إجماع أهل المدينة، فكيف ظنك بغيرهم، وكيف يصح هذا الإجماع الزور وحلقة دار الغرور؟ وهم قد رووا عن أبي ذر الغفاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ناصب علياً في الخلافة فهو كافر، ومن شك في علي فهو كافر^(١). كذا رواه ابن المغازلي الشافعي في مناقبه، وهذا صريح في كفر الثلاثة، وفي كفر الشاكين في خلافته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل .

والعجب أنهم كيف يروون أمثال هذه النصوص الصحيحة الصريحة، ثم ينكرونها ولا يعملون بمقتضاها، كأنهم لا يعرفونها، يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، وما أولئك بالمؤمنين .

وإلى هذا أشار عليه السلام بقوله: وبالجملة من تفكر فيما قالوا فقط من غير شيء آخر المذكور في طرقنا لجزم: إما بجنونهم، أو قلة مبالاتهم، أو تقيتهم .

أقول: وذلك لأن العاقل المتدين الغير المتقي لا يميل إلى القول بذلك الإجماع المذكور وحلقة دار الغرور، مع تلك النصوص الواردة في طرقهم الصحيحة الصريحة في أحقيته عليه السلام بهذا الأمر .

[حديث ضربة علي عليه السلام يوم الخندق]

منها: ما أشار إليه عليه السلام بقوله: ومثل ما روي أن ضربة علي عليه السلام يوم الخندق أفضل

من عبادة الثقلين، وهم يقولون قد يكون غيره أفضل منه بمعنى أكثر ثواباً^(١).
أقول: وإذا كان المراد بالأفضل الأكثر ثواباً، فهذا الحديث النبوي المتفق عليه بين الفريقين^(٢) كافٍ في الدلالة على أفضليته ﷺ من الثقلين، ومنهم الأنبياء ﷺ، ثم أولي العزم، وخرج النبي ﷺ بالإجماع، وبقي الباقي بحاله؛ لانتفاء المعارض.
قال ربيعة السدي: أتيت حذيفة اليماني، فقلت: يا أبا عبد الله إنا نتحدث عن علي ﷺ ومناقبه، فيقول أهل البصرة: إنكم لتفرطون في علي، فهل تحدثني بحديث؟

فقال حذيفة: والذي نفسي بيده لو وضع جميع أعمال أصحاب محمد ﷺ في كفة الميزان منذ بعثه الله إلى يوم القيامة، ووضع عمل علي في الكفة الأخرى لرجح عمله على جميع أعمالهم.

فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد.

فقال حذيفة: يا لكع وكيف لا يحمل؟ وأين كان لأبي بكر وعمر وحذيفة وجميع أصحاب محمد مقاومة عمرو بن عبد ود؟ وقد دعا إلى المبارزة، فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً، فإنه نزل إليه فقتله، والذي نفس حذيفة لعمله في ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد إلى يوم القيامة^(٣).

ثم أقول: ولما استدلل صاحب التجريد^(٤) فيه بهذا الحديث وأمثاله الكثيرة على

(١) شرح الكافي ١٢: ٣٩٣.

(٢) رواه جمع من جمهور أعلام القوم: الحاكم في المستدرک ٣: ٣٢، تاريخ بغداد ١٣:

١٩، مقتل الحسين ص ٤٥، كنز العمال ٢: ٢١٩، وغيرهم.

(٣) أعلام الوری ص ١٩٥، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩: ٦٠ - ٦١.

(٤) تجريد الاعتقاد ص ٢٦٢.

كون علي عليه السلام أفضل من الصحابة، أجاب عنه القوشجي بأنه لا كلام في عموم مناقبه، ووفور فضائله، واتّصافه بالكمالات، واختصاصه بالكرامات، إلاّ أنّه لا يدلّ على الأفضلية بمعنى زيادة الثواب والكرامة عند الله، بعد ما ثبت من الاتفاق الجاري مجرى الإجماع على أفضلية أبي بكر.

وهذا من هذا اللعين المتعصّب العنود اللدود هذيان سوفيّطائي، لا حاجة بنا إلى التعرّض لرده، ولكنّا نقول: قد نقل عن مقداد بن أسود أنّه قال: لمّا قتل علي عليه السلام يوم الخندق عمرو بن عبد ودّ انهزم المشركون على سبعة عشر فرقة، وكان علي عليه السلام يقاتل عقيب كلّ فرقة، فتعجّبت من تعاقبه لأنّه لم يكن ذلك من دأبه، فلمّا نظرت إلى مقتل عمرو رأيت أنّ علياً كان هناك أيضاً. وهذا من خصائصه غريب عجيب. أقول: لا غرابة فيه ولا عجب؛ لأنّه عليه السلام بنفسه النفيسة لمّا كان أكمل من غيره وأفضل وإلى عالم المثال أميل وأقبل، كان تصرفه في أبدانه المثالية أكثر، وحظّه منها أزيد وأوفر، حتّى أنّه كان قد يظهر في مواضع شتى في وقت واحد أو أوقات تترى.

كما نقل في المشهور أنّه عليه السلام أفطر في ليلة عند أربعين نفرًا من أصحابه، ومنه يظهر أنّ لتلك الأشباح مظاهر في هذا العالم، إذا ظهرت فيها أمكن إدراكها بالبصر، كما كان يدرك النبي صلى الله عليه وآله والصحابة جبرئيل في صورة الدحية الكلبي، والله يعلم.

[بيعة أبي بكر كانت فلتة]

ثمّ قال عليه السلام: ومثل ما قال شارح التجريد: إنّ معنى قول عمر بيعة أبي بكر كانت فلتة من عاد إلى مثلها فاقتلوه، إنّ من عاد إلى خلاف كاد أن يظهر عندها فاقتلوه، وهل يمكن مثل هذا التقدير في الكلام؟ مع أنّه ينافي معنى الفلتة، وهو ظاهر لا

خلاف فيه^(١) .

أقول: لمّا عدّ صاحب التجريد^(٢) من مطاعن أبي بكر قول عمر كانت بيعة أبي بكر فلتة وقي الله المسلمين شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه. أجب عنه القوشجي بأنّ المعنى كانت فجأة وبغته وقي الله شرّ الخلاف الذي كاد يظهر عندها، فمن عاد إلى مثل تلك المخالفة المقتضية لتبديل الكلمة فاقتلوه .

ولا يخفى ما في هذا التأويل، فإنّ ضميري «شرّها» و «مثلها» في كلام عمر يعودان إلى بيعة أبي بكر، ومعناه أنّ بيعته كانت دفعة من غير تأمل وتدبّر، فلا يكون مبنياً على وفق العقل والنقل، وقي الله المسلمين شرّ تلك البيعة، فمن عاد إلى مثل تلك البيعة الواقعة فلتة فاقتلوه، هذا ما دلّ عليه صريح كلامه هذا .

وأما القوشجي، فلمّا رأى أنّه كلام حقّ مطابق للأمر نفسه وإن صدر عن غير مصدره، فإنّ الكذب قد يصدق، وعليه فيشكل الأمر عليهم لا على الشيعة، اضطرب اضطراباً شديداً، فأرجع ضمير «مثلها» إلى المخالفة المقتضية لتبديل الكلمة، وهذا أمر غير مذكور في الكلام، فاضطرّ لتصحيحه إلى تقدير قوله الخلاف الذي كاد يظهر عندها .

فسخ صورة الكلام مسخّة لا يكاد يصحّ؛ لأنّ حذف المضاف وإن كان متعارفاً إلا أنّ ذكره وحذف المضاف إليه مع صفته وجملته الصلة والموصول إلى غير ذلك، مع عدم قرينة ودلالة الكلام عليه، غير متعارف ولا مراد لقائله .

بل مراده ما دلّ عليه ظاهر كلامه، وهو كلام حقّ صدر عنه بغير رويّة أجرى الله

(١) شرح الكافي ١٢: ٣٩٣ .

(٢) التجريد ص ٢٤٥ .

على لسانه ليكون حجة عليهم، وفضيحة لهم عند الله وعند الناس، كما هو الموجود منه ومن غيره في غير هذا المحل أيضاً كثيراً، كما يظهر لمن تتبّع كلامهم وتأمل فيه .

[تخلف الأول والثاني عن جيش أسامة]

منه ما أشار إليه الفاضل الأردبيلي رحمته الله بقوله: ومثل ما قال الشريف في إلهيات شرح المواقف: الاجتهاد قد يكون صواباً، وقد يكون خطأً، وليس فيه عقاب وقصور، مثل تخلف الأول والثاني عن جيش أسامة حين أمرهم النبي بالرواح معه وقالوا: ليس مصلحة في أن نترك النبي في تلك الحالة التي يمكن مفارقتها الدنيا ونخلي المدينة^(١) .

أقول: مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وآله وقد حذر الله عنها بقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢) ليست باجتهاد، وسيما إذا بالغ فيه وصرح بأن المخالف ملعون .

حيث قال بعد قوله: نفذوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عن جيش أسامة، وكانت الثلاثة منهم، وفي جملة من يجب عليه النفوذ معه، ولم ينفذوا بل رجعوا مسرعين إلى المدينة، وخالفوا أمره ونقضوا عهده، فصاروا بذلك ملعونين بلسان النبي الكريم، ومصابين بفتنة وعذاب أليم .

وهل كانوا أعلم من النبي صلى الله عليه وآله بمصلحة حاله وحال أهل المدينة، حتى قالوا: لا مصلحة في تركه على تلك الحالة ونخلي المدينة، مع أن غرضه من تخليتها

(١) شرح الكافي ١٢: ٣٩٢ للفاضل المازندراني نقلاً عن المحقق الأردبيلي .

(٢) سورة النور: ٦٣ .

تبعيدهم عنها لثلاثاً يتواثبوا على الإمامة بعد موته ورحلته عن دار الدنيا، ولهذا جعلهم في الجيش ولم يجعل علياً فيهم .

والقوشجي لما رأى أنّ جواب الشريف سخيّف لا يسمن ولا يغني من جوع، أنكر صحّة الرواية ومنعها، وهذا منه مكابرة محضة صرفة بحتة لا تجديهِ شيئاً؛ لأنّ تخلّفهم عن جيشه وولايته عليهم مشهور في الطرفين مذكور في الطريقتين (١) غير قابل للمنع، والشريف لما كان منصفاً فسلمّه وأوله. والقوشجي لما كان مكابراً عنوداً لجوجاً لدوداً منعه، كما هو دأبه في المواضع جلّها بل كلّها حيث يعجز عن الجواب .

[منع الثاني من كتابة الرسول الأعظم]

هذا، ومنه ما أشار إليه ﷺ بقوله: ومثل ما قالوا في توجيه قول الثاني حين قال النبي ﷺ في حال الموت: ايتوني بالدواة والقلم الحديث. فقال الثاني: إنّ الرجل ليهذر، حسبنا كتاب الله (٢). فقالوا: إنّ ذلك القول منه من باب الاجتهاد، ولم يعلموا أنّ ردّ قول الرسول ﷺ والعمل بخلافه كفر محض .

أقول: هذا الاعتذار منهم كاد أن يكون أقبح من قول الثاني؛ لأنّ المجتهد من بذل جهده في استنباط الأحكام من الكتاب وسنة رسول الأنام عليه وآله السلام، لا من ردّ قوله وعمل بخلافه .

(١) قد روى المحدث البحراني في غاية المرام ص ٦٠٢ - ٦٠٦ عن عدّة من كتب العامّة

أنّ أبا بكر كان في جيش أسامة ثمّ تخلّف عنه، فراجع .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ١: ٣٢ باب كتابة العلم، وصحيح مسلم ٣: ١٢٥٧ -

١٢٥٩، وراجع الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين ص ٥٣٤ - ٥٣٨ .

ومع قطع النظر عن ذلك فقولُه هذا صريح في سوء اعتقاده وكفره وعدم إيمانه بالله ورسوله، حيث عبّر عنه بالرجل، ونسب إلى كلامه الهذيان والخطأ والباطل، نعوذ بالله منه .

فإنَّ الله جلَّ وعزَّ قد نزهه عن أمثال ذلك بقوله عزَّ من قائل: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (١) مع أنَّ هذا اللعين ابن اللعين ما كان من أهل الكتاب، وما كان عنده من علمه ما يكفيهِ في الأحكام، كما شهد هو بذلك في كثير من الكلام، منه قوله «لولا علي لهلك عمر» (٢) و«لولا معاذ لهلك عمر» (٣) و«كلَّ الناس أفتقه من عمر حتَّى المخدّرات في الحجال» (٤) .

فكيف يقول حسبنا كتاب الله وليس هو من أهله، ولو كان كتاب الله كافياً فما وجه اقتران العترة به في قوله «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (٥) فإنّ معنى عدم افتراقهما أنّ علمه عندهم، وهم تراجمة كتاب الله ووحيه .

كما أخبر عنه سيّدنا في زبور آل محمّد ﷺ بقوله: اللهمّ إنّك أنزلته عليّ نبيك محمّد ﷺ مجملاً، وأهمته علم عجائبه مكملأً، وورثتنا علمه مفسراً، وفضلتنا عليّ من جهل علمه، وقويّتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حملة (٦). فهم حملة كتاب الله لا غير .

(١) سورة النجم ٣ - ٤ .

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٤٦١ .

(٣) راجع: كتاب السبعة من السلف للفيروزآبادي ص ٩٠ .

(٤) راجع سنن البيهقي ٧: ٢٣٣، وكنز العمال ٨: ٢٩٨، وغيرهما .

(٥) تقدّم جملة من مصادر حديث الثقلين .

(٦) الصحيفة السجّادية، دعاؤه عند ختم القرآن، برقم: ٤٢ .

ثم المذكور في صحاحهم أنه ﷺ قال: ايتوني بدواة وبياض أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعدي أبداً.

وفي رواية: لأزيل لكم مشكل الأمر، وأذكر لكم من المستحقّ لها بعدي، فقام بعض من حضر ليأتي بالدواة والبياض، فقال عمر: دعوا الرجل فإنه ليهجر.
وفي رواية: ليهدي حسبنا كتاب الله.

وفي رواية عن عمر أنه قال: كان يريد أن يصرّح باسمه، فحلت بينه وبين ما أراد، رواه عنه من هو منهم وهو ابن أبي الحديد، وما هي من الظالمين ببعيد^(١).

[إنكار الثاني عمرة التمتع]

ومنه ما أشار إليه ﷺ بقوله: ومثل ما قال العضي في توجيه إنكار الثاني العدول من الأفراد إلى التمتع حين أمر النبي ﷺ من لم يسق الهدى بذلك مع عدم سياقه، وقال: نغتسل والنبي أغبر. فقال العضي: إنّه دليل على تقديم فعله على قوله عند التعارض، وما علم أن لا تعارض هنا؛ لأنّ فعله وعدم عدوله ﷺ لأنّه ساق الهدى، وقوله وأمره بالعدول لمن لم يسقه، فكان فرضه غير فرضهم.

أقول: وهذا ممّا قد بيّنه ﷺ لهم حين نزلت المتعة عليه عند المروّة بعد فراغه من السعي بقوله: أيّها الناس هذا جبرئيل - وأشار بيده إلى خلفه - يأمرني أن أمر من لم يسق هدياً أن يحلّ، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم، ولكنّي سقت الهدى، وليس لسائق الهدى أن يحلّ حتّى يبلغ الهدى محلّه، فقام إليه عمر، فقال: يا رسول الله نخرج حاجاً ورؤوسنا تقطر؟ فقال: إنك لن تؤمن بهذا

(١) راجع مسند أحمد ١: ٣٢٤ و٣٣٦، وطبقات ابن سعد ٢: ٣٧، وكنز العمال ٣: ١٣٨،

وصحيح مسلم ٣: ١٢٥٧ - ١٣٥٩، وصحيح البخاري ٥: ١٢٧ وغيرها.

أبدأ^(١).

أقول: وهذا من الإخبار بالغيب؛ لأنه قال في زمن خلافته الباطلة ورئاسته العاطلة: متعتان كانتا في عهد رسول الله وأنا أحرّمهما وأعاقب عليهما: متعة الحج، ومتعة النساء^(٢). ولا فرق بين من أنكر بعض أحكام الله ومن أنكر كلّها، كما هو اليّن والميّن، فكان كافراً بجميع ما أنزله الله على رسوله .

[تحقيق حول الخطبة الشقشقية]

هذا، ومنه ما أشار إليه ﷺ بقوله: ومثل ما بالغ ابن أبي الحديد في كون الخطبة الشقشقية منه ﷺ، وقال: إن كونها منه مثل ضوء النهار، وقد أطلع على الشكاية التي فيها، حتّى قال: فيشكل الأمر علينا لا على الشيعة، ثمّ أجاب بأنّه وقع لترك الأولى. وهل يقول العاقل مثل هذه الأقاويل التي لا يعذر صاحبها أصلاً، فهؤلاء وأمثالهم مخلّدون في النار^(٣).

أقول: وذلك لأنّهم كفروا بالحقّ بعد ما عرفوه، وعاندوه ولم يقبلوه، مع قدرتهم عليه، إذ اعتقادهم الفاسد ليس من مقتضيات ذواتهم، بل هو عارض لهم يمكنهم رفعه وهم مكلفون به، فلمّا قصروا فيه أخلّوا بالواجب من التكليف وأيّ واجب، فلا يكونون معذورين فيه، بل يكونون معاقبين به .

ودون نجاتهم خرط القتاد؛ لتخريبهم عمدة أركان الدين، وقد كانوا قادرين

(١) راجع: صحيح مسلم ٢: ٨٩٦، وصحيح البخاري ٢: ١٥٣، ومسند أحمد بن حنبل ٣:

٣٠٥ و٣١٧، وغيرها .

(٢) كنز العمال ٨: ٢٩٣، معاني الآثار للطحاوي ص ٣٧٤، وغيرها .

(٣) شرح الكافي ١٢: ٣٩٣ .

على تعميره؛ إذ الإمامة ركن من الأركان الأربعة، فكما يجب عليهم معرفة سائر الأركان والاعتقاد بها يجب عليهم معرفة هذا الركن والاعتقاد به .

مثلاً كما يجب عليهم أن يعتقدوا بأنّ لهم نبياً عربياً اسمه محمد بن عبدالله ﷺ خاتم النبيين صاحب الشريعة والكتاب، يجب عليهم أن يعتقدوا بالوصاية لخصوص كلّ واحد واحد منهم بأسمائهم وترتيبهم المشهور، والله عليم بذات الصدور .

ثمّ أقول: وممن اعترف بكون تلك الخطبة الشريفة منه ﷺ صاحب القاموس محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، وهو من أعظم العلماء الشافعية، حيث قال فيه بعد كلام: الخطبة الشقشقية العلوية، لقوله ﷺ لابن عباس - لما قال له: لو أطردت مقالتك حيث أفضيت - يابن عباس هيات تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت (١) .

ومثله في الاعتراف بكونها منه ﷺ من عظمائهم ابن الأثير في النهاية في باب الشين مع القاف، حيث قال بعد كلام: ومنه حديث علي ﷺ في خطبة له «تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت» (٢) .

وممن رواها من علمائنا عن ابن عباس عنه ﷺ محمد بن بابويه - رحمة الله عليه - في معاني الأخبار، وزمانه سابق على زمان السيّد السند الرضي المرضي ﷺ بكثير، فكيف يكون هو واضعها؟ وما المقدم له على ذلك، وما يدلّ على بطلانهم في طرفهم أكثر من أن يحصى، إضافة بعضهم تلك الخطبة إليه مجرد اضطرار وفرار منه، أراد به دفع ما أشكل عليه وأتى له ذلك .

(١) القاموس المحيط ٣: ٢٥١ .

(٢) نهاية ابن الأثير ٢: ٤٩٠ .

ولذلك بالغ ابن أبي الحديد^(١) - وما هي من الظالمين ببعيد - في كونها منه عليه السلام، حيث قال: كونها منه عليه السلام أظهر من الشمس، وأبين من الأمس .

وهو كذلك؛ لأنها مسطورة في كتب السابقين، مذكورة في زبر الأوّلين، على وجه لا يشكّ في كونها منه عليه السلام من له أدنى تتبّع وتأمل .

ولا يخفى على من تأمل فيها ما فيها من مطاعن الثلاثة وفضائحهم وعدم أهليتهم للخلافة وصلاحيتهم للإمامة، وكونهم غاصبين حقّه وناهيين إرثه عليه السلام .

وإنّ أباركب كان عالماً بأنّه عليه السلام كان أهلاً لها دونه، ولذلك كان يستقبلها ويقول: أيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم، كما هو صريح هذه الخطبة .

وهو مع ذلك تقمّصها في حياته، وعقدها لرمع بعد وفاته ولم يكن أهلاً لذلك، ولذلك كثرت منه العثار والاعتذار، وقال غير مرّة: لولا علي لهلك عمر. ولولا معاذ لهلك عمر. وكلّ الناس أفتقه من عمر^(٢) .

وهو مع هذا الشأن والمكان جعلها في جماعة زعم أنّه عليه السلام كواحد منهم وهم نظائره، مع أنّه كان يقول: عقت النساء فلا يلدن مثل علي، فليس لمستثنٍ أن يقول إلاّ أنّه، ولا لمستدرك أن يقول لكته^(٣)، فكان شوراها على خلاف الصواب، وأهله أهل الفساد والرتاب، ولذلك أقاموا رجلاً كانت همّته في مطعمه ومنكحه وصرف مال الله في غير مصرفه، وقام معه قوم يفسدون في الأرض ولا يصلحون، ويأكلون أموال الناس ويهضمون .

(١) راجع شرح نهج البلاغة له ١: ١٥١ - ٢٠٦ .

(٢) تقدّم آنفاً مصادر الثلاثة .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٢٥٤ .

والعجب من ابن أبي الحديد أنه كيف حمل ما في هذه الخطبة على أنه وقع لترك الأولى، وهو صريح في أنه وقع لترك الواجب، ولذلك كان عليه السلام متفكراً في أن يصلح عليهم بيد جذاء، أو يصبر على طخية عمياء، فصبر لقلّة الناصر، أو لخوف ارتدادهم عن الإسلام بالكلية، أو لما في أصلاهم، أو للعهد الذي أخذ منه، أو لغير ذلك من المصالح والحكم .

والظاهر أن ابن أبي الحديد كان في زمان تقية، أو مكانها، كما هو ظاهر سياق كلامه حيث رجّح ما عليه الشيعة بقوله «فيشكل الأمر علينا لا على الشيعة» وذلك لأنه عليه السلام قد قدح فيها في كلّ واحد منهم قدحاً واضحاً يدلّ على عدم استحقاقه وأهليته للخلافة، وصرّح بأنه كان أحقّ بها منهم، بل نصّ على أنها أمر لا يتمشئ من غيره، وإنّما يدور عليه كما تدور الرحي على قطبها .

وهذه عبارته على ما نقلها عنه الصدوق في معاني الأخبار، بإسناده عن ابن عباس، قال: ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال:

والله لقد تقمّصها أخو تيم، وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحي، ينحدر عنه السيل، ولا يرتقي إليه الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرثي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يذبّ فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى الله .

فرايت الصبر على هاتي أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهياً، حتّى إذا مضى الأول لسبيله عقدها لأخي عدي بعده، فياعجباً بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته .

فصيرها والله في حوزة خشناء، يخشن مسّها، ويغلظ كلمها، ويكثر العثار^(١) والاعتذار، فصاحبها كراكب الصعبة، إن عنف بها حرن، وإن سلس بها غسق، فمني الناس بتلّون واعتراض وبلواً مع هنٍ وهني .

فصبرت على طول المدّة، وشدّة المحنة، حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي منهم، فيالله لهم وللشورى، متى اعتراض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتّى صرت أقرن بهذه النظائر، فمال رجل بضبعه، وأصغى آخر لصهره .

وقام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعلفه^(٢)، وقام معه بنو أمية يهضمون مال الله هضم الإبل نبت^(٣) الربيع، حتّى أجهز عليه عمله، فما راعني إلاّ والناس إليّ كعرف الضبع، وقد اثنالوا عليّ من كلّ جانب حتّى لقد وطئ الحسان، وشقّ عطاياي^(٤) .

حتّى إذا نهضت بالأمر نكثت طائفة، وفسقت أخرى، ومرق آخرون، كأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي

(١) العثار بالكسر: السقوط، وهو إشارة إلى ما كان يصدر عنه في أيّام خلافته من الخطأ في الأحكام والحكومات، كأمره برجم حامل ومجنونة، ومنعه من المغالات في الصداق، وقضائه في الحدّ بمائة قضيبية، وكان الواجب ثمانين في شرب الخمر، ومنعه المتعتين، وتفضيله المهاجرين على الأنصار في الغنيمة، ونحو ذلك من عثراته المشهورة وزلّاته الغير المستورة «منه» .

(٢) في المصدر: ومعلفه .

(٣) في المصدر: نبتة .

(٤) في المصدر: عطاياي .

الأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ بلى والله لقد سمعوا، ولكن احلوت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها .

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الناصر، وقيام الحجّة، وما أخذ الله على العلماء ألا يقرّوا على كظّة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم أزهدي عندي من حبة (٢) عنز .

قال: وناوله رجل من أهل السواد كتاباً، فقطع كلامه وتناول الكتاب، فقلت: يا أمير المؤمنين لو اطّردت مقاتلتك إلى حيث بلغت، فقال: هيهات يابن عبّاس تلك شقشقة هدرت ثم قرّرت .

قال ابن عبّاس: فما أسفت على كلام قطّ كأسفي على كلام أمير المؤمنين ﷺ إذ لم يبلغ حيث أراد (٣) .

أقول: وفيما ذكره ﷺ في هذا المقام لكفاية في إثبات أصل المرام، كما لا يخفى على ذوي العقول والأحلام، فإنّه قد جرحهم في هذا الكلام جرحاً لا يلتئم إلى آخر الأيام .

فإن كان صادقاً فيه وهو صادق فيه لم يكونوا صالحين للخلافة، وإن كان كاذباً فيه وليس بكاذب فيه لم يكن هو صالحاً للخلافة، ومن البيّن أنّهم لا يقولون بكذبه وعدم صلاحيته لها في زمن خلافته، فتعيّن الأوّل .

(١) سورة القصص: ٨٣ .

(٢) في المصدر: عظة .

(٣) معاني الأخبار ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

وهذا كما ترى - بحمد الله - كلام واضح فاضح وافٍ كافٍ في دفع الشكوك والشبهات عن الحديد والبليد، وعن كلِّ من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فمن أوَّلِه أو أوَّل أمثاله ليوافق مذهبه الكاسد واعتقاده الفاسد، فهو وأمثاله مخلدون في النار بحكم الله الواحد القهار .

[عدم قبول الطاعات والعبادات بدون الولاية]

ويمكن حمل الأخبار الواردة في عدم قبول طاعاتهم وعباداتهم على هؤلاء، كما قال به مولانا الفاضل الأردبيلي رحمته الله (١) .

والوجه فيه أن بعض الأخبار، كصحيحة الكناسي (٢) لما دلَّ على قبول طاعة من لم يظهر منهم عداوة، وبعضها كصحيحة محمّد بن مسلم على عدم قبول طاعتهم، اقتضى الجمع بينهما إعمال العام فيما عدا مدلول الخاص، كما تقرّر في الأصول .

روى محمّد بن يعقوب في الكافي بسند صحيح، عن محمّد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كلٌّ من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول، وهو ضالّ متحيّر والله شانيء لأعماله .

ومثله كمثل شاة ضلّت عن راعيها وقطيعها، فهجمت ذاهبة وجائية يومها، فلمّا جنّها الليل بصرت بقطيع مع غير راعيها، فحنّت إليها واغترّت [بها، فباتت معها في مريضها، فلمّا أن ساق الراعي قطيعه أنكرت راعيها وقطيعها، فهجمت متحيّرة

(١) شرح الكافي ١٢: ٣٩٣ للفاضل المازندراني نقلاً عن المحقّق الأردبيلي .

(٢) فروع الكافي ٣: ٢٤٧ .

تطلب راعيها وقطيعها، فبصرت بغنم مع راعيها، فحنت إليها واغترت بها^(١) فصاح بها الراعي: ألحقي براعيك وقطيعك، فأنت تائهة متحيرة عن راعيك وقطيعك، فهجمت ذعرة متحيرة نادرة لا راعي لها يرشدها إلى مرعاها أو يردها، فيينا هي كذلك إذا اغتتم الذئب ضيعتها فأكلها .

وكذلك والله يا محمد من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله ظاهراً عادلاً أصبح ضالاً تائهاً، وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق .

واعلم يا محمد إن أئمة الجور وأتباعهم لمغزولون عن دين الله قد ضلوا وأضلوا، فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرון مما كسبوا على شيء وذلك هو الضلال البعيد^(٢) .

وعن زرارة، عن الباقر^(عليه السلام)، قال: بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية، قال: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ قال: الولاية أفضل؛ لأنها مفتاحهن، والوالي هو الدليل عليهن .

وساق الحديث إلى أن قال: ثم قال: ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته، إن الله عز وجل يقول: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾^(٣) .

أما لو أن رجلاً قام ليله، وصام نهاره، وتصدق بجميع ماله، وحج جميع دهره، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على

(١) ما بين المعقوفتين من المصدر وساقطة من الأصل .

(٢) أصول الكافي ١: ١٨٣ - ١٨٤ ح ٨ و ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

(٣) سورة النساء: ٨٠ .

الله حقّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان^(١).

وعن عبد الحميد بن أبي العلاء، عن الصادق عليه السلام، أنّه قال: قال لي: يا أبا محمد والله لو أنّ إبليس سجد لله بعد المعصية والتكبّر عمر الدنيا، ما نفعه ذلك، ولا قبله الله عزّ ذكره، ما لم يسجد لآدم، كما أمره الله أن يسجد له، وكذلك هذه الأئمة العاصية المغتوية^(٢) بعد نبينا وبعد تركهم الإمام الذي نصبه بينهم لهم، فلن يقبل الله لهم عملاً، ولن ترفع لهم حسنة، حتّى يأتوا الله من حيث أمرهم، ويتولّوا الإمام الذي أمروا بولايته، ويدخلوا من الباب الذي فتحه الله ورسوله لهم^(٣).

وروى الصدوق بأسانيد متعدّدة، عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين عليه السلام، أنّه قال لنا: أيّ البقاع أفضل؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، فقال: أما أنّ أفضل البقاع بين الركن والمقام، ولو أنّ رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان، ثمّ لقي الله بغير ولايتنا، لم ينفعه ذلك شيئاً^(٤).

وفي الكافي: عن ابن أبي يعفور، عن الصادق عليه السلام، قال: سمعته يقول: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: من ادّعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أنّ لهما في الإسلام نصيباً^(٥).

(١) أصول الكافي ٢: ١٨ - ١٩ ح ٥.

(٢) في الروضة: المفتونة.

(٣) الروضة من الكافي ٨: ٢٧١.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٤٥ ح ٢٣١٣.

(٥) أصول الكافي ١: ٣٧٣ ح ٤.

وهذا صريح في كفرهم، ولكنه قابل للتأويل (١).

وروى أبو أمامة الباهلي، عن النبي ﷺ: إن الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتى، وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعلي فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمارها، وأشباعنا أوراقها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجى، ومن زاع هوي، ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام، حتى يصير كالشئ البالي، لم يدرك محبتنا، أكتبه الله على منخريه في النار، ثم تلا: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (٢).

إلى غير ذلك من الأخبار، ويظهر منها أن أهل الخلاف كفار أو منافقون، وكل من هو كذلك فهو مخلد في النار ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٣) وهذا لا ينافي إسلامهم بحسب الظاهر، كما ذهب إليه عامة أصحابنا.

ويشير إليه قوله ﷺ «مات ميتة كفر ونفاق» حيث ذكر النفاق بعد الكفر لينبئه على أن كفرهم ليس كظاهراً كسائر أصناف الكفر، بل كفرهم مكتوم ككفر المنافقين، فهم يشاركون أهل الإيمان في الأحكام الدنيوية إلا ما أخرجه الدليل، ويفارقونهم في الأحكام الأخروية.

[خاتمة الرسالة]

ولختمت الرسالة بذكر حديث قدسي رواه صاحب الكشاف، وهو حجة على

(١) إذ يمكن تخصيصه بالنصيب الأخرى جمعاً بين الأخبار «منه».

(٢) شواهد التنزيل ٢: ١٤١ - ١٤٢.

(٣) سورة التوبة: ٦٨.

أمثاله بشرط الإنصاف والتجَبُّب عن الاعتساف، قال الله تعالى: «لأُدخل الجنة من أطاع علياً وإن عصاني، وأُدخل النار من عصاه وإن أطاعني»^(١).

قال: وهذا رمز حسن، وذلك أن حبَّ علي هو الإيمان الكامل، والإيمان الكامل لا تضرَّ معه السيئات^(٢).

قوله «وإن عصاني» فإني أغفر له إكراماً، وأُدخله الجنة بإيمانه، فله الجنة بالإيمان، وله يجب عليَّ العفو والغفران.

وقوله «وأُدخل النار من عصاه وإن أطاعني» وذلك لأنه إن لم يوال علياً فلا إيمان له، وطاعته هناك مجاز لا حقيقة؛ لأنَّ الطاعة الحقيقية هي المضاف إليها سائر الأعمال، فمن أحبَّ علياً فقد أطاع الله، ومن أطاع الله نجى، فمن أحبَّ علياً نجى.

فعلم أنَّ حبَّ علي عليه السلام هو الإيمان، وبغضه كفر، وليس يوم القيامة إلا محبِّ ومبغض، فمحبِّه لا سيئة له ولا حساب عليه، ومن لا حساب عليه فالجنة داره، وبغضه لا إيمان له، ومن لا إيمان له لا ينظر الله إليه بعين رحمته، وطاعته عين المعصية وهو في النار.

فعدوَّ علي عليه السلام هالك وإن جاء بحسنات العباد، ومحبِّه ناج ولو كان في الذنوب غارقاً إلى شحمتي أذنيه، وأين الذنوب مع الإيمان المنير؟ أم أين مسَّ السيئات مع وجود الإكسير؟ فمبغضه من العذاب لا يقال، ومحبِّه لا يوقف ولا يقال، فطوبى لأوليائه، وسحقاً لأعدائه.

(١) إحقاق الحق ٤: ١٤٤ - ١٤٩.

(٢) الكشَّاف ١: ٣٤٧ طبع مصر.

ومن هنا ينكشف وجه الحديث (١) المشهور «حبّ علي (٢) حسنة لا تضرّ معها سيئة، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة» (٣).

ما زمحبان علي و عمر هبيج نگويم زخير و زشر
 حشر محبان علي حشر محبان عمر با عمر
 وتم استنساخ هذه الرسالة وتصحيحها في (١٠) محرّم الحرام سنة (١٤١١) هـ
 في مشهد مولانا الرضا عليه السلام علي يد العبد السيّد مهدي الرجائي عفي عنه .
 وتمّ مراجعتها ثانياً في يوم الثلاثاء (٢٦ - شوال - ١٤٢٦) والحمد لله ربّ
 العالمين .

(١) قيل: هذا الحديث مشهور بين الفريقين، والمراد بالحبّ الحبّ الكامل المضاف إليه سائر الأعمال؛ لأنّه هو الايمان الكامل حقيقة، وأمّا ما عداه فمجاز، وإذا كان حبّه إيماناً وبغضه كفراً، فلا تضرّ مع الايمان الكامل سيئة، بل تغفر إكراماً لعلي عليه السلام، ولا تنفع مع عدمه حسنة، إذ لا حسنة مع عدم الايمان «منه» .

(٢) المراد بحبّ علي عليه السلام اتّباعه، فلا يرد أنّ الحبّ أمر طبيعي لا يدخل فيه الاختيار، ويمكن أن يراد الحبّ العقلي لا الطبيعي النفسي، كالمريض يكره الدواء ويميل إليه، لما فيه من النفع، فكذا علي عليه السلام لما فيه من صلاح الدارين ومن أعلى درجات الايمان، وتمامه أن يكون طبعه تابعاً لعقله في حبّه «منه» .

(٣) عوالي اللآلي ٤: ٨٦ برقم: ١٠٣ .

سلسلة آثار المحقق الخواجه جوي

٥

رسالة

في تحقيق وتفسير الناصبي

للعلامة المحقق محمد اسماعيل المازندراني الخواجه جوي

المنوفا سنة ١١٧٣ هـ

تحقيق
السيد مهدي البرقاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعلنا من الأمة المرحومة من أهل الولاء، والصلاة على رسوله محمد سيد الأنبياء، وعترته المعصومين البررة الأتقياء، ما دامت الأرض وبقيت السماء .

وبعد: فقد اختلف أصحابنا في تحقيق الناصبي وتفسيره، فأردت الإشارة إلى ما ذكره مزيداً في تحريره .

فأقول: وأنا أقلّ خلق الله عملاً وأكثرهم زللاً محمد المشتهر بإسماعيل سقاء الله كأساً بعد كأس من السلسبيل: النصب المعادة، تقول: نصبت لفلان إذا عاديته . وفي القاموس: النواصب والناصبية وأهل النصب المتدينون ببغض علي عليه السلام؛ لأنهم نصبوا له، أي: عادوه^(١) .

وقال بعض الفضلاء: اختلف في تحقيق الناصبي، فزعم البعض أنّ المراد به من نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام، وزعم آخرون أنّه من نصب العداوة لشيعتهم . وفي الأحاديث ما يصرّح بالثاني، فعن الصادق عليه السلام أنّه قال: ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت؛ لأنّه^(٢) لا تجد رجلاً يقول: أنا أبغض محمداً وآل محمداً،

(١) القاموس المحيط ١: ١٣٣ .

(٢) في المعاني: لأنك .

ولكن الناصب من نصب لكم، وهو يعلم أنكم تتولّوننا وأنتم من شيعتنا^(١) إنتهى .
وهنا مذهب آخر ذهب إليه بعضهم، وهو أنّ الناصب هو الذي يتظاهر بعداوة أهل البيت، أو مواليهم لأجل متابعتهم لهم .

أقول: وفي الحديث إشكال وجب على من رام أن يستدلّ به أن يدفعه أولاً ليصحّ استدلاله به، وهو أنّ سيّدنا علياً أمير المؤمنين عليه السلام من أكمل أفراد آل محمّد وأفضلهم، وكثير من الناس متدينون ببغضه وعداوته، فكيف يصحّ أن يقال: لا نجد رجلاً يقول أنا أبغض آل محمّد؟ مع أنّ بغضه لشيعتهم ونصبه لهم لأجل متابعتهم لهم بغضه ونصبه لآل محمّد؛ إذ لا سبب ولا باعث له عليه إلاّ ذلك، إذ لولا بغضه لأهل البيت لما أبغض مواليهم وشيعتهم من حيث الولاية والتشيع .

ويمكن أن يقال: إنّ المراد أنّ رجلاً من المشهورين بأهل السنّة والجماعة لا يقول في الظاهر أنا أبغض آل محمّد، وإن كان يبغضهم في الباطن، كما نقل عن أحمد بن حنبل أحد فقهاءهم الأربعة أنّه قال: لا يكون الرجل سنياً حتّى يبغض علياً في الجملة، فتأمل فيه .

ومع ذلك فيبقى الإشكال الأخير، فإنّ الأعداء على ما نقل عن سيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام ثلاثة: عدوك، وعدوّ صديقك، وصديق عدوك^(٢). وهذا صريح في أنّ بغض شيعتهم من حيث المشايعة ببغضهم، فتدبّر .

وقريب ممّا سبق من الحديث قول سيّدنا الصادق عليه السلام وقد سئل عن الناصب: ليس الناصب من نصب العداوة لنا، فإنّك لو دررت العرايين لما وجدت من

(١) معاني الأخبار ص ٣٦٥ .

(٢) نهج البلاغة ص ٥٢٧ - ٥٢٨، رقم الحديث: ٢٩٥ .

يبغضنا، وإِنما الناصب من نصب العداوة لشيئتنا وهو يعلم أَنهم شيئتنا^(١).

فصل

[إطلاق الناصب على المخالفين]

وعلى هذا التفسير، وهو أَنَّ الناصب من نصب العداوة للشيعة، فجَلَّ المخالفين بل كلَّهم من أهل النصب؛ لأنَّ عداوتهم لهم قديماً وحديثاً مشهورة، وفي الزبير والكتب مسطورة، حتَّى أَنهم رجَّحوا مذهب الإرجاء مع استلزامه الكفر والسخف، بل مذهب اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا عليّ مذهبهم.

نقل عن أبي عمر محمَّد بن عبدالله الحكمي الحاكم بنوقان، أَنه قال: خرج علينا رجلان من الري برسالة بعض السلاطين بها إلى الأمير نصر بن أحمد ببخارا، وكان أحدهما من أهل الري، والآخر من أهل قم، وكان القمّي على المذهب الذي كان قديماً بقم من النصب، وكان الرازي متشيّعاً.

فلمَّا بلغا نيسابور، قال الرازي للقمّي: ألا نبدأ بزيارة الرضا عليه السلام ثمَّ نتوجّه إلى بخارا؟ فقال القمّي: قد بعثنا سلطاننا برسالة إلى الحضرة ببخارا، فلا يجوز لنا أن نشغل غيرها حتَّى نفرغ منها، فقصدنا بخار وأديا ورجعا حتَّى حاذيا طوس، فقال الرازي للقمّي: ألا نزور الرضا عليه السلام؟ فقال: خرجت من قم مرجئاً لا أرجع إليها رافضياً. والنقل طويل أخذنا منه قدر الحاجة.

وفي روضة الكافي: عن بشر بن ميسر^(٢)، قال: دخلت عليّ أبي عبدالله عليه السلام، فقال: كيف أصحابك؟ فقلت: جعلت فداك لنحن عندهم أشرّ من اليهود والنصارى

(١) بحار الأنوار ٢٧: ٢٣٢ و ٦: ٣١ و ٦٩: ١٣١.

(٢) في الروضة: عن ميسر.

والمجوس والذين أشركوا، قال: وكان متكئاً فاستوى جالساً، ثم قال: كيف قلت؟ قلت: والله لنحن عندهم أشرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا.

فقال: أما والله لا يدخل النار منكم إثنان، لا والله ولا واحد. والله إنكم الذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْتَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ * إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ (١) ثم قال: طلبوكم والله في النار، والله فما وجدوا منكم أحداً (٢).

وفي أمالي شيخ الطائفة عليه السلام: بإسناده قال: دخل سماعة بن مهران على الصادق عليه السلام، فقال له: يا سماعة من شرّ الناس؟ قال: نحن يا بن رسول الله، قال: فغضب حتّى احمرّت وجنتاه، ثمّ استوى جالساً وكان متكئاً، فقال: يا سماعة من شرّ الناس عند الناس؟ فقلت: والله ما كذبتك يا بن رسول الله نحن شرّ الناس عند الناس؛ لأنّهم يسمّونا كفّاراً ورافضة.

فنظر إليّ، ثمّ قال: كيف إذا سيق بكم إلى الجنّة وسيق بهم إلى النار، فينظرون إليكم فيقولون: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ الحديث (٣).

وقد فصلنا القول فيه في بشارات الشيعة. ويستفاد منه وجه قوله عليه السلام: «الناصب من نصب العداوة لشيعتنا» وإنّ هؤلاء كلّهم من أهل النار، ولا يدخلها واحد من الشيعة.

أقول: والتفسير الأوّل كالثاني، إذ ما من مخالف إلّا وله نصب، كما يشهد به تتبّع

(١) سورة ص: ٦١ - ٦٤.

(٢) الروضة من الكافي ٨: ٧٨ ح ٣٢.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي ص ٢٩٥ - ٢٩٦ برقم: ٥٨١.

أحوالهم، ولا أقلّ من كتمانة حسنة من حسناتهم عليه السلام، أو انقباضه عند ذكرهم أو ذكر مناقبهم وفضائلهم .

وأيضاً من البيّن أنّه من لا يبرأ من أعدائهم فهو عدوّ لهم، كما هو صريح صحيح إسماعيل الجعفي، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: رجل يحبّ أمير المؤمنين ولا يبرأ من عدوّه ويقول: هو أحبّ إليّ ممّن خلفه، فقال: هذا مخلطّ وهو عدوّ، فلا تصلّ خلفه ولا كرامة إلاّ أن تتقيّه (١).

فحكم عليه السلام بعداوة من لا يبرأ من أعدائهم، وإن قال بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام أحبّ إليه ممّن خلفه، ولا نعني بالناصب إلاّ من نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام.

فصل

[أحكام الناصب في أخبار أهل البيت عليهم السلام]

والتحقيق أنّ إطلاق الناصب على من نصب إماماً باطلاً، وهو مطلق المخالف في الأخبار شائع، ولكنهم بذلك لا يخرجون عن الإسلام، بل يشاركون أهل الإيمان في الأحكام الدنيوية إلاّ ما أخرجه الدليل، ويفارقونهم في الأحكام الأخروية، وإنّما يخرج عنه من يتظاهر منهم بالسبّ والنصب، فهذا لا يجري عليه شيء من أحكام المسلمين، بل هو كافر كسائر فرق الكفّار .

ولنذكر نبذة من الأخبار شاهدة على ما قلناه :

فنقول: في صحيحة ابن أذينة، عن الصادق عليه السلام، قال: ما تروي هذه الناصبة؟ فقلت: جعلت فداك فيماذا؟ فقال: في أذانهم وركوعهم وسجودهم، فقلت: إنهم يقولون: إنّ أبي بن كعب رآه في النوم، فقال: كذبوا، فإنّ دين الله عزّ وجلّ أعزّ من

أن يرى في النوم الحديث^(١).

وفيه دلالة على أن من لم يقل بإمامتهم عليهم السلام من الفرق كلها فهو ناصب؛ إذ لا يخلو من نصب عداوة لواحد منهم، حيث اعتقد فيه أنه ليست له مرتبة الإمامة وفرض الطاعة.

وفي صحيحة وهب بن عبد ربه، عن الصادق عليه السلام أيجح الرجل عن الناصب؟ فقال: لا، فقلت: فإن كان أبي؟ قال: إن كان أباك فنعم^(٢).

فإن المراد بالناصب هنا المخالف؛ إذ لو كان المراد به المتظاهر بالعداوة لم يخرج الحج عنه بإجماع الأصحاب وإن كان أباً لخروجه عن الإسلام.

ومثله صحيحة بريد، عن الباقر عليه السلام، قال: سألته عن مؤمن قتل ناصباً معروفاً بالنصب على دينه غضباً لله أيقتل به؟ فقال: أما هؤلاء فيقتلونه، ولو رفع إلى إمام عادل لم يقتله، قلت: فيبطل دمه؟ قال: لا ولكن إن كان له ورثة فعلى الإمام أن يعطيهم الدية من بيت المال^(٣).

فإن المراد به المخالف، إذ لو كان المراد به المعلن بعداوة أهل البيت لكان دمه هدرًا، ولم يلزم منه الدية من بيت المال.

فصل

[أقسام الناصب في الروايات]

ظهر ممّا قرّرناه أنّ الناصب المذكور في أخبارنا على صنفين، وإليه يشير ما

(١) فروع الكافي ٣: ٤٨٢ ح ١.

(٢) فروع الكافي ٣: ٣٠٩ ح ١.

(٣) فروع الكافي ٧: ٣٧٤ ح ١٤.

أفاده الفاضل العلامة في جواب من سأله عن الناصب الذي يحرم ذبيحته ويحرم مناكحته ما حدّه؟: هو من يتظاهر بالسبِّ للأئمة المعصومين عليهم السلام (١).

أقول: الأصل فيه أنّ من نصب حرباً لآل محمّد، فلا نصيب له في الإسلام، كما قال عليه السلام: صنفان من أمتي لا نصيب لهما في الإسلام: الناصب لأهل بيتي حرباً، وغالٍ في الدين مارق منه (٢).

ومن استحلّ لعن أمير المؤمنين عليه السلام، والخروج على المسلمين وقتالهم، حرمت ذبيحته ومناكحته؛ لأنّ فيها الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة.

قال الصادق عليه السلام: لا ينبغي للرجل المسلم منكم أن يتزوَّج الناصبية، ولا يزوّج ابنته ناصبياً، ولا يطرحها عنده (٣).

وقال الصدوق في الفقيه: إنّ الجهّال يتوهّمون أنّ كلّ مخالف ناصب وليس كذلك (٤).

ولعلّه أراد أنّه ليس بناصب يجري عليه أحكام الكفّار، وإلّا فقد ظهر أنّ كلّهم ناصب، وإلى الأوّل أشار سيّدنا الحسن بن علي عليه السلام على ما ورد في الخبر أنّه عليه السلام قال: إنّما الناس ثلاثة: مؤمن يعرف حقنا ويسلم لنا ويأتّم بنا، فذلك ناج محبّ لله ولي. وناصب لنا العداوة يتبرأ منّا ويلعننا ويستحلّ دماءنا ويجحد حقنا ويدين الله بالبراءة منّا، فهذا كافر مشرك فاسق، وإنّما كفر وأشرك من حيث لا يعلم، كما يسبّوا

(١) أجوبة المسائل المهنّائية للعلامة الحلّي ص ٤٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٠٨ ح ٤٤٢٥.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٠٨.

(٤) نفس المصدر.

الله عدواً بغير علم، كذلك يشرك بالله بغير علم الحديث (١).

ومرّ ابن عباس بمكة يقوم يسبّون علياً عليه السلام، فوقف عليهم وقال: أيكم السابّ لله؟ قالوا: ما فينا أحد يسبّ الله، قال: فأيكم السابّ للنبي صلى الله عليه وآله؟ قالوا: ما فينا من يسبّه، فقال: فأيكم السابّ لعلي عليه السلام؟ قالوا: أمّا هذا فقد كان، فقال: أشهد على النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من سبّ علياً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله أكبّه على منخره في نار جهنّم (٢).

وقد جاء في الخبر عن سيّد البشر أنه قال: يا علي إن أمتي ستفترق ثلاثة: فرقة شيعةك وهم المؤمنون، وفرقة عدوك وهم الشاكّون، وفرقة غالوا فيك وهم الجاحدون، فأنت وشيعةك في الجنّة، وعدوك والغالي في النار (٣).

وصلى الله على سيّد الأبرار محمّد وآله الأطهار ما تعاقبت الليل والنهار، وتخالفت الظلم والأنوار، وتقابلت البحار والبرار.

وتمّ استنساخ وتصحيح هذه الرسالة في (١١) محرّم الحرام سنة (١٤١١) هـ في مشهد مولانا الرضا عليه السلام على يد العبد السيّد مهدي الرجائي عفي عنه.

وتمّ مراجعتها ثانياً في يوم الثلاثاء (٢٦ - شوال - ١٤٢٦) والحمد لله ربّ العالمين.

(١) بحار الأنوار ٣: ٢٧١ و ٤٤: ١٠١.

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٣٩٤ - ٣٩٥، والمناقب للخوارزمي ص ٨١.

(٣) بحار الأنوار ٢٥: ٢٦٤. وراجع أخبار افتراق الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وآله إلى بحار الأنوار

سلسلة آثار المحقق الخواجوي

٦

طريق الرشاد
الى فساد إمامة أهل الفساد

للعلامة المحقق محمد اسماعيل المازندراني الخواجوي

المؤلف سنة ١١٧٣ هـ

تَرْجِيحُ
السَّيِّدِ مَهْدِيِّ الْبَطَّانِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بعد حمد الله على السراء والضراء، والصلاة على أشرف الأتقياء والأنبياء،
وعلى ذريته المعصومين النقباء، وخاصة على كريمته الإنسية الحوراء أم الأئمة
النجباء فاطمة الزهراء، صلاة متتالية إلى يوم الجزاء .

يقول من لو حضر لم يعد، وإن غاب لم يفقد، ليس له اسم ولا رسم في أبناء
الزمان، بيد أنه يمدّ يده إلى أذيال الطلبة وأهل العرفان، ويعدّ منهم في الألسنة
والأفواه من أهل سواد المازندران :

إني لما بلغني من بعض فراعنة الزمان وأهل الطغيان، أنه طالب هذه الفرقة
الناجية بالحجة والبرهان، على ما يدعونه من وجوب اللعن على من يلعنونهم من
حزب الشيطان، الذين هدموا بيت النبوة والبرهان، وسلبوا أهل العزة والسلطان،
وأطفأوا مصابيح النور والعرفان، وعصوا في صفوة ملك الديان، ولا سيما بأركب
وزفر وفعلان، فإنهم أول من أحيوا بدع الشيطان، وأماتوا سنن الرحمن .

وهم لم يجيئوه إلى ذلك: إمّا لقصورهم عن مقاومة الأبطال والأقران، أو
لذهولهم وغفولهم عن مدارك الدليل والسلطان، بادرت إليه مسرعاً، مملياً هذه
الأسطر على العجالة، متقرباً بإملائه وإنشائه إلى الله ورسوله وآله النبالة، مهابط
الوحي، ومنازل العلم، ومعادن الرسالة .

ثم لما كان هذا طريقاً أنيقاً ومسلماً دقيقاً إلى إبطال خلافة الثلاثة، أرشدني الله إليه، ودلني بلطفه عليه، ناسب أن نسميه بـ«طريق الإرشاد إلى فساد إمامة أهل الفساد» باستحقاقهم اللعنة في الدنيا ويوم ينادي المناد .

فأقول: وبالله التوفيق وهو نعم المولى ونعم الرقيق، المراد بوجوب لعنهم وجوب إظهار البراءة منهم وبغضهم، والإكثار من سيئهم وشتيمهم، والقول فيهم والوقية، واعتقاد أنهم مبعدون عن رحمة الله، ومطرودون عن ساحة عزّ الحضور، فإنّ التبرّي والتولّي، وكذا الحبّ في الله والبغض فيه من الإيمان، ومع ذلك يثمر الرحمة من الله، ويستجلب منه الرضوان، وفائدة ذلك أن يحذّرهم الناس، ولا يتعلّموا من بدعهم .

فمن الدليل على ما ذهبت إليه هذه الفرقة الناجية، كثّرهم الله تعالى وأعلىٰ كتابهم علىٰ من يباريهم: أنّ من آذى فاطمة عليها السلام، فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو ملعون .

أمّا الأولى، فلما رواه مسلم في الجزء الرابع من صحيحه في ثلثه الأخير، بإسناده عن ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها^(١) .

وروى البخاري في الجزء الرابع من صحيحه في ثلثه الأخير أيضاً، بإسناده إلى ابن مخرمة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فاطمة بضعة منّي من أغضبها فقد أغضبني^(٢) .

(١) صحيح مسلم ٤: ١٩٠٣ ح ٩٤ .

(٢) صحيح البخاري ٥: ٣٦ .

وهذان الحديثان مذكوران في الجمع بين الصحيحين^(١) للحميدي، والأخير مذكور في الجمع بين الصحاح الستة، وقد رووا جميعاً أنّ النبي ﷺ قال: يا فاطمة إنّ الله تعالى يغضب لغضبك ويرضى لرضاك^(٢).

ورووا عن مجاهد، قال: خرج النبي ﷺ وهو آخذ بيد فاطمة ؓ، فقال: من عرفها فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة منّي، وهي قلبي، وهي روعي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله^(٣).

ينتج: أنّ من آذاها فقد آذى الله، فالآية الآتية تدلّ على وجوب اللعنة من هذا الوجه أيضاً.

ومثل هذا الخبر الوارد في الطريق العامي، ما ورد في الطريق الخاصي عن سيّدنا رسول الله ﷺ أنّه كان يقول: فاطمة بضعة منّي، فمن سرّها فقد سرّني، ومن جفاها فقد جفاني، ومن آذاها فقد آذاني، ومن وصلها فقد وصلني، ومن قطعها فقد قطعني^(٤).

وفي نهاية ابن الأثير: وفي الحديث «فاطمة بضعة منّي» البضعة بالفتح: القطعة من اللحم. وقد تكسر، أي: أنّها جزء منّي، كما أنّ القطعة من اللحم^(٥). إنتهى.

أقول: ومنه ما ورد في طريق العامّة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ

(١) الطرائف عنه ص ٢٦٢.

(٢) مستدرک الحاكم ٣: ١٥٣.

(٣) الفصول المهمّة لابن الصبّاح المالكي ص ٢١٢.

(٤) بحار الأنوار ٤٣: ٢٢-٢٣.

(٥) نهاية ابن الأثير ١: ١٣٣.

لعلي بن أبي طالب عليه السلام يوم فتح مكة: أما ترى هذا الصنم بأعلى الكعبة، فقال: بلى يا رسول الله، قال: فأحملك فتناوله، قال: بل أنا أحملك يا رسول الله، فقال: لو أن ربعة ومضر جهدوا أن يحملوا مني بضعة وأنا حي ما قدروا ولكن قف يا علي، فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله يديه على ساقي علي فوق القرونس^(١) ثم اقتلعه من الأرض، فرفعه حتى تبين بياض أبطيه الحديث^(٢)(٣).

وفي نهاية ابن الأثير: وفي الحديث «كل مؤذ في النار» وهو وعيد لمن يؤذي الناس في الدنيا بعقوبة النار في الآخرة. ومنه الحديث «أدناها إمطة الأذى عن الطريق» وهو ما يؤذي فيها، كالشوك والحجر والنجاسة ونحوها^(٤) إنتهى.

ولا شبهة في أن الضرب والغضب والإهانة ونحوها مؤذ، فمن آذى بها فاطمة عليها السلام، فقد آذى بها رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن آذى بها رسول الله صلى الله عليه وآله فقد آذى بها الله، ومؤذيهما ملعون في الدارين، ومعاقب بالنار في الآخرة.

وأما الثانية، فلقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا»^(٥).

(١) في المناقب: القرونس .

(٢) المناقب لابن المغازلي الشافعي ص ٢٠٢ .

(٣) وفي القاموس: أذى كبقي إذا تأذى، والاسم الأذية والأذاة، وهي المكروه اليسر، وآذى فعل الأذى، ولا يخفى أن الأذى بأي معنى أخذ من المعاني الآتية لا تتفاوت فيه الحال بالنسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حياً وميتاً، ولذا أُطلق في الأخبار ولم يقيد بأحدهما «منه» .

(٤) نهاية ابن الأثير ١: ٣٤ .

(٥) سورة الأحزاب: ٥٧ .

قال الكشّاف: عبّر بإيذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من: الكفر، والمعاصي، وإنكار النبوة، ومخالفة الشريعة، وما كانوا يصيبون به رسول الله ﷺ من أنواع المكروه على سبيل المجاز. وإنما جعلته مجازاً فيهما جميعاً، وحقيقة الإيذاء صحيحة في رسول الله ﷺ لئلا أُجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة^(١).

وعلى منواله نسج البيضاوي^(٢).

وقال البغوي: قال بعضهم: يؤذون الله، أي: يؤذون أولياء الله.

أقول: وعلى هذا فذكر الرسول بعده ذكر الخاص بعد العام، للإيماء إلى زيادة الإهتمام والإيذاء في الموضوعين حقيقة، وإنما التجوّز في حذف المضاف. وحينئذ فلا حاجة في ترتيب الدليل إلى ما سبق ذكره، بل يكفي فيه أن يقال: من آذى فاطمة عليها السلام فقد آذى ولي الله، ومن آذى ولي الله فهو ملعون. والثانية بالآية ظاهرة.

وأما الأولى، فللأخبار الماضية والآية الواردة في طردهم الدالة على كونها من أولياء الله ورسوله سيّد المرسلين، ولا سيّما ما دلّت على كونها سيّدة نساء العالمين، بل سيّدة نساء أهل الجنة أجمعين.

وكيف لا تكون من أولياء الله؟ وقد بلغت مقاماً يغضب الله لغضبها، ويرضى لرضاها، وهي قلب الرسول وروحه، وإيذاؤها إيذاؤه، وإغضاؤها إغضابه.

وروى الفقيه ابن المغازلي الشافعي بإسناده إلى ابن عباس، قال: سئل النبي عن

(١) الكشّاف ٣: ٢٧٣.

(٢) أنوار التنزيل في تفسير القرآن ٢: ٢٨٠.

الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه، قال: سأله بحقّ محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ألاّ تتوب عليّ، فتاب عليه^(١).

وهذا يدلّ على كونها من أفضل أفراد الأولياء؛ إذ لو كان هناك من الأولياء أو الأنبياء من هو أفضل منها لتوسّل آدم في استجابة دعائه إليه دونها؛ لأنّه في محلّ الفاقة والحاجة، فلا يجعل في تلك الحالة الوسيلة بينه وبين الله إلّا من هو أقرب خلق الله وأعزّهم عليه.

وأما إيذاؤهم فاطمة^{عليها السلام} فمشهور، وفي كتب الجمهور مسطور. بعث أبو بكر إلى بيت أمير المؤمنين^{عليه السلام} لما امتنع من البيعة، فأضرم فيه النار، وفيه فاطمة^{عليها السلام} وجماعة من بني هاشم، وأخرجوا علياً^{عليه السلام}، وضربوا فاطمة^{عليها السلام}، فألقت فيه جينها. وأما جواب القوشجي عن هذا: بأنّ تأخّر علي عن بيعة أبي بكر لم يكن عن شقاق ومخالفة، وإنّما كان لعذر وطروء أمر.

ففيه أن لو كان الأمر كذلك، فأيّ وجه لإضرام النار في بيته وإخراجه منه عنفاً؟ ومن هو معذور لأمر عرض له كما اعترف به، فكان من الواجب عليهم أن يعذروه ويمهلوه إلى أوان زوال عذره.

وبالجملة هذا التأخّر إن كان لعذر يسوغ معه التأخّر عن البيعة، فالأمر على ما عرفته من وجوب الإمهال والإعتذار، وحينئذ فلا وجه لإخراجه عنفاً وإحراق بيته بالنار، وإن لم يكن كذلك، فكيف يسوغ لمثل علي^{عليه السلام} أن يتخلّف بلا عذر من بيعة إمام يعتقد صلاحيته للإمامة، ومن مات وليس في عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهلية، كما رواه ميمون بن مهران في حديث طويل، عن عبدالله بن عمر، عن

النبي عليه وآله السلام (١).

بل لا خلاف بين الأمة في صحّة مثله، وكيف يصحّ القول بأنّ تأخّره عنهما لم يكن عن شقاق ومخالفة، وهو في غير موقف احتجّ عليه بأنّه أحقّ منه بالخلافة. وعلى ذلك كان أبو بكر في أوّل حاله.

كما يدلّ عليه ما روي عن مغيرة بن شعبه الثقفي أنّه كان يقول: أوّل من أخرج هذا الأمر من أهل البيت أنا، قيل له: وكيف ذلك؟

قال: غدوت غداة دفن رسول الله صلى الله عليه وآله إلى باب علي، فإذا أنا بأبي بكر جالس على باب علي، فقلت له: ما يجلسك هاهنا؟ قال: يخرج هذا الرجل فأبايعه، قال: فقلت: فلئن فعلتموها لتكوننّ هرقلية (٢)، قال: فألقيتها في نفسه.

ثمّ انتهيت إلى عمر، فقلت له: أدرك أبا بكر وما أراك تدرّكه، هذا أبو بكر جالس على باب علي حتّى يخرج فيبايعه، فجاء عمر عن فوره، فأخذ بيد أبي بكر حتّى انتهوا إلى سقيفة بني ساعدة، فأبرموا البيعة (٣).

بل على ذلك كان أيضاً في آخر حاله، كما يدلّ عليه قوله «أقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم» (٤).

(١) كنز العمال ٦: ٦٥ برقم: ١٤٨٦٣.

(٢) في نهاية ابن الأثير: في حديث عبدالرحمن بن أبي بكر لمّا أريد عليّ بيعة يزيد بن معاوية في حياة أبيه، قال: جنّتم بها هرقلية وقوقية، أراد أنّ البيعة لأولاد الملوك سنّة ملوك الروم والعجم، وهرقل إسم ملك الروم، وقد تكرّر في الحديث إنتهى. وسيأتي حديث عبدالرحمن بتمامه «منه».

(٣) راجع: بحار الأنوار ٢٨: ١٨٠.

(٤) الإمامة والسياسة ١: ١٤، وكنز العمال ٣: ١٣٢، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١: ٥٨.

فإنه صريح في استحقاقه ﷺ للإمامة، وعدم استحقاقه للإمامة، ولذلك تأخر عن بيعته وقعد عنها، حتى قبضت فاطمة عليها السلام كما رووه (١) جميعاً بلا خلاف منهم، فكان تأخره عنها عن شقاق ومخالفة لا لعذر وطروء أمر .

كما يدل عليه أيضاً قوله ﷺ: «وَأَنْتَى يَكُونَانِ خَيْرًا مِنِّي وَقَدْ عَبَدْتَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ قَبْلَهُمَا وَعَبَدْتَهُ بَعْدَهُمَا» (٢).

وقوله ﷺ: «لَمَّا قَبِضَ النَّبِيُّ ﷺ: وَأَنَا أَوْلَى بِمَجْلِسِهِ مِنِّي بِقَمِيصِي، وَلَكِنْ شَفَقْتَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ كَفَّارًا» (٣).

ولهذا اقتدى به ظاهراً بعد مدة وأخذ من عطائه، وكان منقاداً له فيما لا يخالف الشرع، لا لاعتقاده صلاحيته للإمامة وصحة بيعته، كما زعمه القوشجي، وأيده بقوله «وقال علي: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر» وهذا كذب منهم وافتراء، لما سبق من قول علي عليه السلام في الحديثين المذكورين، ولأنهما لو كانا خير هذه الأمة وأفضلهم لما ولى النبي ﷺ عليهما مرة عمرو بن العاص، وأخرى أسامة بن زيد . ثم أيّ تقصير في ذلك لفاطمة عليها السلام الطاهرة؟ وبم استحققت الضرب إلى حدّ ألفت فيه جنينها .

وبعد اللتيا والتي ففيه تصريح في المطلوب؛ لأنه لما سلم صحة الرواية ولم يقدح فيها، وفيها دلالة صريحة على ضربهم فاطمة عليها السلام ضرباً شديداً، وقد سبق أن

⇒ و ٤: ١٦٦ .

(١) ستأتي الروايات الدالة على ذلك .

(٢) بحار الأنوار ١٠: ٣٧٧ و ٤٩: ١٩٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٢٤ .

(٣) بحار الأنوار ٢٩: ٥ و ٣٣: ١٥٣ و ٤٩: ١٩٢ .

إيدأوها إيداء رسول الله صلى الله عليه وآله، بل الله، ومن آذاهما فهو ملعون في كتاب الله، لزم منها استحقاقتهم اللعنة والعذاب في الدنيا والآخرة .

ولا يهمننا هنا أن نشتغل في وجه تأخر علي عليه السلام عن بيعته هل كان عن شقاق ومخالفة أم لعذر وطروء أمر؟ وإن كان الواقع هو الأوّل لما مرّ .

ولأنّه روي من غير وجه أنّ عمر قام إلى بيعة أبي بكر بعد ثلاث من مبايعته، فقال: يا خليفة رسول الله أرسل إلى هذا الرجل فليبايع، فقد بايع الناس، فقال أبو بكر: ابعث إليه، فقال عمر لقتنذ بن عمير العدوي: إمض إلى علي فقل له خليفة رسول الله يقول: احضر فبايع، فمضى قنذ، فطرق الباب عليه، وعنده العباس وبنوه والزبير وسلمان والمقداد وغيرهم، فقال من هذا؟ فقال: قنذ، فقال: ما تريد؟ قال: خليفة رسول الله يقول لك أخرج فبايع .

فقال: سبحان الله ما أسرع ما كذبتم عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله، ما أعرف لرسول الله صلى الله عليه وآله خليفة غيري، فعاد قنذ فأخبرهم، فكبى أبو بكر كبوة ثمّ جلس، فقام إليه عمر ثانية، فقال مثل الأوّل، فأتاه قنذ، فقال: أجب أمير المؤمنين .

فقال علي عليه السلام: يا سبحان الله لقد تسمّى بغير اسمه، وادّعى ما ليس له، ما أعرف أمير المؤمنين غيري، فرجع إليهم فأخبرهم، فكبى أبو بكر كبوة أشدّ من الأوّل، ثمّ قال له: اجلس، فقام إليه عمر، فقال: ألا ترسل إلى هذا الرجل فليبايع، فأنذ قنذ يدعوه .

فصاحت فاطمة عليها السلام: يا أبتاه ما لقينا من أبي بكر وعمر، فرجع قنذ، فأخبرهم، فقام عمر وخالد وأسيد بن الحصين وقنذ وحمّاد وسلمة بن أسلم من بني الأشهل وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن مالك وعبد الله بن زمعة، ومضوا إليه .

وفي رواية الكلبي عن ابن عباس. وفي حديث الزهري، عن أبي إسحاق

إبراهيم الثقفي، عن زائدة بن قدامة: إنه خرج عمر في نحو من ستين رجلاً، فاستأذن الدخول عليهم، فلم يؤذن له فشغب وأجلب، فخرج إليه الزبير مصلاً سيفه، ففرّ الثاني من بين يديه حسب عادته وتبعه الزبير، فعثر بصخرة في طريقه فسقط لوجهه، فنادى عمر دونكم الكلب، فأحاطوا به وأخذ سلمة بن أسلم سيفه، فضربه على صخرة فكسره، فسيق إليه الزبير سواقاً عنيفاً إلى أبي بكر حتى بايع كرهاً.

وعاد إلى الباب واستأذن، فقالت فاطمة رضي الله عنها: عليك بالله إن كنت تؤمن بالله أن تدخل عليّ بيتي فأني حاسرة، فلم يلتفت إلى مقالها وهجم.

فصاحت: يا أبة ما لقينا بعدك من أبي بكر وعمر، وتبعه أعوانه، فطالب أمير المؤمنين عليه السلام بالخروج، فلم يمتنع عليه لما تقدّم من وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وظنّ بالمسلمين عن الفتنة، وكان غرضه المحاماة على الدين وحياطته الذي جهدوا في قلة وتفريق كلمة أهله.

وخرج معهم وخرجت الطاهرة في أثره، وهي تقول لزفر: يا بن السوداء لأسرع ما أدخلت الذلّ على بيت رسول الله، قال: ولم تبق من بني هاشم امرأة إلا خرجت معها، فلما رآها أبو بكر مقبلة هاب ذلك، فقام قائماً وقال: ما أخرجك يا بنت رسول الله؟ فقالت: أخرجتني أنت وهذا ابن السوداء معك، فقال الأول: يا بنت رسول الله لا تقولي هذا، فإنه كان لأبيك حبيباً، قالت: لو كان حبيباً ما أدخل الذلّ بيته، والقصة طويلة مليلة (١).

(١) راجع: تاريخ الطبري ٣: ١٩٨، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١: ١٢٤ و ١٥٣: ١٥٣.

فلنرجع إلى ما كتبنا فيه، فنقول: وأمّا عمر، فقد علم بما سبق نبذ من إيدائه للإنسية الحوراء فاطمة الزهراء صلوات الله عليها .

ومنه أنه خرق كتابها، ومنعها من فدك^(١)، وكان ذلك بعد ما طالت المشاجرة بينها وبين أبي بكر في ردّها، فردّها عليها وكتب لها بذلك كتاباً، فخرجت والكتاب بيدها، فلقبها عمر، فسألها عن شأنها، فقصّت عليه قصّتها، فأخذ منها الكتاب وخرقه، ودخل على أبي بكر وعاتبه على ذلك، واتفقا على منعها عن ذلك، فحلفت أن لا تكلمهما، وماتت وهي ساخطة عليهما^(٢)، وقد سبق أن سخطها سخط الله .

وروي أن أبا بكر استشفع بأسماء بنت عميس زوجته، فقالت لها: يا بنت رسول الله والله أنني لأعلم أن الله لم يخلق أهل بيت هم أفضل منكم، وقد سألتني أبو بكر كلامك له، وله حقّ الزوج على المرأة تشفعيني في الإذن له، فأذنت له، فقال: يا بنت محمد كلميني، قالت: لا والله لا أكلمك أبداً، قال: فاجعلني في حلّ . قالت: لا والله لا أفعل حتّى ألقى ربّي ثمّ أحاكمك إليه، قوما فأخرجنا عنّي، فوالله لا كلمتكما بعد هذا حتّى أقف أنا وأنتما بين يدي الله عزّ وجلّ، إنّ أبي رسول الله صلوات الله عليه أخبرني أنّي أوّل أهل بيته لحوقاً به، فوالله لأشكوكما إليه، فقاما وخرجا .

فلما قضى نحبها نظر علي عليه السلام في تجهيزها ومعه الحسن والحسين عليهما السلام،

⇒ والعقد الفريد ٢: ٢٥٠ و ٣: ٦٣، والإمامة والسياسة ١: ١٢، وتاريخ يعقوبي ٢: ١٠٥، وبحار الأنوار ٢٨: ١٨٤، وغيرها .

(١) فدك محرّكة قرية بخيبر، كذا في القاموس .

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ١٧٠، ودلائل الإمامة ص ٤٥ .

وأخرجها إلى أبيها ليلاً، وجلس أمير المؤمنين عليه السلام من الغد بالباب، فحضر العمران ينتظران إخراجها، فقام إليهما عقيل وقال لهما: إن ابنة رسول الله قد أُخرجت البارحة، فقاما مبغضين وأقبلا على عتاب أمير المؤمنين عليه السلام، فقال لهما: لم يكن لها من الحق ما أقبل وصيتها؟ قالوا: بلى، قال: فإنها أوصتني ألا أحضر كما للصلاة عليها ولا دفنها، فخاصماه (١).

وقد رووا جميعاً بلا خلاف فيهم أنها عليها السلام أوصت أن تدفن ليلاً، ولا يشهد جنازتهما (٢).

وهذا يدل على غاية غضبها عليهما لا يذاتهما إياها، وقد سبق أن غضبها غضب الله، وإيذاتها إيذاء الله، ومن أغضب الله وآذاه فهو ملعون في كتاب الله. وروى الواقدي أنه قال عمر: لقد هممت أن أخرجها ثم نصّلي عليها، فقال علي عليه السلام: أمّا ما ثبت قائمه في يدي - يعني سيفه - فلا يكون ذلك ولا نعمة (٣) عين أو أموت دونه، فالتفت عمر إلى أبي بكر، فقال: لو تركتني لقاربت ما بين رجله، فقال علي عليه السلام: لو رمت ذلك يابن السوداء لانقلعت حنادل (٤) صمّ ففكك، فقال أبو بكر: يا عمر لقد خلىنا من هو خير من فاطمة يعني النبي (٥).

وهذا كان أمراً قبيحاً لا يجوز لمن له دين أن يرتكبه، وخاصة بالنسبة إلى بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وقلبه وروحه التي بين جنبيه.

(١) راجع بحار الأنوار ٤٣: ١٧١ و ١٦٨ - ١٦٩.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ١٨٣.

(٣) أنعم بك عيناً أقرّ بك عين من تحية، أو أقرّ عينك بمن تحية ونعم عين ونعمة «منه».

(٤) الحندل كجعفر القصير «منه».

(٥) بحار الأنوار ٢٨: ٣٠٥ و ٤٣: ١٦٩.

ولذا لما أشار مروان بن الحكم إلى معاوية في نبش قبر علي عليه السلام، وكان يذكره قتل بدر، فاستشار معاوية عبد الله بن عامر بن كريز، قال له: ما أحب أن تكون هذه العقوبة بيننا وبين قومنا، فاستصوب معاوية رأيه .

ولقد همّ عمر عليه وبالغ فيه كما ترى، وهذا مع دلالة على عدم تدبّنه بدين يدلّ على عدم علمه بأحكام الشريعة الغرّاء والملة البيضاء - على صانعها وآله السلام - لأنه إن كان ممّن تجوز الصلاة على الميت لمن لم يكن قد صلّى عليه ولو بعد الدفن بيوم وليلة أو دائماً، سواء كان قد صلّى على الميت أم لا، فأبى حاجة له ولصاحبه إلى نبش قبرها وإخراجها ثم الصلاة عليها .

وإن لم يكن كذلك بل كان ممّن لم تجوز الصلاة عليه بعد دفنه والصلاة عليه، فكذلك، بل هو أفحش من الأوّل. على أنّ صلاته هذه عليها ما كانت تجديه نفعاً ولا تجديها نفعاً، بل كان مثله ومثلها، كما قال الشاعر :

لأعرفنك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي
وروى الواقدي وغيره من نقلة الأخبار وأصحاب المقالات في أخبارهم
الصحيحة أنّ النبي صلى الله عليه وآله لما فتح خيبر اصطفى لنفسه قرية من قرى اليهود، فنزل جبرئيل بهذه الآية: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ فقال: ومن ذو القربى؟ وما حقّه؟ قال: فاطمة، فدفع إليها فدك والعوالي، فاستغلّتها حتى توفّي أبوها، فلما ترّفّع أبو بكر معها وكلمته في ردّها عليها، وقالت: إنّها لي وإنّ أبي دفعها إليّ .

فقال أبو بكر: فلا أمنعك ما دفع إليك أبوك، فأراد أن يكتب كتاباً، فاستوقفه عمر ابن الخطّاب، وقال: إنّها امرأة طالها بالبينة على ما ادّعت، فأمرها أبو بكر، فجاءت بأئمّ أيمن وأسماء بنت عميس مع علي عليه السلام، فشهدوا بذلك، فكتب لها أبو بكر، فبلغ ذلك عمر، فأخذ الصحيفة فمحاها، فحلفت أن لا تكلمها، وماتت وهي

ساخطة عليها^(١).

ومثل هذا الخبر الوارد في الطريق العامي ما ورد في الطريق الخاصي عن حمّاد بن عثمان، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه لما بويع لأبي بكر، واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار، بعث إلى فذك من أخرج وكيل فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله منها.

فجاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر، فقالت: يا أبا بكر منعني ميراثي من رسول الله، وأخرجت وكيلي من فذك، وقد جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله.

فقال لها: هاتي على ذلك شهوداً، فجاءت بأُم أيمن.

فقلت: لا أشهد حتّى أحتجّ يا أبا بكر عليك بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: أنشدك يا أبا بكر أأست تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أم أيمن امرأة من أهل الجنة؟ قال: بلى.

قالت: فأشهد بأنّ الله أوحى إلى رسوله ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ فجعل فذك لفاطمة عليها السلام بأمر الله، وجاء علي عليه السلام فشهد بمثل ذلك، فكتب لها كتاباً ودفعه إليها. فدخل عمر، فقال: ما هذا الكتاب؟

فقال أبو بكر: إنّ فاطمة ادّعت في فذك، وشهدت لها أم أيمن وعلي، فكتبت لها بفذك، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة عليها السلام فمزّقه وقال: فيء للمسلمين، وقال: أوس ابن الحدثان وعائشة وحفصة يشهدون على رسول الله أنه قال: إنّنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، وإنّ علياً زوجها يجرّ إلى نفسه، وأمّا أم أيمن فهي امرأة صالحة لو كان معها غيرها لنظرنا فيه.

(١) الطرائف للسيّد ابن طاووس ص ٢٤٨، وراجع: بحار الأنوار ٢٩: ١٠٥.

فخرجت فاطمة عليها السلام من عندهما باكية حزينة، فلمّا كان بعد هذا جاء علي عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار .

فقال: يا أبا بكر! لِمَ منعت فاطمة عليها السلام من ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

فقال أبو بكر: هذا فيء للمسلمين، فإن أقامت شهوداً أنّ رسول الله جعله لها، وإلا فلا حقّ لها فيه .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين؟ قال: لا .

قال: فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه، وادّعت أنا فيه من كنت تسأل البينة ؟

قال: إيّاك كنت أسأل البينة على ما تدّعيه على المسلمين .

قال: وإذا كان في يدي شيء فادّعي فيه المسلمون، فتسألني البينة على ما في يدي! وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده، ولم تسأل المسلمين البينة على ما ادّعوا عليّ شهوداً، كما سألتني على ما ادّعت عليهم .

فسكت أبو بكر، ثمّ قال عمر: يا علي دعنا من كلامك، فإنّا لا نقوى على حججك، فإن أتيت شهوداً عدولاً وإلا فهو فيء للمسلمين لا حقّ لك ولا لفاطمة فيه .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر تقرأ كتاب الله ؟

قال: نعم .

قال: فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (١) في من نزلت فينا أم في غيرنا؟ قال: بل فيكم .

قال: فلو أن شاهدین شهدا علی فاطمة عليها السلام بفاحشة ما كنت صانعاً؟

قال: كنت أقيم عليها الحدّ كما أقيم علی سائر المسلمين .

قال: كنت إذاً من الكافرين .

قال: ولمّ؟

قال: لأنك رددت شهادة الله لها بالطهارة، وقبلت شهادة الناس عليها، كما

رددت حكم الله وحكم رسوله أن جعل لها فذك وقبضته في حياته، ثمّ قبلت

شهادة أعرابي بائل علی عقبيه وأخذت منها فذك، وزعمت أنّه فيء للمسلمين،

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: البينة علی المدّعي، واليمين علی المدّعی عليه .

قال: فدمدم الناس وبكى بعضهم، فقالوا: صدق والله علي، ورجع علي صلى الله عليه وآله إلى

منزله .

قال: فدخلت فاطمة عليها السلام المسجد وطافت بقبر أبيها، وهي تبكي وتقول :

إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدَ الْأَرْضَ وَابِلَهَا (٢) واختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب (٣)

قد كان بعدك أنباء وهنّبة (٤) لو كنت شاهداً لم تكثر الخطب (٥)

قد كان جبريل بالآيات يؤنّسنا فغاب عنّا فكلّ الخير محتجب

وكنت بدرأ منيراً يستضاء به عليك تنزل من ذي العزّة الكتب

(١) سورة الأحزاب: ٣٣ .

(٢) الوابل: المطر العظيم القطر «منه» .

(٣) وتغب من الغباوة وهي الخفاء والستر «منه» .

(٤) الهنّبة: الأمر الشديد والاختلاط في القول «منه» .

(٥) الخطب: الشأن، والأمر صغيراً كان أو عظيماً «منه» .

فهضمّتنا^(١) رجال واستخفّ بنا
 وكلّ أهل لهم قربيّ ومنزلة
 أبدت رجال لنا نجوى صدورهم
 فقد رزينا بما لم يرزه أحد
 فقد رزينا به محضاً خليقته
 فأنت خير عباد الله كلّهم
 فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت
 سيعلم المتولّي ظلم حامتنا
 قال: فرجع أبو بكر إلى منزله وبعث إلى عمر فدعاه، ثمّ قال: أما رأيت مجلس

علي بنا اليوم، والله لئن قعد مقعداً مثله ليفسدنّ علينا أمرنا، فما الرأي؟

قال عمر: الرأي أن تأمر بقتله .

قال: فمن يقتله؟

قال: خالد بن الوليد، فبعثنا إلى خالد فأتاها، فقالا: نريد أن نحملك على أمر

عظيم .

قال: إحملاني على ما شئتما ولو قتل علي بن أبي طالب، قالوا: فهو ذاك. قال خالد: متى أقتله؟ قال أبو بكر: إذا حضر المسجد فقم بجانبه في الصلاة، فإذا أنا

(١) الهضم: الهجوم والظلم والغصب «منه» .

(٢) الأذنين: جمع أذنيّ من الدون، أو من الدني الساقط الضعيف «منه» .

(٣) المراد بالضريبة هنا الطبيعة «منه» .

(٤) هملت عينه والسماء دام مطرها، وماء سكب صاب «منه» .

سَلَّمَت فقم إليه فاضرب عنقه، قال: نعم .

فسمعت أسماء بنت عميس ذلك وكانت تحت أبي بكر، فقالت لجاريتها: إذ هبي إلى منزل علي وفاطمة عليهما السلام فاقريهما السلام وقولي لعلي: إنَّ الملائمة يأترون بك ليقتلوك فاخرج إنِّي لك من الناصحين، فجاءت الجارية إليهما، فقالت لعلي عليه السلام: إنَّ أسماء بنت عميس تقرأ عليكما السلام وتقول لك: إنَّ الملائمة يأترون بك ليقتلوك فاخرج إنِّي لك من الناصحين .

فقال علي عليه السلام: قولي لها إنَّ الله يحول بينهم وبين ما يريدون .

ثمَّ قام وتهيأ للصلاة، وحضر المسجد، ووقف خلف أبي بكر، وصلَّى لنفسه، وخالد بن الوليد بجنبه ومعه السيف، فلما جلس أبو بكر في التشهد، ندم على ما قال، وخاف الفتنة، وشدة علي عليه السلام وبأسه، فلم يزل متفكراً لا يجسر أن يسلم، حتَّى ظنَّ الناس أنه قد سهى، ثمَّ التفت إلى خالد، فقال: يا خالد لا تفعل ما أمرت به، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا خالد ما الذي أمرك به ؟

قال: أمرني بضرب عنقك .

قال: أو كنت فاعلاً ؟

قال: إي والله لولا أنه قال لا تفعل، لقتلتك بعد التسليم .

قال: فأخذه علي عليه السلام، فضرب به الأرض، واجتمع الناس عليه، فقال عمر: يقتله

الساعة وربَّ الكعبة .

فقال الناس: يا أبا الحسن الله الله بحقِّ صاحب هذا القبر، فخلِّي عنه . قال:

فالتفت إلى عمر فأخذ بتلابيبه، وقال: يا بن الصَّهَّاك لولا عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله

وكتاب من الله عزّ وجلّ سبق، لعلمت أيّنا أضعف ناصرًا وأقلّ عددًا^(١).

وبالجملة قد تداخلت الروايات بعضها في بعض أنه اجتمع أبو حفص وخالد في منزل عبداللات، فقال أبو حفص: لا يصلح لك هذا الأمر دون أن تقتل علياً، قال: ومن يقدم عليه؟ قال خالد: أنا، فقال: إذا أنا سلّمت في صلاة الصبح فأعله السيف. فأخبرت أسماء بنت أبي بكر زوجها الزبير، فلمّا خرج لصلاة الصبح اشتمل على سيفه وجاء حتّى قعد خلف خالد، فلمّا جلس عبداللات للتشّهد ندم وخاف فبقي متفكّرًا، فقال: لا تفعلنّ خالد ما أمرته ثمّ سلّم. وفي رواية: لا تفعل خالد ما أمرته ثلاثاً ثمّ سلّم. فقال علي عليه السلام: أو كنت فاعلاً؟ قال: نعم.

وفي رواية: إي وربّ الكعبة لو لم يتكلّم لقتلتك به، فقال الزبير من خلفه: والله لو رفعتها لطارت إلى الأرض قبل أن تصير إلى رأسه.

وفي كتاب البلاذري: أن أمير المؤمنين عليه السلام جعل اصبعه السبابة والوسطى في حلقة وشاله بهما فضرب به الأرض، فدقّ عصصه، وأحدث مكانه، وبقي يقول: هما والله أمراني، هما والله أمراني، فقال عبداللات لزفر: هذا مشورتك المنكوسة، فجاء عبّاس وقال: لو قتلتموه لما تركنا تيمياً يمشي على وجه الأرض^(٢).

هذا، ولنرجع إلى ما كتنا فيه، فنقول: روي أنّ أبا لؤلؤة استفثاه فما جزاء من عصي مولاه وغضب ملكه وضرب امرأته؟ فكتب: إنّه يجب عليه القتل، فلمّا استقبله قال: لِمَ عصيت علياً عليه السلام وهو مولاك، وضربه أربع ضربات في كلّ ضربة

(١) تفسير القمي ٢: ١٥٥ - ١٥٩. وبحار الأنوار ٢٩: ١٢٧ - ١٣٥.

(٢) راجع: بحار الأنوار ٢٩: ١٢٦ و ١٣٧ و ١٥٩، والصراف المستقيم للبياضي ١: ٣٢٣.

يلعنه، واستجيب فيه دعوة الزهراء عليها السلام لما دعت وقت خرق كتاب فذك .

ومن الغريب أن القوشجي لعناده وشدة عداوته أنكروا هذه الرواية، أعني: ما دلت على خرقه الكتاب ومحوه، قال: ولم يروها أحد من الثقات .

والواقدي عندهم من أجلاء أصحاب الحديث، وقد قال هذا الرجل القوشجي قبيل هذا المنع بورقات عديدة في مقام القدح في صحة حديث الغدير: وقد صححه القاضي عبدالجبار المعتزلي، وقال: إنه حديث صحيح نقله علماؤنا في كتبهم، ولم ينقله المحققون من أهل الحديث، كالبخاري ومسلم والواقدي، فكيف كان عدم نقله حجة، وعدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود، ولم يكن نقله حجة، وهو يدل على الوجود، كيف لا؟ وقد نقله أصحاب حديثهم بطرق عديدة في صحاحهم .

وأما عدم نقل هؤلاء الثلاثة المذكورة رواية الغدير المنقولة من مائة وخمسة طرق على ما ذكره ابن عقدة في كتابه المعمول لذكر هذا الحديث، وبيان أمره وشأنه، فقد ذكرنا وجهه في بعض رسائلنا في المناظرة، فيطلب من هناك .

وقال ابن عباس: كنت ذات ليلة عنده، فبينما في سمر^(١) لنا إذ نحن برجل قد لجم علينا، متزراً بإزار صنعاني، متردأً برداء عدني، في رجله نعلان حضرميتان خضراوتان، وفي يده عكازة يتوخط ويتوكأ عليه، فسلم علينا، فرددنا عليه .

فقال له الأول: ارتفع رحمك الله، فوقف على قدميه، وتوكأ على عكازته، وقال: أنا رجل من أهل اليمن أردت الحج وكانت لي جارية، فقالت لي: إنك سوف

(١) في نهاية ابن الأثير: السمر بفتح الميم من المسامرة وهي الحديث بالليل، ورواه

بعضهم بسكون الميم، وأصل السمر ضوء القمر؛ لأنهم كانوا يتحدثون فيه «منه» .

تلقي الرجل الذي زعم أنه خليفة رسول الله ﷺ، فإذا لقيته بلغ رسالتي، فقلت: مأجور إن شاء الله، فقال الأول: قل رحمك الله .

فقال: هي تقول لك: إنِّي امرأة ضعيفة، وكان والدي يعينني على زماني، وكانت له أرضون، فكنت أعيش منها وبعلي وابنائي، فلما توفّي والدي وثب عليّ بعد وفاته أمير البلد، فنزع الأرضين من يدي وجعلها لنفسه ودخلها يأخذها، ولا ينالني منها ثمرة ولا برّة .

فقال الأول: ما ذاك له ولا كرامة للظالم المتعدّي، والله لأفتضحّه ولا غرامة ولا أكيدنّ به .

فالتفت إليه الثاني، فقال: يا خليفة رسول الله إبعث إلى هذا الخبيث المخبّث من يحضره تنزل به عقوبتك، فقد جار وظلم واعتدى .

فقال الرجل: نعوذ بالله من سخط الله، نعوذ بالله من غضب الله، ثمّ قال: فمن يكون أظلم وأجور ممّن ظلم ذرّية رسول الله ﷺ، ثمّ غاب الشخص من أعيننا، فقال لخدمه: ردّوه، قالوا: ما رأينا أحداً دخل ولا خرج، وإنّ الباب لمغلق من أوّل الليل، فالتفت إلى الثاني فقال: أسمعت كلام الرجل؟ فقال الثاني: ليهولتّك ذلك، فإنّ الذي سمعت من وادي الجنّ أعجب من هذا .

قال ابن عبّاس: فسمعت هاتفاً وهو يقول :

يا من تسمّى باسم لا يليق به	اعدل على آل يس الميامين
فتب إلى الله ممّا ركبت به	إلى النبي ودع ظلم الوليين
نحن الشهود وقد ولى على فذك	بنت النبي وكيلاً غير مفتون
فالله يشهد أنّ الحقّ حقّهم	لا حقّ تيم ولا حقّ العديين
وقد شهدت أخا تيم وصيته	بأنّه الفاضل القوام للدين

أن يغفر الله ما دبّرت في فذك من ظلم فاطمة مع عبد مغبون
وسياتي أغرب من هذا .

وأيضاً في تصديق أبي بكر أزواج النبي ﷺ في ادّعائهنّ حجرة من غير شاهد،
وتكذيبه علياً وحسناً وحسين ﷺ وهم رجال من المعصومين، وأمّ أيمن وهي
امرأة سالحة من أهل الجتّة، وأسماء بنت عميس بعد شهادتهم عليّ ما ادّعته
فاطمة ﷺ من فذك وكونها نحلة من أيها، دلالة واضحة وحجّة فاضحة عليّ أنّه
ظلمها وغصب حقّها .

ولذا ردّها عمر بن عبدالعزيز عليّ أولادها. روي أنّه لما دخل المدينة أمر
منادياً ينادي: من كانت له مظلمة وظلامة فليأت الباب، فاتاه الباقر ﷺ ودخل
وقال: يا عمر إنّ الدنيا سوق من الأسواق، في كلام له إلى أن قال: فدعا عمر بدواة
وقرطاس، وكتب: هذا ما ردّ عمر بن عبدالعزيز ظلامة محمّد بن علي فذك إلى
آخر الكتاب. فقبل له: طعنت عليّ الشيخين، فقال: هما والله طعنا عليّ أنفسهما،
وإنّ فاطمة بضعة من رسول الله ﷺ لا تدّعي غير حقّها، وإنّ علياً والحسن
والحسين لم يشهدوا بالزور (١) .

أقول: هذا عمر، وذاك أيضاً عمر، وأين هذا من ذاك، بل ليس بينهما إلا اشتراك
اسمي .

وبدلّ عليّ ما قاله من عدم ادّعائها غير حقّها، ما في الجزء الرابع من صحيح
البخاري، في باب مناقب فاطمة ﷺ. وقال النبي ﷺ: فاطمة سيّدة نساء أهل

الجنة^(١).

وفي الجزء الرابع من صحيح مسلم أيضاً، عن مسروق، عن عائشة، قال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: أما ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين أو سيّدة نساء هذه الأمة^(٢).

وفي صحيح أبي داود بإسناده، قال: إن النبي صلى الله عليه وآله سارّ فاطمة عليها السلام وقال لها: ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء العالمين، أو سيّدة نساء هذه الأمة^(٣).

وفي الجمع بين الصحاح الستّة في الجزء الثالث من أجزاء ثلاثة في باب مناقب فاطمة عليها السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة^(٤).

فإنّها لما كانت سيّدة نساء العالمين، بل سيّدة نساء أهل الجنة أجمعين، فكيف يجوز عقل عاقل من المسلمين الغير المبغضين لها فيها أن تدّعي من حطام الدنيا غير حقّها، ثمّ يبالغ في الدعوى، ويبتّ فيها الشكوى، وتوصي بعلمها أن لا يدع يحضر للصلاة عليها ولا لدفنها من منعها غير حقّها من حقوق المؤمنين ومن صدقات أيّها وما هو فيء للمسلمين، إنّ هذا شيء عجاب، ولا يقول به أحد من أولي الألباب.

فيا عجباً من أمرهم، فإنّ أبابكر وعمر منعا من علي وفاطمة عليهما السلام ومن سائر الأزواج على أنّه صدقة، ثمّ أعطيا ابنتيهما فقط، ثمّ أعطى عمر صدقة النبي صلى الله عليه وآله

(١) صحيح البخاري ٥: ٣٦.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٩٠٦.

(٣) صحيح أبي داود ٣: ١٩٦.

(٤) الطرائف عنه ص ٢٦٢.

بالمدينة علياً عليه السلام والعبّاس، وأمسك خبير وفدك، كأنه آمن ببعض وكفر ببعض .
ثم إنَّ عثمان منع من عائشة وحفصة ما أعطاهما أبوهما وأقطعها مروان، فلما ولي مروان جعل الثلثين منها لابنه عبدالملك والثلث لابنه سليمان، فلما ولي عبدالملك جعل ثلثيه لعبدالعزيز وبقي الثلث لسليمان، فلما ولي سليمان جعل ثلثه لعمر بن عبدالعزيز، فلما ولي عمر بن عبدالعزيز ردّها كلّها عليّ ولد فاطمة عليها السلام، فاستأثر بها اللعناء من بعده إلى أن تولّى المأمون، فجمع فقهاء الأُمَّة من البلدان واحتجّ معهم، فاعترفوا أنّ الحقّ لفاطمة عليها السلام .

وذكر أبو هلال العسكري في كتابه أخبار الأوائل أنّ أول من ردّ عليّ ذريّة فاطمة عليها السلام عمر بن عبدالعزيز، وكان معاوية أقطعها لمروان بن الحكم وعمر بن عثمان ويزيد ابنه أثلاثاً، ثمّ غضبت فردّها عليهم المهدي، ثمّ غضبت فردّها عليهم السّفاح، ثمّ غضبت فردّها عليهم المأمون .

وقد كان جمع المأمون^(١) ألف نفس من الفقهاء وتناظروا، وأدّى بحثهم إلى ردّ فدك عليّ العلويين من ولدها، فردّها عليهم .

وقال غير أبي هلال: ثمّ غضبت فردّها عليهم الواثق، ثمّ غضبت فردّها عليهم المستنصر، ثمّ غضبت فردّها عليهم المعتمد، ثمّ غضبت فردّها عليهم المعتضد، ثمّ غضبت فردّها عليهم الرّاضي^(٢) .

وفي رواية علي بن أسباط، قال: لما ورد الكاظم عليه السلام عليّ المهدي العبّاسي رآه يرد المظالم، فقال: يا أمير المؤمنين ما بال مظلمتنا لا ترد .

(١) ذكر الحكاية بتمامها السيّد ابن طاووس رحمته الله في الطرائف ص ٢٤٨ - ٢٥٠ .

(٢) الطرائف ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

فقال له: وما ذاك يا أبا الحسن؟

قال: إن الله تبارك وتعالى لما فتح على نبيه فذك وما والاها لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فأنزل عليه ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ (١) فلم يدر من هم؟ فراجع في ذلك جبرئيل وراجع هو ربّه، فأوحى إليه: أن ادفع فذك إلى فاطمة عليها السلام، فدعاها فقال: إن الله أمرني أن أدفع إليك فذك، فقالت: قد قبلت من الله ومنك .

فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما ولي أبو بكر أخرج عنها وكلاؤها، فأنته فسألته أن يردّها عليها، فقال: ايتني بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك، فجاءت بأمر المؤمنين عليهم السلام وأمّ أيمن فشهدا لها، فكتب لها بترك التعرّض .

فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر، فقال: ما هذا معك يا بنت محمّد، قالت: كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة، قال: أرينيه، فأبت، فانتزعه من يدها ونظر فيه، ثمّ تفلّ فيه وخرقه، فقال لها: هذا لم يوجف عليه أبوك بخيل ولا ركاب، فضعي الحبال في رقابنا .

فقال له المهدي: يا أبا الحسن حدها لي .

فقال: حدّ منها جبل، وحدّ منها عريش (٢) مصر، وحدّ منها سيف البحر، وحدّ منها دومة الجندل .

فقال له: كلّ هذا؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين هذا كلّّه، إنّ هذا ممّا لم يوجف أهله على رسول الله صلى الله عليه وآله بخيل ولا ركاب .

(١) سورة الإسراء: ٢٦ .

(٢) في الكافي: عريش .

فقال: كثير وأنظر فيه (١).

ومن الغريب أن القوشجي أجاب عمّا فعله أبو بكر من التصديق والتكذيب المذكورين، بأنّ للحاكم أن يحكم بما علمه، وإن لم يشهد به شاهد، كما في أزواج النبي، وليس عليه أن يحكم بشهادة رجل وامرأة، وإن فرض عصمة المدّعي والشاهد.

وليت شعري ماذا يقول هذا الملعون، فإنّ الحاكم من يحكم بحكم الله ورسوله، وقد قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ (٢).

وقد سمعت مقالة عمر بن عبد العزيز، وسبق في رواية الواقدي، وهو من محقّقي أصحاب الحديث عند القوشجي أنّه طالبها بالبينة على ما ادّعت، فجاءت بأُمّ أيمن وأسماء بنت عميس مع علي عليه السلام، فشهدوا بذلك، فكتب كتاباً، فبلغ ذلك عمر، فأخذ الصحيفة فمحاها.

والمراد أنّه بميله إلى تسويل هذا الشيطان الرجيم - لعنه الله - بعد ثبوت الحقّ عنده وكتابته لها بذلك، مال عن الحقّ وحكم بخلاف حكم الله، فظلمها به وصار بذلك ظالم النبي ﷺ، فيكون واجب اللعن لما سبق، فكيف تناله الإمامة؟
على أنّ الواقدي روى أنّ النبي ﷺ دفع بأمر الله إلى فاطمة عليها السلام فدك والعوالي، فاستغلّتها حتّى توقّي أبوها، فدلت على أنّها كانت من خاصّة نفسها، وكانت بيدها في حياة النبي ﷺ، فكانت هي المدّعي عليه لا المدّعي، فلمّ طالبوه بالبينة؟ ولا

(١) أصول الكافي ١: ٥٤٣ ح ٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٢.

بينه إلا على المدّعي وهو عبد اللات؛ لأنه ادّعى خلاف الظاهر من كونها صدقة، بل خلاف ظاهر القرآن من أن الأنبياء عليهم السلام لم يورثوا؛ لقوله ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ (١).

ثمّ من الغريب أن يكون علي بن أبي طالب عليه السلام من العشرة المبشّرة بالجنة، وكذلك تكون أمّ أيمن امرأة من أهلها وصالحة في دينها، بشهادة وتصديق عبد اللات والزفر بذلك، ومع ذلك كانا يشهدان بالزور ويميلان إلى حطام دار الغرور، ولا سيّما وعلي بن أبي طالب عليه السلام الذي طلق الدنيا ثلاثاً بل تسعاً، وزهده مشهور، وعصمته في الكتاب المذكور، إنّ هذا لشيء عجاب، ولا يقبله أحد من أولي الألباب.

وأغرب منه أن هذا الناصبي بعد فرضه عصمة الشاهد والمدّعي، جوّز ردّ الشاهد والقدح في الدعوى، وهذا ممّا يوجب التناقض في الكلام، بل الخروج عن الدين وطريقة أهل الإسلام.

أما الأوّل، فلأنّ الكذب ينافي العصمة بالاتّفاق.

وأما الثاني، فلأنّ الخبر المسموع من المعصوم عليه السلام إن لم يكن فوق المتواتر في إفادة اليقين، فلا خفاء في كونه بمنزلته، وحينئذ فلا حاجة فيه إلى الشاهد فضلاً عن تعدّده.

ولذا قال عمر بن عبد العزيز: إنّ فاطمة بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله لا تدّعي غير حقّها، وإنّ علياً والحسن والحسين لم يشهدوا بالزور، لعصمتهم وطهارتهم وذهاب الرجس عنهم، بشهادة الله لهم بذلك، فمن ردّ شهادة الله وقبل شهادة الناس كفر بالله

وخرج عن طريقة أهل الإسلام، نعوذ بالله من الخذلان ومن تسلط الشيطان .
وعن أبي هريرة الدوسي، قال: قال علي بن أبي طالب: يا رسول الله أينا أحب إليك أنا أم فاطمة؟ قال: فاطمة أحب إلي منك، وأنت أعز عليّ منها. وكأنني بك وأنت علي حوضي تذود عنه الناس، وإنّ عليه الأباريق عدد نجوم السماوات، والحسن والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنة إخواناً علي سرر متقابلين، أنت معي وشيعتك في الجنة، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِخْوَانًا عَلَيَّ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (١) لا ينظر أحدهم في قفاه صاحبه (٢).

وعنه أيضاً: أبصر النبي ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم (٣).

وفي مسند أحمد بن حنبل: عن حذيفة بن اليمان، قال: سألتني أمي متى عهدك بالنبي ﷺ؟ فقلت لها: منذ كذا وكذا، ذكرت مدة طويلة، فنالت مني وسببتني، فقلت لها: دعيني فأني آتي النبي ﷺ وأصلي معه المغرب، ثم لا أدعه حتى يستغفر لي ولك .

قال: فأتيت النبي ﷺ، فصليت معه المغرب والعشاء، ثم انفتل من صلاته فتبعته، فعرض له في طريقه عارض فناجاه، ثم ذهب فتبعته، فسمع مشي خلفه، فقال: من هذا؟ فقلت: حذيفة، فقال: ما لك؟ فحدثته بحديث أمي، فقال: غفر الله لك ولأمك . ثم قال: أما رأيت العارض الذي عرض لي؟ فقلت: بلى يا رسول الله، قال: هو

(١) سورة الحجر: ٤٧ .

(٢) كنز العمال ١٣: ٩٤، ذخائر العقبى ص ٢٩، الجامع الصغير ص ١٦٦ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٤٤٢، مستدرک الحاكم ٣: ١٤٩ .

ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قطّ قبل هذه الليلة، استأذن ربّه في أن يسلمّ عليّ ويبشّرني أنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وإنّ فاطمة سيّدة نساء العالمين (١).

وروى أخطب خوارزم وهو من أهل السنّة بإسناده، عن جابر، قال: لمّا تزوّج علي فاطمة عليها السلام زوّجه الله إيّاه فوق سبع سماوات، وكان الخاطب جبرئيل، وكان ميكائيل وإسرافيل وسبعين ألفاً من الملائكة شهوداً، فأوحى الله إليه إلى شجرة طوبى: أن انثري ما فيك من الدرّ والجوهر، ففعلت، فأوحى الله تعالى إلى الحور العين: أن ألقطن فلقطن، فهنّ يتهدّين إلى يوم القيامة (٢).

وروى الزمخشري، وهو من أشدّ الناس عداوة لأهل البيت، بإسناده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة مهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلمها نور بصري، والأئمّة من ولدها أمناء ربّي، وحبل ممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم بهم نجى، ومن تخلف عنهم هوى (٣).

وأمثال هذه الأخبار في طرقهم أكثر من أن يحصى. فانظر أيّها العاقل الرشيد، وصاحب الرأي السديد، وقفك الله للهداية والرشاد، وجنّبك عن سلوك طريق اللداد والعناد، كيف يروي الجمهور هذه الروايات؟! ثمّ يظلمونها ويؤذونها ويأخذون حقّها، وينسبونها إلى الكذب ودعوى الباطل، ويكسرون ضلعها، ويجهبزون ولدها من بطنها.

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٣٩١.

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٣٤٣.

(٣) مقتل الحسين ص ٥٩، والإحقاق عن المناقب للزمخشري ٩: ١٩٩.

فليحذر الإنسان من اتّباعهم؛ لأنّ أخذ كلامهم باطل قطعاً؛ لأنّهم إن صدقوا في أمثال هذه الروايات وفعالهم بالنسبة إليها، هذه يلزم ما قدّمناه في صدر الرسالة من وجوب اللعن واللعن عليهم والتبرّي منهم والعدول عنهم .

وإن كذبوا فيها، فلا يجوز التعويل على شيء من رواياتهم؛ لأنّ الروايات في طرقهم الدالة على كون فاطمة عليها السلام معصومة ^(١)، صدّيقة رضية، مرضية، زكية، تقية، نقية، بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله، من سرّها فقد سرّه، ومن جفأها فقد جفأه، ومن آذاها فقد آذاه، ومن وصلها فقد وصله، ومن قطعها فقد قطعها، كادت تبلغ حدّ التواتر، فإن كانت كاذبة يرفع الاعتماد عن أخبارهم رأساً، وإن كانت صادقة وهم قد صنعوا بها ما صنعوا يلزم ما أسلفناه، وهو المطلوب .

وفي رواية علي بن حاتم، بإسناد له؛ لما كان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله دارت فاطمة سبعة أيّام على المهاجرين والأنصار معها سلمان وأبوذرّ والمقداد وعمّار، وتسألهم عمّا سمعوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله في فذك، فلم تجد لها معيناً .

فقال لعلي عليه السلام: يا بن عمّ اذهب إلى الأوّل فاطلب لي فذك ليكون أوكد في الحجّة، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام فإذا به جاء، فقال: أتذكر يا رجل يوماً قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فذك لفاطمة ليس لأحد فيه حقّ؟

فقال: يا أبا الحسن قد ذهب ذلك عني، فقال: إن قال لك رسول الله ويأمرك بردها أتردّ ذلك؟ فقال: نعم، وأخذ بيده إلى المسجد مسجد قبا .

فلما بلغ المسجد أخذ بتليبيه وأدخله المسجد، فإذا برسول الله صلى الله عليه وآله واقفاً في محرابه مرتدياً بردائه، فنظر إليه وعضّ عليه الأنامل، وقال: بسّ ما خلّفتني في

(١) كالروايات الواردة في آية التطهير وشأن نزولها «منه» .

قومي «أكفرت بالذي خلقك من تراب» ردّ عليّ فاطمة فدك .

فخرج فقال: مدّ يدك يا أبا الحسن لأجدّد لك البيعة، ورجع إلى منزله، فقال لأصحابه: أقيلوني أقيلوني وجلس ثلاثة أيّام، فدخل عليه الثاني، فقال: ما شأنك؟ فقصّ عليه الحديث، فقال: أليس كنت معه في الغار إذ أراك البحر والسفن، فقال: نعم، فقال: هذا أيضاً من ذاك (١) .

وذكر البخاري في الجزء الخامس من أجزاء ثمانية من الصحيح في رابع كراسه من أوّله، وكذا مسلم في الجزء الثالث من صحيحه عليّ حدّ ثلاثة كراريس من آخره، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، أنّها أخبرته أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك والعوالي وما بقي من خمس خبير .

فقال أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركناه صدقة، إنّما يأكل آل محمّد من هذا المال، وإني والله لا أغيّر شيئاً من صدقة رسول الله عن حالها التي كانت في عهد رسول الله، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله .

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة عليها السلام منها شيئاً، فوجدت فاطمة عليها السلام عليّ أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتّى توفّت، وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله ستّة أشهر (٢)، فلمّا توفّت دفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلاً ولم يؤذن بها أبو بكر، وصلّى عليها علي (٣) .

(١) بحار الأنوار ٢٩: ١٨ .

(٢) اختلفوا في بقائها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال قوم: بقيت أربعين يوماً، وذكر الواقدي في كتابه خمسة وتسعين يوماً، وفي صحيحتي البخاري ومسلم ستّة أشهر كما ترى «منه» .

(٣) صحيح البخاري ٥: ١٧٧، وصحيح مسلم ٣: ١٢٨٠ .

ومن طريق الخاصة عن المفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: من غسل فاطمة عليها السلام؟ قال: ذاك أمير المؤمنين، وكأني استعظمت ذلك من قوله، فقال: كأنك ضقت بما أخبرتك؟ قال: فقلت: قد كان ذاك جعلت فداك؟ قال: فقال: لا تضيقن فإنها صديقة، ولم يكن يغسلها إلا صديق، أما علمت أن مريم لم يغسلها إلا عيسى عليه السلام (١).

وعنه عليه السلام: إن فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان يأتيها جبرئيل عليه السلام، فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك (٢).

هذا، وقوله في رواية عائشة «فوجدت فاطمة على أبي بكر» أي: غضبت عليه، وقد سبق أنهم رووا جميعاً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك، فكان أبو بكر من المغضوب عليهم بل من الضالين.

ومن العجب أنه حلف أن لا يغيّر ما كان علي عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد روى الحميدي في الجمع بين الصحيحين: وكان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير أنه لم يكن يعطي قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعطيهم (٣).

وهذا تغيير، مع أنه حلف أن لا يغيّر، فلم يغيّر مع فاطمة عليها السلام وهو يقضي فيها

(١) أصول الكافي ١: ٤٥٩ ح ٤.

(٢) أصول الكافي ١: ٤٥٨ ح ١.

(٣) نهج الحق للعلامة الحلّي ٣٦١ عنه.

بعض حقوق نبيه عليه السلام .

ولعلّ عداوتهما للإنسية الحوراء فاطمة الزهراء - صلوات الله عليها - إنّما نشأت من يوم خطباها إلى النبي صلى الله عليه وآله، فردّ عليهما وقال: إنّها صغيرة، فكانت العداوة كامنة في صدورهما إلى أن وجدا فرصة إيدائها .

ففي مسند أحمد بن حنبل بإسناده، إلى عبد الله بن بريدة، عن أبيه، أنّ أبا بكر وعمر خطبا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة، فقال: إنّها صغيرة، فخطبها علي فزوجها منه (١) .

وروى الحافظ ابن مردويه، بإسناده إلى عائشة، وذكرت من كلام فاطمة عليها السلام لأبي بكر، وقال في آخره: وزعمتم أن لا إرث لنا ﴿أفحكم الجاهلية تبغون﴾ الآية، معشر المسلمين أنّه لا أرث أبي، يابن أبي قحافة في كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فرياً، فدونهاها مرحولة مخطومة نلتاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والغريم محمّد، والموعود القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون (٢) .

ومثل هذا الخبر الوارد في الطريق العامي ما ورد في الطريق الخاصي عن عبد الله بن الحسن، عن آبائه عليهم السلام، أنّه لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة فدك وبلغها ذلك، جاءت إليه وقالت له: يابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلني عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريا: ﴿إذ قال ربّ هب لي من لدنك ولياً

(١) الطرائف للسيد ابن طاووس ص ٧٦ عنه .

(٢) الطرائف ص ٢٦٥، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢٥١ .

يرثني ويرث من آل يعقوب» والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة (١).
وأما ما ورد أنّ العلماء ورثة الأنبياء، وأنّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً
ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظّ وافر (٢).

فالمراد به أنّهم لم يحفظوهما، ولم يبق منهم شيء منهما بعد الموت، بل
يصرفونهما في حياتهم في مصارفهما. لا أنّه لو بقي منهم شيء بعد الوفاة لم يكن
ميراثاً، كما زعمه الجمهور، ونقلوا في ذلك حديثاً عن أبي بكر أنّه خصّ آية
﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ بالخبر الذي زعم أنّه سمعه عن النبي ﷺ، وهو: نحن
معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة.

وأما فذك، فقد سبق أنّ رسول الله ﷺ أعطاها بأمر الله فاطمة رضي الله عنها في حياته، ولو
بقي بعد موته وصار تركة لكان لها رضي الله عنها بطريق الميراث، كسائر متروكاته مثل
الأثواب والآلات، ولذا ادّعت الإعطاء على ما هو الواقع أولاً، ثمّ الميراث ثانياً
على سبيل التسليم.

هذا، وروى صدر الأئمة فخر خوارزم موقّق بن المكي، بإسناده إلى ابن
عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي إنّ الله تعالى زوجك بفاطمة، وجعل
صداقها الأرض، فمن مشى عليها مبغضاً لها مشى حراماً (٣).

سبحان الله حديث غريب يرويه الجمهور، ولم يتأمّلوا في مدلوله، فإنّ الأرض
كلّها إذا كانت لله وجعلها صداقاً لفاطمة رضي الله عنها وملكاً طلقاً لها بعد أن زوجها علياً رضي الله

(١) الطرائف ص ٢٦٣ - ٢٦٥، وبحار الأنوار ٢٩: ٢٠٧.

(٢) أصول الكافي ١: ٣٢ ح ٢.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ص ٦٦.

فوق سبع سماوات، وكان الخاطب جبرئيل، وكان ميكائيل وإسرافيل وسبعين ألفاً من الملائكة شهوداً، كما سبق في رواية أخطب خوارزم بإسناده عن جابر (١).

فما فدك والعوالي في جنبها حتى تدّعيها بغير حقّ، وأيّ حقّ لغير أوليائها في الأرض حتى يملكوها ويعزلوها ولا سيّما وكلاؤها عن التصرف فيما أعطها الله ورسوله في حياته بخصوصه بأمر الله تعالى بعد نزول ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ إذا تأمّله عاقل صريح في جور الرجل العنيد، وما هو من الظالمين ببعيد.

وروا أنّ لفاطمة عليها السلام بيتاً، ولها إلى المسجد باباً، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يجوز الباب إلى المسجد، فأمر بقلع باب بيتها حتى يتركوا البيت، أو يسدّ الباب، ثمّ إنّ ندم على كشف بيتها، وقال: ليتني تركت بيت فاطمة ولم أكشفه (٢).

فهذا - أعني: ندامته عمّا فعل من كشف بيتها - صريح في أنّه كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله فيما نسب إليه من عدم جواز الباب إلى المسجد، وإلا فلا معنى للندامة على طاعة الله ورسوله، وقد قال الله تعالى: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٣).

وإذا ثبت أنّه كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو من أهل النار؛ للحديث المتواتر المتفق عليه بين الأمة أنّه صلى الله عليه وآله قام خطيباً، فقال: أيّها الناس قد كثرت عليّ الكذّابة

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٣٤٣.

(٢) بحار الأنوار ٣٠: ١٣٦.

(٣) سورة الحشر: ٧.

فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار^(١).

ومن الغريب أن يقول رسول الله ﷺ: لا يجوز الباب إلى المسجد، وهو لا يسدّه في حياته، ولا يمنع فاطمة عليها السلام عنه، إلى أن يأمر عبد اللات بقلعه وسدّه.

واحتمال حدوثه بعد وفاته في مدّة قليلة من حياة فاطمة عليها السلام، مع ما كانوا فيه من المصيبة الكبرى، والرزية العظمى، وتشويش البال، واضطراب الأحوال، حتّى أنّه قيل: إنّ بعض الصحابة في تلك الحالة طرأ عليه الجنون، وبعضهم صار أخرس، وبعضهم أعمى، وبعضهم هام على وجهه، وبعضهم صار مقعداً لا يقدر على القيام، فكيف ظنك بأهل بيته عليهم السلام ممّا لم يجوّزه العقل، ولم يساعده النقل، وإلّا لكان جواب مقلديهم عن ذلك الطعن بذلك، وليس فليس.

وقد رووا جميعاً بلا خلاف فيهم أنّ الأوّل قال قبل وفاته: ثلاث فعلات فعلتها ووددت أنّي لم أفعلها: ووددت أنّي لم أبعث خالد بن الوليد إلى مالك بن نويرة وقومه، يعني المتسمّين بأهل الردّة، ووددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة وإن كان أغلق على حرب، ووددت أنّي لم أحرق الفجاءة^(٢). أقرّ على نفسه بذلك.

والقوشجي لغاية عصبته، أو لعدم ربطه بالأخبار الواردة في طرقه، أجاب عن خبر الكشف بأنّه لم يثبت عن الثقات. وعن خبر إحراق فجاءة السلميّ بأنّ إحراقه بالنار من غلظه في الاجتهاد، فكم مثله للمجتهدين.

وهذا منه طريف، فإنّ المجتهد من بذل جهده في استنباط الأحكام من الكتاب

(١) أصول الكافي ١: ٦٢، وبحار الأنوار ٢: ١١٠.

(٢) الخصال ص ١٧١ - ١٧٢، وتاريخ الطبري ٢: ٦١٩، وميزان الاعتدال ٢: ٢١٥.

وبحار الأنوار ٣٠: ١٢٣.

والسنة، ولا خفاء في أنّ السنة ناطقة بالنهي عن الإحراق، فإنّ النبي صلى الله عليه وآله قد نهى عنه، وقال: لا يعذب بالنار إلاّ ربّ النار. كما رواه الرجل القوشجي في شرحه، فكيف يكون هذا من الغلط في الاجتهاد، والغلط فيه إنّما يكون في الجمع بين الخبرين المتخالفين، أو أن يفسّر الخبر بما لا يكون من معناه لظنّه وعموم الخبر. روى الواقدي عن عبدالله بن الحارث بن الفضل، عن أبيه، عن سفيان بن أبي العرجاء السلمي، قال: كتب عبداللات إلى طريفة بن الحجازة وهو عامله: أمّا بعد، فإنّه بلغني أنّ الفجاءة ارتدّت عن الإسلام، فسر إليه بمن معك من المسلمين حتّى تقتله أو تأسره، فتأتيني به في ميثاق.

فسار إليه، فلمّا التقى قال الفجاءة: ما كفرت وإنّي لمؤمن، وما أنت بأولى بعبداللات منّي، أنت أميره وأنا أميره، قال له طريفة: إن كنت صادقاً فائق السلاح ثمّ انطلق إلى عبداللات فأخبره بخبرك، فوضع السلاح، فأوثقه طريفة في جامعة وبعث به إلى عبداللات، فلمّا قدم عليه أحرقه بالنار وهو يقول أنا مسلم (١).

وهل الإسلام إلاّ الإقرار باللسان من غير أن يعتبر فيه مطابقتها للجان، فإنّ العالم به ليس إلاّ الملك المّان، ولذا قال سيّد الإنس والجان: نحن نحكم بالظاهر والله يتولّى السرائر.

وفي تجارب الأمم، عن ابن مسكويه: أوقد في مصلى المدينة ناراً ثمّ رمي به. وهذا يدلّ على جهله بالأحكام، أو ردّه حديث خير الأنام عليه وآله السلام، مع أنّ الرجل لم يكن مرتدّاً عن فطرة بأن كان مسلماً بين مسلمين جحد محمّداً نبوتّه وكذّبه لو ثبت ارتداده، بل كان مرتدّاً عن ملّة، والمرتدّ المّلي لا يقتل فضلاً

عن أن يحرق، بل يستتاب إن تاب وإلا قتل .

وهذا الرجل المحروق ظلماً كان يقول بأعلى صوته: ما كفرت إني لمؤمن .

فعلى تقدير ارتداده وثبوته فقد تاب عنه، فكان من الواجب قبولها لا ردّها وإحراقه .

ثبت ممّا قرّرناه ونقلناه إيذاؤهم وإغضابهم لفاطمة عليها السلام وأيّ إيذاء وإغضب، ويلزم منه استحقاقهم اللعنة في الدارين، وعدم استحقاقهم الخلافة بقدر طرفة العين، فيثبت به مطلوبنا بكلا الخبرين، والحمد لله ما تعاقب الملويين، والصلاة على رسوله وآله المصطفين .

هذا، وقد روى أصحاب الحديث منهم ومنا عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال في مرضه الذي قضى فيه نحبه: لعن الله من تخلف عن جيش أسامة^(١). وكان الثلاثة من جيشه وفي من يجب عليه النفوذ معه .

ولذا قال المأمون في جواب جلّ من فقهاء السنّة لما ناظره بأنّ علياً عليه السلام قال في المنبر: خير هذه الأُمّة بعد نبيها أبو بكر وعمر: هذا مستحيل من قبل أنّ النبي صلى الله عليه وآله لو علم أنّهما أفضل ما ولي عليهما مرّة عمرو بن العاص، ومرّة أسامة بن زيد^(٢). ولما كانوا من جملة جيشه ولم ينفذوا معه ولم يفعلوا ذلك، استحقوا اللعنة على لسان نبيهم .

ولما عجز القوشجي عن الجواب على وجه الصواب منع صحّة الرواية، وهذا منه مكابرة؛ لأنّ كونهم من جيشه وولايته عليهم وتخلفهم عنه من المشهورات بين

(١) بحار الأنوار ٣٠: ٤٢٧ .

(٢) بحار الأنوار ٤٩: ١٨٩ و ١٩٢ .

الأمة، كما أشار إليه المأمون، ونحن قد بسطناها في رسالتنا الفارسية في الإمامة .
ولما كان الرجل السنّي منصفاً لم يمنع صحّتها، كما منعها القوشجي، وهذا من
أدبه ودأب نظرائه حين العجز وتمام الحجّة، فهم لا يقنعون إلا بالبرهان القاطع،
وهو السيف الصارم، أذاقهم الله حدّه من حيث لا يشعرون لكي لا يتنبّهوا بذلك
فيأخذوا في دفعه يمنعون .

فصل

قال المفضّل بن سلمة في كتاب المفاخر، وابن عبد ربّه في العقد، والخطيب في
التاريخ: إنّ أبا الفضيل فخر بين يدي النبي ﷺ، فقال دغفل النسابة: ممّن الرجل؟
قال: من قريش. قال: أفمنكم قصي بن كلاب الذي جمع القبائل من فهر فكان
يدعى مجمعاً؟ قال: لا، قال: أفمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكّة
مستّون عجافاً؟ قال: لا، قال: أفمنكم شيبه الحمد معظم السماء الذي كان وجهه
قمر مضيء ليلة الظلام الداجي؟ قال: لا .

قال: أفمن المفيضين للناس أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الندوة أنت؟ قال: لا،
قال: أفمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا، قال: فأنت من تيم الأردال الأندال، فما أنت
من أعلى قريش بل أنت من أداها، وعدّد مقابح رهطه .

فتبسّم النبي ﷺ، فقال عليّ عليه السلام: لقد وقعت من الأعرابي عليّ باقعة، قال: أجل
لكلّ طامة طامة، وإنّ البلاء موكل بالمنطق (١) .

وقال الكلبي: كان أبو قحافة دنياً ساقطاً، وكان يقوم عليّ سطح عبد الله بن
جدعان وينادي عليّ طعامه بأجرة، فيقول: هلمّوا إليّ الفالودج. وكان بعيد

الصوت، وكان يرزقه كل يوم أربعة دوانق^(١).

وقال أبو الحسن البلخي: كان أبو الفضيل خياطاً في الجاهلية، ودكّانه بمكة ظاهر، وكان ينادي للنجار على ثيابهم يبيع لهم .
وقال الكلبي: ثمّ كان أجيراً لخديجة في التجارة، وقالوا: كان يسرق فضول علف جمالها .

وسئل بعض الصادقين عمّا روي عن سيّد المرسلين، أنّه قال: ولد الزنا شرّ الثلاثة ما معناه؟ قال: عني به الأوسط أنّه شرّ ممّن تقدّمه وممّن تأخّره^(٢).
وهذا نصّ في أنّ زفر ولد الزنا، وقد ذكرنا ما في هذا الخبر مفصّلاً في كتابنا الموسوم بـ«جامع الشتات» فيطلب من هناك .

ويمكن أن تكون نسبة الأوسط إلى كونه ولد زنية إنّما طرأت من قبل جدّه وجدّته لا من جهة أبيه وأمّه، وذلك لما قد رواه أبو المنذر هشام بن محمّد بن السائب الكلبي من رجال العامّة ومن علماء السنّة في كتابه المثالب، قال: كانت صهّاك أمة حبشية لهشام بن عبد مناف، فوقع عليها عبدالعزّي بن رياح، فجاءت بنفيل جدّ عمر بن الخطّاب^(٣).

وهذا منهم غريب؛ لأنّهم ينسبون الشيعة إلى السبّ، وعلماء وهم يروون ما ترى، ثمّ يهملون هذا ويشتغلون في ذمّ الشيعة، وهذا من قلّة الإنصاف والخروج من الحقّ إلى الاعتساف .

(١) راجع: الافصاح للشيخ المفيد ص ٢١٢ .

(٢) معاني الأخبار ص ٤١٢ .

(٣) نهج الحقّ للعلامة الحلّي ص ٣٤٨ عنه .

ولعلّ هذا الذي ذكره الكلبي هو الوجه فيما ورد في كثير من الأخبار الواردة في الطرفين أنّهم كانوا يخاطبون الأوسط في مقام التوبيخ بـ «يابن صهّاك الحبشية» و «يابن السوداء الحبشية» هذا نسبه .

وأما حسبه، فروى ابن عبد ربّه في كتاب العقد في حديث استعمال عمر بن الخطّاب لعمر بن العاص في بعض ولايته، فقال عمرو بن العاص: قبح الله زماناً عمل فيه عمرو بن العاص لعمر بن الخطّاب، والله إنّني لأعرف الخطّاب يحمل على رأسه حزمة من حطب وعلى ابنه مثلها، وما مشياً إلّا في تمرّة لا تبلغ مضغة (١) .

أقول: ويل لمن كفره نمرود، فإنّ النابغة أمّ عمرو بن العاص بن وائل السهمي كانت أمة رجل سبيت، فاشتراها عبدالله بن جذعان، وكان بغياً لها، ثمّ عتقت ووقع عليها أبوليث وأمّية بن خلف وهاشم بن المغيرة وأبوسفيان والعاص وخديمة بن عمرو الخزاعي في طهر واحد، فولدت عمراً، فادّعى كلّهم، فحكمت فيه أمّه، فقالت: هو للعاص لأنّ العاص كان ينفق عليها، وقالوا: كان أشبه بأبي سفيان .

ثمّ إنّّه لما مات إبراهيم ابن النبي ﷺ هجا عمرو بن العاص النبي ﷺ بشمانين بيتاً وسمّاه أبتّر، فقال النبي ﷺ: إنّ عمرو بن العاص هجاني ولست بشاعر، اللهمّ فالعنه مكان ما هجاني (٢) .

وفي رواية أخرى: اللهمّ إنّّي لا أحسن الشعر، فالعنه بكلّ بيت سبعين لعنة، فنزلت سورة الكوثر رغماً له في كثرة أولاد النبي ﷺ، فقال: إنّ شانتك هو الأبتّر

(١) نهج الحقّ عن العقد الفريد ص ٣٤٨، وصحيح مسلم ١: ٣٢٢ كتاب التواضع .

(٢) بحار الأنوار ٣٣: ٢٢٨ .

يعني عمراً^(١).

وعن زيد بن أرقم: سمعت النبي ﷺ في آخر قنوته: اللهم العن معاوية أولاً، وعمراً ثانياً، والمغيرة ثالثاً، وأباموسى رابعاً، وأبالأعور خامساً^(٢).

وفي كتاب العقد، قال: خرج عمر بن الخطاب ويده على المعلى بن الجارود، فلقيته امرأة من قريش، فقالت: يا عمر، فوقف لها، فقالت: كُنَّا نعرفك مرّة عميراً، ثمّ صرت من بعد عمير عمر، ثمّ صرت من بعد عمر أمير المؤمنين، فاتّق الله يابن الخطاب، وانظر في أمور الناس، فإنّه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي من الفوت^(٣).

وأما عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، فسيأتي ما يدلّ على طعنه ولعنه بخصوصه، وكانت أمّه أروى بنت زيد بن ربيعة، وكان عقبة بن أبي معيط يتعشّق أروى أمّ عثمان.

فهرب بها إلى هشام بن المغيرة المخزومي، فخبأها، فولدت الوليد بن عقبة، فسماه باسم الوليد بن المغيرة، ثمّ ولدت عمارة بن عقبة، فسماه باسم عمارة بن الوليد بن المغيرة.

فلما عرف أهل بيتها ذلك، وأنها قد ولدت منه زوّجوه إياه، فلما قتل عثمان، قال الوليد بن عقبة:

لئن يك ظنّي بابن أمّي صادقاً عمارة لم يدرك بذحل ولا وتر

(١) الصراط المستقيم للبياضي ٣: ٥١، بحار الأنوار ٤٤: ٨١.

(٢) بحار الأنوار ٣٣: ٣٠٣، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٦٠ و ١٣: ٣١٥.

(٣) نهج الحقّ للعلامة الحلّي ص ٣٤٨ عنه، والطرائف ص ٤٦٨.

وروي أن عثمان كان يصفر لحيته، ويشد أسنانه بالذهب .
وفي كتاب أوائل الأسياء: أن عثمان كان حائكاً، وأنه كان مختنئاً به بغاء .
ومما يدل على طعنه ولعنه أن معاوية بن المغيرة أبي العاص، وهو الذي ادعى
أنه جدد أنف حمزة، وأنه رمى النبي ﷺ فأدماه، فضرب الله عليه الفقر حتى أدخله
المدينة، فصار إلى عثمان وهو ابن عمه فخبأه .

وأنفذ رسول الله ﷺ في طلبه أمير المؤمنين ﷺ وزيد بن حارثة، فوجداه في
بيت عثمان، فأتيا به رسول الله ﷺ وعثمان معه، فجعل عثمان يتكلم رسول الله ﷺ
وهو يعرض عنه .

ثم صفح له عنه وشرط عليه أنه إن وجد بعد ثلاث قتله، فأخذه عثمان وانطلق
به، فقال رسول الله ﷺ: لعن الله من يحدوه أو يحمله أو يزوده .
فأدخله عثمان منزله، فحذاه وحمله وزوده، وأعطاه سيفاً فخرج وركب راحلته
فزّل عنها، فمشى فأثقت نعلاه فطرحهما، ومشى فسقطت رجلاه، فجثى على
ركبتيه، فانتفيتا فصار إلى أصل شجرة فاستكنّ تحتها، فأنفذ رسول الله ﷺ زيداً
وعماراً فقتلاه .

فجاء عثمان إلى رقية، فقال لها: أنت أعلمت أباك بخروج معاوية فضربها،
فأتت رسول الله ﷺ تشكو إليه، فقال: إني لأكره للحرّة أن تشكو زوجها كل يوم .
فقالت: والله لا أشكوه إليك يا رسول الله وانصرفت، فقال لها عثمان: شكوتني
ثم ضربها ضرباً مبرحاً، فشكته إلى فاطمة ﷺ، فقالت: إن عثمان قد ضربني
ومات بعد يومين .

فلما خرج رسول الله ﷺ لرقية إلى القبر لعن عثمان خمس مرّات إلى أن بلغ
القبر. وقال رسول الله ﷺ: لا يتبعنا أحد ألمّ بجاريتة البارحة أو بأهله، فرجع أناس

كثير من الأنصار وغيرهم .

وكان عثمان تلك الليلة مع جارية لرقية، فلما سمع كلام النبي ﷺ جعل يتوكأ على غلام له، واستأذن رسول الله ﷺ في الرجوع وشكى ألماً يجده، فأذن له، فقال من رجع من أنصار: لعن الله عثمان لما أحرمت الصلاة على بنت رسول الله ﷺ (١). إن قلت: لو كان الأمر كذلك، لكان من الواجب على رسول الله ﷺ أن يقتله . قلت: يعلم جوابه ممّا قال أمير المؤمنين عليه السلام في جواب أصحابه لما رأوا عدول أبو موسى الأشعري من الكتاب والسنة، ورجعوا إلى أنفسهم باللوم، واعتذروا إليه من ذنبهم، وقالوا: ما علمنا أنه يجري من أبي موسى ما جرى، وقالوا: ليت لنا ما نطعك ولم نرجع إلى قولك كنت ضربت رقابنا، حيث علمت أن الحال يؤول إلى ما آلت .

حيث قال: ما كان ينبغي أن أقتلكم في ذلك؛ لأنني لو فعلت ذلك لكان داعية إلى ترك أتباعي، وتقوية حجة الخصم؛ لأن الإمام إذا قتل أتباعه على حالة لم يتحققها العدو والولي، كان ذلك منقراً عنه أتباعه، وداعية إلى اجتنابه عند من لا اعتبار له في الأدلة (٢).

وقد كان مع النبي ﷺ جماعة من المنافقين، وكان قادراً على قتلهم، فلم يمنعه إلا خشية من أن يقول المشركون: إن محمداً قتل أتباعه، فلا يسكن أحد إلى أتباعه وقبول دعوته، وتركهم بسبب هو أعظم من ذلك، وهو أن يظهر الله تعالى من أصلاهم من يعبد الله تعالى .

(١) فروع الكافي ٣: ٢٥١-٢٥٣ .

(٢) العمدة لابن البطريق ص ٣٢٩ .

ويدلّ على الوجه الأوّل ما في حديث عمّار وحذيفة في أصحاب العقبة، وهم أبو فلان وفلان فعلة والفعيل، وأبوسفيان، ومعاوية، وعمرو، وأبو الأعور، وسعد، وسعيد، وخالد بن الوليد، وخالد بن عرفطة، والحكم بن أبي العاص، ومروان، والأشعث بن قيس، وجريير بن عبد الله البجلي، وأبو حذيفة مولى سالم، وأبو هريرة، وأبو موسى، وأبو عبيدة، وعبدالرحمن، وأبو قتادة، وسالم، والمغيرة .

حيث قال: قلت: أفلا تضرب برقابهم؟

قال: أكره أن يتحدث الناس أن محمداً استنصر بقوم، حتّى إذا استظهر على أصحابه قتلهم، ولكن الله أخبرني بخبر القوم وسماهم، فانطلق فادع لي الذين في ذلك الخباء، فكانوا خمسة عشر رجلاً .

فانطلق القوم معي، فلما نظر إليهم استرجع، وقال: ما حملكم إلى هذا الفعل العظيم، وذكر عن كلّ واحد منهم قوله وعنتهم، فكانوا يقولون: إننا لن نؤمن بك قبل الساعة يقيناً، وظننا أن الله لا يطلعك عليه، فجعل النبي ﷺ يخرج أضغانهم . وفي رواية الأصبغ، أنه قال: أرادوا والله قتل محمداً ﷺ، فلما رأهم رسول الله ﷺ، قال: منافقون إلى يوم القيامة الحديث (١) .

ومما يدلّ على طعنه ولعنه أنه أسقط القود عن ابن عمر مع وجوبه عليه . بيان ذلك: أن الهرمزان كان رئيس فارس، وأسر في فتح أهواز، وقد أسلم على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثمّ أعتقه من قسمته من الفداء، فقتله عبيد الله بن عمر لما ضرب أبو لؤلؤة عمر .

ف قيل لعمر: إن عبيد الله قد قتل الهرمزان .

فقال: أخطأ فإنّ الذي ضربني أبو لؤلؤة، وما كان للهرمزان في أمري صنيع، وإني إن عشت احتجت إلى أن أقيده، فإنّ علي بن أبي طالب لا يرضى الدية وهو مولاه .

ومات عمر، واستولى عثمان بعده على الناس، فقال علي عليه السلام لعثمان: إنّ عبيد الله قتل مولاي الهرمزان بغير حقّ وأنا وليه والطالب بدمه، فسلمه إليّ لأقيده به .

فقال: بالأمس قتل عمر وأقتل اليوم ابنه، فامتنع من تسليمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام شفقة منه على آل عمر، فلمّا رجع الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام هرب عبيد الله إلى الشام، فصار مع معاوية محارباً^(١) .

ومن الغرائب أنّ القوشجي أجاب عن هذا بأنّه اجتهد. ولا محلّ للاجتهاد هنا، لأنّه تعالى يقول: ﴿النَّفْسُ بِالنَّفْسِ﴾ ويقول: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ وكان الرجل حرّاً مسلماً مكافئاً للقاتل، وقد وقع قتله بغير حقّ، فأبيّ معنى للاجتهاد .

ثمّ لو كان دمه هدراً، فكيف يسوغ لعلي بن أبي طالب عليه السلام أن يطالب بدمه ويقيده به؟ وكيف يقول عمر: إني لو عشت لاحتجت إلى أن أقيده به؟

فما ذكره القوشجي بقوله: وروي أنّه لا يلزم حكم هذا القتل؛ لأنّه وقع قبل عقد الإمامة له. هذيان؛ فإنّ على الإمام أن يحكم في زمان إمامته في الوقائع الواقعة بحكم الله، وقعت تلك الوقائع في زمان إمامته أم قبله .

وإلاّ لزم منه تعطيل كثير من حدود الله وأحكامه، فإنّه لو سرق سارق أو زنا زان في عهد عمر، ولم يتفق له أن يحكم بحكم لمانع من هرب السارق، أو امتناعه

لمزيد قوّة وشوكة، إلى أن مات عمر وعقد الأمر لعثمان، وهو متمكّن من إجراءاته عليه، يلزم ممّا ذكره أن لا يلزمه ذلك، بل له أن يعطله ويعلّله بأنّه ممّا وقع قبل عقد الإمامة له، وهذا ممّا لم يقل به أحد من الأئمة .

وبالجملة قد تعدّى هنا عثمان حدّ الله، ومن يتعدّد حدود الله فأولئك هم الظالمون، وقيل بعداً للقوم الظالمين، بل لعنة الله على القوم الظالمين .

وممّا يدلّ على طعنه بل كفره ولعنه: أنّ الصحابة خذلوه بل قتلوه وصلبوه، وفعلوا به ما لا يفعل إلاّ بالكافر، ولم يدفنوه إلى ثلاثة أيّام، ثمّ دفنوه في ثيابه من غير غسل ولا صلاة عليه حيث يدفن فيه اليهود، فلولا علمهم باستحقاقه ذلك لما ساغ لهم ذلك .

وقول علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه - «قتله الله»^(١) صريح في أنّ قتله كان بحقّ، وكذا قول الصبيان الذين كانوا يرمونّه بالحجارة حين أخرجه مروان إلى الدفن :

أبـاعـمـر أبـاعـمـر رـمـاك الله بـالـحـجـر
أبـاشـرّ عبـاد الله فـي البـدو وفـي الحـضـر
يدلّ عليه .

ولنذكر طرفاً ممّا جرى عليه وقت المحاصرة ليظهر منه حقيقة حاله وسوء مآله. قال الواقدي في كتاب الدار وجماعة من أهل التاريخ: كان المصريون الذين حصروا عثمان ستمائة رجل، عليهم محمّد بن حذيفة في عتبة وربيعة،

وعبدالرحمن بن عديس البكري^(١)، وكنانة بن بكر^(٢)، وعامر بن عبدالقيس،
وعبدالله بن سبأ، وسودان بن حمران. ومن الكوفة مائتا رجل، عليهم مالك الأشتر
النجعي، وزيد بن صوحان العبدي. ومن البصرة مائة رجل، عليهم حكيم بن جبلة
العبدي، وبشر بن شريح، وحرقوق بن زهير، وكانوا ألفي رجل، واجتمع أهل
المدينة كلهم وحاصروه في داره .

فاستغاث إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فأمره بعهد، فكتب: هذا ما كتب الثالث لمن نقم
عليه من المؤمنين والمسلمين أن لكم عليّ أن أعمل بكتاب الله، وأن المحروم
يعطى، والخائف يؤمّ، والمنقّي يردّ، والفيء لا يكون دولة بين الأغنياء، وعلي بن
أبي طالب ضامن للمؤمنين والمسلمين، وعلى الثالث الوفاء لهم بهذا الكتاب، شهد
الزبير وطلحة وسعد وعبدالله بن عمر وأبو أيوب، وكتب في ذي القعدة سنة خمس
وعشرين .

وأخذ الناس وانصرفوا، فوجدوا في ليله غلامه ضمن كتاباً في قارورة إلى
عبدالله بن صرح أمير مصر: إذا أتاك القوم فاضرب أعناقهم، فانصرفوا وقالوا في
ذلك، فأنكر الكتاب وحلف عليه .

فقال المصريون: إذا كنت ما كتبته ولا أمرت به، فأنت ضعيف من حيث أن
يكتب كاتبك ويختمه بخاتمك، وينفذ بيد غلامك بغير إذنك، ومن كان هكذا لا
يصلح أن يكون والياً على أمور المسلمين، فخيروه بين العزل والقتل، فخرج
وعليه قميص من قمص أهل العراق تفاحية .

(١) في شرح النهج: عديس البلوي .

(٢) في شرح النهج: بشر .

فلما دخل المسجد جعل الرجل يجذب ثوبه، ثم يقول: يانعتل؟! فإذا نظر إليه تركه، ثم يجذب آخر فيفعل به ذلك، فما انتهى إلى المنبر حتى مزقوا عليه ثيابه، فصعد المنبر ومعه عصاء النبي ﷺ .

ثم قال: أيها الناس إن السامع المطيع له الحجّة ولا حجّة عليه، وإنّ المذنب العاصي عليه الحجّة، ولا حجّة له إن كنتم إنّما نقمتم عليّ في الدينار والدرهم، فهذه مفاتيح بيت مالكم ادفعوها لمن شئتم. وإن كنتم إنّما نقمتم في سربال البنية الله فقلتم أنزعه هذا والله ما لا يكون أبداً .

فقال جهجاه بن سعيد الغفاري وهو ابن عمّ أبي ذرّ: ولا كرامة ولكنّا نوثقك في كنعك، ثمّ نحملك على سارف كريم يتحرّك حتى ينزلك حقّ جبل الدخان، فقال: ويل عليك ما باض نصر أمّه ثمّ نزل، فعلاه بالعصا واجتذباه وكسراها وهي العصا المضيئة التي يخطب بها الخلفاء يوم العيد، فأراموه الناس بالحصى .

وكان الحسن البصري يقول: شهدت يومئذ المسجد، وقام أناس من أهل بيته فدافعوا الناس عنه حتى دخل الدار، فما خرج منها حتى قتل، فحاصره أهل المدينة في داره، فأشرف عليهم يكلمهم إذ رمى كثير بن الصلت خازن عثمان على بيت المال، فقتل سنان بن عياض الأسلمي صاحب رسول الله ﷺ، فقالوا: إدفع إلينا كثيراً لقتله، فامتنع فقاتلوه، وهاجموا عليه من دار عمرو بن حزام الأنصاري.

وروي عن ثابت مولى عائشة، قال: رأيت رفاعة بن رافع البدري ومعه ناس وغلّام يحمل حطباً وناراً، فقلت: إلى أين يا أبا عبيدة؟ قال: إلى دار قرمان أحرق وأهدم، وقال حيّان بن صخر: رأيت طلحة يرمي بأسهم وعليه الدرع. وروي أنّه كان عثمان يقول: اللهمّ اكفني طلحة ويكرّر ذلك .

وقال عبدالرحمن بن أبي ليلى: رأيت الزبير عند الزورا عليه درع متقلّد

بالسيف، فقلت: يا أبا عبدالله حيل بين الدار وبين الماء، فقال: بعداً وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل .

وقال الواقدي: إنَّ محمّد بن مسلمة كان يأتي وعثمان محصور، فيقال له: عثمان مقتول فقتل نفسه، قال: فبدر إليه عمّار، فوجاه بالمشقص، وأقبل إليه محمّد ابن أبي بكر ف جذب بلحيته، فقال: مهلاً يا بن الأخ طال ما رأيت أباك يبجل هذه الشيبة، فقال: لو أدركت أبي مدركك لأضجعتة مضجعك .

وروي أنّه ضربه عمرو بن الحمق تسعة ضربات. وروي أنّه ضربه رجل على رأسه عموداً .

وقال أبو جعفر: صحّت في الرواية أنّ قاتله كنانة بن بشر، وسودان بن بكران المرادي، ولما قتلوه أرادوا جزّ رأسه، فوقعت عليه أمّ البنين والنسوان، فترك لا يدفن حتّى بايع الناس أمير المؤمنين عليه السلام .

فأرسل أمّ بنت أبي سفيان تستأذنه في دفنه بعد ما تعيّر، فأذن لها، فأخرجوه ثلاثة يحملونه والرابعة امرأته، فلما انتهوا به إلى البقيع، قالوا: لا يدفن اليوم في قبور المسلمين، ورمي بالحجارة، فانتهى به إلى حشّ كوكب حيث يدفن اليهود فدفنوه، وأقبل عمير بن حبابة البرجمي وهو موضوع على باب القبر، فكسر ضلعاً من أضلاعه .

وفي رواية شقيق بن سلمة: فلما حجّ معاوية نظر إلى قبره، فأمر أن يدفنوا موتاهم في موضع قبره إلى جانب جبانة المدينة لكي يستر أمره (١) .

(١) راجع حكاية مقتله بتفاصيله إلى شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١٢٩ - ١٥٨،

وبالجملة أمثال هذه الأخبار المذكورة في صحاحهم وغيرها كثير، والعاقلة إذا تأمل فيها علم أنّ نقلهم إياها كان من غير روية، ولعلّه سبحانه أجراها على لسانهم، وسبب لهم الباعث على نقلها ليكون ذلك حجة عليهم، وفضيحة عند الله وعند الناس. فهذه حجّتنا عليهم في وجوب إظهار البراءة منهم واللعن عليهم، مع قطع النظر عمّا ورد في ذلك من طريق أهل بيت العصمة والطهارة - صلوات الله عليهم - فإنّ الآية المذكورة في صدر الرسالة بانضمام الأخبار الواردة في طرفهم حجة ناهضة على وجوب اللعن عليهم، كما لعنهم الله في الدنيا والآخرة، وأعدّ لهم عذاباً مهيناً .

فصل

ما ورد في أصحاب الجمل

وأما الحميراء، وهي أمّ الشرور، فلما حاربت علياً عليه السلام، وقد جاء في خبر صحيح رواه عنه عامّة العامّة: يا علي حربك حربي ^(١). ولا شكّ في كفر من حارب النبي صلى الله عليه وآله، كانت كافرة بذلك، فوجب طعنها ولعنها .

وأما ما رووا من حديث توبتها وتوبة أصحاب الجمل، فيكون من مقولة ما روي أنّ عمّاراً كان يعاتب أبا موسى الأشعري، ويوبّخه على تأخّره عن علي بن أبي طالب عليه السلام، وقعوده عن الدخول في بيعته، وكان يقول له: يا أبا موسى ما الذي أخرك عن أمير المؤمنين، والله لئت شككت فيه لتخرجنّ عن الإسلام .

وكان أبو موسى يقول له: لا تقل ذلك ودع عتابك فإنّما أنا أخوك .

فقال له عمّار: ما أنا لك بأخ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يلعنك ليلة العقبة وقد هممت

مع القوم بما هممت، فقال له أبو موسى: أفليس قد استغفر لي؟ قال عمّار: قد سمعت اللعن ولم أسمع الإستغفار^(١). فإنّ حريهم معلوم ومسموع، وخبر توبتهم غير معلوم ولا مسموع، والعاقل لا يترك المعلوم بغير المعلوم.

وبعبارة أخرى: حريهم دراية، وخبر توبتهم رواية، والعاقل لا يترك الدراية بالرواية، ونحن قد أوضحنا ذلك في بعض رسائلنا في المناظرة، فليطلب من هناك.

وأني تكون لها التوبة؟ وقد قال محمد بن إسحاق: إنّها لما وصلت في منصرفها من البصرة إلى المدينة لم تزل تحرّض الناس على قتل أمير المؤمنين عليه السلام، وكتبت إلى معاوية وأهل الشام مع الأسود بن البخري تحرّضهم عليه.

وقال مسروق: أنّي دخلت على عائشة، فجلست إليها، فحدّثتني واستدعت غلاماً لها أسود، يقال له: عبدالرحمن حتّى وقف، فقالت: أتدري لِمَ سمّيته عبدالرحمن؟ فقلت: لا، قالت: حبّاً لعبدالرحمن بن الملجم^(٢).

أقول: وهذا يدلّ على أنّ هذه الشجرة الملعونة المشبّهة بالقطامة الخارجية، كانت راضية بما فعله ابن الملجم من قتله أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وقد ورد أنّ من غاب عن أحد فرضي به كان كمن شهده وأتاه^(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا عملت الخطيئة في أرض، فمن أنكرها كان كمن غاب

(١) بحار الأنوار ٣٣: ٣٠٥.

(٢) كتاب الجمل للشيخ المفيد ص ١٥٩.

(٣) تهذيب الأحكام ٦: ١٧٠، وبحار الأنوار ٥: ٢٨٣ و ١١: ٣٢٠ و ٩٧: ٨١.

عنها، ومن رضيها كان كمن شهدها^(١).

وقد ثبت بالعقل والنقل أنّ الراضي بفعل المحسن شريك له في إحسانه، والراضي بفعل المسيء شريك له في إساءته، من جهة المدح والذمّ والأجر والإثم. وقد ذمّ الله تعالى من كان من اليهود في عصر نبيه بإضافته قتل أنبيائهم إليهم، وإن كان المباشر لذلك من تقدّمهم من آبائهم لرضائهم به وموافقتهم إيّاهم. وفي العقد: إنّه قيل ليهلول: أتستم فاطمة عليها السلام ونعطيك درهماً؟ قال: لا بل أستم عائشة وأعطوني نصف درهم.

وقالت أمّ أفعي العبدية لها: ما تقولين في امرأة قتلت ابنها صغيراً؟ قالت: وجبت لها النار، قالت: وما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الكبار سبعين ألفاً في ليلة واحدة، فقالت: خذوا بيد عدوّ الله^(٢).

أقول: لا شبهة في أنّ عدوّ الله ورسوله وأوليائه كانت هي لا هي، ولكن الحقّ عندهم مرّ، ومن دأب هؤلاء رجالهم ونساؤهم أنّهم إذا احتجّوا أو أسمعوا كلمة حقّ تضرّهم أنكروها، وإن كانت من المشهورات والبدييات.

روي أنّه دخلت امرأة من خدمات خديجة على النبي صلى الله عليه وآله، فاستعبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت عائشة في ذلك، فقال: استعبرت لفقدها، يعني خديجة، فقالت: وما استعبارك لحمى الساقين عجوز من عجائز في غابر الدهر، فغضب النبي صلى الله عليه وآله حتّى درّ العرق.

ثمّ قال: يا حميرا اقصري هذا، فإنّك تكثري أن تسولينني، كانت أكرم منك

(١) كنز العمال ٣: ٧٠ برقم: ٥٥٣٧.

(٢) الطرائف للسيد ابن طاووس ص ٢٩٣، والضراط المستقيم للبياضى ٣: ١٦٦.

حسباً، وأحسن منك وجهاً، وأعلم ما يجب عليها من حقّ الزوج، بذلت إليّ مالها، ورزقت لي منها الولد الطيب إذ لم ترزقيه، ونصرتني وقدّمتني علىّ جميع قومها، اللهمّ فأجزها جنة عرضها السماوات والأرض .

قال: فدخل أبوها وهي تبكي، فقال: يا بنتاه ما يبكيك؟ فقالت: أما تعجب أن قال لي محمّد لما ذكرت خديجة كيت وكيت، فقال لها أبوها: والله لو شعر بسحر خديجة له لما قال ذلك، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: اللهمّ إن قريشاً استخفّ بمقعد نبيك، ثمّ دعا عليه. وقد مرّت عداوتها لولي الله .

وفي خصال الملوك: عن ابن جبير، عن ابن عبّاس، لما انهزم أصحاب الجمل نزلت عائشة في قصر بني خلف بالبصرة، فأرسلني إليها أمير المؤمنين رضي الله عنه فيأمرها بقلّة العرجة بالبصرة، والتهيئة للمسير إلى المدينة، فلما دخلت عليها قالت: خطأت السنّة يا بن عبّاس دخلت بيتي بغير إذني، وجلست وسادتي بغير أمري، فقلت: نحن علّمناك السنّة، ونحن أعلم بها منك وأولى، فإنما بيتك الذي أجلسك الله ورسوله، لقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فخرجت من بيتك ظالمة لنفسك عاتية على ربك .

وساق الكلام إلى أن قال: فقالت: أرحل والله عنكم، أما والله ما في الأرض بلداً أبغض إليّ من بلد أراكم فيه يا بني هاشم^(١).

وبالجملة معاداة الحميراء لبني هاشم وأهل البيت وعدم رجوعها وتوبتها عن ذلك مشهور وفي كتب الجمهور مسطور .

وفي رواية نصر بن مزاحم المنقري، عن عبدالرحمن بن مسعود السعيدي، عن

الشعبي: أنها شاورت أم سلمة في الخروج إلى قتلة عثمان، فقالت لها: بالأمس تشهدين عليه بالكفر، وهو اليوم قتل مظلوماً، وما للنساء ومقاتل الرجال، أخرجين علي أمير المؤمنين وأنت امرأة من بني تيم وعثمان من بني أمية، ثم قالت: أتذكرين يوماً قال النبي ﷺ: لا تنتهي الأيام والليالي حتى يصاب كلاب الحوآب امرأة من نسائي في فته باغية، فسقط الاناء من يدي (١).

أقول: الحوآب منزل بين مكة والبصرة علي ما في نهاية ابن الأثير (٢). نزلت بها عائشة في ذهابها إلى البصرة في وقعة الجمل، فبحتها كلابها، فأرادت الرجوع وقالت: سمعت رسول الله يقول لأزواجه: إن أحدكن تنبها كلاب الحوآب في التوجه إلى قتال وصبي علي بن أبي طالب، فشهد سبعون رجلاً أن ذلك ليس بماء الحوآب، فكانت أول شهادة شهد بها في الإسلام بالزور (٣).

وقال سالم بن الجعد: ذكر النبي ﷺ خروج بعض نسائه، فضحكت الحميراء، فقال: انظري يا حميراء لا يكونن هي، ثم التفت إلى علي عليه السلام، فقال: يا أبا الحسن إن وليت من أمرها شيئاً فافرق بها (٤).

وقال الأزرق بن الأزرق: قلت لحذيفة في أيام عمر: كادت الحميراء تموت، فقال: ليتها ماتت، ثم قال: والله لتأتينكم علي جمل أحمر تقتلون حولها علي عمي. وروي أن علياً عليه السلام قال: اقتلوا الجمل فإنه شيطان (٥).

(١) بحار الأنوار ٣٢: ١٤٩ - ١٥٠.

(٢) نهاية ابن الأثير ١: ٤٥٦.

(٣) مستدرک الحاكم ٣: ١٢٠، ومسنَد أحمد بن حنبل ٦: ٩٧.

(٤) مستدرک الحاكم ٣: ١١٩.

(٥) بحار الأنوار ٣٢: ١٨٢.

وفي رواية: أنها كانت تركب وتحمل السلاح، وقطع أربعمائة يد على خطام جملها، وهي بذلك مسرورة^(١).

وفي تاريخ الطبري: قال سهل بن سعد: إنَّ عسكر البصرة لما أخذوا عثمان بن حنيف، شاوروا عائشة في أمره، قالت: اقتلوه، قالت لها امرأة: نشدتك الله يا أمَّ المؤمنين في عثمان وصحبتة لرسول الله ﷺ، فقالت: إحبسوه فلا تقتلوه، فضربوه وتنفوا شعره كله^(٢).

وأمثال هذه الأخبار الدالة على طعنها ولعنها أكثر من أن تحصى.

وفي رواية الواقدي: إنه لما رأى مروان حثَّ طلحة على الحرب، قال: يا غلام والله إنِّي لأعلم أنه ما حرّض على قتل عثمان يوم الدار كتحريض طلحة ولا قتله سواه، ولكن استرني وأنت حرّ، فستره الغلام، ورماه مروان بسهم فأصاب طلحة، فسقط مغشياً عليه.

ثم أفاق وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أظنَّ والله إنا عينا بقوله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾.

ثم قال لغلامه: ويحك اطلب لي مكاناً أدخله فأكون فيه، فلم يجد، فقال: والله ما رأيت اليوم دم قرشي أضيع من دمي، وما أظنَّ هذا السهم إلاً سهماً أرسله الله، فكان أمر الله قدراً مقدوراً، فلم يزل يقول ذلك حتى مات، ودفن بموضع يقال له: السبخة، ولم يقبل عليه أحد.

فمرَّ به أمير المؤمنين عليه السلام وهو قتيل، فقال لأصحابه: اجلسوا فعلة، فأجلسوه،

(١) الصراط المستقيم للبيضاوي ٣: ١٦٢.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ١٧٨.

فقال: وجدت ما وعدك ربك حقاً، فقد وجدت ما وعد ربِّي حقاً^(١).

وقال في موضع آخر: وقد مرّ به لقد كان لك برسول الله صحبة، ولكن دخل الشيطان منخرك فأوردك النار^(٢).

وكتب ﷺ بالفتح، فكان فيه: إنَّ الله قتل فعلة والفعيل على شقاقهما وبغيهما ونكتهما وهزم جمعهما، في كلام طويل^(٣).

وكان الزبير في أول أمره محارباً، وفي آخره خاذلاً، وحكم طلحة أشد؛ لأنّه قتله مروان اغتيالاً في المعركة، وهو مصرّ على قتال الإمام.

وقوله «ما رأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعي» يدلّ على الإصرار وفقد التوبة، وأصابهما دعاء النبي «اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه».

وأما الزبير بن العوام، فقد قيل: إنّ علياً ﷺ لما خرج إلى ما بين الصّفين بعد أن قال: اللهمّ إنّ طلحة والزبير أعطيانى صفقة بيديهما طائعين، ثمّ نصبا إليّ الحرب وظاهرا عليّ، اللهمّ فاكفنيهما بما شئت وكيف شئت، نادى بأعلى صوته: أين الزبير ابن العوام؟ فليخرج إليّ.

فخرج إليه الزبير، فقال: أنشدك بالله أما تذكر يوماً جاء رسول الله ﷺ من عند عبدالرحمن بن عوف وأنت معه وهو أخذ بيدك، فاستقبلته فسلمت عليه، فضحك في وجهي وضحكت إليه، قلت: أنت لا تدع بابن أبي طالب زهوة، فقال: مهلاً يا

(١) بحار الأنوار ٣٢: ٢٠٠ و ٢٠٧، وكتاب الجمل للشيخ المفيد ص ٣٩١، والنصائح الكافئة ص ٢٦.

(٢) بحار الأنوار ٣٢: ٢٠٠، والاحتجاج ١: ١٦٣، والصرط المستقيم ٣: ١٧٣.

(٣) الفصول المختارة ص ١٤٢.

زبير ليس بعلي زهو ولتخرجنّ عليه يوماً وأنت ظالم له .

فقال الزبير: اللهم بلّى ولكنّي نسيت ذلك، وبعد أن أذكر فيه لأنصرفنّ، ولو ذكرت هذا ما خرجت عليك .

ثمّ كرّر راجعاً، فقالت له عائشة: ما وراءك يا أبا عبدالله؟ فقال لها: والله ما وقفت موقفاً ولا شهدت مشهداً في شرك ولا إسلام إلّا وأنا فيه على بصيرة، وأنا اليوم على شكّ من أمري، وما أكاد أبصر موضع قدمي، ثمّ شقّ الصفوف وخرج من بينهم وأخذ طريق مكة، فنزل على قوم من تميم .

فقام إليه عمرو بن جرموز المجاشعي، فضيّفه وخرج معه إلى وادي السباع، وأراه أنّه أراد مساعدته ومؤانسته، فقتله غيلة (١).

وهذا يدلّ على ضلالته وبقائه على حيرته .

وفي خبر: إنّ الزبير قال لعلي عليه السلام: كيف أرجع الآن إنّّه لهو العار، قال: إرجع بالعار قبل أن يجتمع عليك العار والنار، قال: كيف أدخل النار؟ وقد شهد لي رسول الله ﷺ بالجنة، رواه عثمان، قال: سمعت رسول الله يقول: عشرة في الجنة حتّى عدّ تسعة، قال: فمن العاشر؟ قال: أنت، قال: أمّا أنت فقد شهدت لي بالجنة، وأمّا أنا فلك ولأصحابك من الجاحدين .

ولقد حدّثني حبيبي رسول الله ﷺ، قال لي: تسعة ممّن ذكرت في تابوت من النار في الدرك الأسفل من الجحيم، على ذلك التابوت صخرة، إذا أراد الله عذاب أهل الجحيم رفعت تلك الصخرة، قال: فرجع الفعيل (٢).

(١) كشف الغمّة ١: ٢٤٠، وكشف اليقين ص ١٥٣ .

(٢) بحار الأنوار ٣٢: ١٣٥ و ٣٦: ٣٢٤، والصراف المستقيم للبيضاوي ٣: ١٧١ .

وقال أصحاب النسب: إنّ الفعيل بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّي بن قصي بن كلاب بن مرّة الأسدي، كان أبوه علجاً من الروم، وكان طبيياً، وإنّ صفة أصابها مرض لم يكن لهم بعلاجها سبيل إلاّ بأن زوّجوها بذلك العالج، فأولدها الزبير .

وقيل أيضاً: إنّّه كان من القبط وكان غوّاصاً، وهو العوّام في اللغة، وكان عند خويلد بن أسد فتبناه ولحق بنسبه، فنازعه عثمان، فقال: أنا ابن صفة، فقال عثمان: هي أدتك من الظلّ ولولاها كنت ضاحياً، وذلك أنّه كان لعبدالمطلب ولأولاده مجلس في ظلّ الكعبة دون غيرهم، فتشفت أن يهبوا لابنها مجلساً معهم فأعطوه .

ونحن قد ذكرنا نبداً من أحوال فعلة والفعيل، وكونهما وكون أصحاب الجمل من الكافرين وإن كانت منهم أمّ المؤمنين، في بعض رسائلنا في المناظرة، فليطلب من هناك .

فصل

ما ورد في أصحاب الصّفين

وأما أبو سفيان، فأمره ظاهر في معاندة النبي ﷺ أولاً وآخراً، وتكذيبه وقود الجيوش إليه في بدر وأحد والخندق وقتل حمزة، ثمّ إنّّه كان من المؤلّفة قلوبهم، ثمّ دخل في الإسلام، وكان من الطلقاء (١) .

وروي أنّه دخل على عثمان وهو مكفوف، فقال: ما هاهنا أحد؟ قالوا: لا، قال:

(١) الطلقاء: هم الذين خلّي عنهم يوم فتح مكّة ولم يسترقّهم، واحدهم طليق فعيل بمعنى مفعول، وهو الأسير إذا أطلق سبيله «منه» .

إِنَّ الأَمْرَ أَمْرٌ عَالِمِيَّةٌ وَالْمَلِكُ مَلِكٌ جَاهِلِيَّةٌ، فَاجْعَلْ أَوْتَادَ الأَرْضِ بَنِي أُمِيَّةٍ .
 وكان أحد المشهورين بالزنا، والنبي ﷺ لعنه في موطن حين خرج إلى الشام،
 فلقبه أبوسفیان فهم بقتله فلعنه، ويوم بدر إذ طرد العير فأحرزها من رسول الله ﷺ
 فلعنه، ويوم أحد إذ قال: أعلیٰ هبل فوق ذروة الجبل، فلعنه، ويوم الجعد إذ جاءه
 يجمع بين كندة فلعنه، ويوم الحديبية إذ قال النبي ﷺ: اكتب من محمد رسول الله،
 قال أبوسفیان: لا ولا كرامة ما هو رسول الله فلعنه، ويوم الفتح إذ بلغه أن معاوية
 يريد أن يسلم فكتب: يا صخر لا تسلمن طوعاً فتفضحنا الأبيات فلعنه (١) .

وفي الفردوس: يروى أنه لذعت النبي ﷺ العقرب وهو قائم يصلي، أو حين
 افتتح الصلاة، فأخذ النعل فضربها، وقال: لعنك الله مسخ بني أمية، فما تدرين برّاً
 ولا فاجراً (٢) .

وعن الرضا حدثني أبي، عن جدّي، عن علي بن الحسين ﷺ، قال: ما نزل
 جبرئيل ﷺ في بني هاشم إلا ونزل إبليس في بني أمية برايته نحن وهم ضدان،
 نقول: صدق الله، ويقولون: كذب الله، قاتل أبوسفیان النبي ﷺ، وقاتل معاوية
 علياً ﷺ، وقاتل يزيد الحسين ﷺ (٣) .

وعن ابن مسعود: لكل شيء آفة، وآفة هذا الدين بنو أمية (٤) .
 وذكر أهل البيت ﷺ أن أمية ليس من قريش، وأن أصلهم من الروم، وفيهم

(١) الخصال ص ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(٢) فردوس الأخبار ٣: ٥١٥ .

(٣) معاني الأخبار ص ٣٤٦ .

(٤) نهج الحق للعلامة الحلبي ص ٣١٢ .

تأويل هذه الآية: «الم * غَلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ» معناه: أنهم غلبوا على الملك، وسيغلبون على ذلك بنو العباس (١).

وذلك أنّ العرب في الجاهلية إذا كان لأهل بيت عبد، فأراد تبناه يلحقه بنفسه، وكان ذلك من سيرة العرب، وكان عبد شمس أخو هاشم قد تبنا عبداً له رومياً يقال له أمية بن عبدشمس بن عبدمناف، فدرج نسبه كذلك إلى هذه الغاية .

وروي أنّه كان من علامات نبوة رسول الله ﷺ أنّ العرب وقريش عقت أرحام نسايتهم قبل مبعثه بأربعين سنة، فقلّ نسلهم، فأخذ كلّ حيّ من قريش يدخل في نسبه من ليس له .

فأمّا عبدشمس، فإنّه أدخل رومياً اسمه قسطنطين في نسبه وادّعاه له ولداً وسماه أمية، ثمّ إنّ أمية هذا زوج ابنه عمرو بن أمية امرأته في حياة منه، فجرت ذلك سنة فيهم .

ومن طرق العائمة ما ذكره هشام بن محمّد، عن أبيه، قال: كان أمية من أمة لبني رواسن بن كلاب بن صعصعة يقال لها: نعة، فوقع بها عبدشمس سفاحاً، فجاءت بأمية فاستلحقه، فهو أول مستلحق من قريش (٢).

وجاء دفع أمية هاشماً ففضى هاشم عليه، فنفاه إلى الشام، فأقام بها عشر سنين، فوقع للحمة يهودية لها زوج من أهل صفورية يهودي، فولدت له زكوان، فكان عند أمية يقوده لثما عمي، ثمّ استلحقه وكّنى أبا عمرو، فلمّا وقع أبو عمرو بامرأة أمية وهي أمّ العاص وأبي العاص ابني أمية أولدها أبا معيط، وأبو معيط خلّف عقبه الذي

(١) بحار الأنوار ٣١: ٥١٦ .

(٢) بحار الأنوار ٣١: ٥٣٤ .

قتله رسول الله ﷺ يوم بدر صبراً، وقال له: إنما أنت عالج من صفورية، وكانت الضغينة بين بني هاشم وبني أمية في الجاهلية منذ نفى هاشم أمية إلى الشام، ولم يتزوج بنو هاشم في بني أمية لهذا السبب (١).

وأما معاوية، فظهور استحقاقه اللعن والعذاب ممّا يغني عن الإكثار والإطّباب وعن تطويل الكتاب، وقد قال رسول الله ﷺ: ويح عمّار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار (٢). كذا في صحاحهم.

ولا خلاف بين الأئمة أنّ معاوية وحزبه قتله بصفين، وعمّار من فئة أمير المؤمنين عليه السلام، فدلّ على أنّ هؤلاء من أصحاب الجنّة، وهؤلاء من أصحاب النار.

وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ، أنّه قال: أئمة الكفر في الإسلام خمسة: نعثل، وذو الأصابع (٣)، وابن الكاهلة، وابن أسد، وعمرو بن عاص (٤).
أقول: ولعلّ هذه الرواية كانت من البواعث على ضرب عثمان له إلى أن مات، وإحراقه مصحفه.

هذا، وقال بعضهم: حضرت عند معاوية يوماً وقد أذن المؤذن الله أكبر، فقال معاوية مثل ذلك، فلمّا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال معاوية مثل ذلك، فلمّا قال: أشهد أنّ محمداً رسول الله، أطرق معاوية ثمّ قال: يا رسول الله ما كان أكبر همّتك

(١) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ١٩٨ - ٢٩٥.

(٢) مستدرک الحاكم ٣: ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٣٨٧، ومسنّد أحمد بن حنبل ٢: ١٦١ و ١٦٤،

وصحيح مسلم ٤: ٢٢٣٦.

(٣) المراد به الثالث «منه».

(٤) بحار الأنوار ٣٢: ٣٣٥.

قرنت اسمك باسم ربك (١).

ودخل أبوذرّ على معاوية، فقال معاوية :

لا أنعم الله نعم وعيناه تحوط السخط إذا ألقيتنا
فقال أبوذرّ: ما أدري ما هذا، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: فلان بن
أبي فلان فرعون هذه الأمة يموت على غير الملة (٢).

وروى الزهري أنه دخل راهب عليه وهو مريض، فقال: إن مرضك من العين،
وعندنا صليب يذهب بالعين، فقال: عليّ به، فعلقه فأصبح ميتاً، فنزع عنه على
مغتسله (٣).

وعن أحنف، قال: كنت أسمع علياً عليه السلام يقول: ما يموت فرعون هذه الأمة حتى
يلق الصليب في عنقه، فدخلت عليه في مرضه وعمرو بن نبيه، والأسقف بين
يديه وعليه شبيه بيض، فسقط فإذا في عنقه صليب من ذهب، فقال: إنهما أمراني به
وقالا: إذا أعيانا الداء الدوي تروّحنا إلى الصليب، فنجد لذلك راحة (٤).

وروى أبو حرب بن الأسود عن رجل من أهل الشام، قال: سمعت النبي يقول:
شرّ خلق الله خمسة: إبليس، وابن آدم الذي قتل أخاه، وفرعون ذو الأوتاد،
ورجل من بني إسرائيل ردّهم عن دينهم، ورجل من هذه الأمة يبايع على كفر عند
باب لدّ، فلما رأته عند باب لدّ ذكرت قول النبي ﷺ، فلحقت بعلي عليه السلام وكنت
معه (٥).

(١) بحار الأنوار ٣٣: ٢٠٢.

(٢) بحار الأنوار ٣١: ٢٧٤ و ٣٣: ١٧٠.

(٣) الصراط المستقيم ٣: ٥٠.

(٤) الصراط المستقيم ٣: ٥٠.

(٥) بحار الأنوار ٢: ٨٨ و ١١: ٢٣٣ و ٣٣: ١٦٧.

وقد ثبت أن النبي ﷺ لعنه في سبعة مواضع .

وروى سالم بن أبي الجعد، قال: قال رسول الله ﷺ: معاوية في تابوت مقفل عليه في جهنم (١).

وروى الوارث بن سعد بن جهم عن سفينة مولى أم سلمة، أن النبي ﷺ كان جالساً، فمرّ أبو سفيان على بعير ومعه معاوية وأخ له، وأحدهما يقود البعير والآخر يسوقه، فقال النبي ﷺ: لعن الله الحامل والمحمول والقائد والسائق (٢).

وسأل رجل شريك القاضي عن فضائله، فقال: إن أباه قاتل النبي، وهو قاتل الوصي، وأمه أكلت كبد حمزة، وابنه قتل سبط النبي، فهل تريد منقبة أخرى. ومن هنا قيل بالفارسية:

داستان پسر هند مگر نشیدی که از سه تن او به پیمبر چه رسید
 پدر او لب و دندان پیمبر شکست مادر او جگر عم پیمبر بمکید
 خود بناحق حق داماد پیمبر بستد پسر او سر فرزند پیمبر ببرید
 بر چنین قوم تو لعنت نکنی شرمت باد لعن الله یزید وعلی آل یزید
 وقال ابن عباس: أرسلني رسول الله ﷺ أدعوه، فقال: قل له يأكل، فأتيته
 فأخبرته ثلاث مرّات، فقال النبي ﷺ: اللهم لا تشبع بطنه. ولقد رأيتاه وإن الثوب
 ليعقد في عنقه، ثمّ يحشو يأكل كما يأكل البعير، فوالله ما شبع في شيء حتّى
 مات (٣).

(١) بحار الأنوار ٣٣: ١٨٩.

(٢) بحار الأنوار ٣٣: ١٩٠.

(٣) بحار الأنوار ٤٤: ٧٦، وشرح نهج البلاغة ٤: ٥٥، وصحيح مسلم ٤: ١٩٤.

وهذا يدلّ على سوء أدبه وعصيانه، بل على كفره وطغيانه؛ لأنّه آثر حظّ نفسه على طاعة النبي ﷺ وخدمته، وقد قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (١) فلمّا لم يكن مؤمناً به لم يجعله أولى به من نفسه، ولذا دعا عليه النبي ﷺ، وقد أُجيبت دعوته فيه، كما نقل عنه أنّه قال: لقد لحقني دعوة رسول الله. وقال في كتاب الأكلة: إنّهُ دعا بالطعام يوماً وقد أصلح له عجل مشوي، فأكل معه ستّاً من الخبز المسيد، وأربع قرابي وجدنا حارّاً ووجدنا بارداً سوى الألوان، ووضع بين يديه مائة رطل من الباقلي الرطب، فأتى عليه .

وفي كتاب ربيع الأبرار: أنّه كان يأكل حتّى يتسطّح، ثمّ يقول: يا غلام ارفع فوالله ما شبعت ولكن مللت (٢).

وكان يأكل في اليوم سبع أكلات، أخراهنّ بعد العصر، عظامهنّ فيها تريد عظيم في جفنة على وجهها عشرة أمان من البصل .

هذا، ولمّا قال النبي ﷺ يوم غدیر خم بين ألف وثمانمائة رجل: من كنت مولاه فعلي مولاه، قام ابن هند وتمطّى وخرج مغضباً واضعاً يمينه على عبدالله بن قيس الأشعري، ويساره على مغيرة بن شعبه، وقال: والله لا يصدّق محمّد على مقالته، ولا نصّ علياً بولايته، فنزلت: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ فهمّ به رسول الله ﷺ أن يردّه فيقتله، فقال له جبرئيل عليه السلام: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ فسكت عنه رسول الله ﷺ (٣).

(١) سورة الأحزاب: ٦ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٤: ٥٤ و ١٨: ٣٩٧ .

(٣) تفسير القمي ٢: ٣٩٧ .

وقال فروة بن ودبيعة: كانت هند بغياً من قريش، وكانت ذات راية، وكان العباس يعشقها، وغاب أبو سفيان حولاً كاملاً، فلما قدم ورأى معاوية قال لها: ما هذا الولد وقد غبت حولاً كاملاً؟ قالت: إنَّ الرحم لتشيخ في الرحم الكريمة، فخشي أبو سفيان الفضيحة عليها، لأنها كانت ابنة عمه، فقال: لعمرى لأنا جدير بالصبر وأستحقّه .

وكتب محمد بن أبي بكر إليه: أما بعد فإنك قدمت على أمر عظيم من ادعائك الخلافة، إنما أنت طليق ابن طليق أسير المسلمين، أنت وأباك وعندهم لم يكن لهما هجرة ولا سابقة في جاهلية ولا إسلام أدعياء بني أدعياء، أما أمك فهند ذات الراية الفاجرة، ولسنا ندري من أبوك على الحقيقة، إنما أظهرت الإسلام وآمنت بزعمك قبل وفاة النبي ﷺ بأشهر قلائل سبعة أو دونها .

وقد علمت أن أمير المؤمنين مولاك، وأسبق الناس إلى المكرمات والفضائل والدلالات، وكشف الحروب العظيمة، قتل أخاك، وقسر على الإسلام أباك، وأدخلك على الإسلام كرهاً، فلم تستحي من الله ولا من رسوله أن وثبت عليه وغصبته حقّه وادّعت منزلته، وقلت أنا أطلب بدم عثمان، والله لقد دعاك إلى نصرته فأبيت وكنت أول شامت به، أنت الآن بزعمك تطلب بدمه أف لك يابن هند. فكتب إليه معاوية: لم أزل مذ كنت أوقر علي بن أبي طالب، وأعرف له فضله وسابقته وشرف أبيه جاهلية وإسلاماً، فلم يزل رأساً ومرؤوساً حتى كان أبوك أول من غصبه خلافته واغتصبه حقّه، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله، وإن يكن خطأ فأبوك أسسه، فقل الآن ما شئت في أبيك أو دع .

فكتب إليه محمد: يا عدو الله وابن عدوّه إن كان أبي فعل ذلك، فقد علم الله أنا بريء من فعله، وتنصّلت من ظلمه، ودخلت في أوليائه مع الإمام الهادي على

بصيرة منّي وطاعة لأمير المؤمنين عليه السلام .

فهذه صورة أمري عند الله مشهور، فياليت إنك أتبتت سبيلي، أو فعلت مثل فعلي، وكنت ممن عرف حقّ أمير المؤمنين عليه السلام، ولنا عاقبة الدار وعلى ظالمي آل رسول الله اللعنة والوبار .

وأما مروان بن الحكم، فذكر البلاذري أنّ عمرو بن مرّة الجهني قال: إستأذن الحكم بن أبي العاص على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: اءذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلّا المؤمن وقليل ما هم (١) .

وكتب معاوية إلى مروان أن يأخذ بيعة الناس لابنه يزيد، فقال عبدالرحمن بن أبي بكر: أيريد معاوية أن يجعلها كسروية وهرقلية بالميراث؟ فقال مروان: صه أنت الذي نزلت فيك: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفِ لَكُمْ﴾ (٢) الآية، فقالت عائشة: لقد لعن النبي أباك وأنت في ظهره، فأنت نتيجة لعنة رسول الله (٣) .

وقال مروان للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام: لولا فخركم بفاطمة بم كنتم تفتخرون علينا؟ فوثب الحسين عليه السلام وكان شديد القبضة، فقبض على حلقه فعصره ولوي عمامته في عنقه حتّى غشي عليه ثمّ تركه .

ثمّ قال في آخر كلامه: والله ما بين جابر سا وجابلقا رجل (٤) ممّن ينتحل الإسلام أعدى لله ولرسوله ولأهل بيته منك ومن أهلك إذ كان، وعلامة قولي فيك

(١) بحار الأنوار ٦٢: ٢٣٧ .

(٢) سورة الأحقاف: ١٧ .

(٣) الدر المنثور للسيوطي ٦: ٤١، والعمدة لابن بطريق ص ٤٥٤ .

(٤) في الأصل: رجلان .

أنك إذا غضبت سقط رداؤك عن منكبيك، قال: والله ما قام مروان عن مجلسه حتى غضب، فانتقض وسقط رداؤه عن عاتقه (١).

وكان مروان قد أشار إلى معاوية في نبش قبر علي عليه السلام ويذكره قتل بدر، فاستشار معاوية عبدالله بن عامر بن كريز في ذلك، فقال له: ما أحب أن يعلم مكان قبر علي ولا أن نسأل عنه، ولا أحب أن تكون هذه العقوبة بيننا وبين قومنا، فاستصوب معاوية رأيه .

وطرد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبدالرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن عبدشمس أخا مروان ابني عمّ عثمان عن المدينة وأخرجهما عنها، فلم يزا كذلك في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وامرأة أبي بكر وعمر، فلما ولي عثمان بعث إليهما فأدخلهما المدينة . وفي مسند أحمد بن حنبل: عن أبي ذرّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلاً اتّخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً ودينه دخلاً (٢).

وذكر الزمخشري في الفائق: في حديث أبي هريرة «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين كان دين الله دخلاً، ومال الله بخلاً، وعباد الله خولاً» (٣).

وبالجملة معاوية ومن شابهه، وكذلك أصحاب الجمل ومن تابعهم، خرجوا على خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وادّعوا الخلافة، وقد تقرّر عندهم أنّ من خرج وادّعى الخلافة، فهو كافر واجب قتله، بل وجب قتل من قعد عن قتله لكفره .

فهذا حكيمهم ابن سينا وهو عمري عامي المذهب، قال في الشفاء في فصل

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٤: ٥١ .

(٢) مستدرک الحاكم ٤: ٤٧٩ .

(٣) نهاية ابن الأثير ٢: ٨٨ .

الخليفة والإمام ووجوب طاعتهما على الإمام: ثمّ يجب أن يحكم السان وهو النبي في سنّته أن من خرج وادّعى خلافته بفضل قوّة أو مال، فعلى الكافة من أهل المدينة قتاله وقتله، فإن قدروا ولم يفعلوا فقد عصوا الله وكفروا به، ويحلّ دم من قعد عن ذلك وهو متمكّن بعد أن يصحّح على رأس الملاء ذلك منه، ويجب أن يسنّ أنه لا قربة عند الله بعد الإيمان بالنبي أعظم من اتلاف هذا المتغلّب. إلى آخر ما قاله هناك (١).

وإذا وجب قتل من قعد عن قتل الخارجي وقتاله لكفره، فالخارجي أكفر، وخروج معاوية وادّعاؤه الخلافة أظهر من الشمس وأبين من الأمس. وقد مرّ في مكاتبة محمّد بن أبي بكر.

وأما خروج أصحاب الجمل على أمير المؤمنين عليه السلام ومحاربتهم له، فكذلك، وقد مرّ في حديث أمّ سلمة بقولها: ما للنساء ومقاتل الرجال أتخرجين على أمير المؤمنين الحديث (٢).

وأما ادّعاؤهم الخلافة، فلما ذكره نقله الأخبار وأصحاب المقالات من أهل التاريخ أن عائشة لما خرجت ومن معها من مكّة وساروا على مرحلة وجاء وقت الصلاة أذن مروان بن الحكم، ثمّ وقف على طلحة والزبير وابنيهما جالسين عندهما، فقال: على أيكما أسلم بالإمارة وأذن بالصلاة؟ قال عبدالله بن الزبير: على أبي، وقال محمّد بن طلحة: على أبي.

فبلغ ذلك عائشة، فأرسلت إلى مروان، وقالت: تريد أن تفرّق أمرنا ليصلّ

(١) الشفاء ص ٤٥٢، الإلهيات.

(٢) تقدم نقله بتمامه.

بالناس عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد، فكان معاذ بن جبل يقول: والله لو ظفرنا لاقتلنا ما كان الزبير يترك طلحة والأمر، ولا كان طلحة يترك الزبير والأمر .
وقد سبق نبذ من أحوالهم، فتذكر .

ما صدر من يزيد وأتباعه من الفجائع

أمّا يزيد بن معاوية - عليهما اللعنة والهاوية - فأحرق المدينة ونهبها مرّتين، وهذا من أعظم الأحداث، وأحرق مكة أيضاً في الثامن من الصفر سنة أربع وستين، أحرقه مسلم بن عقبة حين غزاة أهل الشام، وكان يقاتل عبدالله بن الزبير من قبل يزيد .

ففي صحيح مسلم، عن عطاء، قال: لمّا أُحرق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاة أهل الشام، وكان من أمره ما كان، تركه ابن الزبير حتّى قدم الناس الموسم يريد أن يجزّأهم على أهل الشام الحديث وطوله (١) .

ومن أحرق مكة مضافة إلى المدينة ونهبها وسبي بنات رسول الله ﷺ وقتل ابنه، وقد قال فيه وفي أخيه: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة (٢)، وقال: وهما ريحائتاى من الدنيا (٣)، وقال فيهما وفي أبيهما: أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم (٤) .

كلّ ذلك ممّا ثبت في صحاحهم، فليس لأحد المنازعة في ذلك، كان مستحقاً

(١) صحيح مسلم ٤: ٩٨، والعمدة لابن بطريق ص ٣١٥-٣١٦ .

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٢٩٢ .

(٣) إحقاق الحقّ ١٩: ٢٦٣ .

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٤٤٢، ومستدرک الحاكم ٣: ١٤٩ .

لجميع ما قاله رسول الله ﷺ من لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

ففي صحيحتي مسلم والبخاري، وفي الجمع بينهما للحميدي، قال النبي ﷺ: المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى فيها محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه عدلاً ولا صرفاً^(١) .

وفي صحيح مسلم، في الجزء الثالث منه، عن مجاهد، عن طاووس، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة^(٢) .

وذكر محمد بن جرير الطبري في تاريخه، وابن عبد ربّه في الكتاب الموسوم بالعقد: أنّ المسور بن مخرمة كان يقول في يزيد بن معاوية: إنه يشرب الخمر، ويلعب بالقرود، فبلغه ذلك، فكتب إلى عمر بن سعيد بن العاص واليه على المدينة على أن يجلد المسور الحدّ، فضربه حدّ المفتري، فقال فيه الشاعر:

أيشربها صهباء كالمسك ريحها أبو خالد والحدّ يضرب مسورا^(٣)
فأخرج عمر وسائر بني أمية من المدينة، فأنفذ يزيد إليها عشرين ألفاً مع مسلم ابن عقبة، فقتل منها ثمانية آلاف من أولاد المهاجرين والأنصار وغيرهم، وأباحها ثلاثة أيام، فلم يبق دار إلاّ نهبت سوى دار علي بن الحسين عليه السلام، فإنّه حماها رجل من أهل الشام تلك الثلاثة الأيام .

فلما كان بعد الثلاثة أخرج له علي بن الحسين عليه السلام ملاوة قد جمع بها حلياً

(١) صحيح مسلم ٢: ٩٩٥ و ١١٤٧ .

(٢) صحيح مسلم ٢: ٩٨٦ .

(٣) شرح نهج البلاغة ١: ١٦٨، والعمدة لابن البطريق ص ٣٢١ .

وثياباً من نسائه، فقال: خذ هذا ثياب رسول الله ﷺ، فقال: لم أفعل ذلك بسبب بل أرجو الجنة، فقال: خذ ذلك ما طلبت .

وقيل: إنه قتل نحواً من ستّة آلاف وخمسمائة. وقيل: المقتولون من وجوه قريش سبعمائة، ثم إنه أخذهم بالبيعة ليزيد على أنهم عبيد له (١).

وهذا من أقبح الأحداث وأفحشها، فقد استحقّ بها ما قاله رسول الله ﷺ إضافة إلى استحقاق ما يستحقّه بقتله الحسين ﷺ. وإنما قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في المدينة حدثاً» (٢) ليجعل ذلك علامة استحقاق قاتل الحسين ﷺ ما شرطه من اللعن، وتقريعاً لمن توقّفه في ذلك شبهة ممّن لم يعن النظر، وجعل ذلك مستحقاً بحيث لا يقع فيه اشتباه ولا التباس .

وعن ابن عباس أنه سألت هند عائشة أن تسأل النبي ﷺ تعبير رؤيا لها وتخفي عنها نسبها، فقالت: يا رسول الله إن امرأة أحببت تعبير رؤيا، فقال: قولي لها فليقصص رؤياها، فقالت: رأيت كأنّ الشمس طلعت فوقي، قال: هيه، قالت: ورأيت كأنّ القمر خرج من مخرجي، قال: هيه، قالت: ورأيت كأنّ كوكباً خرج من القمر أسود، فشدّ على شمس خرجت من الشمس فابتلعها، فاسودّت الأفق لابتلاعها، ثم رأيت كواكب بدت في السماء وكواكب مسودّة، إلا أنّ المسودّة أحاطت بأفق الأرض من كلّ مكان .

فاكتحلت عين النبي ﷺ بدموعه، قال: هي هند، قالت: نعم، قال: أخرجي يا عدوّ الله مرّتين، فقد جدّدت أحزاني، ونعيت إليّ أجناني .

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٧٠، حوادث سنة (٦٣) هـ والعمدة لابن بطريق ص ٣٢١-٣٢٢

(٢) صحيح مسلم ٤: ١١٤، والعمدة لابن البطريق ص ٣١٤.

فلما خرجت، قال النبي ﷺ: اللهم عنها والعن نسلها، فقالت عائشة: أو ليس قد أسلمت؟ فقال: والله ما أسلموا إلاّ رغباً وخوفاً من السيف، فسألت تعبيرها، فقال: أما ما زعمت من رؤياها الشمس عليها، فتلك الشمس التي عليها فعلي بن أبي طالب، والقمر معاوية ملعون فاسق جاحد لله .

وأما تلك الظلمة التي زعمت ورأت كوكباً يخرج من القمر أسود فشدّ على شمس خرجت من الشمس فابتلعها فاسودّت الأفق، فذا ابني الحسين يقتله ابن معاوية، فتسودّ الشمس وتظلم الأفق. وأما الكواكب المبيدّة في الأرض التي أحاطت من كلّ مكان، فتلك ملوك بني أمية يقتلون وينالون من أهل بيتي حتّى تملك الأرض أربعة عشر خليفة .

ثمّ قال: اللهم عنها والعن ولدها، وهو أوّل من أظهر شرب الخمر، والاشتهار بالغنا والصيد، واتّخاذ القيان والغلمان، والتفكّه بما يضحك منه المترفون من القرود، والمعاقره بالكلاب والديكة^(١) .

وفي صفوة التاريخ، عن القاضي الجرجاني: كان يزيد مدمناً للخمر، فشرّب يوماً وسكر وقام يرقص طرباً، فسقط على دماغه، فمات منها في نصف من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين لعنه الله .

وأما عبيدالله بن زياد، فهو العتلّ الزنيم ابن الأمة الفاجرة مرجانة، وسماه النبي ﷺ هامان هذه الأمة، وكان قد أخذ مال الفيء بالبصرة وهرب إلى الشام . وكان زياد قبل أن يعظّم شأنه يبعث بشبابه إلى امرأة تميمية لتغسلهنّ، فأرسلت يوماً جاريتها فوثب عليها، فحملت بعبيدالله بن زياد، وخرج زياد إلى المدينة

فرجع وقد ولدت، فذكرت التميمية، فاشترى الجارية واستلحق عبيد الله .

ولما دخل برأس الحسين عليه السلام عليه، قال: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أحدوئتكم، فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيراً، وسأقت كلامها إلى أن قالت: وإنما يفضح الفاسق، ويكذب الفاجر، قال: كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينكم وبينهم فيتحاوون ويتحاكمون^(١).

وقال حذيفة بن اليمان: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾^(٢) الآية من هذا الفوج؟ قال: بنو أمية وبنو مروان يتبع بعضهم بعضاً حتى يتواقفوا في النار، هم أشد أهل النار عذاباً، منهم رجل يشيد الله به ثلثة من النار.

وقال في آخر الخبر: فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين الثالث وأتباعه؟ وأين معاوية وأتباعه؟ وأين مرداس وأتباعهم؟ وأين بنو مروان وأتباعهم؟ فلا يبقى من لاق لهم دواة، ولا من برئ لهم قلماً، ولا من ناولهم كتباً إلا قام، فيخرج عنق من النار فيلقطهم كما يلقط الطير الحب من وجه الأرض، ثم ينطوي به في نار جهنم^(٣).

وأما عمر بن سعد، فلما فرغ من قتل الحسين عليه السلام وأصحابه وخل أجسادهم بالعراء، فدفعهم أهل الغاضرية من بني أسد - صلوات الله على أرواحهم

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ٢: ١١٣، وبحار الأنوار ٤٥: ١١٧ و ١٥٤.

(٢) سورة ص: ٥٩.

(٣) بحار الأنوار ٣٠: ١٥٣.

وأجسادهم - سمع الملعون ضجيج الهاشميات، فقال: واعية بواعية عثمان^(١).
وهذا من اللعين غريب، فإنّ الهاشميين والهاشميات لا مدخل لهم في دم
عثمان بوجه، كما صرّح به علماء السنّة، حتّى القوشجي مع شدّة عداوته لأهل
البيت عليهم السلام.

ونحن لا نظنّ بالمهاجرين والأنصار عموماً وبعلي عليه السلام خصوصاً أن يرضوا بقتل
مظلوم في داره، وترك دفن ميت في جوارهم، إلى أن قال: لكنّه لم يأذن لهم في
المحاربة، ولم يرض لما حاولوا من المدافعة، تحامياً عن إراقة الدماء، ورضاءً
بسابق القضاء، ومع ذلك لم يدع الحسن والحسين عليهم السلام في الدفع عنه مقدوراً، وكان
أمر الله قدراً مقدوراً انتهى.

وقال عبدالله بن خالد لجماعة: أين تريدون؟ قالوا: نطلب بدم عثمان، فقال
ابدأوا بفعلة والفعيل فإنّهما قتلاه، قال سعيد بن العاص: لو كنت طالباً بدم عثمان ما
أخذت غير فعلة والفعيل.

وأما شمر بن ذي الجوشن لعنه الله، وهو الكلب الأبقع، فلما أتى برأس
الحسين عليه السلام إلى ابن زياد قال:

أوقر ركابي فضّة أو ذهباً قتلت خير الناس أمّاً وأباً
قال: ويحك إذ علمت أنّه خير الناس أمّاً وأباً فلمَ قتلته؟ وأمر بقتله، خسر الدنيا
والآخرة ذلك هو الخسران المبين^(٢).

وسئل بعض الصادقين عليه السلام، فقيل: كم يتأخّر الرويا؟ قال: رأى النبي صلى الله عليه وآله كأنّ

(١) الارشاد للشيخ المفيد ٢: ١٢٣، وبحار الأنوار ٤٥: ١٢٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٤: ١١٣، وبحار الأنوار ٤٥: ١٢٨.

كلباً أبقع يبلغ في دمه، وكان شعر بن ذي الجوشن ذلك الكلب، وكان أبرص، وكان تأويل الرؤيا بعد ستين سنة (١).

ولمّا كان الغرض الأصلي من جمع هذه الأوراق بيان أنّ الأصفار الثلاثة (٢) محالّ اللعنة، وبحمد الله ثبت لهم الاستحقاق، ناسب أن نقبض من هنا عنان القلم، ونشكر الله على ما أولانا من النعم، ونصليّ على محمّد وآله أشرف بني آدم، صلى الله عليه وآله وسلّم.

وجاء في آخر الرسالة: قد تشرّفت بتسويد هذه الرسالة الشريفة الرشيقة، وتيسّر إتمامه في صباح يوم السبت (٢٥) شهر صفر المظفر سنة (١٢١٧) بيدي الجانية الدائرة وأنا محمّد بن أبي جعفر غفر الله لهما بالمحشر.

وتم استنساخ وتصحيح هذه الرسالة الشريفة، وكانت النسخة سقيمة جدّاً، في (٣) ربيع الأوّل سنة (١٤١١) هـ في بلدة قم المقدّسة، على يد العبد السيّد مهدي الرجائي عفي عنه.

وتّم مراجعتها ثانياً في يوم الخميس (٢٨ - شوال - ١٤٢٦) والحمد لله ربّ العالمين.

(١) مثير الأحزان ص ٦٤، وبحار الأنوار ٤٥: ٣١ و ٦٢: ٦٠.

(٢) أي: اللصوص الثلاثة.

سلسلة آثار المحقق الخواجوي

٧

الرحلة الأينية

للعلامة المحقق محمد اسماعيل المازندراني الخواجوي

المؤلف سنة ١١٧٣ هـ

تَحْقِيقُ
السَّيِّدِ هَدْيِ الْبَطَّانِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بعد حمد من لا يحويه المكان، ولا يحيطه الزمان، والضلاة على أشرف الإنس
والجان، محمّد وآله شرفاء أهل الجنان .

أقول: وأنا العبد الذليل الآنس برّبّه الجليل محمّد بن الحسين بن محمّد رضا
المشتهر بإسماعيل: هذه رسالة^(١) سمّيتها الأينية، نوقّق فيها بين ما ورد من نفي
الآين عنه جلّ ذكره، كقول سيّدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - في جواب

(١) حاصل ما ذكر في هذه الرسالة أنّ بعض أصحابنا وقّوا بين الأدعية والأخبار الآتية
المتناقضة بتأويل تدلّ على نفيه عنه، وكلامنا معهم أنّ هذا التأويل لا يتمشّي فيما ورد في
مثل دعاء المشلول، فإنّه صريح في ثبوت الآين له تعالى على وجه لا يقبل هذا التأويل
بتأويلهم هذا فيما يقبله غير مفيد، بل لابدّ من القول بأنّ له تعالى أينا، كما هو صريح كلام
الإمام عليه السلام في قوله «يامن لا يعلم أحد آين هو» .

ثمّ إن أمكن تأويله إلى معنى يليق بجناب قدسه تعالى، وإلا فيجب الإيمان به،
والاعتراف بالعجز عن إدراك معناه، وردّ علمه إليه عليه السلام .

فهذا مرادنا بقولنا في مواضع من رسالتنا هذه إنّه لا يقبل التأويل، لا ما فهمه منه بعض
القاصرين، مع وضوح ما ذكرناه وظهوره لمن له أدنى فهم، بعد ملاحظة ما في غير موضع
من هذه الرسالة، وسيأتي محلّ ذلك إن شاء الله العزيز «منه» .

يهودي في حديث طويل: يا يهودي إنَّ الله أَيْنَ الأَيْنِ فلا أَيْنَ له (١). وبين ما دلَّ على إثباته له سبحانه، كقوله ﷺ: ولأنَّ أَدْيَكَ أَيْنَ كنت يا ولي المؤمنين (٢).

والسبب المقدم لنا على ذلك أنَّ بعض الأذكياء من أصحابي قد نقل ذات يوم في مجلس الدرس عن بعض معاصرينا أنَّه يقرأ لتلك الفقرة المذكورة من الدعاء المنسوب إلى كميل بن زياد «أَيْنَ كنت» بصيغة المتكلم.

قلت: هل يصحَّ من العاقل هذا السؤال وهو يعلم أنَّه أَيْنَ هو؟ كما صرَّح به قبيل هذا بقوله: أم كيف أسكن في النار ورجائي عفوك. وقوله: لأضجَنَّ إليك بين أهلها، إلى غير ذلك.

ومع قطع النظر عن هذا، فهو مخالف لما هو المنقول عن السلف من الرواة والمشايخ، والمضبوط في النسخ المعربة القديمة والحديثة الشائعة بين القدماء والمتأخِّرين المترجمين لهذا الدعاء.

فإنَّ بناء ترجمتهم على صيغة الخطاب، وهو الصواب، كما لا يخفى على أولي الأبواب؛ لأنَّ صيغة التكلُّم لا يساعدها ما سبقها ولا ما لحقها.

ومع قطع النظر عن هذا أيضاً، فهو لا يشفي العليل، ولا يسقي الغليل، بل هو من تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين؛ لأنَّ إثبات الأَيْنَ له تعالى غير منحصر في هذا الموضوع من هذا الدعاء، حتَّى يعالج بمثل هذا العلاج، بل هو مذكور في مواضع عديدة من الأدعية المأثورة عن الصادقين - صلوات الله عليهم أجمعين - على وجه لا يصحَّ فيه هذا ونحوه، بل هو ممَّا لا يقبل التأويل أصلاً، لكونه نصّاً في أنَّ له تعالى أَيْناً.

(١) أصول الكافي ١: ٩٠.

(٢) قطعة من دعاء الكميل، يقرأ ليلة الجمعة.

منها: ما في أوائل دعاء المشلول: يا من هو، يا من لا يعلم ما هو، ولا كيف هو، ولا أين هو، ولا حيث هو إلا هو^(١).

وهذا أشكل من ذلك بعد اشتراكهما ظاهراً في مخالفة العقل والنقل؛ لأنّه يصرّح بأنّ له تعالى مهية وكيفية وأينية وحيثية لا يعلمها أحد إلا هو، فالاستثناء مفرّغ، وهو راجع إلى كلّ من الجمل الأربع، لا إلى الأخيرة فقط.

والظاهر أنّ نظر شيخنا المعاصر - سلّمه الله - كغيره ممّن سبقه كان على ما ورد في الحديث من نفي الأينية عنه تعالى، وغفل هو كغيره عمّا ورد في مثل هذا الدعاء من التصريح بأنّ له تعالى أيناً على وجه غير قابل للتأويل، فما دلّ تأويل ما في دعاء كميل، فأولّه بما يتعجّب منه الصبيان، ويضحك منه النسوان.

ومن الغريب أنّه لمّا بلغه ما سبق ممّا أنّ العاقل لا ينادي غيره بمثل هذا النداء، ولا يسأل بمثل هذا السؤال، أجاب عنه بأنك في نار جهنّم وهو يعلم أنّه فيه ما اضطرّ إلى القول بأنّ أين هنا مكاني.

و«أين كنت» بصيغة المتكلم، معناه في أيّ مكان كنت، وأنت وكلّ من هو قائل للخطاب تعلمان أنّ هذا أيضاً غلط نشأ من غفلة عن قوله ﷺ «أم كيف أسكن في النار» وقوله «بين أهلها» فإنّه مقدور في كلّ من الفقرات الثلاثة المذكورة بعده.

وتقديره هنا هكذا: أقسم صادقاً لئن تركتني في النار ناطقاً لأناديّك بين أهلها. وهذا ينادي بأعلى صوته: إنّهُ إنّما يناديه وهو بين أهل النار ومسكنه ومكانه ومأواه وموضع نداء وقتله هو النار، فلا يصحّ بعده قوله «أين كنت» بمعنى في أيّ مكان كنت.

وهذا أظهر من الشمس، وأبين من الأمس، والمنازع فيه مكابر مقتضى عقله فلا يستحقّ الجواب؛ لأنّه غير قابل للخطاب، وليس غرضنا من شرح هذه الجملة بمقصور على مجرد التنبيه بغفلته عن مثل هذا، فإنّه ليس من أهل المكافحة، بل هو ممّن نعامل معه بالمسامحة .

بل عمدة غرضنا التنبيه على غفلة السابقين علينا من الفضلاء الماضين، كصاحب الدرّ المنتور^(١)، وصاحب البحار، والسيد السند الفاضل الشارح للصحيحة الكاملة وأضراهم، رحم الله السلف منهم والخلف .

فإنّهم لما ذهلوا عن ورود مثل هذا، ورأوا فيها ما يدلّ بظاهره على أنّ له تعالى أينا، أخذوا في تأويله بتعسّفات بعيدة وتكلفات شديدة، فلما تأملت فيه وجدت مع ذلك غير مفيد بعد ورود مثل هذا، فأردت التوفيق بينهما بتوفيق الله عزّ اسمه، فإنّ أصبت فيه الحقّ فهو الحقّ. وإنّ أخطأت وأستعبد بالله منه، فإنّه سديد فمن عند نفسي، وهو من مثلي غير بعيد .

واعلم أنّ مهية الشيء مقدّمة على كفيته، فإذا كانت كفيته عنه كانت مقدّمة على أينيته؛ لأنّ أينه من لوازم وجوده الخارجي، ولما لم يكن نفي العلم بالخاصّ مستلزماً لنفي العلم بالعام، كما أنّ نفي الخاصّ لا يستلزم نفي العام، قال: ولا حيث هو بعد قوله «ولا أين هو» فذكره بعد ذكر العام بعد الخاصّ، وهو في مقام المبالغة والترقيّ مستحسن، فهذا نظم طبيعي في غاية الجودة والسلامة ناصّ بالباب، كما لا يخفى على ذوي الألباب .

ثمّ إنّ هذين الدعائين ممّا لا خلاف بين أحد من علماء الإمامية أنّه ممّا صدر

(١) وهو المحقّق المدقّق الشيخ علي حفيد الشيخ الشهيد الثاني قدّس سرّه ما .

من المعصوم، ومع قطع النظر عن هذا فعبارتهما الشافية، وكلماتهما الوافية، ومضامينهما العالية، ونظمهما الغريب، وأسلوبهما العجيب، أدلّ دليل وأعدل شاهد على صدورهما منه، فلا بدّ لهما ومثلهما من التوجيه .

فأقول: ويمكن توجيه الأوّل بأنّ هذا وما شاكلة جارٍ على سنن التمثيل، فمثل ﷺ حاله في تلك الحال بحال من ابتلي ببليّة وله وليّ قادر على إنقاذه من تلك البليّة، فهو يناديه بـ«أين كنت» ويستغيثه ليغيثه، وينقذه من تلك البليّة، من غير أن يذهب بذلك إلى جهة حقيقية بالنسبة إليه تعالى، كما يذهب إليه المجسّمة . وإنّما المراد بالمفردات في مثل ذلك حقائقها كما صرّحوا به، لكن بالنسبة إلى الممثل به لا بالنسبة إلى الممثل له، كما في «أراك تقدّم رجلاً وتأخّر أخرى» . وممّا قرّناه يظهر أنّ المنادى له محذوف، وهو أن تنقذني، أو تخلّصني، أو تخرجني من النار .

وذلك كما في قوله ﷺ في دعاء دفع كيد الأعداء: فناديتك يا إلهي مستغيثاً بك - إلى قوله: - ولا يفرع من لجأ إلى معقل انتصارك، فحصّني من بأسه بقدرتك (١). أي: نناديك أن تحصّني من بأسه فحصّني منه .

هذا، وعلى القول بأنّ نداءه تعالى مجازاً لتشبيهه بما له صلوح النداء، كما في قوله: «أيّ منزلي سلمى سلام عليكم» وهو كونه مطلوب الإقبال بوجهه أو بقلبه، ولا يكون ذلك إلّا فيما إذا كان مكانياً له أين من الأيون، فلا إشكال أيضاً، إلّا أنّ القول بأنّه غير صالح للنداء بعيد، مع أنّ القول بالتشبيه أيضاً غير مناسب . وبالجملة أنّه ﷺ نزل نفسه بالنسبة إليه تعالى منزلة العاشق الذي يعدّبه المعشوق

بنار الفراق، فهو يضحج إليه ويبكي عليه ويناديه بـ«أين كنت» ونحو ذلك .

فالمراد بالمفردات في تلك الفقرات وما شاكلها حقائقها، لكن لا بالنسبة إلى الممثل له، بل بالنسبة إلى الممثل به، كما في المثال المذكور، ويمكن حمله على ظاهره، كما سيأتي الإيماء إليه إن شاء الله العزيز .

ويمكن توجيه الثاني بأن المراد بمهيه تعالى المدلول عليها بما هو، فإنه يجاب بالمهية ذاته وحقيقته الموجودة في الخارج، لا مفهومها الكلّي الموجود في الذهن؛ لأنّ هذه الألفاظ الثلاثة قد يستعمل بلا اعتبار فرق بينها، كما صرّح في الشرح الجديد للتجريد .

وظاهر أنّ ذاته وحقيقته تعالى غير معلومة إلّا له، وكذا المراد بكيفية تعالى ما له من الصفات الخاصّة التي ليس يعلم أحد حقيقتها إلّا هو لأنّها عينه، وإنّما أطلق عليها الكيفية على ضرب من التوسّع والمجاز .

بل نقول: صرّح بعض الأخبار أنّ له تعالى كيفية ذاتية هي نفس ذاته المجرّدة البسيطة ولا يدركها غيره، ولا تكون كالكيفيات الإمكانية الحادثة .

وذلك مثل ما في الكافي، من حديث الزنديق السائل أبا عبد الله عليه السلام بعد كلام: ولكن لا بدّ من إثبات أنّ له كيفية لا يستحقّها غيره، ولا يشارك فيها، ولا يحاط بها، ولا يعلمها غيره (١) .

وإنّما أثبت عليه السلام له تعالى كيفية كذائية للخروج عن حدّي التعطيل والتشبيه، كما صرّح به في هذا الحديث .

ويمكن إجراء مثله في الأين والحيث؛ لأنّ «أين» وإن كان إسماً موضوعاً

للاستفهام به عن المكان، و «حيث» كلمة تدلّ على المكان؛ لأنّها ظرف من الأمكنة بمنزلة «حين» في الأزمنة .

والفرق بينهما كما قيل: إنّ الحيث أعمّ من الأين ومرادف للتحيز^(١) .

قال الفيروزآبادي: حيث كلمة دالّة على المكان كحين في الزمان^(٢) .

وقال الفاضل الصالح المازندراني^(٣) في شرح الأصول بعد قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ «ولا

يوصف^(٣) بكيف ولا أين ولا حيث»^(٤): يمكن الفرق بينهما بأحد الوجهين :

أحدهما: أنّ المراد بـ«الأين»^(٥) نفي النسبة إلى المكان المطلق، وبـ«حيث» نفي النسبة إلى المكان المخصوص .

وثانيهما: أنّ «حيث» يضاف إلى جملة يحتاج إليها، بخلاف «أين» وذلك لأنّ

وضع «حيث» كما صرّح به ابن الحاجب في شرح المفصل لمكان منسوب إلى

نسبة لا تحصل إلّا بالجملة، ووزانه في احتياجه إليها كاحتياج الذي إليها من حيث

أنّ وصفه لمن قامت به هذه النسبة^(٦) .

(١) مجمع البحرين ٢: ٢٥٠ .

(٢) القاموس المحيط ١: ١٦٥ .

(٣) يعني: إنّه تعالى لا يوصف بالكيفية والأينية والحيثية الإمكانية الحادثة التي يستحقّها غيره ويشارك فيها ويحاط بها ويعلمها غيره، وعليه فلا تناقض بينه وبين ما في دعاء المشلول من إثبات هذه الثلاثة له تعالى «منه» .

(٤) أصول الكافي ١: ١٠٣ ح ١٢ .

(٥) لا يذهب عليك أنّ هذا الفرق على عكس ما سبق من صاحب القيل، وهو صاحب مجمع البحرين، فتأمل «منه» .

(٦) شرح الكافي ٣: ٢٨٥ - ٢٨٦ .

وليعلم أنّ المتكلمين يعبرون عن الأين بالكون، ويعرفونه بأنّه نسبة الشيء إلى المكان الذي هو فيه، أي: هو هيئة تعرض للشيء باعتبار حصوله في مكانه .
 إلّا^(١) أنّ المراد بأينه وحيثه تعالي غير الأين والحيث اللازمين أو الملزومين للحدوث، بل معنى يليق بشأنه ويناسب بمكانه على نحو ما قيل في الكيف، فيكون المراد بمكانه مرتبة^(٢) ظهور ذاته بذاته لذاته .

وهي المسّمات عند النبي ﷺ بالغماء، حيث سئل أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ قال: في غماء^(٣)(٤). وهذه المرتبة يقال لها: الغيب المطلق، ولا يمكن الحكاية عنها؛ إذ لا إسم هناك ولا رسم ولا إشارة ولا عبارة .

آن مگو چون در اشارت نایدت دم مزن چون در عبارت نایدت نه اشارت می پذیرد نه نشان نه کسی را علم دارد نه عیان ولذلك قال ﷺ: يا من لا يعلم أحد أين هو إلّا هو^(٥) .

ولا يذهب عليك أنّ تقريره ﷺ وعدم إنكاره على السائل، تفيد أنّ له تعاليّاً
 أينا .

وهو صريح فيما نقله عنه ﷺ في شرح الشرائع في المقصد الثالث في خصال

(١) استدراك لقوله: لأنّ أين وإن كان اسماً موضوعاً «منه» .

(٢) هذه المرتبة لا يدركها غيره تعالي، وهي أعلى مراتب الوجود، وإليه الإشارة بقوله ﷺ في صحيفته الكاملة: وأسنى في الأماكن مكانك؛ لأنّه أرفع من أن يدركه مدرك سواه. «منه» .

(٣) أي: في غشاء وغطاء عن الأبصار والعقول «منه» .

(٤) الصراط المستقيم للبياضى ٣: ٢٢٥ .

(٥) بحار الأنوار ٩٢: ١٨٦ .

الكفّارات، حيث قال: وروي أنّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ ومعه جارية أعجمية أو خرساء، فقال: يا رسول الله عليّ عتق رقبة، فهل تجزئ عنيّ هذه؟ فقال لها النبي ﷺ: أين الله؟ فأشارت إلى السماء، ثمّ قال: من أنا؟ فأشارت إلى أنّه رسول الله، فقال: أعتقها فإنّها مؤمنة^(١). فهذا حديث نبوي نقلوه في كتبهم الفقهية، وعملوا بمضمونها، ولم ينكروا ما فيه من ثبوت الأينية له تعالى.

وكذلك ما في الصحيفة السجّادية: أنت الذي قصرت الأوهام عن ذاتيتك، وعجزت الأفهام عن كيفيتك، ولم تدرك الأبصار موضع أينيتك^(٢).

لأنّه صريح في أنّ له تعالى ذاتاً، ولذاته كيفية وأينية، إلّا أنّ الأوهام قاصرة عن ذاتيته، والأفهام عاجزة عن كيفيته، والأبصار عن إدراك موضع أينيته، بل لا يعلم ذاته ولا كيفيته ولا أينيته أحد إلّا هو، كما أوماً إليه سيّدنا الصادق ﷺ. وقد مرّ صريحاً في دعاء المشلول.

وظاهر أنّ تلك الفقرات بثلاثتها على وتيرة واحدة، فكما أنّ تصوّرها عن ذاتيته ليس باعتبار انتفائها بل لثبوتها وقصورها عن إدراكها، كذلك عجزها عن كيفيته وعدم إدراكها موضع أينيته ليس باعتبار انتفاء كيفيته، أو انتفاء موضع أينيته، حتّى يقال: إنّ السالبة بانتفاء الموضوع، بل لثبوتها وعدم إدراكها لهما.

فما أفاد السيّد السند في شرح الصحيفة - بعد قوله: إنهم رسموا الكيفية بأنّها هيئة تارة في المحلّ لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبة إلى أمر خارج عنه، ولا نسبة في ذاته، ولا نسبة واقعة في أجزائه - بقوله: ولك حمل الكيفية في عبارة

(١) مسالك الأفهام شرح شرائع الإسلام للشهيد الثاني ١٠: ٤٠ - ٤١.

(٢) الصحيفة الكاملة السجّادية ص ٢١٠ رقم الدعاء: ٤٧.

الدعاء على هذا المعنى الذي رسموا الكيفية به، فيكون نفيها عنه تعالى من باب نفي الشيء بلازمه؛ لأنّ معنى عجز الافهام عن كفيته نفي إدراكها لكفيته، ونفي إدراكها لكفيته لنفس كفيته، إذ لا كيفية له تعالى بهذا.

والحاصل أنّه لا كيفية فلا إدراك، كقول الشاعر:

على لا حب لا يهتدي بمناره

نفي الاهتداء بنفي المنار، إذ لا منار فلا اهتداء.

ثمّ قال: الأينية حالة تعترض للشيء بسبب حصوله في المكان، سمّيت بذلك لأنّ «أين» إسم موضوع للاستفهام به عن المكان، وإنّما لم تدرك الأبصار موضع أينيته تعالى، لأنّه تعالى لا أينية له لتنزّهه عن الجسمية ولو احققها، والحصول في المكان تابع للجسمية، فالأينية محال عليه سبحانه.

ثمّ قال: وقيل يحتمل أن يراد بأينيته تعالى غير الأين اللازم للحدوث أو الملزوم له، بل معنى يليق بشأنه على نحو ما قيل في الكيفية.

والأولى أنّ هذه الفقرة من باب نفي الشيء بلازمه لا غير^(١).

محلّ تأمل؛ لما عرفت، ولأنّ هذا التأويل لا يجري في مثل دعاء المشلول، لأنّه صريح في أنّ له تعالى كيفية وأينية، فلا يصحّ نفيهما عنه على الإطلاق، ولأنّ يقال: إنّ هذه الفقرة - أي: فقرتي^(٢) دعاء المشلول وكميل - من باب نفي الشيء بلازمه، أو لا نفي هناك أصلاً، بل صريح إثبات أنّ له تعالى كيفية وأينية، إلّا أنّه لا يعلمهما أحد إلّا هو.

(١) رياض السالكين في شرح الصحيفة السجّادية ص ٤٨٣ الطبعة الحجرية.

(٢) في الأصل: فقرة.

ولعلّه ﷺ كغيره حين ما كتب هذا الموضوع من الشرح كان ذاهلاً عمّا فيهما، وإلا لوجب عليه أن يشير إليه ويتعرّض له، نعم لا كيفية ولا أيئية له تعالى بالمعنى الذي ذكره، وهو الكيفية والأيئية الإمكانيتان الحادثتان، ولا كلام فيه، بل صريح العقل والنقل - كما مرّ - نفيهما .

وإنما الكلام في الكيفية والأيئية الغير اللازمتين، أو الملزومتين للحدوث، وما ذكره لا ينفيهما مع أنّه لا يلائم قوله «وقصرت الأوهام عن ذاتيتك» إذ ليس تصوّرها وعدم إدراكها لذاتيته لنفي ذاتيته، بل لثبوتها وعدم إدراكها لها .

فينبغي أن تكون الحال في الفقرتين الأخيرتين كذلك، بأن تكون له تعالى كيفية وأيئية والأفهام والأبصار لا تدرکہما .

وأيضاً فإنّ عجز الأفهام عن إدراك كفيئته إنّما يتصوّر إذا كانت له كيفية لا يمكنها إدراكها، وأما إذا لم تكن له كيفية فلا معنى لعجزها عن إدراكها؛ لأنّ عدم الكيفية عن شيء إنّما يستلزم عدم إدراكها منه لا العجز عن إدراكها منه .

كما أنّ عدم قيام زيد مثلاً إنّما يستلزم عدم إدراكه منه لا العجز عن إدراكه منه، ولعلّه ظاهر، فتأمل .

والحاصل أنّ ما في دعاء المشلول لا يقبل التأويل بوجه، وبه يثبت أنّ له تعالى كيفاً وأيناً وحيثاً، فلا بدّ له من توجيه .

فأقول: كما أنّه تعالى شيء لا كالأشياء، كذلك له مهية لا كالمهيات، وله حيّز لا كالأحياز، وله أين لا كالأيون، وله كيفية لا كالكيفيات، وله سمع لا كالأسماع، وله بصر لا كالأبصار، وهكذا في كلّ ما ورد به السمع .

إذ لا بدّ من الخروج عن جهتي التعطيل والتشبيه؛ لأنّ من نفاه فقد أنكره ورفع

ربوبيته وعظّمه، ومن شبهه فقد أثبتته بصفة المخلوقين، كما ورد في الحديث (١)، فالمنفي هو الكيفية والأينية الإمكانية الخلقية الحادثة، والمثبت غيرها .

ولذا قيل: لا مكان مكانه، ولا أين أين، وعليه فلا حاجة بنا إلى التأويل الذي ذكرناه في شرح دعاء كميل؛ إذ لا تناقض على ما ذكرناه بين إثبات الكيف والأين له تعالى في هذه الأدعية، وبين ما في الحديث من نفي الكيفية والأينية عنه تعالى. كما في الكافي: وروي أنه سئل عليه السلام أين كان ربنا قبل أن يخلق سماءً وأرضاً؟ فقال عليه السلام: أين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان (٢).

وفي مرفوعة زرارة، قلت لأبي جعفر عليه السلام: أكان الله ولا شيء؟ قال: نعم كان ولا شيء، قلت: فأين كان يكون؟ قال: وكان متّكئاً فاستوى جالساً، وقال: أحلت يا زرارة وسألت عن المكان إذ لا مكان (٣).

وبالجملة الأين المنفي عنه تعالى هو الأين الذي يعلمه غيره تعالى أيضاً، وهو أين مؤيّن معروف يعبر عنه بالكون، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: إن الله أين الأين فلا أين له (٤).

والمثبت له تعالى هو الأين الذي لا يعلمه إلا هو، وهو أين غير مؤيّن، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام «يا من لا يعلم أحد أين هو إلا هو» (٥) وعلى هذا فلا تناقض بين نفيه عنه وإثباته له. وكذا الكلام في الكيف والحيث نفيًا وإثباتًا، فارتفع الإشكال،

(١) أصول الكافي ١: ٨٣.

(٢) أصول الكافي ١: ٩٠ ح ٥.

(٣) أصول الكافي ١: ٩٠ ح ٧.

(٤) بحار الأنوار ٣: ٣٠٩.

(٥) بحار الأنوار ١٢: ٣١٦ و ٩٢: ١٨٥ و ١٨٦.

وظهرت حقيقة الحال، والحمد لله العلي المتعال .

تتمة مهمة

اعلم أنّ فضلاء أصحابنا لما ذهلوا عمّا في هذين الدعاءين وما شاكلهما من التصريح بأنّ له تعالى أينا، ورأوا أنّهم عليه السلام قد نفوا الأين عنه تعالى في الأخبار المذكورة في الكافي وغيره، تحيروا في شرح ما في الصحيفة .

فقال بعضهم^(١): يحتمل أن يكون المراد أنّ الافهام عجزت أن تكيّفك بكيفية، ولم تدرك الأبصار لك موضع أينية، ولا يلزم منه إثبات كيف والأين له تعالى^(٢). وقال بعضهم: أي لم تدرك الأبصار فتدرك أينك ومكانك، فيكون لك مكان^(٣). فهو دعوى مع برهان. وقال بعضهم غير ذلك .

وعلّلوا هذه التأويلات بأنّ في الحديث نفي الكيفية والأينية عنه تعالى . وقد عرفت أنّ هذا وأمثاله تكلف، وأنّه لا يدفع أصل الإشكال، فإنّ فيهما وما شاكلهما ما ينصّ بإثبات كيف والأين له تعالى، إذ لو لم يكن له تعالى أين وهو يعلم أنّه أين هو، كما يصرّح به الاستثناء، وهو قوله عليه السلام «إلا هو» لزم منه أن يكون علمه بأنّه أين هو جهلاً، وكذا لو لم يكن له تعالى كيف وهو يعلم أنّه كيف هو، لزم منه أن يكون علمه بذلك جهلاً، وكذا الكلام في حيث هو وما هو .

(١) أراد به صاحب الدرّ المنثور «منه» .

(٢) الدرّ المنثور للشيخ علي العاملي ١: ٣٤١ .

(٣) لا يخفى أنّ عدم إدراك الأبصار له تعالى وإن استلزم عدم إدراكها لأينه إلاّ أنّه لا يستلزم أن لا يكون له تعالى أين، كما هو المراد بقوله «فيكون لك مكان» لجواز أن يكون له تعالى أين لا يدركه غيره، كما هو صريح قوله عليه السلام «يا من لا يعلم أحد أين هو إلاّ هو» «منه» .

وبالجملة إذا ثبت من طريق أنّ له تعالى أينا بما لا يقبل تأويلاً بل يكون نصّاً فيه، فإنّه كما يدلّ على أنّ له مهية غير معلومة إلّا له، كذلك يدلّ على أنّ له كيفية وأينية وحيثية غير معلومات إلّا له، وكما أنّ الأوّل غير قابل للتأويل كذلك الثاني، فتأويل ما يقبل منه التأويل عديم الفائدة .

بل الواجب حينئذ: إمّا توجيهه على وجه يوافق العقل والنقل، أو تسليمه والإعتراف بأنّ عقولنا الناقصة قاصرة لا تصل إلى فهم المعنى منه، إذ ردّه بعد ظهوره وصدوره عن الصادقين ممّا لا سبيل إليه في شرح الإسلام ودين سيّد الأنام عليه وآله السلام .

فإن قلت: فإذا صحّ أن يقال: إنّ له تعالى أينا لا كالأيون، صحّ أن يقال: إنّ له جسماً لا كالأجسام، كما قال به المجسّم المبلّكفة، فإنّهم أطلقوا عليه الجسم وسلبوا عنه خواصّه، ونفوا عنه لوازمه بالأسر، قالوا: هو جسم لا كالأجسام، وله حيّز لا كالأحياز، وهكذا ينفون عنه خواصّ الجسم حتّى لا يبقى منه إلّا الاسم، كما صرّح به في القديمة .

قلت: صحّ الأوّل دون الثاني، والفارق هو السمع، فإنّ إثبات هذا وما شابهه له تعالى موقوف عليه، فما ثبت منه وروده في الشرع صحّ إثباته له، وما لم يثبت لم يصحّ وهذا منه، ولذلك وصفوه تعالى بالسميع والبصير، لوروده في الشريعة المطهّرة دون الشامّ والذائق واللامس لعدم ورودها فيها. ومنه يعلم أنّ استعمال هذه الألفاظ في صفاته تعالى إنّما يكون بالسمع .

هذا، ولا يذهب عليك أنّ قول المجسّم المبلّكفة «وله حيّز لا كالأحياز» ونسبته إلى حيّزه، ليس كنسبة الأجسام إلى أحيازها، كلام حقّ مطابق لما سبق في دعاء المشلول في قوله ﷺ «يا من لا يعلم أحد حيث هو إلّا هو» .

إذ قد عرفت أنّ الحثّ أعمّ من الأين ومرادف للتحيز، كما صرّح به صاحب مجمع البحرين^(١)، ولعلّهم لمثل ذلك لا يكفرون، كما صرّح به المحقّق في القديمة، حيث قال: إنّ المجسّمة المبلّكفة لا يكفرون؛ لأنّهم لا يشبتون له تعالى ما هو مسلوب عنه بحسب المعنى، بل إنّما يطلقون الألفاظ، فتدبّر.

وبالجملة القدر الضروري الثابت بالأخبار أنّه تعالى خارج عن حيّز الإمكان، وأمّا أنّه خارج عن الحيّز مطلقاً فلا دليل عليه، بل الدليل على خلافه، لقوله ﷺ «ولا حيث هو إلّا هو».

وجملة الكلام في هذا المقام: أنّ الشيئية المطلقة، أعني: الوجود المطلق كما أنّه مشترك بينه تعالى وبين غيره، إلّا أنّ شيئته ووجوده ليست كشيئيات الأشياء ووجوداتها.

كما يدلّ عليه قوله ﷺ «هو شيء لا كالأشياء» فإنّ وجوداتها محدثة مخلوقة معلومة له تعالى ولغيره، وأمّا وجوده فغير محدث ولا مخلوق ولا معلوم إلّا له، وفي الوجود أسوة حسنة لسائر الصفات، كذلك الكيفية المطلقة مشتركة بينه تعالى وبين غيره، إلّا أنّ كفيئته ليست ككفيئيات الأشياء؛ لأنّ كفيئياتها مخلوقة محدثة معلومة له تعالى ولغيره، وأمّا كفيئته فلا يعلمها إلّا هو.

وكذا الكلام في الأينية والحيثية، ويخرج منه حدّ خارج عن حدّي التشبيه والتعطيل، وهو الحدّ الذي أمرنا بأن نقف عليه ولا نميل عنه إلى أحد الحدّين الآخرين، فتأمل.

نمّقه بيمناه الجانية الفانية العبد الجاني الفاني محمّد بن الحسين بن محمّد رضا

المشتهر بإسماعيل المازندراني، في قلائل من ليالي شهر الله الأعظم بين الفطر والسحور، والحمد لله جاعل الظلمات والنور، والصلاة على رسوله وآله ما تعاقبت الشهور والدهور، وكان ذلك في سنة خمس وستين ومائة بعد الألف .

وتم استنساخ الرسالة وتصحيحها ومقابلتها على النسخة الفريدة المغلوطة جداً في (٨) صفر المظفر سنة (١٤١١) هـ، في مشهد مولانا الرضا عليه السلام يد العبد السيد مهدي الرجائي عفي عنه .

وتم مراجعتها ثانياً في يوم الجمعة (٢٩ - شوال - ١٤٢٦) والحمد لله رب العالمين .

سلسلة آثار المحقق الخواجوي

٨

رسالة

في توجيه مناظرة الشيخ المفيد

للعلامة المحقق محمد إسماعيل مازندراني الخواجوي

المؤرخ سنة ١١٧٣ هـ

تحقيق
السيد مهدي البرقاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد حكى في وجه اشتهار الشيخ محمّد بن النعمان بـ«المفيد» أنّه قد حضر في
مدرس القاضي عبدالجبار المعتزلي، فسأله عن خبر الغدير هل هو موضوع أم من
الأخبار المثبتة في الأسفار؟

فأجاب القاضي بأنّه خبر صحيح نقله علماؤنا في كتبهم .

فقال الشيخ: إذا كان خبراً صحيحاً كان الخلاف في الخلافة قبيحاً .

فأجاب القاضي بأنّ حديث الغدير رواية وخلافة أبي بكر دراية، والعاقلة لا
يترك الدراية بالرواية .

ثمّ قال الشيخ: ما تقولون في خبر يا علي حربك حربي؟ فقال القاضي: هو
أيضاً خبر صحيح .

فقال الشيخ: ما تقولون في أصحاب الجمل؟ فقد كفروا على هذا التقدير بذلك
العمل .

فأجاب القاضي بأنهم تابوا عمّا أخطأوا فأصابوا .

فقال الشيخ: قد ناقضت نفسك؛ لأنّ الحرب دراية وخبر التوبة رواية، فبهت

القاضي، وقال: أنت المفيد حقاً، أنت المفيد حقاً^(١).

وحكى بعض أن الشيخ حين اشتغاله بتحصيل العلوم الدينية أراد الاستفادة من علي بن عيسى الرماني، فحضر بمجلسه، ثم جاء رجل بصري وسأل الرماني عن خبر الغدير وحكاية الغار، فقال الرماني: الغدير رواية والغار دراية.

ثم قال الشيخ: ما تقول في من حارب إمام زمانه؟

فقال: كافر لا بل فاسق.

قال الشيخ: ما تقول في طلحة والزبير أما حاربا علياً عليه السلام؟

فقال الرماني: إنهما تابا عن ذلك العمل.

فأجاب الشيخ بمثل ما أجاب الرماني في جواب المسائل الأولى.

فلما بلغ الكلام إلى خجل الرماني عطف عنان البيان إلى السؤال عن حال الشيخ الرباني، ثم أرسل رقيقة إلى أستاذه وجعل المفيد من جملة ألقابه^(٢).

وهذه المناظرة من الشيخ وإن تلقاه الفحول بالقبول، لكن أنا مع كمال قصور البضاعة أقول: لا شبهة في أن مناط قول القاضي هو المنافاة بين الرواية والدراية، إذ حينئذ يجب أخذ الدراية وترك الرواية، وإلا فلا مانع من أخذهما معاً. وأمّا الحرب والتوبة فأبي منافاة بينهما؟

وبالجملة القول بصدور التوبة عن المحاربين مستلزم للقول بوقوع الحرب، فمن أين يلزم ترك الدراية.

وتلخيصه على وجه ينطبق على قوانين المناظرة: أن السائل أراد إبطال

(١) لؤلؤة البحرين ص ٣٦١-٣٦٢.

(٢) لؤلؤة البحرين ص ٣٦٠.

إستحقاق الخلافة لأبي بكر، من إقرار الخصم بصحة خبر الغدير متمسكاً بمنافاتها .
 فلما سلم المجيب المنافاة، ومنع لزوم المراد، مستنداً بعدم مقاومة الخبر الذي
 هو رواية للخلافة التي هي دراية بزعمه، أراد السائل إبطال السند المساوي بطريق
 الإلزام متمسكاً بإقرار الخصم مقاومة الرواية التي هي التوبة للدراية التي هي
 الحرب في حق أصحاب الجمل .

فحيث بيننا عدم المنافاة بطلت المقاومة، فلو رجع السائل وادّعى عدم المنافاة
 بين الرواية والدراية اللتين قد ادّعى أولاً منافاتهما، لا يضّرّ المجيب بل ينفعه، كما
 لا يخفى، إذ هو جواب آخر .

وأيضاً يتّجه أن يقال: على الرواية الأولى أن معصية أصحاب الجمل لا تثبت
 بمحض وقوع الحرب، بل بضمّ الخبر المذكور، أعني: يا علي حرك حربي . وإذا
 كانت إحدى المقدّمين ظنيّة فلا دراية هناك .

فإن قيل مجيباً عن البحث الأوّل: مقتضى الحرب معصية المحاربين، ومقتضى
 التوبة رفعها، فالقول بمقتضى التوبة التي هي رواية مستلزم لترك القول بمقتضى
 الحرب الذي هو دراية .

قلنا: مقتضى الحرب حدوث المعصية، وهو غير مناف لمقتضى التوبة. وأما
 التمسك بالاستصحاب، فيخرج الكلام عن محلّ النزاع، إذ هو أيضاً مدرك ظني
 كالرواية .

نعم أقول: أنت خير بأنّ ما ذكرنا ليس بمتوقّف على تعيين معنى الدراية، لكن
 الظاهر أنّ المراد بالدراية ما يكون مدركه قطعياً، ومدار قول القاضي على أنّ
 خلافة أبي بكر تثبت بالإجماع، ومناطق قول الرّماني أنّ حكاية الغار تثبت بالنصّ،
 وإني رأيت من يقول: إنّ الدراية مختصة بما يكون مدركه التواتر زعماً منه أنّ هذا

التفسير يرفع الخدشة عن كلام الشيخ، والحال كما ترى .
والعجب أنه بعد ما تفتّنت بما تلوته عليك، مع أنه كان مخفياً على الناظرين
مدّة ستمائة سنة وستين، كُفّرني جمّ غفير من المنتسبين بالدين المبين .

فأقول: يا معشر المؤمنين هل تدور رحي الإسلام على بحث إلزامي مفاده سهو
اللفظ وسبقة اللسان؟ مع أنه لا أبالي بإثبات تلك الأقاويل إذا ظهرت الحقيقة على
ذوي الفطن، ونعم ما قيل :

إذا رضيت عني فأكرم عشيرتي فلما زال غضباناً عليّ لنامها
ولعمري ما الحاجة إلى تصحيح هذه المناقشة مع كثرة الدلائل المطروحة في
البين، لا سيّما وقد سنح لبعض علمائنا واحد كالفين .

وظنّي أنّ تلك المناظرة ليست مقبولة عند الشيخ المفيد وأصحابه؛ إذ رأيت
كتاباً صنّف السيّد المرتضى جامعاً لمناظرات الشيخ ولم يكن هذا فيه، واشتهر بين
العوام .

والحقّ أنّ عظمة شأن الشيخ تظهر في صورة فساد أكثر منها على تقدير
سداده، إذ القول الحقّ يفحم الخصم من غير حاجة إلى تفوّق القائل، وخلافه لا يتمّ
إلا على ناقص من الكامل، وقوّة النفس في المناظرات أدخل من قوّة الدليل، مع
أنّ أمر الإسكات هين لا يشفي العليل، ولا يروي الغليل .

إيّاك والاستنكاف في المناظرة عن قبول الإلزام، فإنّه ما يوقعك شيء سواه في
المكابرة والجهل والإبرام، وهو الهادي إلى الحقّ والموقّق للمرام .

هذا التوجيه وإن كان بحسب الظاهر وجيهاً ذائباً عن القاضي كلام شيخنا السعيد
المفيد، إلاّ أنّه يلزم منه جهلها بطريق المناظرة وآدابها، بل ذهول كلّ منهما عمّا
يقوله الآخر، وخاصّة ذهول القاضي عمّا هو مناط الجواب، وميله بذلك عن

صوب الصواب، حيث صار مبهوراً في غير محلّه ومقامه، والتزم بذلك ما لا ضرورة له على التزامه .

وإنّما نشأ ذلك بعد إمعان النظر في كلامهما، وهما من قدماء المتكلمين وفضلائهم المشهورين. ولكلامهما محمل صحيح يطابق ما عليه أرباب المناظرة، فليحمل عليه وليأوّل إليه .

وذلك يتوقّف على تمهيد مقدّمة هي أنّ الوضع عبارة عن مطلوب الجدلي: إمّا إبطالاً، أو إثباتاً .

والجدلي: إمّا ناقض الوضع وهو السائل، وإمّا حافظه وهو المجيب. واعتماده في تقرير وضعه على المشهورات، واعتماد السائل على ما يسلمه، وكان من عادة قدماء الجدليين أن أخذوا مقدّمات من لفظ الوضع وبنوا الكلام عليها، واستنتجوا منها ما يناقض ذلك الوضع، وعليه جرى هاهنا شيخنا .

وذلك أنّ مدار الكلام في هذا المقام من السائل والمجيب على أنّ الدراية ما يفيد العلم، والرواية ما لا يفيد، فهي أقوى منها إفادة لليقين، فوجب الأخذ بمقتضاها والحكم به، إلّا أن يحصل تعيين آخر بمقتضى رفعه، ويؤول حاصله إلى عدم زوال اليقين بالشكّ بل بالظنّ أيضاً، لكونه أقوى منهما، سواء كانت بينهما منافاة أم لا، وذاك كالطهارة والحدث... (١) .

بشأنها لكون نسبتها إلى ما عليه الشيخ من الدرجة العلية والرتبة السنّية نسبة القطرة إلى البحار، والورق إلى الأشجار، أو لعدم وجدانه إيّاها، وعدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود، كما هو البين الظاهر المشهود .

(١) بياض في الأصل .

والحمد لله المحسن المجمل المنعم المعبود، والصلاة على رسوله وآله معادن الإحسان والجود.

هذا ما خطر بخاطري الفاتر وذهنى القاصر من توجيه هذا الكلام، فإن وافق أذهان الأذكياء وأنظار الألباء فهو المرام، وإلا فلهم أن ينظروا نظراً يتموا به مناظرة شيخ الأنام، أو يردّوها ردّاً كما ردّها هذا الرجل الفهّام، والعلم عند الله وعند أهله محمّد وآله عليهم السلام.

كتبه مع قصور الباع واختلال الأوضاع بيمناه الجانية الفانية العبد الجاني محمّد بن الحسين إسماعيل المازندراني، عفى الله عنهما ذنوبهما بمحمّد وعلي وآلهما عليهما وآلهما من الصلوات أفضلها ومن التحيات أكملها.

وتّم استنساخ وتصحيح هذه الرسالة في (٥) ربيع الأوّل سنة (١٤١١) هـ في بلدة قم المقدّسة على يد العبد السيّد مهدي الرجائي عفى عنه.

وتم مراجعتها ثانياً في يوم الجمعة (٢٩ - شوال - ١٤٢٦) والحمد لله ربّ العالمين.

فهرس المجموعة

٥	رسالة في ترجمة حياة المؤلف
٧	مقدمة الرسالة
٨	إسم المؤلف ونسبه، أولاده وأحفاده، الإطراء عليه
١٣	الفتنة الهائلة الأفغانية
١٩	مشاركوه في الاسم ودفع وهم
٢٥	مشايخه في الدراية والرواية
٢٥	تلامذته ومن روى عنه
٢٦	تأليفه القيمة
٤٨	ولادته ووفاته
٥٠	في طريق التحقيق
٥٣	بشارات الشيعة
٥٥	مقدمة المؤلف وذكر فصول الرسالة
٥٦	معنى الشيعة لغة وعرفاً
٧٣	المعنى المراد من الشيعة

- الأخبار الواردة في فضل الشيعة ٨٧
- حبّ أهل البيت عليهم السلام يكفّر الذنوب ٩٣
- يخرجون الشيعة من قبورهم وبياض وجوههم كبياض الثلج ٩٥
- ما أعدّ الله عزّ وجلّ للشيعة في الجنان ٩٧
- علي عليه السلام وشيعته يردون على الحوض ١٠٣
- الشيعة لا يدخلون النار ١٠٥
- وجوب محبة الشيعة ١٠٨
- الشيعة يشفعون لأهاليهم ١١١
- السبب في ارتكاب الشيعة المعصية ١١٢
- ما رأى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ليلة المعراج من فضل علي عليه السلام وشيعته ١٢٠
- شمول استغفار ودعاء إبراهيم عليه السلام لمذنب الشيعة ١٢٤
- بشارة عظيمة لمحّب علي عليه السلام ١٢٩
- الآيات المأولة في فضل الشيعة ١٣٤
- تفسير لرواية حلّية الخمس ١٤٦
- محاجة الامام الصادق عليه السلام للحسن البصري ١٤٧
- بشارة الشيعة عند الموت والنزع ١٥١
- ليس مؤمن إلاّ وفي داره غصن من أغصان شجرة طوبى ١٦٤
- إنكار العامة الرجعة ١٧١
- إسكان الشيعة مع الأئمة الأطهار عليهم السلام في الجنّة ١٧٦

٦٢٧ فهرس المجموعة
١٧٩ فائدة جلييلة في بعض الاصطلاحات والرموز
١٨٥ عدم ابتلاء الشيعة ببعض الأمراض
١٩١ تفسير الناصب في بعض الأخبار
١٩٩ تفسير حديث عالم الذرّ
٢٠٣ حديث الوسيلة
٢٠٩ بشارة جلييلة من الامام الصادق <small>عليه السلام</small> للشيعة
٢١٤ الشيعة هم الحواريون
٢١٩ الشيعة هم أولاد الحلال
٢٢٦ الخيرات هي الولاية
٢٤٠ ما أعدّ الله تعالى لمحبي علي <small>عليه السلام</small> يوم القيامة
٢٤٧ المؤمن الممتحن يجد محبة أهل البيت <small>عليهم السلام</small> على قلبه
٢٥٧ شيعة علي <small>عليه السلام</small> هم الفائزون يوم القيامة
٢٦٥ ذكر نبذ من الأخبار الجلييلة في صفات الشيعة الكملين
٢٧٧ الشيعة شهيد إن مات على فراشه
٢٨٨ الطاعات والعبادات إنما تقبل من الشيعة لا غير
٢٩٢ فوائد حب آل محمّد <small>عليهم السلام</small> وثمراته
٣٠٣ شهادة أن لا إله إلاّ الله إنّما تقبل من الشيعة لا غير
٣١١ الولاية أفضل من جميع ما بني عليه أركان الاسلام
٣٢١ ذريعة النجاة من مهالك تتوجّه بعد الممات

- ٣٢٤ ذكر عدد الأنبياء ﷺ
- ٣٢٦ أفضلية رسول الله ﷺ على سائر الأنبياء ﷺ
- ٣٢٧ الأدلة الدالة على أفضلية علي عليه السلام على جميع الأنبياء سوى نبينا
- ٣٣٤ تساوي الأئمة عليهم السلام في أمر الامامة
- ٣٣٦ ذكر أدلة تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء ﷺ
- ٣٦٣ ذكر نبذ من الأدلة الدالة على كونهم عليهم السلام أفضل من الملائكة المقربين
- ٣٦٧ مناقب أهل البيت عليهم السلام في أخبار العامة
- ٣٧٣ مناقب فاطمة الزهراء عليها السلام
- ٣٨٣ الفوائد في فضل تعظيم الفاطميين
- ٣٨٧ فضل الذرية العلوية الفاطمية
- ٣٩٠ أهل البيت وذرية الرسول ﷺ على أصناف أربعة
- ٣٩٣ فضل إكرام أولاد النبي ﷺ
- ٣٩٦ فضيلة مودة أهل البيت عليهم السلام
- ٤٠١ المراد من الذرية في الأخبار
- ٤٠٥ تحقيق حول أن ولد البنت ولد حقيقة
- ٤١١ خلاصة الكلام في هذا المقام
- ٤١٢ الأخبار الدالة على أن ولد البنت ولد حقيقة
- ٤٢٣ الاستدلال بالروايات على المدعى
- ٤٢٨ ما يدل من الأخبار أيضاً على المدعى

٦٢٩ فهرس المجموعة
٤٣٠ الدليل العقلي على أنّ ولد البنت ولد حقيقة
٤٣٢ تزيف دليل المشهور
٤٣٤ نقل كلام صاحب مجمع الفائدة في المسألة
٤٤٢ فضل إكرام الفاطميين
٤٤٦ حلّ الاشكال في إكرام الطالح من أهل البيت
٤٤٧ عدم شمول إكرام ذرّيّة الفاطمي لغيره
٤٥١ شرف العلم والعلماء
٤٥٥ ميزة الفرقة الناجية عن غيرهم
٤٥٧ حكم المخالف في الدين
٤٥٩ المراد من المخالف في الدين
٤٦٩ تحقيق حول آية التطهير
٤٧٣ تحقيق المقال حول آية المباهلة
٤٨٢ تحقيق حول حديث الثقلين
٤٨٦ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية
٤٨٧ وجوب الامام المعصوم في كلّ عصر من الأعصار
٤٨٩ عدم حجّية القياس والاجماع في أمر الامامة
٤٩١ حديث ضربة علي عليه السلام يوم الخندق
٤٩٣ بيعة الأوّل كانت فلتة
٤٩٥ تخلّف الأوّل والثاني عن جيش أسامة

٦٣٠..... فهرس المجموعة

٤٩٦ منع الثاني من كتابة الرسول الأعظم ﷺ

٤٩٩ تحقيق حول الخطبة الشقشقية

٥٠٥ عدم قبول الطاعات والعبادات بدون الولاية

٥٠٨ خاتمة الرسالة

٥١١ رسالة في تحقيق وتفسير الناصبي

٥١٣ المراد من الناصبي في اللغة والأخبار

٥١٥ إطلاق الناصب على المخالفين

٥١٧ أحكام الناصب في أخبار أهل البيت ﷺ

٥١٨ أقسام الناصب في الروايات

٥٢١ طريق الارشاد إلى فساد امامة أهل الفساد

٥٢٤ أدلة وجوب البراءة من المخالفين في الدين

٥٢٨ إثبات ايذائهم فاطمة ﷺ

٥٣١ ما ورد في الأوّل

٥٣٣ ما ورد في الثاني

٥٦٤ ما ورد في الثالث

٥٧٣ ما ورد في أصحاب الجمل

٥٨١ ما ورد في أصحاب الصقيّين

٥٩٢ ما صدر من يزيد وأتباعه من الفجائع

٥٩٩ الرسالة الأينية

٦٣١ فهرس المجموعة
٦٠١ إثبات الأين له تعالى
٦٠٣ المراد من قوله ﷺ في دعاء الكميل «أين كنت»
٦٠٧ كلام الفاضل المازندراني في المسألة
٦٠٩ كلام شارح الصحيفة في المسألة
٦١٣ كلام صاحب درّ المنثور في المسألة
٦١٧ رسالة في توجيه مناظرة الشيخ المفيد
٦١٩ وجه تسمية الشيخ بالمفيد
٦٢٠ الاشكال الواردة على المناظرة
٦٢٣ تقرير الاشكال في المسألة
٦٢٥ فهرس المجموعة